تزكية النفس في الإسلام وفي الفلسفات الأخرى

تأليف

علي بن عبده بن شاكر أبو حميدي



مكتبة جزيرة الورد

القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل
ش ٢٦ يوليو ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦

Tokoboko_5@yahoo.com

بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب: تزكية النفس في الإسلام وفي الفلسفات الأخرى

تأليف: علي بن عبده بن شاكر أبو حميدي

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه

رقم الإيداع:

الطبعة الأولى ٢٠١٢



القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل

ش ٢٦ يوليو ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ ٠٢٧٨٧٧٥٧٤

إهداء

* إلى من تولياني بالرعاية والتوجيه منذ الصغر.. وإلى من كان لهما الفضل بعد الله في مواصلة مسيرتي العلمية.

* إلى والدي يرحمه الله رحمة واسعة ووالدتي أطال الله في عمرها وجعلني من البارين بهما أتقدم بإهداء ثمرة غرسهما تقديراً مني بفضلهما.

* إلى زوجتي التي عملت على تأمين راحتي خلال فترة إعداد هذه الرسالة.

* إلى أولادي الحسن والحسين وأميرة و مروه ومحسن الذين ضحوا بالكثير من أوقاتهم ومرحهم من أجلي.

* إلى الزملاء الأعزاء.

* إلى الباحثين وطلاب العلم.

* إلى كل رب أسرة وربة أسرة.

* إلى كل هؤلاء أهدي هذا الجهد العلمي سائلاً المولى عز وجل أن يذكرنا ما نسينا ويعلمنا ما جهلنا وينفعنا بما علمنا ويزكي أنفسنا.

إنه سميع مجيب الدعوات

وصلى الله على سيد الخلق أجمعين، وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين.

علي أبو حميدي

* * *

الفصل التمهيدي

* المقدمة
* موضوع الدراسة
* أسئلة الدراسة
* أهداف الدراسة
* أهمية الدراسة
* منهج الدراسة
* حدود الدراسة
* مصطلحات الدراسة
* الدراسات السابقة

مقدمة الدراسة

الحمد لله رب العالمين حمداً طيباً كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه حمداً يوفي آلاءه ونعماءه حمداً كما يرضى، والصلاة والسلام على الرسول الكريم ما ذكر الله الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون، وعلى آله وصحبه وآل بيته الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد:

فالله خلق الإنسان، ونفخ فيه من روحه، فكرمه بهذه النفخة، وفرض عليه فرائض حتى يزكي نفسه؛ إذ تزكية النفس هي دعوة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام أن يرسل رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم.

كما قال الله تعالى:{رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾} [سورة البقرة آية ١٢٩].

ولتزكية الإنسان في الإسلام فرض الله سبحانه وتعالى أن يعبده ويصبح لله عبداً طائعاً.

قال الله تعالى:{وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾} [سورة الذاريات آية ٥٩].

والإنسان عندما يصاب بالغفلة عن طاعة الله خالقه وواجده فيحصل منه التهاون في تأديته لهذه الطاعات، وبذلك لا يتحصل إلا على القدر اليسير من الأجر والثواب.

وقد يصاب الإنسان بشيء من الهوى فيرغب أن يمدح ويشكر من الآخرين جزاء عمله، وبهذا لن يحصل للإنسان تزكية لنفسه، لأن تزكية أنفسنا من الأمور المذمومة؛ لذا فإن التزكية من أعظم أمور الدين، ومن أجل الخصال، وأرفعها عند المليك، فهي علم يعرف به أحوال النفوس عند الناس، وتحليتها بالاتصاف بمحمودها وتخليتها مذموم الصفات، وكيفية تطهيرها، وكيفية السلوك والسير إلى الله تعالى، والفرار إليه.

قال الله تعالى:{فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾} [سورة الذاريات آية

٥٠].

وهذا العلم له أثر كبير في إصلاح النفوس وتهذيبها وصقلها، وتطهيرها من الشوائب.

ولحاجة الإنسان لتزكية الله سبحانه وتعالى حتى يصبح إنساناً زكياً، فلابد أن يغير من نفسه؛ إذ التغيير قوام حياة الإنسان.

قال الله تعالى:{إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ١١} [سورة الرعد آية ٥٩].

وما كان سبب الاهتمام بتزكية الإنسان إلا لحاجة الفرد والمجتمع لها في جميع ميادينه العقدية والأخلاقية والتعبدية وجميع معاملاته لإعطاء الحقوق والواجبات التي عليه.

والإنسان يحتاج إلى تزكية نفسه حتى يبقى محافظًا عليها بعيداً عن المهلكات. قال الله تعالى:{ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ٣٢} [سورة النجم آية ٣٢].

ومن خلال تفسير الآية يظهر أنهم " يفعلون ما أمرهم الله به من الواجبات، التي يكون تركها من كبائر الذنوب، ويتركون المحرمات الكبار، كالزنى، وشرب الخمر، وأكل الربا، والقتل، ونحو ذلك من الذنوب العظيمة،{إِلَّا ٱللَّمَمَ } وهي الذنوب الصغار التي لا يصر صاحبها عليها أو التي يلم بها العبد المرة بعد المرة على وجه الندرة، فهذه ليس مجرد الإقدام عليها مخرجاً للعبد من أن يكون من المحسنين، فإن هذه مع الإتيان بالواجبات وترك المحرمات، تدخل تحت مغفرة الله التي وسعت كل شيء " (١).

(١) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة

إن قيام الإنسان بالأعمال التي تزكي نفسه، هي عملية تربوية ينبض بها قلب المسلم لكي ينال الفلاح؛ إذ بدونها يصاب الإنسان بالخيبة و التدسية. قال الله تعالى:{قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾} [سورة الشمس آية ٩-١٠].

وتزكية النفس من أعظم أمور الدين؛ لذا اهتم بها السلف الصالح بالسلوك الشرعي علماً و عملاً؛ إذ هي سبب الفوز بالدرجات العلى. قال الله تعالى:{وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾} [سورة طه آية ٧٥ - ٧٦].

ولقد جاءت السنة النبوية تحث علي فعل الأوامر التي تزكي النفس كأمر بالصلاة والزكاة، وذكر وتلاوة للقرآن، وعلى ترك المنهيات التي يصاب بها الإنسان بالخيبة كإتباع السفهاء، وأكل المال الحرام.

فعن أبي مالك الأشعري رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **{الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ مابين السماوات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها}**[1].

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :**{يا كعب بن عجرة أعيذك بالله من إمارة السوء}**. قال: وما ذاك يا رسول الله؟ قال:**{أمراء سيكونون من بعدي من دخل عليهم فصدقهم بحديثهم وأعانهم على ظلمهم فليسوا مني، ولست منهم، ولم يردوا على الحوض، ومن لم يدخل عليهم، ويصدقهم بحديثهم، ولم يعنهم على ظلمهم فأولئك مني، وأنا منهم أولئك يردون على الحوض، يا كعب الصلاة قربان،**

الرسالة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، ص - ٨٢١.

(١) مسلم بن حجاج بن مسلم، مرجع سابق، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، جـ ١، ص - ١٤٠.

الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، يا كعب بن عجرة لا يدخل الجنة من نبت لحمه من سحت النار أولى به، يا كعب بن عجرة الناس غاديان فغاد بائع نفسه وموبق رقبته، وغاد مبتاع نفسه ومعتق رقبته} (١).

فالأحاديث تدل " على أن كل إنسان ساع في هلاك نفسه أو في فكاكها فمن سعى في طاعة الله فقد باع نفسه لله، وأعتقها من عذابه، ومن سعى في معصية الله فقد باع نفسه بالهوان، وأوبقها بالآثام الموجبة لغضب الله وعقابه " (٢).

ومن خلال دراسة الفلسفات والتي ظهرت متأثرة بالدين تود تحقيقه كالفلسفة المثالية، وهي تتأثر بأفكار ومبادئ الفلاسفة وهي كما يلي: -

فالفلسفة المثالية " تأثرت بالديانة المسيحية؛ إذ تبناها القائمون على نشر الديانة المسيحية لاعتقادهم بوجود الحقيقة النهائية في العالم الروحي المنفصل عن الأرضي الذي نعيش فيه.

ولقد تأثرت الفلسفة المثالية بأفكار كثير من الفلاسفة مثل أفلاطون وسقراط و ديكارت و سبينوزا و بيركلي وهيوم وكانت و هيجل وقد ساعدا الأخيرين على استمرارها.

وقد أثرت الفلسفة المثالية بعمق في حياة الشعوب؛ إذ كانت للديانتين اليهودية والمسيحية أثر كبير في تغلل الأفكار المثالية على نطاق واسع رغم ظهور الفلسفات الجديدة في العصور الحديثة، فإن أثر الفلسفة المثالية لا يزال ظاهراً في أعمال القصصيين، والإصلاح الاجتماعي لبعض السياسيين، والكثير من الحلول المقترحة للمشاكل التربوية ورجال الدين " (٣).

---

(١) أحمد بن حنبل الشيباني، المسند، دار الكتب العلمية، بيروت، ج - ٣، ص - ٣٩٩

(٢) عبد الرحمن أحمد بن رجب، جامع العلوم والحكم، تحقيق شعيب الأرناؤوط، طبعة دار الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م، ج - ٢، ص - ٢٨.

(٣) عبد الله زاهي الرشدان، المدخل إلى التربية، دار الفرقان، عمان، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ص - ٤٩.

لقد كانت الفلسفة المثــالية متأثــرة بأفكـار فلاسفــة كـان لهم تـأثير فـي المجتمع الذي يدين باليهودية والمسيحية؛ لذا كانت المثالية عند الفلاسفة مذاهب كما يلي: -

أولاً: - المثالية التقليدية:

ويطلق عليها المثالية الأفلاطونية أو المثالية المفارقة أو المثالية الإلهية، ويرتبط هذا المذهب باسم أفلاطون مؤسس المثالية، ومثالية أفلاطون هذه تعني أن هناك مثلاً توجد أو صورًا للأشياء، وأن وجود هذه المثل مفارقة للأشياء، وتقوم هذه المثل المفارقة في عقل إلهي عنده صور الصور أو أعلى المثل درجة ولذلك تسمى مثالية أفلاطون بالمثالية الإلهية.

ثانياً: - المثالية الذاتية:

أو المثالية اللامادية، وجاءت هذه المثالية في العصور الحديثة، وبالتحديد في أواخر القرن السابع عشر على يد جورج باركلي (١٦٨٥م - ١٧٥٣م) وتعني هذه الفلسفة المثالية أن: وجود الشيء هو إدراكه، وأن الشيء ليس وجود مادي مستقل عن إدراكنا له. ويلاحظ على مثالية (باركلي) أنها لا تعترف بوجود المادة...

ويطلق على هذه المثالية الخارجية تسميات أخرى مثل: المثالية السيكولوجية أو المثالية الخارجية... ويقترح لها (كانط) اسم المثالية المادية.

ثالثاً: - المثالية النقدية:

ارتبطت هذه التسمية (المثالية النقدية) في العصر الحديث باسم " عمانويل كانت " (١٧٥٤ـ ١٨٠٤م) وصفة النقدية هذه جاءت من اهتمام المثالية لوضع العقل و المطالبة بألا تتعداها، بمعنى عدم الخوض في موضوعات فوق طاقة البشر، بل لابد أن تدور الفلسفة في حدود (التجربة الممكنة)، أي أنها تضع شروطًا أولية تجعل هذه التجربة ممكنة، والشروط العقلية الأولية يضعها دون الاعتماد على التجربة، ولكن تأتي

عن طريق الحواس. ولهذا كانت المثالية عند " كانت " تتميز بصفتين أنها مثالية نقدية، و(شارطة) أو مشروطة.

رابعاً: - المثالية الموضوعية:

ترتبط الموضوعية أو المطلقة باسم الفيلسوف هيجل (١٧٧٠ - ١٨٣١م).

والذي أكد أن استخدامنا لنظام المنطق بصورة دقيقة هو الذي سيوصلنا إلى الفكرة المطلقة، وقد توسطت مثالية هيجل بين الفلسفة الطبيعية التي تقول بأن الطبيعة وجدت مستقلة الذات، والمثالية الذاتية التي قيدت وجود الطبيعة بالذات [1].

وتتخذ الفلسفة المثالية أشكالا متنوعة، ولكن مهما تعددت، فهي تشترك في فكرة واحدة وهي أن العقل والروح جوهر هذا العالم، وأن الحقيقة الأزلية ذات صفة عقلية.

" فالشعور والفكر والمثل العليا والقيم والذاتية، كل هذه ذات طبيعة عقلية وهي أقرب إلى الكون من الأشياء المادية أو مظاهر العالم الطبيعية الخارجية أو الكائنات الحيوانية الدنيا.

إن المثالية ترفض في يقين أن يكون العقل هو المخ وعمله فحسب، أو أن الشعور ليس إلا منتجاً ثانوياً. ويقول رسك: بدل أن تسأل كما يسأل الطبيعيون لماذا كان للجسم عقل، فإننا نسأل لماذا كان للعقل جسم ؟.

مهما كانت الإجابة على هذا السؤال فإنه يبين لنا أن عقل الإنسان أهم بكثير من جسمه، بل هو أهم من هذا الكون العجيب.

وقد اعتبر المثاليون منذ سقراط، أن الإنسان نفسه أجدر بالدراسة من العالم الطبيعي الخارجي.

فمن أشكال الفلسفة المثالية وهو الشكل الأول:

والمثالية في أحد أشكالها ترى أن الكون معقول، وهي من هذه الناحية

---

(١) إبراهيم ناصر، فلسفات التربية، دار وائل، عمان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ص - ٢٤٤ - ٢٤٧.

تتفق إلى حد ما مع العلم بالمظاهر الطبيعية، وعلى القوانين وعلى أطراد الطبيعة، ولكن المثالية تذهب إلى أبعد من العلم في أنها لا تجد (عقل الكون) راجع إلى قوانين آلية بل إلى وجود عقل(كوني) مثلاً " فختر " يرى أن الكون كائنًا حي كبير له جسم وروح وأن المظاهر الطبيعية ليست إلا تعبيراً عن عقل الكون " آيات الله التي تراها " بينما " هيجل " في مثاليته المطلقة يرى أن الكون عملية تفكير كبرى، فهذا الكون الطبيعي فكرة الله خرجت إلى حيز الوجود، وإننا لنأمل أن نقرب من الفكر المطلق عن طريق الفن والفلسفة والدين.

ومن أشكال المثالية وهو الثاني:

والمثالية ترى أن العالم الطبيعي مكون من مادة عقلية، وأن كنه العناصر عقلي أو روحي وهذه النظرية تسمى النظرية الروحية الشاملة Panpsychism، فالنفس تغلغل في الحياة والعقل والطاقة.

وأما الشكل الثالث للمثالية:

فهي المثالية الشخصية التي نادى بها القس بركلي... أن العالم الحقيقي ليس إلا مجرد ظاهرة أمام العقل، فالعالم لا وجود له إلا أمام العقل، فالعقل هو الذي يرى المظاهر الطبيعية، فالحقيقة إذن عقلية " (١).

وأما الفلسفة الواقعية " فتنظر إلى الكائنات الإنسانية باعتبارها أعلى درجات السلم التطوري، وأعلى نتاج " الطبيعة الحاضرة، فالناس مخلوقات من الطبيعة، وجزء من النظام الطبيعي للأشياء، والكائنات الإنسانية حيوانات عاقلة وليس في سلوكها ما هو إيجابي أو سلبي إنما هي ردود أفعال الطبيعة " (٢).

و " الكون فهو مادي واقعي وموجود خارج عقول أولئك الذين

(١) جمس س. دوس، الأسس العامة لنظريات التربية، ترجمة صالح عبد العزيز، مكتبة النهضة المصرية، د. ت، ص ٤٧ - ٤٩.
(٢) وليم ج. صموئيل، مقدمة في فلسفة التربية، ترجمة /ماجد الكيلاني، دار الفرقان، عمان ١٤١٩هـ ١٩٩٨م، ص - ٢٥.

يلاحظونه " [١]. و " يشمل على عناصر عرضية متغيرة، وفي ذلك دليل على تطور الحياة. إن أهمية الدراسة ينبغي أن تكون للعناصر الجوهرية التي لا تتغير " [٢]. فالواقعية تراوحت بين الواقعية الدينية والواقعية المادية والملحدة أحياناً " وأشهر هذه المدارس هي الواقعية العقلية والواقعية الطبيعية والواقعية النقدية والواقعية الجديدة أو المحدثة " [٣].

والفلسفة الواقعية على شكلين كما يلي: -

" أولا: الفلسفة الواقعية المدرسية - ومعظم أنصارها من الرومان الكاثوليك ومن أبرزهم توماس الأكويني وهي تؤمن بأهمية العقل، والتفكير المنطقي، ودراسة الطبيعة وذلك كالفلسفة الإنسانية العقلية، لكنها تضيف إلى ذلك الاهتمام بالوحي والإلهام وعلم اللاهوت. وهذا يعني أن الفلسفة الواقعية المدرسية تقوم على الاعتراف بكل ما في الطبيعة، والقوة الخارقة ممثلة في الإله الذي خلق الوجود كله. فهي فلسفة ذات طبيعة ثنائية " [٤].

" ثانيا: الفلسفة الواقعية الطبيعية هي فلسفة إغريقية قديمة ظهرت في الواقع كرد فعل للفلسفة المثالية حيث إن هذه الفلسفة تتبنى وجهة نظر متعارضة مع الفلسفة المثالية فالواقعية تتمسك بأن الأشياء والموضوعات الموجودة في العالم الخارجي هي أشياء حقيقية، ولها وجود حقيقي في حد ذاتها. كما أنها الطبيعة، في وجودها على إدراك عقل الله أو عقل الإنسان لها. فالواقعي يرفض أي شيء وراء الطبيعة، فكل شيء يأتي من

---

(١) جورج نيلر، مقدمة إلى فلسفة التربية، ترجمة / نظمي لوقا، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د. ت، ص - ١٥

(٢) عبد الكريم علي اليماني، فلسفة التربية، دار الشروق، عمان، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ص - ٧٥

(٣) أحمد على الحاج محمد، في فلسفة التربية، دار المناهج، عمان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، ص - ٨٢.

(٤) علي أحمد مدكور، نظريات المناهج العامة، دار الفرقان، عمان، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ص - ٢٣٩و ص - ٢٩٩ - ٣٠٠.

الطبيعة، ويخضع للقوانين العلمية والطبيعية " [١].

لذا تعتمد الواقعية على " مبدأ الإيمان بالحقائق الخالدة التي لا تقبل التغيير أو التبديل مهما اختلفت الظروف، حيث إن الحقائق موجودة في العالم، ولا تختلف باختلاف الزمان أو المكان، ويمكن يتوصل إليها الأفراد باتباع الطرق العلمية. وعلى أساس أن العالم فعلاً يظهر لنا، وأن الأشياء هي فعلا كما نراها، ومن خلال التجربة يمكن " [٢] معرفتها.

كما " تنتمي إلى هذه المدرسة أكثر التيارات الفلسفية المعاصر وأهمها: المادية والوجودية والتحليلية والوضعية " [٣].

وأما الفلسفة البرجماتية فهي تنادي " بأن قيمة أي مبدأ أو عقيدة فلسفية يجب أن تعتمد على الأثر العملي لها، وعلى هذا الأساس يجعل النفعيون النشاط العملي في المرتبة الأولى والنشاط الفكري في المرتبة الثانية " [٤] كما تنظر إلى الإنسان على أنه " مخلوق متكامل لا انفصال بين عقله أو جسمه ومشاعره؛ لذا يهتمون بالفرد، وينظرون إليه على أنه نتاج تفاعل البيئة الطبيعية والاجتماعية التي يعيش فيها " [٥]. والحياة الصالحة نشاط اجتماعي وسياسي، والتزام بمبادئ الديمقراطية وممارساتها " [٦]. وتنظر البرجماتية إلى " العالم على أنه كثير ثابت، وهو خاضع للتجربة والبحث، وترفض وجود عالم حقيقي خارج هذا العالم الذي نعيش فيه " [٧]. ولقد استغرقت البرجماتية في الجانب العملي، دفعت البعض إلى اعتبارها أقرب على الطريق للحياة والعيش القائم على منهج التفكير

(١) علي أحمد مدكور، نظريات المناهج العامة، دار الفرقان، عمان، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ص - ٢٣٩و ص - ٢٩٩ - ٣٠٠.
(٢) علي خليل أبو العينين، الأصول الفلسفية للتربية، دار الفكر، عمان، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، ص - ٣١٠.
(٣) أحمد على الحاج محمد، مرجع سابق، ص - ٨٢.
(٤) علي خليل أبو العينين، مرجع سابق، ص - ٣١٥.
(٥) إبراهيم ناصر، مرجع سابق، ص - ١٣٥.
(٦) وليم ج. ناصر، مرجع سابق، ص - ٢٥.
(٧) إبراهيم ناصر، مرجع سابق، ص - ١٤٥.

والتحليل.

كما تقوم الفلسفة البرجماتية على أسس ومبادئ وهي كالتالي:

١ – العالم أساسه التعدد والكثرة: –

أي ليس جامدًا ومغلقًا بل هو متعدد وذو معالم كثيرة، بل إنه في دور التكوين أي أن حقيقة العالم ناقص وليس مكتملاً.

٢ – جوهر العالم التغير المستمر: –

رفضت البرجماتية فكرة الثبات والخلود ومبدأ الثنائية للعالم، كما نادتها الفلسفة المثالية، وترى أن العالم وما يحويه من مظاهر الطبيعة والمجتمع والإنسان في حالة تغير دائم

٣– وحدة طبيعة الجسد وتكاملها: –

من العسير عزل العقل عن الجسد فما نصفه بأنه العقل يظهر في أفعال الجسد، وفي السلوك والحواس، وتلك التفرقة تشوه بأنه العقل يظهر في أفعال الجسد، وفي السلوك والحواس، وتلك التفرقة تشوه وحدة الإنسان.

٤ – أداتية المعرفة ووظيفتها:

تنكر البرجماتية المعرفة القبلية للإنسان أو سابقة على التجربة لكنها نابعة من الخبرة والنشاط الذاتي للفرد، وتفاعله مع عناصر البيئة المحيطة به، وسعيه من أجل البقاء والعيش، و التغلب على المشاكل التي في الحياة، والمعرفة الحقة يجب أن تكون أداتية و وظيفتها استمرارها.

٥ – نسبية القيم:

ترى البرجماتية أنه ليس للقيم وجودٌ في ذاتها أو القيم العليا المفروضة على الإنسان، وإنما هي أمور إنسانية تنبع من صميم الحياة، نتيجة تفاعل الفرد مع البيئة والمجتمع، أي من الخبرة العقل، وبهذا فالأخلاق لها طبيعة اجتماعية، أي لا تنبع من الذات أو الضمير أو العقل، وإنما يكتسب الفرد قيمة الأخلاق عن طريق خبراته والتفاعل مع ما حوله.

٦- القيمة الفورية والحقائق: -

لا قيمة للأفكار والحقائق والقيم ما لم تقودنا إلى فعل وحركة، وما لم تكن نافعة لأكبر عدد ممكن من الناس، فالحقيقة هي القيمة الفورية للفكر، وتظل الفكرة صادقة وصالحة للتعامل.

٧- الديمقراطية هي أسلوب الحياة الأمثل: -

طالما أن العالم متعدد، وجوهره التغير، والعالم يتسم بأنه نظام مفتوح، وعدم التحكم قي المستقبل، إن المعرفة، والقيم مصدرها الإنسان، والتسليم بأن الإنسان حر، وقدراته ليس لها حدود، فإن الديمقراطية هي الأسلوب الأمثل لنظام الحكم والإدارة، بل وأسلوب المعيشة.

٨- المنهج العلمي أسلوب التفكير الأمثل: -

ترى البرجماتية أن التفكير ليس التأمل والجدل، أو الذي يتم في انعزال عن شؤون الحياة، وإنما يتم في بيئة مليئة بمثيرات ودافع، تحمل الفرد على التفكير والبحث، ليتغلب على المشكلات، وإيجاد الحلول الممكنة من التكيف مع نفسه وبيئته " [١].

وأما الفلسفة البوذية " ترى أن الذات غير واقعة أو مجرد لفظة مفترضة، وليس لها وجود، ويطلقون على هذه النظرية بأناتا أي لا ذات ولها تفسيران هما:

التفسير الأول: أي ليس للإنسان ذات حقيقية بل ذات وهمية خيالية تتكون من خمسة عناصر (الجسم، الحواس، التذكر، التفكير، الوعي)، وإن هذه العناصر التي يتكون منها الإنسان ليست ذاتاً للإنسان، وإنما هي مجرد حالات " [٢].

وهناك " **التفسير الثاني**: بأن لا وجود للذات، ولا وجود للروح أي لا حقيقة

(١) أحمد علي الحاج محمد، في فلسفة التربية، دار المناهج، عمان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، ص - ٩٣ - ٩٨.

(٢) عبد الله مصطفى تومسوك، البوذية، أضواء السلف، الرياض، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ص - ١٢٩، و ١٣٠.

ولا خلود لهما " [١].

قال الله تعالى:{كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾} [سورة البقرة ١٥١].

لذا يقوم منهج التربية الإسلامية على أسس علمية تختلف عن أي تربية أخرى وأول أساس " يعتمده منهجنا هو تربية الفرد المسلم الاستجابة لله والرسول " [٢].

وأساس ثانٍ " يعتمده هذا المنهج الكريم هو (التزكية) و بها ينفرد المنهج الإسلامي تفرداً كاملاً:{يُزَكِّيهِمْ} ".

وأساس ثالث " يعتمده المنهج هو (التعليم).. وهو تعليم يخالف المناهج القائمة.

إنه يقوم على تعليم الكتاب وتعليم الحكمة:{ويُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ } ".

إذا فتزكية النفس ليست أمراً عارضاً أو هيناً في ميزان الإسلام، بل بها الفلاح في فعلها والخيبة في تركها. قال الله تعالى:{وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾} [سورة الشمس آية ١-١٠].

ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو ربه ويطلب منه تزكية نفسه. فعن زيد بن أرقم رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول:{**اللهم إني أعوذ بك من العجز، والكسل، والجبن، والبخل، والهرم، وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكها، أنت وليها**

(١) عبد الله مصطفى تومسوك، البوذية، أضواء السلف، الرياض، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ص - ١٢٩، و ١٣٠.

(٢) علي جريشة، نحو نظرية التربية الإسلامية، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ص - ٩٥ - ٩٦.

ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع} [١].
ومجالات التزكية هي العقيدة والشعائر والأخلاق والمعاملات، فالمجالات الثلاثة واضح أنها مجال تزكية والأخيرة يغفلها البعض مع أنها محك التزكية ومجال اختبار أصالتها، وتقوم على تعريف الحلال وتعوده وتعريف الحرام واجتنابه.. وبعبارة أخرى: الوقوف عند حدود الله [٢].

إذ " هي تزكية " مبرمجة " تبدأ بالعقيدة، وتثني بالأخلاق، ثم تهتم بالتعبد.. وأخيراً تزكي المعاملات وما يليها من آداب وأحكام " [٣].

فالتزكية قلب عملية التربية و بها ينبض بإذن الله تعالى قلب المسلم ويحتاج إليها كل فرد من أفراد المجتمع وكذلك المجتمع ككل لأنه بدون التزكية ليس هناك فلاح بل خيبة وتدسيه، والتزكية ترتبط بمعتقدات وتصورات وقيم وأخلاقيات وسلوكيات، وإقامة التزكية على أساس تفاعلي مع فقه الآيات فيغدو التزام سبيل الهدى نابعاً من أعماق النفوس باقتناع وجداني، والتزام معطيات الرسالة عن إيمان عميق بما جاء فيها.

والتزكية لها وجهان:

الوجه الأول: تحليه بالأخلاق الفاضلة. **الوجه الثاني:** تخليه من اتباع الهوى [٤].

والذي يريد أن يزكي نفسه عليه واجبات: الصبر.. وهو صبر على ما أمر الله به، وصبر عن ما نهى الله عنه، ثم عليه الرعاية والدأب.

قال الله تعالى:{وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ

(١) مسلم بن حجاج بن مسلم، مرجع سابق، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل ج - ٨، ص - ٨١ - ٨٢.
(٢) أحمد محمد المقري، تربية النفس الإنسانية في ظل القرآن، دار حافظ للنشر والتوزيع، جدة، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، ص - ٨.
(٣) علي جريشة، مرجع سابق، ص - ٩٦.
(٤) إبراهيم محمد العلي، رياض الأنس في بيان أصول تزكية النفس، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، عمان، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ص - ٢٤ - ٢٥.

يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا} [سورة الكهف آية ٢٨].

ومن أراد التزكية لنفسه فعليه أن يرجو الله واليوم الآخر، وأن يتأسى بالرسول صلى الله عليه وسلم .

قال الله تعالى:{قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾} [سورة آل عمران آية ٣١].

وتزكية النفس تكون بالعلم الذي ينمي القدرات العقلية، هذا العلم المؤدي إلى الإيمان والتوحيد والتفكير النقدي النافع، وتدريب الإنسان المسلم على عدم التبعية والتقليد، والأخذ بالتفكير العلمي بدل الظن والهوى، ويكون التفكير جماعي للأمة وشامل.

والفلسفة المثالية -عموماً - وثيقة الصلة بالدين، والمثاليون عموماً يقبلون المعرفة على أساس العقيدة، فالشخص يؤمن بوجود الله لأن الفطرة كأداة للمعرفة أقدرته على معرفة الله فالدين هو القانون (١). " وتقوم الفلسفة المثالية على مبدأين أساسيين هما:

١- أزلية الأفكار.　　　　٢- عالم المثل.

وترى هذه الفلسفة أن مظاهر العالم المادية من أناس وحيوانات إلخ لا تمثل حقيقته وجوهره، و إنما تمثل شكله ومظهره " (٢).

أما القيم التي يؤمنون بها فهي كما يصفون:

" قيم ثابتة لا تتغير، وقد توصل إليها المفكرون العظام عن طريق الإيحاء، ولا يجوز الشك بصحتها " (٣).

فكانت بداية الفلسفة المثالية من خلال فيلسوفها الأول:

---

(١) علي أحمد مدكور، مرجع سابق، ص - ٢٣٥.

(٢) أحمد على الفنيش، أصول التربية، الدار العربية، ليبيا، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ص - ٢٤.

(٣) عبدالله زاهي الرشدان، مرجع سابق، ص - ٥٠.

" ابتدأت المثالية بنظرية خاصة في العقل والعلم الإنساني، وسميت تلك النظرية بنظرية(المثل الأفلاطونية) فقد كان أفلاطون فيلسوفاً مثالياً، ولكن مثاليته لم تكن تعني إلى إنكار الحقائق المحسوسة وتجريد الإدراكات الحسية عن الحقائق الموضوعية المستقلة عن مجال التصور والإدراك، بل كان يعتقد بموضوعية الإحساس غير أنه ذهب أكثر من ذلك فاعتقد بموضوعية الإدراكات العقلية التي هي أعلى درجة من الإدراكات الحسية مقرراً أن الإدراك العقلي وهو إدراك الأنواع العامة كإدراك معاني الإنسان والماء والنور ذو حقيقة موضوعية مستقلة عن التعقل " [١].

لذا " انطلق أفلاطون من فكرة أساسية هي أن الكون مقسم أصلاً إلى عالمين: عالم مادي حسي يمكن للإنسان أن يدركه بحواسه، وعالم سماوي علوي لا يحوي أشياء مادية، وإنما يضم مُثلاً عليا كالخير والحق والجمال. وأن العالم العلوي أو ما سماه " عالم المثل " بعيد المنال بالنسبة للحواس لا يدركه سوى العقل الذي هو الوسيلة الوحيدة إلى الوصول إلى هذا العالم، وإدراك ما يحتويه " [٢].

ومن المبادئ الأساسية في الفلسفة المثالية: " تمجيد العقل والروح والتقليل من دور المادة؛ إذ تؤمن بمبادئ أساسية ينطلق إيمانها بوجود أفكار عامة ثابتة مطلقة مستقلة عن عالم الخبرات اليومية، ومقره العالم المثالي الحقيقي " [٣].

وأما نظرتهم " المعرفة الحقيقية هي نتاج العقل وحده، والحقيقة تكمن في أفكار العقل.. وتعتبر حياة التفكير والتأمل هي المثل الأعلى " [٤].

(١) محمد باقر الصدر، فلسفتنا، دار التعارف، بيروت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ص - ١٠٤.
(٢) محمد سيف الدين فهمي، النظرية التربوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ص - ٤٩.
(٣) عمر أحمد همشري، مدخل إلى التربية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ص - ٧٨.
(٤) أحمد فاروق محفوظ، مرجع سابق، ص - ٨٧.

حدود الدراسة

تتمثل حدود الدراسة في مجالها الموضوعي حيث تتناول تزكية النفس في الإسلام، وذلك من خلال الكتاب العزيز والسنة النبوية وما اتفق عليه علماء الأمة، كما تتناول الدراسة تزكية النفس الإنسانية في الفلسفة المثالية والواقعية والبرجماتية والبوذية مع التركيز على الفلسفة المثالية، والتركيز على الفلسفات بصورة عامة، وذلك لمقتضيات الدراسة، ولعل البحث يضيف بذلك معرفة تربوية إلى البناء التربوي والله الموفق على سواء السبيل.

مصطلحات الدراسة

التزكيـــة: - " يقول: قد أفلح من تزكى، فكثّر تطهيرها من الكفر والمعاصي، وأصلحها بالصالحات من الأعمال " (١).

فالتزكية هي: " تطهير وإصلاح وتنمية شاملة هدفها استبعاد العناصر الموهنة لإنسانية الإنسان، وما ينتج عن هذه التنمية من صلاح وتقدم وفلاح في حياة الأفراد والجماعات فالتزكية هي تزكية معنوية ميدانها المعتقدات والقيم والثقافة وتزكية مادية مادتها النظم والتطبيقات " (٢).

النفس: " هي صورة الجسم الحي " (٣).

أوهي النــفس: " هي شيء داخلي في كيان الإنسان، لا تدرك ماهيته، قابل للتوجه إلى الخير أو الشر، وجامع لكثير من الصفات والخصائص الإنسانية التي لها آثار ظاهرة في السلوك الإنساني " (٤).

---

(١) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ص - ٢٧.

(٢) ماجد عرسان الكيلاني، مناهج التربية الإسلامية، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، ط٢، ص - ١٤٢.

(٣) فتح الله خليف، ابن سينا ومذهبه في النفس، جامعة بيروت العربية، بيروت، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، ص - ٦٤.

(٤) عبد الرحمن حبنكة الميداني، الأخلاق الإسلامية، دار القلم، دمشق، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ج١، ص - ٢٢٩.

الفلسفة المثالية: هي " دراسة للأهداف الأخلاقية السامية والواقع المطلق وطبيعته، وتشمل أحياناً كافة الآراء التي تجعل أساس الكون روحياً في نهاية الأمر، ولكنها لا تنكر العالم المادي ولا الموضوعات التي يتوصل إليها العلم الطبيعي والحواس، وترى أن هذه الأشياء الواقعية وراءها شيء روحي مجهول " (١).

الفلسفة الواقعية هي: " الفلسفة التي لا تريد أن تضحي بوجود الطبيعة والأشياء في سبل الذات. أو هي التي تريد أن تحد من تأثير الذات، واتجاهاتها الشخصية في الحكم على الأشياء، فالواقعية تقوم على ثلاثة اعتقادات رئيسة هي:

١- عالم له وجود حقيقي لم يصنعه أو يخلقه الإنسان.

٢- العالم الحقيقي يمكن معرفته بالعقل الإنساني.

٣- المعرفة يمكن أن ترشد وتوجه السلوك الفردي والاجتماعي " (٢).

الفلسفة البرجماتية هي: " تحويل النظر بعيداً عن الأشياء الأولية والمبادئ والقوانين والحتميات المسلم بها، وتوجيه النظر نحو الأشياء الأخيرة: الثمرات، النتائج الآثار " (٣).

البوذية هي: " أحد الاتجاهات الفكرية التي نبعت في القرن السادس "(٤) فقد أسس بوذا مذهبه بناءً على تجربته الروحية لذا فهي " ديانة فلسفية وضعية وثنية، ظهرت في الهند بعد الديانة البرهمية " (٥).

(١) نازلي صالح أحمد، مقدمة في العلوم التربوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨١م، ص - ١٣.

(٢) أحمد فاروق محفوظ، مرجع السابق، ص - ١٩٧ - ١٩٨.

(٣) وليم جيمس، البرجماتية، ترجمة محمد على العريان، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م، ص - ٣٠.

(٤) أحمد شلبي، أديان الهند الكبرى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ص - ١٤١.

(٥) محمد إبراهيم الحمد، رسائل في الأديان والفرق والمذاهب، دار ابن خزيمة، الرياض، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦هـ، ص - ٤٠.

منهج الدراسة:

استخدم الباحث في دراسته المنهج الاستنباطي لاستنباط تزكية النفس من النصوص الشرعية من القرآن الكريم والسنة النبوية، مع تتبع أقوال العلماء والسلف الصالح مما له صلة بالموضوع.

نتائج الدراسة:

١) السمة التي يتميز بها الإسلام هو الدين الحق من عند الله سبحانه وتعالى، و أنه يدعو للوسطية والتوازن، و إعطاء كل ذي حق حقه، ويراعي واقع الإنسان وتكوينه، ومنهجية التزكية للنفس ترمي إلى التوجيه لهذه النظرة وحمايتها لا إلى نهرها ومعاكستها.

٢) تتحقق سعادة الفرد وسعادة المجتمع بتزكية النفس؛ إذ هي تعيد الحياة الكريمة إلى المسلمين التي أكرمهم بها الله تعالى.

٣) الدعوة إلى تزكية النفس ينبغي أن تكون صافية مستقاة من الكتاب والسنة النبوية، وما كان عليه سلف الأمة.

٤) هناك تشاؤمية أصيب بها كثير من المسلمين اليوم لا موضع لها عند من عرف المرض للأمة، وسبيل النهوض بها هو تزكية النفس وترسيخها بالعقيدة الصحيحة.

الفرق بين الدراسات السابقة والدراسة الحالية:-

قامت كل من الدراسات السابقة إلى دراسة تزكية النفس البشرية بطرق مختلفة تتضح كما يلي: -

الدراسة الأولى: -

قامت دراسة تربية النفس الإنسانية في القرآن على منهج تخلية النفس البشرية من الكدورات وتحليتها بكل ما ينفعها عن طريق (اتباع القدوة الحسنة، والترغيب والترهيب، والقصة، والأحداث) حتى يصل بها إلى عبادة الله وحده، وبذلك اتفقت مع الدراسة الحالية في تزكية النفس في القرآن، أما الدراسة الحالية جاءت بتزكية النفس في القرآن والسنة النبوية

المطهرة، كما أن الدراسة السابقة لم تتطرق لتزكية النفس في الفلسفات، ودراسة دور المؤسسات التربوية في تزكية النفس.

الدراسة الثانية: -

قامت دراسة النفس الإنسانية ووسائل تزكيتها على التعرف على النفس الإنسانية من خلال علم النفس، وأنواع النفس الإنسانية، ووسائل تزكيتها في ضوء القرآن الكريم ومنهجه، وبذلك مع الدراسة الحالية من حيث تعريف النفس ووسائل تزكيتها، إلا أن الدراسة السابقة تختلف عن الدراسة الحالية في تناولها لتزكية النفس في الإسلام وفي الفلسفات المثالية الواقعية والبرجماتية والبوذية، ودور المؤسسات التربوية في تزكية النفس.

الدراسة الثالثة: -

فتخصصت عن تزكية النفس وأثرها في الدعوة إلى الله وكيفية هذه التزكية على أساس أن القرآن الكريم هو أساس تزكية النفس، ويجب الالتزام به؛ لأن فيه السعادة، وفيه أسس تحقيق العبودية لله، وهي بذلك اتفقت مع دراسة تزكية النفس، واختلفت في أنها دعت إلى توضيح النفس عند علماء النفس، ولم تتطرق لدراسة الفلسفات، ودور المؤسسات التربوية في تزكية النفس.

فالدراسات السابقة كانت دراسات شرعية ولم تتطرق للناحية التربوية وأما الدراسة الحالية فسوف تكون في تزكية النفس في الإسلام وضرورتها وأهميتها للنفس وللطبيعة الإنسانية وكيفيتها ومجالاتها وأثر ذلك تربوياً، وكيفية إسهام المؤسسات التربوية في تحقيق تزكية النفس من خلال الأسرة والمدرسة والمجتمع ومؤسساته (المسجد والإعلام ووسائله الصحافة والإذاعة والتلفاز) وكما تدرس تزكية النفس في الفلسفات الأخرى المثالية و الواقعية والبرجماتية والبوذية من خلال الأسس العامة لكل فلسفة وأراء روادها على حسب الأهمية.

* * *

الفصل الأول:
مفهوم تزكية النفس

* توطئة.
* معنى تزكية النفس.
* أهمية تزكية النفس وضرورتها.
* أركان تزكية النفس.
* الغاية من تزكية النفس.
* أنواع تزكية النفس.
* أهمية الطبيعة الإنسانية لتزكية النفس.
* أهمية التربية لتزكية النفس.

توطئة

الإنسان يبحث عن أسباب نجاحه وفلاحه من خلال كتاب الله ليكون من المفلحين في الدنيا والآخرة وحتى ينال الفرد و المجتمع الرضا والقرب من الله سبحانه وتعالى فعليهما الاهتمام بالإنسان المسلم من الداخل، والمجتمع في جميع شؤونه بتطبيق شرع الله، والعمل على ذلك بشتى الوسائل.

لذا عبر القرآن الكريم عن العملية التربوية الهامة للفرد والمجتمع ألا وهي تزكية النفس، حيث يقوم الإنسان والمجتمع بالتزكية من خلال المجال العقدي والتعبدي والفكري والسياسي والاقتصادي.

فالإنسان يتقرب إلى الله بتطهير النفس عن طريق الأعمال الخيرة التي يقوم بفعلها ليرفع نفسه عن الدنس وسوء الأعمال و قبيحها.

فالمتأمل عن كيفية تزكية النفس باتباع شرع الله وإقامته في جميع شؤون حياته الدنيوية والأخروية؛ إذ القرآن الكريم في نصوصه قدم التزكية على تعلم الكتاب والحكمة.

قال الله تعالى:{كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾} [سورة البقرة آية ١٥١].

وقال تعالى:{لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾} [سورة آل عمران آية ١٦٤].

وقال تعالى:{هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾} [سورة الجمعة آية ٢].

فمن الآيات السابقة حددت مهمة الرسل، وخاصة الرسول الكريم محمد بن عبدالله صلوات ربي عليهم وسلامه، وهي دعوة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام لهذه الأمة المحمدية بإرسال الرسول الذي يتلو عليهم آياته

ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة.

قال تعالى:{رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾} [سورة البقرة آية ١٢٩].

فتزكية النفس من أعظم أمور الدين، وأجلها فهي اهتمام بالسلوك الشرعي علماً وعملاً والناس في حاجة لها حتى تتزكى أنفسهم، كما أنها عملية تربوية لابد أن تتم ولها أهمية في بناء شخصية المسلم والمجتمع؛ إذ العلم المجرد عن تزكية النفس علم قد يدمر صاحبه، ويدفعه إلى حب التعالي والسيطرة والابتزاز مما يعود على البشرية بالخسارة والهلاك ولذلك استعاذ الرسول صلى الله عليه وسلم من العلم الذي لا ينفع.

عن زيد بن أرقم رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول:{**اللهم إني أعوذ بك من العجز، والكسل، والجبن، والبخل، والهرم، وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن دعوة لا يستجاب لها**}[١].

فالحديث فيه تربية للعالم والمتعلم بأن يدعو ربه كما فعل قدوتنا صلى الله عليه وسلم بالاستعاذة من أمور تقع للإنسان في حياته، ويدعو ربه بأن يزكي نفسه حتى يتطهر الإنسان من الرذائل، باتباع ما أمر الله والانتهاء عما نهى الله عنه، وأن يدعو ربه يرزقه العلم النافع الذي به تتزكى الأنفس.

ففي هذا الفصل تعريف التزكية لغة واصطلاحا، وإيضاح المغزى والمطلوب منها، كما عرفت النفس وإطلاقاتها، و توضيح أهمية تزكية النفس، وضرورتها لكل فرد من أفراد المجتمع، وتم توضيح أركان تزكية النفس وهي تخلية وتحلية، وتحقيق لمقام العبودية، وترقية في منازل السالكين لرب العالمين مع إيضاح أهداف تزكية النفس، وما الغاية من

(١) مسلم بن حجاج بن مسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، ج - ٨، ص - ٨١ - ٨٢.

تزكية النفس، وإيضاح أنواعها، وما هي أهمية الطبيعة الإنسانية و التربية لتزكية النفس.

معني التزكية:

أ) معنى التزكية لغة:

" زكا: الزكاء ممدود النماء والريع زكا يزكو وزكواً وفي حديث علي رضى الله عنه المال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الإنفاق.

والزكاة: الصلاح ورجل تقي زكي أي زاكٍ من قوم أتقياء أزكياء، وقد زكا زكاة وزكوا وزكي وتزكى وزكاه الله وزكى نفسه تزكية أي مدحها...

وقال تزكي نفسها وزكى الرجل نفسه إذا وصفها أثنى عليها.

والزكاة: زكاة المال معروفة وهي تطهير، والفعل منه زكى يزكي تزكية إذا أدى عن ماله زكاته وقوله تعالى:{تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا} قالوا: تطهرهم بها. قال أبو علي: الزكاة: صفوة الشيء... وفي التنزيل العزيز:{وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝} قال هم الذين للزكاة مؤتون، وقال آخرون الذين هم للعمل الصالح فاعلون، وقوله تعالى:{خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً } أي خير منه عملاً صالحاً، وقال الفراء زكاة صلاحاً وكذلك قوله تعالى عز وجل:{وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ} قال صلاحاً.

قال أبو زيد النحوي في قوله تعالى:{وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا} وقرئ (ما زكى منكم) فمن قرأ (ما زكا) فمعناها ما صلح منكم، ومن قرأ (ما زكى) فمعناه ما أصلح:{وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ} أي يصلح، وقيل لما يخرج من المال للمساكين من حقوقهم: زكاة لأنه تطهير للمال وتثمير وإصلاح ونماء. وأصل الزكاة في اللغة الطهارة والنماء والبركة والمدح " [(١)].

(١) محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت، ص - ٦٤ - ٦٥.

" زكا الرجل إذا كان ذا فضل فهو زاكٍ وزكى يزكي زكا أو زكى الغلام كان زكياً أي حسن النمو صالح الحال ذا فضل رفيع الشأن.

والزكي: هو الحسن النمو الصالح الرفيع الشأن النامي على الخير، والأزكى هو الأنفع والأدعى إلى الخير والبركة " (١).

لقد وردت هذه المادة في نحو تسعة وعشرين موضعاً من القرآن الكريم دون عد (الزكاة) والتي ذكرت في نحو اثنان وثلاثين موضعاً ويلحظ المتدبر للآيات في المادة المذكورة ما يلي:

١) أن فعل التزكية يأتي مسندًا إلى الله تارة وإلى العبد تارة وهذا إن تحصيل التزكية يحتاج إلى جد ومثابرة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يحتاج إلى مزيد لطف وعون وفضل منه سبحانه وتعالى فلا يعتمد على نفسه دون طلب العون من ربه

٢) أن معظم الأفعال الواردة هي من باب الفعل المضارع دلاله على أن التزكية عملية قائمة بذاتها على صاحبها قلباً وقالباً وعملاً وسلوكاً وأنها عزيمة متجددة ومتكررة لا تتوقف تشمل الدنيا والآخرة.

٣) تشير الآيات إلى عمق هذا المصطلح؛إذ له أهمية في صياغة الشخصية المسلمة " (٢).

ومن المعاني اللغوية السابقة للتزكية، وهي كما يلي:

١) الزيادة والبركة والنماء. ٢) الصلاح والإصلاح.

٣) التطهير. ٤) التثمير.

٥) التعديل وهو الثناء والمدح.

٦) السمو والرفعة والفضل.

---

(١) حسن سعيد الكرماني، الهادي إلى لغة العرب، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ج - ٧، ص - ٣٧٠.

(٢) إبراهيم محمد العلى، مرجع سابق، ص - ٩ (بتصرف).

٧) صفوة الشيء: الصفوة خيار الشيء " خلاصته " [١].

معنى التزكية الاصطلاحي:

لقد بيَّن الرسول صلى الله عليه وسلم معنى تزكية النفس بقوله:{**أن يعلم أن الله تعالى معه حيث كان**}. " كما جاء في الحديث عن عبد الله بن معاوية الغاضري رضى الله عنه حدثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:{**ثلاث من فعلهن فقد ذاق طعم الإيمان من عبد الله تعالى وحده بأنه لا إله إلا هو، وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه في كل عام ولم يعط الهرمة ولا الدرنة ولا المريضة ولكن من أوسط أموالكم فإن الله تعالى لم يسألكم خيرها ولم يأمركم بشرها وزكى نفسه**}، فقال رجل: وما تزكية النفس؟ فقال:{**أن يعلم أن الله تعالى معه حيث كان**} [٢].

و " هي مداومة الإنسان الراغب في الخير على تعهد نفسه بالترقية وتنزيهها و تنقيتها من المعاصي والرذائل والعيوب و مجاهدتها وحملها على طاعة الله عزوجل و اكتساب العلم النافع والعمل الصالح والتحلي بجميع الأخلاق والأفعال و الأقوال وإرادة الخير للنفس ولمن معها في وجودها " [٣].

كما أن " التزكية هي عملية تطهير وتنمية شاملين هدفها استبعاد العناصر الموهنة لإنسانية الإنسان، وما ينتج عن هذا الوهن من فساد وتخلف وخسران وتنمية كاملة للعناصر المحققة لإنسانية الإنسان وما ينتج عن هذه التنمية من صلاح وتقدم وفلاح في حياة الأفراد والجماعات.

فالتزكية حسب هذا التعريف نوعان:

---

(١) محمد مكرم بن منظور، مرجع سابق، ص - ٧، ص - ٣٧٠.
(٢) سليمان أحمد الطبري، المعجم الصغير، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ج - ١، ص - ٢٠١.
(٣) سمر محمد العريفي، صلاحية مصطلح التزكية الإنسانية، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣ م، ص - ٧.

١) تزكية معنوية ميدانها العقيدة والقيم والثقافة.

٢) تزكية مادية مادتها النظم والتطبيقات " [(١)].

كما أنها " هي تطهير النفس وتربيتها وتزكيتها من الشرك وما يتفرع عنه، وتخلقها بأسماء الله الحسنى مع العبودية الكاملة وكل ذلك من خلال متابعة النبي صلى الله عليه وسلم " [(٢)].

كما أن " التزكية عملية ومنهج وأسلوب بناء الذات الحرة المختارة التي تحكمت في نفسها فيسهل عليها أن تحكم العالم وتقبل الآخر، وتبني دون تهدم، وتدفع بالتي هي أحسن، وينشد الحكمة، وتخالف الهوى والشطط، وتقاوم الظلم، فهي في النهاية تحب لأخيها ما تحب لنفسها " [(٣)].

وتعرف بأنها " العلم الذي يتكفل بتزكية النفس وتهذيبها وتحليتها بالفضائل وتخليتها من الرذائل النفسية والخلقية والدعوة إلى كمال الإيمان والحصول على درجة الإحسان والتخلق بأخلاق النبوة واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في صفاته الباطنة وكيفياته الإيمانية " [(٤)].

وتعرف بأنها " تطهرها من أمراض وآفات وتحققها بمقامات وتخلقها بأسماء وصفات فالتزكية في النهاية تطهر وتحقق وتخلق " [(٥)].

إذن.. فالتزكية هي إدراك حقيقة لا يعرف مداها إلا من عرفها معرفة تامة فهي عبارة عن معرفة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، والتصديق به عقداً، والإقرار به نطقاً والانقياد محبة وخضوعاً، والعمل به ظاهراً، والقيام بالدعوة لما جاء به بحسب الإمكان والمحبة في الله، والبغض فيه والعطاء في الله، والمنع فيه، وأن يكون الله وحده المعبود،

(١) ماجد عرسان الكيلاني، مناهج التربية الإسلامية، عالم الكتب، بيروت ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، ص - ١٤٢.

(٢) إبراهيم محمد العلى، مرجع سابق، ص - ٩.

(٣) نشأت جعفر، الحرية في الإسلام، د. ن، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ص - ١٧٥.

(٤) أبو الحسن علي الندوي، مرجع سابق، ص - ١٠.

(٥) سعيد حوى، المستخلص في تزكية الأنفس، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ص - ٣.

ومتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ظاهراً وباطناً، وتغميض عين القلب عن الالتفاف إلى سوى الله ورسوله.

" فالتزكية شيء زائد عن العلم؛ إذ العلم يعطي القواعد والبيان لكل شيء، فالتزكية تطبيق لهذا العلم على النفس البشرية وأمراضها وأغراضها، ومعرفة التطبيب وطرقه، ومعرفة بالكمال، وكيفية النقل إليه وأدوات ذلك فراسة خاصة بكل نفس لنقلها من حال إلى حال، وهذا شيء للكسب فيه نصيب ولكن عطاء الله هو الأساس " (١).

قال الله تعالى:{يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾} [سورة البقرة آية ٢٦٩].

" ولولا الله ما زكى منهم أحد، ولا تطهر ولا ارتفع، ولكنه أرسل رسوله صلى الله عليه وسلم ليطهرهم، يطهر أرواحهم من لوثة الشرك، ودنس الجاهلية ورجس التصورات التي تثقل الروح الإنسانية وتطهرها، ويطهرهم من لوثة الشهوات، والنزوات فلا ترتكس أرواحهم في الحمأة، والذي لا يطهر الإسلام أرواحهم في جنبات الأرض كلها قديماً وحديثاً، مرتكسون في مستنقع آسن وبيء من الشهوات، والنزوات تزوي إنسانية الإنسان، وترفع فوقه الحيوان المحكوم بالفطرة، وهي أنظف كثيراً مما يهبط إليه الناس بدون الإيمان ! و يطهر مجتمعهم من الربا والسحت والغش والسلب والنهب.. وهي كلها دنس تلوث الأرواح والمشاعر، وتلطخ المجتمع والحياة، ويطهر حياتهم من الظلم و الغي، وينشر العدل النظيف الصريح الذي لم تستمع به البشرية كما استمعت به في ظل الإسلام، وحكم الإسلام ومنهجه، ويطهرهم من سائر التلوثات التي تلطخ وجه الجاهلية في كل مكان من حولهم، وفي كل مجتمع لا يزكيه الإسلام بروحه ومنهجه النظيف " (٢).

(١) سعيد حوى، الأساس في التفسير، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، ج - ١، ص - ٣٢٢ - ٣٢٣.
(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، ط٩، جـ ١،

لذا قال الله تعالى:{وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [سورة النور آية ١٤].

والله عندما أمر رسوله الكريم بأخذ صدقة من أموالهم لكي يطهرهم ويزكيهم، ويزكي أموالهم فقال تعالى:{خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾} [سورة التوبة آية ١٠٣] .

" أي تطهرهم من الذنوب أوجب المال المؤدي بهم إلى مثله وقُرئ تطهرهم من أطهر بمعنى طهرة وتطهرهم بالجزم جواباً للأمر:{ بِهَا وَتُزَكِّيهِم} تنمي بها حسناتهم وترفعهم إلى منزلة المخلصين " (١).

فصاحب النفس المزكاة يظهر حُسن الأدب والمعاملة مع الله قياماً بالحقوق التي أمره الله بها والنهي عما نهى عنه بما في ذلك بذل النفس جهاداً في سبيله، ومع الناس على حسب ما يقتضي المقام، وعلى التكليف الرباني.

و الإسلام " جعل أساس التزكية التهذيب لا الكبت، والإسلام يعترف بالطاقات الحيوية في الإنسان، و لا يعطلها عن الممارسة، ولا يلغيها، ولكنه ينظم عملها بما يحقق الخير والإيجابية، ويؤدي إلى إقامة المجتمع الصالح من غير عدوان من إنسان على حق إنسان.

وهو في ذلك يجمع ضرورات الجسد وأشواق الروح، ويعطي كلاً نصيبه المعقول، ويقيم للمزاوجة بين ذلك ضوابط وحدودًا " (٢).

فلم يأمر إلا بوسطية تحقق للإنسان ما يريد ليعيش كريماً عفيفاً مؤدياً لأوامر الله مشبعاً لرغبته الفطرية في ضوء كتاب الله وسنة نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم .

ص - ١٣٨.

(١) عبدالله بن عمر البيضاوي، تفسير البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ج - ١، ص - ٣٢٠.

(٢) أنور الجندي، التربية وبناء الأجيال في ضوء الإسلام، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٥م، ص - ١٥٨.

معني النفس

أ] معنى النفس لغة:

" النفس والروح وبينهما فرق " يقول أبو إسحاق: النفس في كلام العرب يجري على ضربين أحدهما: قولك خرجت نفس فلان أي روحه، وفي نفس فلان أن يفعل كذا وكذا أي روعه والضرب الآخر معنى النفس أي جملة النفس وحقيقة تقول: وقتل فلان نفسه وأهلك نفسه أي أوقع الهلاك بذاته كلها وحقيقتها والجمع من كل ذلك نفس ونفوس... وقال أبو خراش أحد علماء اللغة في معنى النفس (معنى النفس الروح)... وقال ابن بري أما النفس الروح والنفس ما يكون به التمييز فشاهدهما في قوله سبحانه وتعالى:{ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُس حِينَ مَوْتِهَا} فالنفس الأولى هي التي تزول بزوال الحياة، والنفس الثانية التي تزول بزوال العقل، أما النفس الدم فشاهده قول السموأل:

تسيل على حد الظبات نفوسنا ::: وليست على غير الظبات تسيل

روي ابن عباس أنه قال: لكل إنسان نفسان: أحدهما نفس العقل الذي يكون به التمييز، والآخر نفس الروح الذي به الحياة " [١].

ب] معنى النفس في الاصطلاح:

فالمراد بها ذات الإنسان روحاً وجسماً بدليل قوله تعالى:{فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ} [سورة النور آية ٦١].

وقوله تعالى:{وَٱلله جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجًا} [سورة النحل آية ٧٢].

فالمراد به الذات البشرية أي الجسم والروح والخلاصة أن النفس تطلق على ثلاث معان:

١-النفس بمعنى الذات الإنسانية كلها جسم وروح.

٢-النفس بمعنى الروح التي تُقبض عند الموت.

(١) محمد مكرم بن منظور، مرجع سابق، ج - ١، ص - ٢٣٣ - ٢٣٤.

٣-النفس بمعنى الجانب المدرك من الإنسان وهو العقل.

لقولـــه تعـــالى:{أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾} [سورة الزمر آية ٥٦].

فالنفس " هي جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس وهو جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك ينفذ في جوهر الأعضاء ويسري فيها سريان الماء في الورد، وسريان الدهن في الزيتون والنار فمادامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقي ذلك الجسم مشابكاً لهذه الأعضاء، وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة والإرادة.

وإذا فسدت هذه الأعضاء بسبب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها، وخرجت عن قبول تلك الآثار فارق الروح البدن وانفصل عالم الأرواح.

وهذا القول هو الصواب في المسألة هو الذي لا يصح غيره وكل الأقوال سواه باطلة، وعليه دل الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأدلة العقل والفطرة " (١).

قال الله تعالى:{ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾} [سورة الزمر آية ٤٢].

ففي الآية ثلاثة أدلة: الإخبار بتوفيها وإمساكها وإرسالها، و لإيضاح النفس إذ كثر القول، واختلف العلماء في تعريف النفس، وبيان المقصود بها على عدة أقوال " فالتحقيق أن النفس تطلق على أمور وكذلك الروح، فيتحد مدلولها تارة، ويختلف تارة، فالنفس تطلق على الروح، ولكن غالب ما يسمى نفساً إذا كانت متصلة بالبدن " (٢).

---

(١) محمد بن أبي بكر بن القيم، الروح، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ص - ٢٤٢.

(٢) علي علاء الحنفي ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، دار الفكر العربي، بيروت، د.ت، ص - ٣٨٤.

والأقوال في النفس كما جاءت هي كالتالي:

القول الأول: تطلق النفس على الروح، وعلى سر الحياة الذي في الكائنات الحية من البشر وغيرهم من الكائنات الحية، وقد استأثر سبحانه وتعالى بسرها حيث قال تعالى:{وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٥﴾} [سورة الإسراء آية ٨٥].

وكذلك في قوله تعالى:{وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمۡ يُوحَ إِلَيۡهِ شَيۡءٞ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثۡلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٩٣﴾} [سورة الأنعام آية ٩٣].

" وقوله تعالى:{أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ} أي أخرجوها إلينا من أجسادكم وهذه عبارة عن العنف الشديد في إزهاق الروح من غير تنفيس وإمهال " (١).

" فالنفس تطلق على الروح، ولكن غالب ما يسمى نفساً إذا كانت متصلة بالبدن، وأما إذا أخذت مجردة فتسمية الروح أغلب عليها " (٢).

القول الثاني: تطلق النفس على اللطيفة الربانية الروحانية التي تحصل بها الحقيقة الإنسانية فيكون الإنسان بها مدركاً عالماً عاملاً، ويكون الإنسان بهذه النفس مخاطباً و مثاباً و معاقباً.

" وعليه فالنفس هي القوة المفكرة الواعية وهي مناط التكليف، وهي بهذا الاعتبار كما قرر علماء المسلمين " (٣). قال تعالى:{إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ} [سورة لقمان آية ٣٤].

---

(١) محمد الرازي فخر الدين، تفسير الفخر الرازي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ج - ٧، ص - ٩٠.
(٢) علي علاء الحنفي بن أبي العز، مرجع سابق، ص - ٣٨٤.
(٣) سعد محمد الطخيمس، تزكية النفس، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ص - ١٣- ١٤.

" فالنفس هنا لا يراد بها البدن وإنما القوة الداعية المفكرة " (١).

قال الله تعالى:{فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾} [سورة النساء آية ٦٥].

وقال الله تعالى:{وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [سورة الحشر آية ٩].

والإنسان يصير إنساناً بهذه اللطيفة الروحانية الربانية، ويتميز عن الحيوانات بحيث إذا وقيت شحها صار الإنسان من المفلحين. قال الله تعالى:{وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾} [سورة النازعات آية ٤٠-٤١].

القول الثالث: " يطلق لفظ النفس على الإنسان بجملته أي على كامل خلقه بدنه وروحه على قواه التفكيرية، وعلى غرائزه وتطلعاته " (٢).

قال الله تعالى:{مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ } [سورة لقمان آية ٢٨].

أهمية التزكية وضرورتها:

تعتبر التزكية من مقاصد القرآن الكريم، ومهمة من مهمات الرسل صلوات ربي وسلامه عليهم وهي تعتبر من أضخم معارك الحياة التي تدور في أعماق النفس البشرية.

قال الله تعالى:{هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾} [سورة النازعات آية ١٨].

فهي ليست عارضاً أو هيناً في ميزان الإسلام؛ لذا جُعل الفلاح في فعلها، والخيبة في إهمالها، وقد جاءت هذه التزكية بعد قسم من عند الله بعدد من مخلوقاته ومن ذلك قول الله تعالى:{وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾

(١) سعد محمد الطخيمس، تزكية النفس، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ص - ١٣- ١٤.
(٢) سعد محمد الطخيمس، تزكية النفس، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ص - ١٤.

وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾} [سورة الشمس آية ١-١٠].

ويظهر من دعاء المصطفى صلى الله عليه وسلم ما ينبغي للإنسان الذي تربى تربية إسلامية من الدعاء لله سبحانه وتعالى بتزكية العمل والنفس حتى يكون خالصاً لوجهه الكريم ليس فيه رياء.

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: - " سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليلة حين فرغ من صلاته:**{اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي، وتجمع بها أمري، وتلم بها شعثي، وتصلح بها غائبي، وترفع بها شاهدي، وتزكي بها عملي، وتلهمني بها رشدي..}** (١).

عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: كان يقول:**{اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل، والهرم وعذاب القبر. اللهم! آت نفسي تقواها. وزكها أنت خير من زكاها. أنت وليها ومولاها. اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها}** (٢).

ففي الأحاديث تربية على طلب العون من الله العزيز الكريم في حياة المسلم كلها، وهي تربية للمتعلم حتى يلجأ إلى الخالق المدبر في حياته ومنها تزكية نفسه.

ومن أهمية التزكية أننا " إذا رجعنا إلى تاريخنا وجدنا النصر مطرداً مع التزكية والتربية ووجدنا الهزيمة مطردة مع إهمالها أو التقصير فيها "

(١) محمد عيسى الترمذي، مرجع سابق، كتاب الدعوات، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، ج - ٥، ص - ٤٥٠.
(٢) مسلم بن الحجاج بن مسلم، مرجع سابق، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، ج - ٨، ص - ٨١ - ٨٢.

[(١)].

لذا ظهرت أهميتها من عدة أوجه وهي كما يلي: -

١- أن الله عزوجل وهو الحق وقوله الحق أقسم في كتابه أحد عشر قسماً على فلاح من زكى نفسه وعلى خسران من أهمل تزكيتها كما جاء في سورة الشمس.

٢- أن النفس من أشد أعداء الإنسان الداخليين لأنها تدعو إلى الطغيان وإيثار الحياة الدنيا، ولذا فإن سائر أمراض القلب إنما تنشأ من جانبها، ولكثرة وقوع الإنسان في الآثام والمعاصي لذلك كانت دعوته صلى الله عليه وسلم إلى تزكية نفسه والوقاية من شرها.

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:**{اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ونداء لا يسمع، ومن نفس لا تشبع ومن علم لا ينفع أعوذ بك من هؤلاء الأربع}** [(٢)].

٣- لكثرة وقوع الناس في الآثام وبسبب النفس بالذات.

٤- التفريط في حق الله وطاعته، وعدم الاستجابة لأوامره بتركه بعض الأوامر غفلة منه وتهاونا.

٥- اشتمال النفس على أخلاق ذميمة وسجايا سيئة.

٦- تسليط الشيطان وداعي الهوى على النفس البشرية.

٧- التزين من قبل نفسه للشبهات، وتزينها للشهوات.

٨- إن الإنسان محب للكمال فينبغي له أن يعمل على إكمال نفسه وتزكيتها وتربيتها فهذه النفس تصاب بالأعراض التي تصاب بها الأبدان، فهي محتاجة دائماً إلى رعاية، وبحاجة إلى متابعة للازدياد في الخير كما يزداد البدن من الطاقات والمعارف، فلذلك احتاج الإنسان إلى أن يراقب

(١) نبيل المعاز، التزكية، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ص - ٢٣.

(٢) محمد عيسى الترمذي، مرجع سابق، كتاب الدعوات،، باب ٦٦، حديث رقم ٣٤٨٢، ج - ٥، ص - ٤٨٥.

تطورات نفسه، ويعلم أنها وعاء إيمانه، وأهم ما عنده هو هذا الإيمان، فإذا سلبه فلا فائدة في حياته، فلابد من العمل على تنمية هذا الإيمان وزيادته عن طريق تزكية هذه النفس وتهذيبها؛ إذ الإنسان مخلوق مزدوج الاتجاه مزدوج الاستعداد فتكوينه من طين الأرض ومن نفخة الله في روحه " ويمكن القول بأن القرآن يقسم الطبيعة الإنسانية إلى قسمين جسم وروح أو مادة وغير مادة، والروح تشمل العقل أي أن أجزاء الطبيعة الإنسانية ثلاثة: الجسم والعقل و القلب " (١).

" هكذا يعالج الإسلام النفس البشرية والحياة البشرية: جسم وعقل وروح ممتزجة في كيان واحد، وطاقة جسمية وطاقة عقلية وطاقة روحية عاملة في الأرض ممتزجة مترابطة لا ينفصل عمل هذه عن تلك، ولا تنحسر واحدة انحساراً دائماً لتبرز الأخريات " (٢).

والإنسان يزداد في الكمال فيتدرج في الازدياد حتى يصير إلى حد الكمال، ومن ثم يبدأ بالنقص والتراجع، وعلى هذا فحرص الإنسان على الكمال مقتضياً منه الحرص على التربية وهي كما يلي:

أ) تربية جسمية: وتشمل الحماية والتنمية والتغذية.

وتعتبر الحماية أو الوقاية من الأمور المهمة في المحافظة على الإنسان بوقاية نفسه من الأمراض وأسبابها، والاهتمام بالنظافة، والحرص على إكساب الجسم ما يحتاج إليه من اللياقة، وتكوين الوعي الصحي والالتزام بالوعي الصحي والالتزام بالسلوك الصحي حتى يستمر في حياته، والاعتدال في الأعمال وعدم الإفراط المؤدي إلى الإرهاق (٣).

ب) تربية عقلية: وتقوم هذه التربية بتقديم مستوى معين من المعلومات

---

(١) محروس سيد مرسي، التربية والطبيعة الإنسانية، دار المعارف، القاهرة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ص - ٢٧٧.

(٢) محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، دار الشروق، القاهرة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ج - ١، ص - ٢٦.

(٣) مقداد يالجن، جوانب التربية الإسلامية، دار الريحاني للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ص - ٥٤ - ٨١.

لتنمية العقل، فتبدأ التربية الإسلامية بتحديد مجال النظر العقلي لكل مرحلة، فيصون الطاقة العقلية من أن تتبدد وراء الغيبيات التي لا سبيل للعقل البشري أن يحكم فيها، ويكسب الإنسان حسن التصرف في الأمور الغيبية، فيلبي ميله للمجهول في كل أمر ذلك إلى الروح القادرة على ذلك والمزودة بوسائل الوصول. أما العقل فوسيلته إلى الله وإلى معرفة الحق، هي تدبر الظاهر للحس والمدرك بالعقل ومن ثم تحدد التربية الإسلامية مجاله بهذا النطاق [(١)].

والإسلام يطالب المسلم بتوجيه العقل للازدياد بأمور دينه ودنياه، والاطلاع على إنتاج البشرية، وما وصلت إليه من تطوراتها الحضارية، ويكون ذلك بطلب العلم وهذه تربيته سواء كان ذلك في المجال النظري أو التطبيقي.

ج) تزكية النفس: وهي صعبة للغاية إلا من سهل الله له نفساً تساعده، فتؤمن بالله العلي العظيم إيماناً كاملا، والقيام بأوامره ونواهيه والازدياد بالأعمال الصالحة، ومحاسبة النفس والتحلي بالأخلاق الفاضلة، ويتنزه عن كل ما فيه رذيلة.

٩- إن تزكية النفس سبب للوصول إلى جنة الخلد قال تعالى:{وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ } [سورة النازعات آية ٤٠-٤١].

فالخوف من الله ونهي النفس عن الميل إلى الشهوات من تزكية النفس؛لذا " قال الله تعالى:{وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ} عن الميل إلى الهوى بحكم الجبلة البشرية، ولم يعتد بمتاع الحياة الدنيا وزهرتها، ولم يغتر بزخارفها وزينتها علماً منه بوخامة عاقبتها:{فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ} له لا غيرها " [(٢)].

(١) محمد قطب، مرجع سابق، ج - ١، ص - ٧٧.
(٢) محمد محمد العمادي، تفسير أبي السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ج - ٩، ص - ١٠٥.

١٠- يتلازم السلوك والاعتقاد، فالسلوك الظاهر مرتبط بالاعتقاد الباطن فأي انحراف في الأخلاق إنما هو نقص في الإيمان الباطن؛ ولذا " إذا نقصت الأعمال الظاهرة الواجبة كان ذلك لنقص ما في القلب من الإيمان فلا يتصور مع كمال الإيمان الواجب الذي في القلب أن تعدم الأعمال الظاهرة الواجبة؛ بل يلزم من وجود هذا كاملاً (وجود هذا كاملاً) كما يلزم من نقص هذا نقص هذا؛ إذ تقدير إيمان تام في القلب بلا ظاهر من قول وعمل كتقدير موجب تام بلا موجبه " [(١)].

إذ " الأعمال الظاهرة في الشرع دليل على ما في الباطن فإذا كان الظاهر منحرفاً أو مستقيماً حكم على الباطن كذلك " [(٢)].

١١- من تزكية النفس حسن الخلق؛ لذا أعد الله سبحانه وتعالى من الأجر الكبير والثواب الجزيل:

قال الله تعالى:{وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤} [سورة آل عمران آية: ١٣٣-١٣٤].

عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:**{إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم}** [(٣)].

عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:**{ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق}** [(٤)].

عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :**{أنا زعيمٌ ببيتٍ في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقّاً، وببيتٍ في وسط الجنة، لمن ترك**

(١) أحمد عبد الحليم بن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام، دار النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ج - ٧، ص - ٥٨٢.
(٢) إبراهيم موسى الشاطبي، الموافقات، دار الفكر، بيروت، د.ت ج - ١، ص - ٢٣٣.
(٣) سليمان الأشعث السجستاني أبي داود، سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب حسن الخلق، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، ج - ٤، ص - ٢٧٠.
(٤) المرجع السابق، ج - ٤، ص - ٢٧١.

الكذب وإن كان مازحاً، وببيتٍ في أعلى الجنة لمن حسَّن خلقه} [(١)].

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :**{إن الرجل يدرك بحسن خلقه درجة الصائم القانت، ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله فعند ذلك يتم أمانته أو إيمانه. أطاع ربه، وعصى عدوه** - يعني إبليس**}** [(٢)].

فالتربية الإسلامية تربي أفراد المجتمع على حسن الخلق وأن يتعاملوا بالأخلاق الحسنة مع كل الناس برهم وفاجرهم و مؤمنهم وكافرهم، فهي تشمل جميع الناس، وتشمل جميع أفعال الإنسان الخاصة بنفسه أو المتعلقة بغيره أكان الغير فرداً أو جماعة أو دولة.

لذا تظهر أهميتها وضرورتها في تزكية النفس وخطورة إهمالها في حياة الفرد والمجتمع من خلال ما يلي:

١ ـ ضرورة التزكية للمجاهدين والمصلحين:

إن أهمية التزكية للمجاهدين والمصلحين ولكل فرد من أفراد المجتمع، فقيام المجاهدين بالجهاد، والمصلحين بدعوتهم؛ إذ لابد أن يلتزموا بما جاء في القرآن الكريم.

أ) من القرآن الكريم: -

يقول الله تعالى:{وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾} [سورة آل عمران آية: ١٣٣-١٣٤].

فمن خلال الآيات السابقة إن طلب التزكية وتصفية النفوس قبل طلب النصر وقبل لقاء العدو.

---

(١)(٢) المرجع السابق، ج - ٤، ص - ٢٧١.

(٢) نور الدين علي الهيثمي، بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، للحارث محمد التميمي، تحقيق حسين أحمد الباكري، مركز خدمة السنة النبوية، المدينة المنورة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

" فيكون تقدم طلب المغفرة على هذا التثبيت من باب تقديم بالتخلية على التحلية وتقديمها على طلب النصر...، وقيل، إنهم طلبوا الغفران أولاً ليستحقوا طلب النصر على الكافرين بترجحهم بطهارتهم من الذنوب وهم محاطون بالذنوب " (١).

كما أن التخلق بصفات كالصبر والإحسان فهذه الصفات التي يتحلون بها العباد، ويتخلون عن عدم الصبر وعدم الإحسان والاستعجال في طلب الدعاء وقبوله مما يؤثر في تزكية النفس؛ لذا نجد أن الله سبحانه وتعالى توعد بني إسرائيل بأناس لهم من الصفات الهامة والضرورية وهي التزكية من خلال عبوديتهم لله سبحانه وتعالى.

قال الله تعالى:{فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝} [سورة الإسراء آية ٥].

فالمجاهدون الملازمون للتزكية بالإيمان به، وبعبادتهم له، وصبرهم على ما كتبه عليهم، وبذكرهم ربهم، ودعائهم له يُكتب لهم النصر بإذنه تعالى.

قال الله تعالى:{وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝} [سورة البقرة آية٢٥٠].

ويقول تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝} [سورة الأنفال آية ٤٥].

وبعد النصر والتمكين لا مجال للكبر بل هو الخشوع والتواضع، وهذا من وسائل التزكية مع ذكر الله تعالى والاستغفار من الذنوب والعودة إليه تائبين.

---

(١) شهاب الدين السيد الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م ج - ٢ص - ٢٩٨

كما قال الله تعالى:{إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝} [سورة النصر آية١-٣].

وضعف التزكية من أهم عوامل الهزيمة التي تحدق بالجيش الذي لم تحدث فيه هذه التزكية.

فيقول الله سبحانه وتعالى:{وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝} [سورة آل عمران آية١٥٢].

ب) من السنة النبوية:

إن فعل الرسول صلى الله عليه وسلم مع سواد بن غزية[(١)] يعتبر تعليماً في تزكية النفس بإقامة العدل بين الجميع.

" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدل صفوف أصحابه يوم بدر، وفي يده قِدح يعدل به القوم فمر بسواد بن غزية حليف بني عدي بن النجار وهو مستنتل من الصف فطعن في بطنه بالقدح، وقال: استو يا سواد، فقال: يا رسول الله أوجعتني، وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدني، فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه، فقال: استقد، فاعتنقه فقبل بطنه، فقال: ما حملك على هذا يا سواد؟ قال: يا رسول الله حضر ما ترى، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير " [(٢)].

(١) سواد بن غزية بن وهب الأنصاري من حلفاء بني عدي بن النجار شهد بدراً وأحد والخندق والمشاهد كلها مع رسول صلى الله عليه وسلم.
انظر محمد بن سعد البصري، الطبقات الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق محمدعبد القادر عطا، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ج - ٣، ص - ٣٩١.

(٢) إسماعيل عمر بن كثير، البداية والنهاية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٢م، ج - ٣، ص - ٢٨٤.

فالشاهد من هذا الخبر أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يؤخر إعطاء الحق عندما طلبه صاحبه حتى يخلص الجيش من أي ضغينة بين أفراده.

فالمجاهدون والمصلحون في حاجة إلى فهم التزكية لأنهم يعملون في جبهات مختلفة، فهم يواجهون أعداء الدين في الخارج، ويطاردون النفاق وتلونه في الداخل، والأمراض الاجتماعية المختلفة من جهل وسلبية ورذائل.

٢- ضرورة التزكية للعلماء والدعاة:

الأنبياء صلوات ربي وسلامه عليهم هم صفوة الخلق، وصفوة الدعاة والمربين لأن الله سبحانه وتعالى أمرهم وندبهم إلى تزكية أنفسهم أولاً بفعل ما أمر الله كما يلي:

١- إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة:

فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره ربه بالصلاة والزكاة قال الله تعالى:

{وَجَعَلْنَٰهُمْ أَيِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾} [سورة الأنبياء آية٧٣].

فالصلاة من أعظم الفرائض الخمس وهي تطهر النفس و الجوارح من الفحشاء ومن المنكر.

قال الله تعالى:{ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ } [سورة العنكبوت آية٤٥].

كما أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بقيام الليل حتى يزكي نفسه لأنها من وسائل التزكية.

قال الله تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ﴿٥﴾} [سورة المزمل آية١-٥].

كما أن الزكاة وسيلة لتزكية النفس وتطهيرها ونمائها وصلاحها.

٢- طلب العلم:

التزكية ضرورة لحصول العلم والفهم، فعلى العالم والمصلح أن يتصف بصفات وهي وسائل للتزكية:

أ - التقوى:

وهي صفة مهمة لابد أن يتصف بها من أراد الحصول على العلم والفهم. قال الله تعالى:{وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [سورة البقرة آية٢٨٢].

كما أن التقوى هي من الفضائل التي تتحلى بها النفس، وتصبح بها زكية؛ إذا اتقى ربه أي خاف منه وعمل بما جاء في الكتاب وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، واستعد ليوم الرحيل. فبالتقوى التي يتقي بها العباد من العذاب حيث " وعد الله تعالى بأن من اتقاه علمه أي يجعل في قلبه نوراً يفهم ما يلقى إليه " (١).

فبالتقوى التي هي " ملاك الخير، و بها يكون ترك الفسوق وقوله: {وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ} تذكير بنعمة الإسلام الذي أخرجهم من الجهالة إلى العلم بالشريعة ونظام العالم وهو أكبر العلوم، وأنفعها، ووعد بدوام ذلك. لأنه جيء فيه بالمضارع، وفي عطفه على الأمر بالتقوى إيماء إلى أن التقوى سبب إفاضة العلوم " (٢).

والعلماء والدعاة والمربون يتعاملون مع القرآن والسنة النبوية، وهما لا يهبان أسرارهما لذي قلب أغلف؛ لذا ما أسهل الكلام والتعليم، وما أصعب العمل والتطبيق، وما أجدر أن يظهر العلم وثمرته، فيفيض أنواره على أهله فيستنيرون به؛ لذا قال الله تعالى:{لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ} [سورة الواقعة آية٧٩].

(١) محمد أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ج - ٣، ص - ٢٨٢.

(٢) محمد طاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر والتوزيع، بتونس، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ج - ٣، ص - ١١٨.

ب ـ الذكر:

ذكر الله هو جلاء القلوب وشفاؤها، ودواؤها عند اعتلالها، وهو من أعظم ما تزكو به النفس، وهو أوسع مما يتخيل بعض الناس، فإن المطيع الذي أطاع الله هو الذي ذكر الله بقلبه ولسانه.

فعن ابن أبي عمران رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **{من أطاع الله فقد ذكر الله، وإن قلت صلاته وصيامه وتلاوة القرآن، ومن عصى الله، وإن كثرت صلاته وصيامه وتلاوة القرآن}** (١).

فالذكر هو دأب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فقد كان صلى الله عليه وسلم يذكر الله في جميع أحواله. فعن شداد بن أوس رضى الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم :**{سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء لك بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. قال: ومن قالها من النهار موقنا بها، فمات من يومه قبل أن يمسي، فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها، فمات قبل أن يصبح، فهو من أهل الجنة}** (٢).

عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:**{والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة}** (٣).

وكذلك هو دأب العلماء والدعاة والمربون، وهو من وسائل

---

(١) أحمد الحسين البيهقي، شعب الإيمان، باب في محبة الله، فصل أخبار وردت في ذكر الله، تحقيق محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م،
ج - ١، ص - ٤٥٢.

(٢) محمد إسماعيل البخاري، صحيح البخاري - كتاب الدعوات، باب أفضل الاستغفار وباب استغفار النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم والليلة، مكتبة دار التراث العربي، ج - ٨، ص - ٨٣، د.ت.

(٣) محمد إسماعيل البخاري، صحيح البخاري - كتاب الدعوات، باب أفضل الاستغفار و باب استغفار النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم والليلة، مكتبة دار التراث العربي، ج - ٨، ص - ٨٣، د.ت.

تزكية النفس؛لذا كان مالك بن أنس يرحمه الله إذا سُئل مسألة " توضأ ثم جلس على السرير ثم قال لا حول ولا قوة إلا بالله، وكان لا يفتي حتى يقولها " (١).

ج ـ الإنابة إلى الله:

من وسائل تزكية النفس الإنابة إلى الله، وهي تعين على فهم أسرار العلم وتذكره.

قال الله تعالى:{تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ } [سورة ق آية ٨].

وقال تعالى:{هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾} [سورة غافر آية١٣].

" فالذي آثر غرور الدنيا على نعيم الآخرة فليس من ذوي الألباب، ولذلك لا تتكشف له أسرار الكتاب " (٢).

فالإنابة إلى الله هي من الفضائل التي تتحلى بها النفس الزكية؛لذا ترجع إلى الله، وتنيب إليه، وفي الإنابة الخير الكثير الذي يناله العبد؛ إذ لن ينال إبصار مواقع الآيات والعبر إلا بالإنابة فيستدل " بها على ما هي آيات له فزال عنه الإعراض بالإنابة، والعمى بالتبصرة، والغفلة بالتذكر لأن التبصرة توجب له حصول صورة المدلول في القلب بعد غفلته عنها " (٣).

فمن خلال ما سبق يتضح أهمية تزكية النفس لحصول العلم والفهم، وانظر إلى فهم ابن عباس رضى الله عنه عندما نزلت سورة النصر؛ إذ لا يحصل فهمه إلا إذا كان ذا نفس زكية.

---

(١) محمد أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، دار الفكر، بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ط٨، ج - ٩، ص - ٣٣٧.

(٢) محمد محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني، القاهرة، د.ت، ج - ١، ص - ٢٨٤ - ٢٨٥.

(٣) محمد بن أبي بكر بن القيم، مدارج السالكين، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٣م، ج - ١، ص - ٤٤١.

عن ابن عباس رضى الله عنه قال: كان عمر رضى الله عنه يدخلني مع أشياخ بدر فكان بعضهم وجد في نفسه فقال: لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله فقال: عمر إنه من حيث علمتم فدعاه ذات يوم فأدخله معهم فما رويت أن دعاني إلا ليريهم قال: ما تقولون في قوله تعالى:{إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ} فقال بعضهم أمرنا نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيئا فقال لي: أكذا تقول يا بن عباس فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه له قال:{إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ} ذلك علامة أجلك:{فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا} فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول " [(١)].

" فالفهم عن الله ورسوله عنوان الصديقية وتزكية للنفس ومنشور للولاية النبوية، وفيه تفاوت العلماء، فلولا تزكية النفس لما قد فهم هذا الفهم الخاص، إذ هو نعمة الله على عبده، ونور يقذفه في قلبه يعرف به، ويدرك ما لا يدركه غيره ولا يعرفه فيفهم من النص ما لا يفهمه غيره " وإنما يتمكن من ذلك من رسخت قدمه في العلم ولهذا قال: علي رضى الله عنه أو فهما يؤتيه الله رجلاً في القرآن " [(٢)]. مع استواء البعض في الحفظ وفهم أصل معناه.

ومما سبق نفهم السر في تقديم التزكية على العلم في قوله تعالى:{هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢} [سورة الجمعة آية٢].

فمن خلال تزكية النفس للعلماء والدعاة يُقبل الناس على العلماء والدعاة إذا أحبوهم، والمحبة من الناس هبة من الله، إذا أحب الله عبدًا جعل محبته في قلوب الناس ونشرها.

---

(١) محمد إسماعيل البخاري، صحيح البخاري كتاب التفسير، مكتبة دار التراث العربي، ج - ٦، ص٢٢٢، د.ت.

(٢) أحمد علي العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب التفسير، المكتبة السلفية القاهرة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م، ط٣، ج - ٨، ص - ٦٠٨ - ٦٠٩.

قال الله تعالى :{إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾} [سورة مريم آية ٩٦].

" أي أن الله في قلوب أهل الإيمان. ذكر لنا أن هرم بن حيان كان يقول: ما أقبل عبد بقلبه على الله، إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه، حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم " (١).

عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:{**إذا أحب الله عبداً نادى جبريل إن الله يحب فلان فأحبه فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء أن الله يحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في أهل الأرض** } (٢).

وبسبب طاعة العلماء والمربين والدعاة لله، وإخلاصهم، وتطهيرهم وتزكيتهم لأنفسهم، وكثرة الأعمال والعبادات المفروضة والنوافل التي يقومون بها فتجعل الضياء والنور في الوجه والقلب وسعة الرزق وقوة في البدن ومحبة الخلق لهم وقبولهم.

وقصة إسلام عبد الله بن سلام رضى الله عنه دلالة على ضرورة التزكية، وحيث إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه زكية وقد زكاه ربه؛ إذ حينما أقبل إلى المدينة أقبل الناس عليه بكل حب وقبول له.

" عن عبد الله بن سلام رضى الله عنه قال: لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل الناس قِبَلَه، وقيل: قد قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا فجئت في الناس لأنظر فلما تبينت وجهه، عرفت أن وجه ليس بوجه كاذب فكان أول شيء سمعته تكلم به أن قال:{**يا أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام**} (٣).

---

(١) محمد جرير الطبري، مرجع سابق ج - ١٦، ص - ١٤٧.

(٢) محمد إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب المِقة من الله تعالى، مرجع سابق، ج - ٨، ص - ٤٧٦.

(٣) عبد الله محمد القزويني بن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب الأطعمة، دار الكتب العلمية،

" وهذا أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطا التيمي كان إماماً ورعاً عالماً عاملاً متعبداً كبير الشأن لا يقبل جوائز السلطان بل يتجر ويتكسب، وحينما سئل يزيد بن هارون أيما أفقه الثوري أو أبو حنيفة؟ فقال: أبو حنيفة أفقه وسفيان أحفظ للحديث. قال ابن المبارك: أبو حنيفة أفقه الناس، وقال الشافعي: الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة، قال يزيد: ما رأيت أحدا أورع ولا أعقل من أبي حنيفة. وروي بشر بن الوليد قال: كنت أمشي مع أبي حنيفة فقال رجل للآخر هذا هو أبو حنيفة لا ينام الليل، فقال: والله لا يتحدث الناس عني بما لم أفعل فكان يحيي الليل صلاة ودعاء وتضرعا " (١).

فهذا من تزكيته لنفسه وتزكية الناس له، فبقي علمه إلى الوقت الحاضر لمحبة الناس له وجُعل له القبول عندهم.

٤ـ ضرورة التزكية للمربين والمصلحين:

إن الرسول صلى الله عليه وسلم هو معلم الناس الخير بل هو معلم البشرية الأول، وهو قدوة المسلمين؛ لذا فتزكية النفس من أهم الجوانب في التربية النبوية، وذلك لتأثيرها في شخصية الإنسان تأثيراً قوياً يجعله مقبلاً على الخير مبتعداً عن الشر، متحلياً بالأخلاق الحميدة؛ لذا أعطى الرسول صلى الله عليه وسلم جانب تزكية النفس أهمية بالغة في تربيته، واعتنى بها عناية خاصة، وذلك لأن نفس الإنسان من أكبر الطاقات فيه.

والرسول صلى الله عليه وسلم من مهامه التزكية وهي مهمة إصلاحية جعلها الله لكل مسلم على وجه الأرض، لأن الإصلاح غاية كبرى؛ إذ من خلال التزكية التي هي تطهير العقول من المعتقدات الباطلة، وتطهير النفس من الصفات الناقصة والعادات الذميمة، وانتزاع من النفس كل عادة سيئة وتعويدهم على فعل الأعمال الحسنة التي تنطبع في نفوسهم

د.ت، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ج - ٢، ص - ١٠٨٣.
(١) محمد أحمد الذهبي، تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ط٥، ج - ١، ص - ١٢٧.

حتى تصبح سجية لهم. لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم المزكي الأعظم لنفوس أصحابه بأقواله وأفعاله وأعماله؛ ولذا بذل في سبيل هذه المهمة جميع الوسائل الموصلة إليها.

ولهذا امتن الله على الأصحاب رضي الله عنهم بهذه المنة العظيمة وهي تزكية النبي صلى الله عليه وسلم لهم.

فقال عز وجل:{كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولاً مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴿١٥١﴾} [سورة البقرة آية ١٥١].

فترتيب مهام الرسول صلى الله عليه وسلم كما جاءت في الآية؛ إذ الرسول صلى الله عليه وسلم قدوة المصلحين فكانت الأولوية هي تلاوة الآيات التي هي كلام الله عز وجل التي به " يحملكم على ما تصيرون به أزكياء، قدمه باعتباره القصد وأخره في دعوة إبراهيم عليه السلام باعتبار الفعل " (١).

فبذلك يكون الرسول صلى الله عليه وسلم هو من يزكيهم " من الشرك إلى التوحيد، ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الكذب إلى الصدق، ومن الخيانة إلى الأمانة، ومن الكبر إلى التواضع، ومن التباغض والتهاجر والتقاطع إلى المحبة والتواصل والتوادد وغير ذلك من أنواع التزكية، وهي نعمة عظيمة ما كان لكم تحصيلها لولا هذا النبي الكريم الذي هو أعظم نعمة من الله عليكم " (٢).

وهكذا اهتم الإسلام اهتماماً كبيراً بتزكية النفس كمرحلة إعداد أولية، وحينما استعدت النفوس بدأت المرحلة الثانية، وهي التعليم الشامل لعلوم القرآن والدين في كفة، وفي كفة أخرى علوم الدنيا، ليكونا مطلبين متعادلين يحققان سعادة المؤمنين ونجاحهم في الدارين. قال تعالى:{رَبَّنَآ

---

(١) عبدالله عمر البيضاوي، مرجع سابق، ج - ١، ص - ٩٥.
(٢) عبد الرحمن الدوسري، صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم، دار الأرقم، الكويت، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ج - ٢ ص - ٤١٥ - ٤١٦.

ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً } [سورة البقرة آية ٢٠١].

لذا كانت أول ما نزلت من الآيات قوله تعالى:{ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝ } [سورة اقرأ آية ١-٥].

فكان الأمر بالقراءة التي تعتبر من أبجديات العلم والتعليم، وبهذا المقطع الذي نزل في اللحظة الأولى من اتصال الرسول صلى الله عليه وسلم بالملأ الأعلى، وبهذا المقطع وضعت قاعدة التصور الإيماني العريضة.

فالبدء في " كل أمر كل حركة كل خطوة كل عمل باسم الله، وعلى اسم الله، باسم الله نبدأ، وباسم الله تسير، وإلى الله تتجه، وإليه تصير، والله هو الذي خلق، وهو الذي علّم فمنه البدء والنشأة، ومنه التعليم والمعرفة... والإنسان يتعلم ما يتعلم، ويعلم ما يعلم.. فمصدر هذا كله الله الذي خلق، والذي علم.. " (١).

فالعلم يرفع قدر صاحبه، وتعلو منزلته، وتزكو نفسه بالعلم الذي تعلمه، ويتفرغ قلبه، ويجاهد نفسه لإزالة القذى عن النفس، والترقي في معارج التقوى، فالعلم النافع هو الذي ينبسط في الصدر شفاعة، ويكشف به عن القلب قناعه، وهو العلم بالله وصفاته وأسمائه، والعلم بكيفية التعبد، والتأدب معه، لأنه العلم الذي يزيل الشكوك والأوهام.

٥- ضرورة تزكية النفس للرزق والخروج من الأزمة الاقتصادية:

للخروج من الأزمات الاقتصادية، والوصول إلى مرحلة الكفاية والرزق الواسع وسائل مادية كثيرة شرعها الإسلام، وحث عليها، ويمكن الرجوع إليها في مواضعها.

وللتزكية بوسائلها المختلفة دورٌ عظيمٌ، بل إنها بداية الحلول، وبعدها يوفق الله سبحانه وتعالى للوسائل الأخرى، ويكلل المساعي بالنجاح.

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج - ٦، ص - ٣٩٣٩.

وأمتنا الإسلامية في ضائقتها الاقتصادية التي تعيشها ليست بدعاً من الأمم، ومن رحمة الله بنا أن ساق لنا في كتابه الكريم نماذج بشرية أصابها ما أصابنا، وبين لنا كيفية المواجهة.

قال سبحانه وتعالى:{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ } [سورة الأنعام آية ٤٢-٤٣].

" ومعنى:{بِٱلْبَأْسَآءِ} بالمصائب في الأموال:{وَٱلضَّرَّآءِ} في الأبدان " [١].

ونجد أن الله قد " أخذهم بالبأساء والضراء ليرجعوا إلى أنفسهم وينقبوا في ضمائرهم وفي واقعهم لعلهم تحت وطأة الشدة يتضرعون إلى الله ويتذللون له وينزلون عن عنادهم واستكبارهم، ويدعون الله أن يرفع عنهم البلاء بقلوب مخلصة، فيرفع عنهم البلاء ويفتح لهم أبواب الرحمة، ولكنهم لم يفعلوا ما كان حرياً أن يفعلوه، لم يلجؤوا إلى الله، ولم يرجعوا عن عنادهم، ولم ترد إليهم الشدة وعيهم، ولم تفتح بصيرتهم، ولم تليّن قلوبهم، وكان الشيطان من ورائهم يزين لهم ما هم فيه من الضلال والعناد " [٢].

فاللجوء إلى الله سبحانه وتعالى، " واستلهام المعونة منه هو أول طريق الخلاص، وهذا ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يوجه إليه أهله وأصحابه " [٣].

والإيمان والتقوى وسيلة من وسائل الرزق قال الله تعالى:{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾} [سورة الأعراف آية ٩٦].

أركان تزكية النفس: -

(١) أحمد محمد القرطبي، مرجع سابق، ج - ٦، ص - ٤٢٤.
(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج - ٢، ص - ١٠٨٩.
(٣) نبيل المعاز، مرجع سابق، ص - ٥٩.

التزكية لها أركان حتى يصبح الإنسان والمجتمع مزكىً خالياً من كل ما يشوبه، إذ بدون هذه الأركان تختل التزكية وهي كما يلي:

١) التطهير (التخلية): -

من أعظم قواعد تزكية النفس تخليتها من اتباع الهوى الموجب لأمراض لا حصر لها، وعلة المرض لا تعالج إلا بضدها فالطريق لمعالجة القلوب سلوك مسلك المضادة لكل ما تهواه النفس وتميل إليها.

فالتخلية: - " هي أن يتخلى الإنسان ويتطهر عن العقائد الباطنة والأخلاق والملكات الذميمة والذنوب والمعاصي " (١).

وقد جمع الله تعالى ذلك كله في كلمة واحدة قال تعالى:{وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝} [سورة النازعات آية ٤٠-٤١].

وتتلخص عملية التطهير والتمهيد للتزكية في الأمور التالية: -

أ) تزكية وتطهير النفس من الشرك وما يتفرع منه كالعبودية لغير الله تعالى، والانحرافات الضالة والأخلاق الفاسدة من عجب وكبر وحسد وطاعة للطواغيت كظلمات النفاق والكفر والفسوق والبدعة.

ب) تطهير النفس من الشهوات المحرمة: - منها حسية: كحب الطعام والشراب المحرم، والإسراف في الأكل، ومنها معنوية: كحب الانتقام والرغبة في الانتصار، وحب الجاه والظهور والرغبة في التفرد، فبعض هذه الشهوات مباح إذا سلك الإنسان لقضائها طريقاً مشروعاً كالزواج والطعام والشراب الحلال وبعضه محرم في أصله أو في الطريق التي يسلكها الإنسان لقضائها.

جـ) تطهير من الأمراض والآفات فتصاب النفس بالعجب والكبر والغرور والحسد والحقد والغل لذلك تحتاج إلى التزكية (٢).

---

(١) إبراهيم محمد العلي، مرجع سابق، ص - ٢٣ - ٢٥.
(٢) إبراهيم محمد العلي، مرجع سابق، ص - ٢٣ - ٢٥.

[٢] التخلق والاقتداء [التحلية] : ـ

فالتحلية: أن يتحلى الإنسان بالعقائد الحقة والأخلاق والملكات الحميدة، والقيام بواجباته [١].

فعلى الإنسان أن يتحلى، ويُعود نفسه على الخير حتى تألفه، ويكون سجية لها.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:**{إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم، ومن يتحر الخير يعطه ومن يتق الشر يوقه}** [٢].

ولنعلم أن الأعمال لها أثر يمتد حتى تصل إلى القلب فكما أن كل صفة تظهر في القلب يفيض أثرها على الجوارح: " فإن كل فعل يجري على الجوارح قد يرتفع منه أثر إلى القلب، والأمر فيه دور، وهذا من عجيب العلاقة بين القلب والروح " [٣].

ولله المثل الأعلى، وله الأسماء الحسنى، فقد خلق الإنسان ونفخ فيه من روحه أي نفخ مخلقة نسبها إلى ذاته سبحانه وتعالى تشريفاً لها، وبهذه النفخة وجد عند الإنسان استعداد للتخلق بأسماء الله تعالى، ووجد عنده الاستعداد للرحمة والانتقام والكبرياء والعلو.

قال الله تعالى:{ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ‌ۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّٮٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ‌ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَـٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ‌ۚ قَلِيلاً مَّا تَشۡكُرُونَ ﴿٩﴾} [سورة السجدة آية ٩].

---

(١) إبراهيم محمد العلي، مرجع سابق، ص ـ ٢٣ ـ ٢٥.

(٢) جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، جمع الجوامع الجامع الكبير في الحديث والجامع الصغير وزوائده، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م، جـ ٢، ص ـ ٣٦٣، حديث رقم ٦٣٦٣، محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، المكتب الإسلامي، دمشق، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م، جـ ١، ص ـ ٢٨٠، رقم الحديث ٢٣٢٤.

(٣) إبراهيم محمد العلي، مرجع سابق، ص ـ ٢٥.

[٣] تحقيق مقام العبودية: ـ

إنَّ من تزكية النفس تحقيقها لمقام العبودية لله سبحانه وتعالى وهي من الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

قال الله تعالى:{وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾} [سورة الأعراف آية ١٧٢].

للمفسرين في تفسير هذا النص اتجاهان:

الاتجاه الأول: أن هذا من باب التمثيل، ومعنى ذلك أنه نصب لهم الأدلة على ربوبيته ووحدانيته، وشهدت بها عقولهم التي ركبها فيهم، وجعلها مميزة بين الهدي والضلالة، فكأنه أشهدهم على أنفسهم وقررهم، وقال لهم:{أَلَسْت بِرَبِّكُم } وأنهم قالوا بلى أنت ربنا شهدنا على أنفسنا وأقررنا بوحدانيتك.

الاتجاه الثاني: أن الله تعالى أخرج ذرية آدم من ظهر آدم مثل الذر، وأخذ عليهم الميثاق أنه ربهم بقوله:{أَلَسْت بِرَبِّكُم } فأجابوه ببلى قالوا: وهي الفطرة التي فطر الله الناس عليها " (١)

وتحقيق العبودية لله التي هي أثر عن معرفة الله سبحانه وتعالى والتي تستتبع الخوف منه والرجاء فيه، وتقواه وشكره وعبادته والإخلاص له والصدق معه والصبر على بلواه وتكاليفه والمحبة له والزهد فيما يشغل عنه، وذلك إن العبادة هي الغاية المحبوبة لله والمرضية له التي خلق الخلق لها كما قال الله تعالى:{وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾} [سورة الذاريات آية ٥٦].

وكل هذه الأفعال العبادية من الأمور التي تتزكي بها النفس؛ إذ إن معرفة " العبد أن الله ربه وخالقه وأنه مفتقر إليه، ومحتاج إليه عرف عبوديته المتعلقة بربوبية الله، وهذا العبد يسأل ربه ويتضرع إليه ويتوكل

(١) سعيد حوى، الأساس في التفسير، مرجع سابق، ج - ٤، ص - ٢٠٥٩.

عليه لكن قد يطيع أمره وقد يعصيه وقد يعبده " [١].

فالعبادة أمر كتبها الله على عباده حتى يتحقق مقام الإيمان والتزكية فهي " الغاية التي شمر إليها السالكون. وأمَّها القاصدون. ولحظ إليها العاملون " [٢].

والإنسان في هذا المقام مكلف بأمرين:

١) أن يجاهد نفسه فلا ينسب لنفسه شيئاً من خصائص الربوبية.

٢) أن يضبط نفسه في الأسماء التي يجوز أو يجب التخلق بها على مقتضى العبودية، والتكليف فالرحمة والكرم والجود والرأفة مما يجب أن يكون الإنسان فيه على مقتضى التكليف، والذي يريد تحقيق العبودية فعليه أن يتمثل بهذه المعاني، ويتخلق بها وفق ما أمر الله تعالى، وهو أول معنى من معاني التخلق والاقتداء.

لذا فإن " حقيقة العبودية أن يخضع الإنسان نفسه لربه عز وجل، ويحبه، ويحب ما يحبه، ويلتزم ما شرعه الخالق المولى، ودعا إليه رسله آمراً وناهياً، محللاً ومحرماً، وفي هذا تمثل للطاعة والخضوع لمن بيده مقاليد السموات والأرض " [٣].

فالتزكية في بدايتها ونهايتها لا تخرج عن مقام العبودية، وأعلى الخلق في مقام العبودية هم رسل الله تعالى، وعلى رأسهم سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم .

" فالعبودية الكاملة لله هي الاقتداء به، وغاية التزكية ونهايتها وراثة رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن نأخذ الكتاب والسنة بقوة، فهماً وعملاً، وأن نتحقق بالحال التي كانت له صلى الله عليه وسلم من

---

(١) أحمد عبد الحليم بن تيمية، العبودية، مكتبة المعارف، الرياض ١٤٠٢، هـ - ١٩٨٢م، ص - ٧.

(٢) محمد بن أبي بكر بن القيم، مدارج السالكين، مرجع سابق، ج - ١، ص - ٤٢٩.

(٣) محمد بن أبي بكر بن القيم، طريق الهجرتين وباب السعادتين، دار ابن كثير، دمشق، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م ص - ٥.

خشوع وتوكل وغير ذلك " [١].

والعبودية هي الهدف الأسمى للتربية الإسلامية، والتي من أجلها خلق الإنسان وأوجده الله.

٤) الترقية في المنزلة: ـ

إن الترقية في الدرجات بين أن يكون الإنسان مسلماً أو مؤمناً أو محسناً تحتاج إلى همة، كما أن تزكية النفس للإنسان تتحقق في رغبته وهمته وترقيته إلى المعالي والتي تتطلب منه المزيد من الارتقاء والسمو، ولا ترضى منه إلا معالي الأمور، وإذا أراد الله بعبد خيرًا رزقه بصيرة تهديه، كما كان رسول الله يطلب من علي بن أبي طالب رضى الله عنه.

فعن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل:{**اللهم اهدني وسددني واذكر بالهدى هدايتك الطريق والسداد سداد السهم**} [٢].

ففي الحديث دعوة إلى طلب الهداية " لأن هادي الطريق لا يزيغ عنه... وكذا الداعي ينبغي أن يحرص على تسديد علمه وتقويمه ولزومه السنة " [٣]. وفي الحديث تربية للمتعلم على طلب للهداية والسداد من رب العالمين متخذاً الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته قدوة له.

لذا من أراد التزكية لنفسه فعليه أن يترقى في العبادة ببصيرة، فيلتزم درجاتها وهي " بصيرة الأسماء والصفات، وبصيرة في الأمر والنهي، وبصيرة في الوعد والوعيد " [٤].

وكذا يرزقه همة ترقيه، فيسرع في قطعة المسافة حتى يصل إلى الغاية الكبرى وهي مرضاة رب العالمين سبحانه وتعالى.

---

(١) إبراهيم محمد العلي، مرجع سابق، ص - ٢٦.
(٢) مسلم بن الحجاج بن مسلم، مرجع سابق، ج - ٨، ص - ٨٣.
(٣) محي الدين يحي النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، تحقيق الشيخ مأمون شيا، جـ ١٧ ص - ٤٦.
(٤) محمد بن أبي بكر بن القيم، مدارج السالكين، مرجع سابق، جـ ١، ص - ١٤٦.

لذا فالكيس يقطع من المسافات بصحة العزيمة وعلو الهمة، وتجريد القصد وصحة النية مع العمل القليل ينال أضعاف أضعاف ما يقطعه الفارغ من ذلك مع التعب الكثير، والسفر الشاق؛ لذا فإن العزيمة والمحبة تذهب المشقة وتطيب السير، وصاحب الهمة العالية من " استعد للقاء الحبيب، وقدم سوابق الخير، وصالح الأعمال التي يقدمها المرء لنفسه بين يدي الملتقي فاستبشر عند القدوم " (١).

قال الله تعالى:{وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ } [سورة البقرة آية ٢٢٣].

فصاحب الهمة العالية في الترقي لا تزال همته " حائمة حول ثلاثة أشياء تعرُفٌ لصفه من الصفات العليا تزداد بمعرفتها محبة وإرادة، وملاحظة لمنة تزداد بملاحظتها شكر وطاعة، وتذكر لذنب تزداد بتذكره توبة وخشية فإذا تعلقت الهمة بسوى هذه الثلاثة جالت في أودية الوساوس والخطوات " (٢).

فإن كانت همته عالية كانت تزكية لنفسه؛ ولذا فإن همة الرجل مع قرة عينه فإن كانت قرة في الدنيا انصرف لا محالة إليها همه، ولكن مع هذا فلا ينبغي أن يترك المجاهدة (٣).

وإن التزكية والتربية والدعوة لا ينهض بهم إلا أولو العزم والهمم العالية والمشمرون إلى الله، وهذا لا يتهيأ لهم إلا إذا أخذوا على أنفسهم بما فرضه الله على أنبيائه.

قال الله تعالى:{وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ } [سورة العنكبوت آية: ٦٩].

أي لنهدينهم " سبل الثبوت على الإيمان، " السبل " ها هنا يحتمل أن تكون

---

(١) محمد بن أبي بكر بن القيم، الفوائد، دار ابن خزيمة، الرياض، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، تحقيق عامر ياسين، ص١٧١.
(٢) محمد بن أبي بكر بن القيم، الفوائد، مرجع سابق، ص - ٢٣٩.
(٣) محمد محمد الغزالي، مرجع سابق، جـ ١، ص - ١٦٥.

طرق الجنة ومسالكها، ويحتمل أن تكون سبل الأعمال المؤدية إلى الجنة والعقائد النيرة قال يوسف بن أسباط: هي إصلاح النية في الأعمال وحب التزيد والتفهيم، وهذا هو أن يجازي العبد على حسنة بازدياد حسنة، وبعلم يقتدح من علم متقدم، وهي حال من رضى الله عنه " [1].

قال الله تعالى:{وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ } [سورة محمد آية ١٧].

وللجمع بين الآيتين السابقتين فإن منزلة " التقوى منحة ومكافأة منه للعبد على اهتدائه... التقوى تأتي بعد الهداية، والهداية تأتي كأثر عن المجاهدة، فالطريق إذن المجاهدة، يكافئ الله عليها بهداية، و هداية يكافئ الله عليها بتقوى، فنقطة البداية إذن مجاهدة النفس، ولا شك أن مما يعين على مجاهدة النفس تلاوة القرآن الكريم، والصلاة، والذكر " [2].

لذا فإن " إيمان بالله يرافقه مجاهدة النفس بالقيام بالعبادة وأعمال الإسلام توصل إلى التقوى التي هي إيمان واتباع كتاب الله كما وردت في أوائل سورة البقرة... فإذا تحقق الإنسان بالتقوى أوصلته التقوى إلى مقام الشكر وهو أعلى المقامات في السير في دين الله تعالى " [3] .

والدليل على أن التقوى توصل إلى الشكر قوله تعالى:{فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ } [سورة آل عمران آية ١٢٣].

أهداف تزكية النفس في الإسلام:

إن أهداف تزكية النفس تتحدد من خلال القرآن والسنة النبوية المطهرة والتي تقوم على التحلية و التطهير و التخلية باستبعاد جميع العناصر التي تؤدي بالإنسان إلى النقص والخسران.

---

(١) عبد الحق غالب بن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ج - ٤، ص - ٣٢٦.

(٢) سعيد حوى. الأساس في التفسير، مرجع سابق، ج - ٨، ص - ٤٢٣٧ - ٤٢٣٨

(٣) سعيد حوى، تربيتنا الروحية، دار الكتب العربية، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩ م، ص - ٣٣.

فأهداف تزكية النفس كما يلي: -

١) الوسطية: -

وهي تزكية للإنسان المسلم؛ إذ تجعله وسط في الاعتقاد والتصور، وسط في التعبد والنسك وسط في الأخلاق والآداب وسط في التشريع والنظام.

لذا فالوسطية ميزة من أبرز خصائص، ومميزات الإسلام، وهي وسام شرف الأمة الإسلامية.

قال الله تعالى:{وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا } [سورة البقرة الآية ١٤٣].

{جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا } قالوا إن الوسط هو العدل والخيار، وذلك أن الزيادة على المطلوب في الأمر إفراط، والنقص عنه تفريط وتقصير، وكل من الإفراط والتفريط ميل عن الجادة القويمة فهو شر مذموم، فالخيار هو الوسط بين طرفي الأمر أي المتوسط بينهما " (١).

فالله سبحانه وتعالى جعل هذه الأمة وسطاً، وهي تربية على الوسطية والبعد عن الغلو والتطرف والتسيب والانحلال كما إن الوسطية " يعبر عنها أيضا " التوازن " ونعني بها التوسط أو التعادل بين طرفين متقابلين أو متضادين بحيث لا ينفرد أحدهما بالتأثير، ويطرد الطرف المقابل، وبحيث لا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه ويطغى على مقابله ويحيف عليه " (٢).

فتزكية النفس تختار الوسطية أو التوازن شعاراً مميزاً لكل فرد من أفراد المجتمع؛ إذ هناك اعتدال في كل الأمور الاعتيادية إذ الدعوة إلى الإيمان بالله وحده لا شريك له، ووسطية واعتدال في العبادات والشعائر فأداؤها محدود في اليوم كالصلاة أو في السنة كالصوم أو في العمر كالعمرة

(١) محمد رشيد رضا، تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، بيروت. ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ج - ٢، ص - ٤.

(٢) يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت. ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ط٣، ص - ١٧٢.

والحج، والإسلام زكى النفس التي تلتزم بالأخلاق الفاضلة بحيث تكون في اعتدال دون تطرف ولا تفريط؛ لذا تقوم وسطية تزكية النفس إلى نشدان الحقيقة المجردة بعيدة عن الأهواء والأمزجة، والآراء كما جاء في كتاب الله وسنة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وبما كان عليه السلف الصالح للأمة. كما تجعل تزكية النفس الإنسان المسلم محققا لمبدأ التيسير في الدين، ورفع الأغلال والأسر الواقعة بالأمم من قبلنا.

قال الله تعالى:{يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ} [سورة البقرة آية ١٨٩].

ولقد ذكر في تفسير الآية:{وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةً وَسَطًا} [سورة البقرة الآية ١٤٣].

" وأرى أن الله تبارك وتعالى ذكره إنما وصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في الدين فلا هم أهل غلو فيه غلو النصارى الذين غلو بالترهب، وقولهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير فيه تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله وقتلوا أنبياءهم وكذبوا على ربهم وكفروا به، ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه فوصفهم الله بذلك إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها " (١).

لذا جعلهم " أمة وسطاً " في التفكير والشعور لا تجمد على ما علمت وتغلق منافذ... التجربة والمعرفة. ولا تتبع كذلك كل ناعق، وتقلد تقليد القردة المضحكة... إنما تستمسك بما لديها من تصورات ومناهج وأصول ثم تنظر في كل نتاج للفكر والتجريب وشعارهم الدائم: الحقيقة ضالة المؤمن أنى وجدها في تثبت ويقين. " أمة وسطه " في التنظيم والتنسيق.. لا تدع الحياة كلها للمشاعر، والضمائر، ولا تدعها كذلك للتشريع والتأديب. إنما ترفع البشر بالتوجيه والتهذيب، وتكفل نظام المجتمع بالتشريع والتأديب...

" أمة وسطا " في الارتباطات والعلاقات لا تكفي شخصية الفرد ومقوماته ولا تلاشي شخصيته في شخصية الجماعة أو الدولة ولا

(١) محمد بن جرير الطبري، مرجع سابق، ج - ٢، ص - ٩ - ١٠.

تطلقه فرداً أثراً جشعاً لا همَّ له إلا ذاته، إنما تطلق من الدوافع والطاقات ما يؤدي إلى الحركة والنماء، وتطلق من النوازع والخصائص ما يحقق شخصية الفرد وكيانه ثم تضع من الكوابح ما يقف دون الغلو، ومن المنشطات ما يثير رغبة الفرد في خدمة الجماعة " (١).

فمن تزكية النفس جعلت كل فرد ينتمي إلى هذه الأمة الوسط، ويصبح وسطاً في كل أموره؛ لذا فإن من " أهمية الوسطية أنها توفر أمرين اثنين

الأمر الأول: - وعي الإنسان بإنسانيته وعدم السماح بتدجينه وتحويله إلى شيء من الأشياء المملوكة.

الأمر الثاني: - توفر له انتماء إلهياً يحقق له المساواة مع الآخرين في تقرير مستقبله ومصيره " (٢).

لذا تقوم التربية الإسلامية ببناء شخصية الإنسان المسلم على تزكية نفسه بالوسطية التي تلاءم الأمة الإسلامية التي ينتمي إليها.

الهدف الثاني: - تزكية ثقافة الفرد:

إن تزكية الفرد المسلم بحيث يظهر بمظهر العدل عن كل ثقافة، فيُكوَّن شخصيته بحيث لا تختلط في نفسه المفاهيم والأطروحات المختلفة التي تعرض أمامه في ساحات الحياة وميادينها، وبذلك يكون الفرد المسلم ذا هوية مستقلة أصيلة، وتزكى النفس بإيجاد الوعي العلمي بحقيقة الإسلام وشموله لكافة متطلبات الحياة.

ومن تزكية النفس إيجاد الإنسان القوي الصالح المصلح الذي يغمر هذا الكون وفق شرع الله، وتكون ثقافته مستمدة من الكتاب والسنة النبوية المطهرة.

---

(١) سيد قطب، في ظلال القران، مرجع سابق، ج - ١، ص - ١٣١.
(٢) ماجد عرسان الكيلاني، مرجع سابق، ص - ١٢٨.

وينمو لدى الفرد المسلم ولاءه للأمـة الإسلامية والإلحاح على أهميتها ومكانتها ورسالتها العظيمة في الحياة، وبذلك تزكو نفسه ويصبح اعتزازه بالإسلام؛ إذ الإسلام يدعو الفرد بأن يزكي نفسه " ويتحرر من الخرافة في الاعتقاد أو في التصور بدعوة في واقع الأمر إلى رفع العقبات المعنوية والفكرية التي تحول بينه وبين استخدام طاقته كإنسان مفكر " [١].

والتربية الإسلامية تربي وتطالب المسلم بالتحرر من الأنانية وسيطرتها على سلوكه، لا تطالبه بحرمان نفسه ولا بإهمال حاجياته وضروراته؛لذا على المسلم أن يأخذ كل جوانب الثقافة الإسلامية " باختلاف حال المسلم من حيث الفراغ والنشاط والذكاء وجودة الفهم، والإيمان والقرب أو البعد من مراكز التلقي " [٢].

والإسلام كي يزكي نفس المسلم يعطيه ما يناسبه بدرجة وباستمرار حتى يستمر في تزكيتها ويعطي كل إنسان بحسبه، ويخاطب كل إنسان بقدر ما يسعه.

إذ فالثقافة هي: " الأفكار والقيم والنظم والعادات والتقاليد والأعراف وشبكة العلاقات الاجتماعية بتطبيقاتها المختلفة التي تنتجها الأمة خلال ماضيها وحاضرها مستمدة من الكتاب و السنة النبوية المطهرة " [٣].

لذا على الإنسان المسلم أن يزكي نفسه ويأخذ من الثقافة الصافية النقية، وحتى تتزكى البيئة الثقافية لابد أن تكون مستمدة من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

فعلى الإنسان المسلم الذي يريد أن يزكي نفسه أن يداوم على العلم كي يتسع فقهه، والعلم ضرورة لأن الإنسان المسلم عن طريق العلم يكتسب

(١) محمد البهي، الإسلام في حياة المسلم، مكتبه وهبة، القاهرة، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، ص - ١٦٧.

(٢) سعيد حوى، جند الله ثقافته وأخلاقا، مكتبة وهبه، القاهرة، ١٤٠٠ه - ١٩٨٠، ط ٣، ص - ١٣٩.

(٣) ماجد عرسان الكيلاني، مرجع سابق، ص - ١٢٩.

المعارف التي تزكيه وتزكي المجتمع، ولن تكون ملكة الفهم والحكم والقدرة على مواجهة كافة الاحتمالات إلا بالعلم المستمد من الكتاب والسنة النبوية المطهرة، حيث أمر الله نبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

كما جاء في قوله تعالى:{وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا} [سورة طه آية١١٤].

ومن أراد أن يزكي نفسه لابد أن تكون ثقافته وقوله مطابقين لعمله، فالإسلام علم وعمل؛ لذا وبخ القرآن من خالف قوله عمله قال الله تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝} [سورة الصف آية٢-٣].

لذا إن اقتضاء العلم العمل، وارتباط العقيدة بالحياة والدنيا بالآخرة سمة بارزة من تعاليم الإسلام؛ إذ لا يوجد " فصل بين العلم والعمل لا في نصوص الشريعة ولا في الجيل الأول في خير القرون فإنه تعلم العلم جميعاً " (١).

الهدف الثالث: الأخوة:

إن تزكية النفس تنمي قيم الإخوة الإسلامية بحيث تلغي وتصهر جميع الولاءات؛ إذ كانت فكرة الإخاء في مدينة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وهي تجربة رائدة لتزكية النفس، وتأليفها وترقيق المشاعر والقلوب، فكانت هذه بداية لتنظيم علاقاتهم الاجتماعية ريثما يستعيد المهاجرون مقدراتهم المالية.

والإخوة الإسلامية حاجة ضرورية وهي من الواجبات ومن فضائلها وفوائدها، فلا تزال الأمة بخير مادامت متحلية بالإخوة الإسلامية؛ إذ هي الأساس لتنمية الأخوة وعليها بناء حياة البشر، وهذا ما تقتضيه الفطرة والعقل السليم، وكل المذاهب تدعو إليها لاسيما المذاهب السماوية؛ لذا عد الإسلام هذه الإخوة منة علينا منه سبحانه وتعالى فقال:{وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا}

---

(١) عابد محمد السفياني، الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية، مكتبة المنارة، مكة المكرمة، ١٤٠٨هـ - ١٩٩٨م، ص - ١٦٠.

[سورة آل عمران آية ١٠٣].

وإن الإخوة والألفة ما هي إلا ثمرة حسن الخلق، والتفرق ثمرة لسوء الخلق، فحسن الخلق يثمر التحاب والتآلف والتوافق، وحسن الخلق لا تخفى في الإسلام فضيلته وهو الذي مدح الله سبحانه وتعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم فقال:{وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾} [سورة القلم آية ٤].

وتزكية النفس بالإخوة الخالصة لله؛ إذ تكون مقرونة بالإيمان والتقوى؛ إذ على الإنسان المسلم أن يختار من الأخوة أتقاهم وأحسنهم أخلاقا.

ومما يدل على إيمان الإخوة وتقواها قال الله تعالى:{إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ } [سورة الحجرات آية ١٠].

فلقد بدأ الإخاء في مجتمع المدينة المنورة بفضل الله سبحانه وتعالى ثم بفضل الرسول الكريم في اختياره، " إذ كانت هذه الإخوة قوة معنوية ومادية، وكانت هي الصلابة التي تحلت بها الأمة الإسلامية " (١).

" لذا كانت عملية الإخاء الإسلامي كما يلي: -

١) لم يعد هناك وصف لجانب من أبناء المجتمع بالأوس أو الخزرج فسموا جميعا بالأنصار.

٢) والمهاجرون لم يعد لهم بقاء مستقل كغرباء فدمج الرسول صلى الله عليه وسلم المهاجرين مع الأنصار في صورة أمة " (٢).

وإذا كانت الإخوة هي تعاون وتراحم وتواد وتعاطف وحفظ للأرواح والأنفس والمال والأعراض وبعد عن الخصام والهجر وهي من صفات المؤمن الذي يريد أن يزكي نفسه ويطهرها أن يلتزم بالأخلاق الإسلامية.

لذا " اتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم من حقيقة التآخي الذي أقامه بين

---

(١) محمد لقمان الأعظمي الندوي، مجتمع المدينة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، دار المعالم الثقافية، الإحساء، د.ت، ص - ٨٠.

(٢) رءوف شلبي، الدعوة الإسلامية في العهد المدني، دار القلم الكويت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ص - ١٠٥ - ١٠٦.

المهاجرين والأنصار أساسا لمبادئ العدالة الاجتماعية التي قام على تطبيقها أعظم وأروع نظام اجتماعي في العالم " [١].

وهي من أقوى ركائز تزكية النفس وأهدافها " لذا أدرك اليهود أن إبعاد المجتمع الإسلامي عن الإخاء الإسلامي هو الوسيلة الوحيدة للدسيسة بين المسلمين أو بين مجتمع الإخاء، فدسوا مكرهم وكيدهم بين الأنصار، بإيغار صدورهم بالحروب القديمة حتى أججوا في صدورهم نار الذين قُتلوا في الجاهلية بخبث حديثهم فتواعدوا إلى الحرة ليكون اللقاء المسلح من جديد " [٢].

قال الله تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾} [سورة آل عمران آية ١٠٢-١٠٣].

وجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلا عليهم الآيات وهو يقول " أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم، فندموا على ما كان منهم، واصطلحوا وتعانقوا، وألقوا السلاح " [٣].

وقد جاءت الشريعة الإسلامية بمقاصدها فجعلت من حفظ الدين أن يرتبط الإنسان برابطة عاطفية بأفراد مجتمعه وجماعاته، وهي أرقى العواطف وأقواها وهي رابطة الأخوة " تلك التي تشعر كل فرد من أفراد المجتمع بأن ترتبط مع الآخرين بعلاقة روحية ينتمي بها كل منهم إلى الأصل الواحد، وهو أصل الإيمان المشترك " [٤].

إن النموذج العملي للمؤاخاة، والتي يتزكى بها الإنسان والمجتمع في

(١) محمد سعيد البوطي، فقه السيرة، دار الفكر، دمشق، ١٤١٩ - ١٩٩٩م، ص - ٢٢٠.
(٢) محمد لقمان الأعظمي، مرجع سابق، ص - ٨.
(٣) إسماعيل عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ج - ١، ص - ٣٤٠ - ٣٤١.
(٤) عبد المجيد عمر النجار، مقاصد الشريعة، مرجع سابق، ص - ١٧٢.

الحديث النبوي.

فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :{لا تحاسدوا ولا تناجشوا و لا تباغضوا، ولا تدابروا و لا يبيع بعضكم على بعض وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، والتقوى هنا، ويشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر ـ أن يحقر أخاه، المسلم أخو المسلم حرام دمه وماله وعرضه} [(١)].

فالحديث فيه دعوة للمعلم والمتعلم إلى تزكية النفس بالمحافظة على الأخوة الإسلامية.

الهدف الرابع: ـ حفظ النفس

الإنسان له مزايا، ومن هذه المزايا التكليف، والقيام بأعباء التكليف هو في ذاته من مهام الخلافة في الأرض، ومكرم كرمه الله سبحانه وتعالى، وأعطاه ما يعين على حسن أداء عمله حتى يقوم الإنسان برفعة نفسه عن غيره من المخلوقات، وهذا من سلم الكمال بالإنسان، وحفظ النفس من الأمور التي يقوى بها الإنسان على أداء مهمته، والإنسان الذي تربى تربية إسلامية يقوم بحفظ نفسه بالتزكية، والتي هي ترقية لنفسه بمزايا لا يمكن أن تكون إلا بالإسلام وقد عبر عنها القرآن الكريم.

قال الله تعالى:{قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾} [سورة الأعلى آية ٤].

وقوله تعالى:{قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾} [سورة الشمس آية ٩].

فالذي يريد تزكية نفسه هو الذي " اختار لها ما به كمالها ودفع الرذائل عنها " [(٢)]. وذلك أن الذي قام بكل أمر أمره رب العباد، ونهى عنه هو الذي أفلح أي نجح في تحصيل ما أمره به ربه وهو المطلوب، والمطلوب هو أداء المهمة التي من أجلها خلق وهي العبودية، فالتزكية هي إحدى السبل التي تقوي النفس لتقدر على أداء مهمة العبودية وهي التي خلق من

(١) مسلم بن الحجاج بن مسلم، مرجع سابق، جـ ٨، ص - ١١

(٢) محمد الطاهر بن عاشور، مرجع سابق.ج - ٣٠، ص - ٣٧١.

أجلها الإنسان، وكلف بأدائها على أكمل وجه، وإذا قام الإنسان بتزكية نفسه حفظها من خلال أدائه للعبادات وتركه للنواهي والبعد عن الرذائل وعن كل ما حرمه الله سبحانه وتعالى، وهذا ما عبر عنه القرآن الكريم بالفلاح، وذلك ضرب من الحفظ للنفس جاءت الشريعة لتجعله مقصدًا من مقاصدها الضرورية " فحفظ النفس مقصد من مقاصد الشريعة يتعلق بمجمل الكينونة الإنسانية بعناصرها المختلفة ومعنى الحفظ هو توفير أسباب الكينونة والقوى للذات الإنسانية، ودفع أسباب الضعف عنها بحيث تكون على أمثل ما يمكن من وضع لتقوم بأداء مهمتها " [١].

ولذلك جاءت أحكام شرعية كثيرة غايتها حفظ النفس على هذا المعنى، وهي أحكام بلغت من الكثرة والتنوع مبلغا يفيد اليقين بأن حفظ النفس هو كلية من كليات الشريعة ومقصد عام من مقاصد الدين.

وحفظ النفس جاء لأداء مهمة الخلافة وهذا لا يكون بالجسم وحده أو بالروح وحدها إنما بكينونة الذات منهما.

والإنسان الذي تربى تربية إسلامية يحافظ على نفسه وعلى غيره، فلا يرهب غيره بالقتل بدون حق؛ لذا تعتبر الشريعة الإسلامية قتل النفس ظلماً وعدواناً، وقتل للناس جميعاً، وهتك لحرمة الدماء، وسن للقتل، وجرأة منه على الناس. قال الله تعالى:{مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا } [سورة المائدة آية ٣٢].

وشريعة الإسلام دعت إلى تزكية النفس عن كل ما هو محرم؛لذا فهي بريئة من الاتهام بالباطل والإرهاب لأنها شريعة تعظم أمر القتل بغير حق، وترغب في الاحتراز عنه.

الغاية من تزكية النفس: -

إن الغاية من تزكية النفس هي تحقيق العبودية لله سبحانه وتعالى وأن

(١) عبد الحميد عمر النجار، مقاصد الشريعة، مرجع سابق، ص - ١١٥.

يكون الله هو الرب، وأن يكـون الإنسان آخذًا الأمـر من رب العالمين؛ لذا فإن الإنسان المسلم الذي تربـى تربية إسلامية يكـون لـه منهـج مـن رب
العالميـن أي يكـون ربانـي المصـدر قال الله تعالى:{مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ } [سورة آل عمران آية ٧٩].

تعريف الربـاني: -

" الرباني منسوب إلى الرب والرب هو المربي " (١).

والله تعـالى هـو الـذي يربينـا بـالقرآن والإسـلام والدعـوة والبعد التربـوي واضـح فـي هـذا المفهـوم والــرَباني: - نسـبة للـرب ونسـبة للتكـريم والتشريف، والرباني هو الذي يربـي نفسه بـالعلم والعمل يربـي بالمسـائل الصغيرة قبل الكبيرة.

الربانيـة أخـذ وعطـاء فالداعيـة يستمد هـذه الربانيـة مـن الإسـلام والعبـادة والدعوة ثم ينشرها بين الناس عطاء ودعوة وتبليغا (٢).

" والربـاني معنـى كونـه عالمـاً بـه ومواظبـاً علـى طاعتـه... قـال المبـرد: الربانيون أرباب العلم واحدها رباني وهو الذي يرب العلم، ويرب النـاس أي يعلمهم ويصلحهم، ويقوم بأمرهم " (٣).

فمـن صـفات العـالم الربـاني أن يعلـم النـاس مـا ينفعهم مـن أمـور ديـنهم ودنياهم التي يحتاجون إليها.

قـال تعـالى:{بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ } " أي إن العلـم والـتعلم صـفتان رئيسيتان مـن صـفات الربـاني أي يكون شـديد التمسـك بـدين الله وشـرعه

(١) محمد مكرم بن منظور، مرجع سابق، جـ ٥، ص٨٩.
(٢) إبراهيم محمد العلى، مرجع سابق، ص٢١٥.
(٣) محمد الرازي فخر الدين، مرجع سابق، جـ ٤، ص١٢٤.

وطاعة ربه، وأن مجتمع له مع تعليمه الكتاب وتعلمه " [١].

لذا يجب أن " يكون تعلمه لله وتعليمه ودراسته لله وبالجملة أن يكون الداعي له إلى جميع الأفعال طلب مرضاة الله، والصارف له عن كل الأفعال البعد عن عقاب الله...

كما دلت على أن العلم والتعليم والدراسة توجب كون الإنسان ربانيًّا فمن اشتغل بالتعلم والتعليم لا لهذا المقصود ضاع سعيه وخاب عمله " [٢].

لهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو، ويستعيذ من العلم الذي لا ينفع ومن القلب الذي لا يخشع.

كما يجب من تزكت نفسه أن يتحلي ويخالط الناس بالحسنى. فعن يحيى ابن وثاب عن شيخ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال: " المسلم إذا كان مخالطاً الناس، ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم ".

قال أبو موسى: قال ابن أبي عدي: كان شعبة يرى أنه ابن عمر [٣].

فمن أراد التزكية لنفسه فلابد أن يتعلم العلم حتى يؤتى الحكمة وعليه أن يرتفع عن أعراض الدنيا وسفاسفها، وما عند الناس، فالعزة " والترفع تكسب الإنسان هيبة عند العامة والخاصة لأنهم يعرفون علو همة هذا الإنسان، ويعرفون أنه من الصعب أن يصطاد في مطمع دنيوي " [٤].

كما يكون من تزكت نفسه متواضعاً فلا ينتصر لنفسه، ولا يؤذي غيره بقول أو فعل ورد الحق إذا عرفه ولا يشتغل بالناس، ويبدأ بالعلم والعمل؛ لأنه علم فيبدأ بالعمل، وكذلك يقوم بتعليم الناس والحكمة والخير.

---

(١) سعيد حوى، مرجع سابق، جـ ٢، ص٨١١.
(٢) محمد الرازي فخر الدين، مرجع سابق، جـ ٤، ص - ١٢٥
(٣) محمد عيسى الترمذي، مرجع سابق، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب رقم ٥٥ حديث رقم ٢٥٠٧، جـ ٤، ص - ٥٧٢.
(٤) سلمان فهد العودة، ولكن كونوا ربانيين، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، ص - ٢٧.

أنواع تزكية النفس:

تحدث القرآن الكريم والسنة النبوية عن نوعين من التزكية هما: -

١) التزكية الممدوحة:

هي مهمة الرسل صلوات ربي عليهم وسلامه وتتلخص في تطهير النفوس من أرجاس الشرك والكفر وأدناس الذنوب و المعاصي وتنمية الخير في نفوس الناس وزيادة التقوى عندهم قال الله تعالى:{خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾} [سورة التوبة آية ١٠٣].

فمن تزكية النفس أن الله سبحانه وتعالى أمر رسوله الله صلى الله عليه وسلم كما روى أنهم لما أطلقوا قالوا: يا رسول الله هذه أموالنا التي خلفتنا فتصدق بها وطهرنا، فقال: ما أمرت أن أخذ من أموالكم شيئا فنزلت:{خُذ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ } من الذنوب أوجب المال المؤدى بهم إلى مثله. وقرئ تطهرهم من أطهره بمعنى طهره وطهرهم بالجزم جواباً للأمر:{وَتُزَكِّيهِم بِهَا} تنمي حسناتهم وترفعهم إلى منازل المخلصين " [(١)].

والتزكية الممدوحة التي مدحها القرآن الكريم وأثنى على صاحبها وبشره بالفوز والنجاة قال الله تعالى:{قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ } [سورة الشمس آية ٩- ١٠].

" فالتزكية عبارة عن تطهير أو عن الإنماء... والتدسيس إخفاء الشيء في الشيء " [(٢)].

قال الله تعالى:{ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾} [سورة الليل آية ١٨].

" أي يطلب أن يكون عند الله زاكياً، ولا يطلب بذلك رياء ولا سمعة بل

(١) عبد الله عمر البيضاوي، مرجع سابق، حـ ١، ص - ٤٢٠.
(٢) محمد الرازي فخر الدين، مرجع سابق، ح - ١٦، ص - ١٩٤.

يتصدق به مبتغياً به وجه الله تعالى " (١).

والتزكية الممدوحة التي تطهر القلب من الشرك وسائر الذنوب والمعاصي، وتزيد من تقوى المسلم هي منحه الله تبارك وتعالى وتوفيقه، وكما أن تزكية النفس وتطهيرها من سائر الذنوب والمعاصي والأخلاق الرديئة، وتنمية تقواها وزيادة طاعته عز وجل، والكف على محارمه من التزكية الممدوحة قال الله تعالى:{وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾} [سورة النور آية ٢١].

فالتزكية الممدوحة هي التي تنمي الخير والتقوى في النفوس، وهي طريق تؤدي إلى الجنة التي أرشد القرآن الكريم إليها قال تعالى:{وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ} [سورة طه ٧٥ -٧٦].

وتزكية النفس الممدوحة طريق لمضاعفة الحسنات. قال الله تعالى:{وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾} [سورة الروم آية ٣٩].

٢) التزكية المذمومة:

هي التزكية التي نهى عنها الشارع وذمها وقبحها وقبح أهلها وعاب عليهم تزكية نفوسهم، وهذه التزكية تكون بمدح الإنسان نفسه والثناء عليها بما ليس فيها كما كان يحرص اليهود على هذا النوع من التزكية؛فقد كانوا يزكون أنفسهم مدعين ليس لهم ولا لآبائهم ذنوب، فهم أصحاب الجنة لذلك بزعمهم.

قال تعالى:{أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴿٤٩﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا

(١) محمد أحمد القرطبي، الجمع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج - ٢٠، ص - ٦٥.

﴿٥٠﴾} [سورة النساء آية ٤٩-٥٠].

وقال تعالى:{فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾} [سورة النجم آية ٣٢].

ولهذا نهى الله عن هذه التزكية وذمها؛ إذا على الإنسان أن " لا يشهد لنفسه بالكمال والتقى فإن النفس ضعيفة إذا مدحت واغترت وتكبرت قال أبوحيان: - أي لا تنسبوها إلى الطهارة عن المعاصي ولا تثنوا عليها، فقد علم الله منكم الزكي والتقي قبل اخراجكم من صلب آدم، وقبل اخراجكم من بطون أمهاتكم:{هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ} أي هو الله تعالى العالم بمن أخلص العمل، واتقى ربه في السر والعلن " (١).

أهمية الطبيعة الإنسانية لتزكية النفس: -

إن تناول الطبيعة الإنسانية من خلال القرآن الكريم؛ لهو المصدر الإلهي الذي أنزله الله رب العالمين الذي خلق الإنسان، وهو الذي يعلم من أسراره مالا يعلمه الإنسان نفسه عن نفسه، الخالق سبحانه وتعالى هو الأعلم بمخلوقاته.

قال الله تعالى:{أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٤﴾ } [سورة الملك آية ١٢].

فالقرآن الكريم وضح الطبيعة الإنسانية، وركز الاهتمام على إنسانية الإنسان لا على حيوانيته، لذا فالإنسان له طبيعة معينة وهي كالتالي:

١) الفطرة الإنسانية في الإسلام:

الفطرة في اللغة: هي " الخلقة التي يكون عليها كل موجود أول خلقته، والطبيعة السليمة لم تشب بعيب. قال الله تعالى:{فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾ } [سورة الروم آية ٣٠].

---

(١) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م، ط١، جـ ٣، ص - ٢٧٧.

والفطرة السليمة في اصطلاح الفلاسفة: - " استعداد لإصابة الحكم والتمييز بين الحق والباطل... والفطرة: القول بأن الأفكار والمبادئ جبلة موجودة في النفس قبل التجربة والتلقين " (١).

والفطرة هي الخلقة أو الطبيعة الأولى للإنسان قبل أن يتعرض للمؤثرات البيئية الخارجية التي تصيبه العيوب والانحراف، فإن علينا أن نتعرف على ملامح الخلقة السوية أو الفطرة كما رسمها الإسلام.

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :{**ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء**}. ثم يقول أبو هريرة رضى الله عنه: قال الله تعالى:{فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ} (٢).

" وقد اختلف في معنى الفطرة والمراد بها. فقال القاضي أبو يعلى في معنى الفطرة: هاهنا روايتان عن أحمد، إحداهما: الإقرار بمعرفة الله تعالى. وهو العهد الذي أخذه عليهم من أصلاب آبائهم حتى مسح ظهر آدم فأخرج من ذريته إلى يوم القيامة أمثال الذر. قال الله تعالى:{وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾} [سورة الأعراف آية ١٧٢].

فليس أحد إلا وهو يقر بأن له صانعاً ومدبراً، وإن سماه بغير اسمه قال الله تعالى:{وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾} [سورة الزخرف آية ٩].

فكل مولود يولد على ذلك الإقرار الأول. قال: وليس الفطرة هنا

---

(١) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، جـ ٢، ص - ٧٢٠.

(٢) محمد إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، دار إحياء التراث، بيروت، د.ن، جـ ٢، ص - ١١٨.

الإسلام لوجهين أحدهما أن معنى الفطرة ابتداء الخلقة. ومنه قوله تعالى: {فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْض أَنت وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَة ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا } [سورة يوسف آية ١٠١].

أي مبتدئها، وإذا كانت الفطرة هي الابتداء وجب أن تكون تلك هي التي وقعت لأول الخليقة، وجرت في فطرة المعقول وهو استخراجهم ذرية، لأن تلك حالة ابتدائهم... وفي رواية الميموني، فقال: الفطرة الأولى التي فطر الناس عليها، فقال الميموني: الفطرة الدين. قال: نعم، قال القاضي: وأراد أحمد بالدين المعرفة التي ذكرناها. قال: والرواية الثانية الفطرة هنا ابتداء خلقه في بطن أمه، لأن حمله على العهد الذي أخذه عليهم، وهو الإقرار بمعرفته حمل للفطرة على الإسلام " (١).

ومن خلال تعريف الفطرة وما جاء في أقوال السلف الصالح، إذ هي المعرفة التي أخذ العهد عليها من بني آدم بالإقرار على نفسه فكانت " الفطرة الإنسانية مؤمنة، والإيمان حاجة فطرية، وحاجة عقلية لا يستغني الإنسان عنها، وهذه الحاجة مركوزة في كينونة الإنسان وهو مفطور عليها " (٢).

فالفطرة الإنسانية بحاجة إلى معرفة الخالق الذي خلقها، الذي عرف ضعفها وقدرتها، وعرف أحوالها حتى تلتجئ إليه، فالإنسان يواجه أحوالاً في الحياة، فيحتاج إلى قوة أكبر من قوة الإنسان لذا " فالفطرة لا تحتاج إلى مجرد إله، بل تحتاج إلى وحدانية هذا الإله بدافع ذاتي فيها في المواقف التي تهز كيانها، وتنفض عنها الركام، وتردها إلى الاستقامة سواء في ذلك مواقف الشدة والحاجة، أو مواقف التدبر لهذا الكون وموافقاته، وعلامات الاستفهام الملحة على الفطرة فيه " (٣).

(١) محمد بن أبي بكر بن قيم، شفاء العليل، دار التراث، القاهرة، د.ت، ص - ٥٥٩.
(٢) سيد قطب، مقومات التصور الإسلامي، دار الشروق، القاهرة، ١٤٠٧هـ - ١٩٩٧م، ص - ٣٦٤.
(٣) المرجع السابق، ص - ٣٦٤.

لذلك قال الله تعالى:{هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمۡ فِى ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِى ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ ۙ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾} [سورة يونس آية ٢٢-٢٣].

مخلصين له الدين أي " ممحضين له العبادة في دعائهم أي دعوه، ولم يدعو معه أصنامهم، وليس المراد أنهم أقلعوا عن الإشراك في جميع أحوالهم، بل تلك حالتهم عند الشدائد، وهذا إقامة حجة عليهم بعض أحوالهم " (١)، فهذا دليل فطري على الإيمان في الطبيعة الإنسانية، وأما الكفر فأمر عارض يغطي الفطرة المؤمنة والكافر ينزع إليها الكافر في الشدائد، وبعد انجلاء الشدائد التي تظهر طهارة الفطرة يعود الكافر إلى دنيا الكفر والعصيان، ومن خلال هذه الفطرة السليمة تكون العبودية لله، وهي حاجة ملحة تلبي الحاجة الفطرية، وهي الرغبة في " الاتصال بالله، ويتعبد إليه راغباً في محبته ساعياً إلى رضاه " (٢).

ومن خلال التصور الإسلامي لكي يلبي حاجة الفطرة قام " بالاعتراف بطهارة الطاقات البشرية في ذاتها، وإعطاؤها المجال الذي تتحرك فيه، فلا تكبت طاقة واحدة فطرية باسم أنها نجسة أو قذرة، وبخاصة طاقة الإنسان " (٣).

والفطرة الإنسانية " تتطلب ديناً ييسر ولا يعسر في عبادة الله لتواكب كل فئة النفوس والطبائع والقدرات، وتواكب مختلف المواقف التي يتعرض لها الإنسان، ويكون قادراً على استيعاب، وتذوق جميع شؤون الحياة حتى المتع والمتاع واللذات الخاصة إذا صاحبها ذكر الله بشرط أن

(١) محمد الطاهر عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ج - ٦، ص - ١٣٨.
(٢) محمد قطب، دراسات في النفس الإنسانية، دار الشروق، القاهرة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ص - ٥٢.
(٣) سيد قطب، مقومات التصور الإسلامي، دار الشروق، القاهرة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ص - ٣٦٤.

تكون حلالاً طيباً " [١].

لذلك شرع الله الإسلام موافقاً للفطرة الإنسانية على طبيعتها التي خلقها الله، وبذلك كان الإسلام هو الدين الذي تحتاجه النفس الإنسانية حتى يزكيها من لوثة الشرك، ويجعلها طائعة، مزكاة من دون أي لوثة لا تحقق السعادة الفعلية.

فالفطرة الإنسانية تتمثل في طهارة المسلم ظاهراً وباطناً، فأما طهارة الباطن فهي متعلقة بالقلب وتعني تطهير النفس الإنسانية من الشرك، وتتطلب الإخلاص في العبادة، والقيام بالأعمال الصالحة، والأفعال الخيرة، وأما الطهارة الظاهرة فهي الفطرة العملية التي تشمل كل ما كان متعلقاً بجمال المظهر عند الإنسان المسلم، وحسن سمته، لما في ذلك من ملائمة للفطرة السوية التي خلق الله الإنسان عليها، والتزم بهدي النبوة المبارك.

عن عبد الله بن عباس رضى الله عنه قال: أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال:{**إن الهدي الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزءٌ من خمسةٍ وعشرين جزءاً من النبوة**}[٢].

عن عبد الله بن سرجس المزني: - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:{**السمت الحسن والتؤدة والاقتصاد جزءٌ من أربعة وعشرين جزءًا من النبوة**}. وفي الباب عن ابن عباس هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ [٣].

كما أن في الحديثين تربية للمتعلم وتزكية له عن كيفية السمت الصالح والاقتصاد في الأمور " قال التوربشتي الاقتصاد على ضربين أحدهما ما

(١) عبد المنعم خلاف، المادية الإسلامية و أبعادها، دار المعارف، القاهرة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ص - ١١.

(٢) سليمان الأشعث السجستاني أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب الوقار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، جـ ٤، ص - ٢٦٤، حديث حسن، الألباني، ج - ٣، ص - ٩٠.

(٣) محمد عيسى الترمذي، مرجع سابق، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في التأني والعجلة، ج - ٤، ص - ٣٢١ - ٣٢٢، حديث رقم ٢٠١٠.

كان متوسطاً بين محمود ومذموم كالتوسط بين الجور والعدل وهذا المراد بقوله تعالى ومنهم مقتصد وهذا محمود ومذموم بالنسبة والثاني متوسط بين طرفي الإفراط والتفريط كالجود فإنه متوسط بين الإسراف والبخل وكالشجاعة فإنها متوسطة بين التهور والجبن وهذا هو المراد في الحديث... والسمت يكون في حسن الهيئة والمنظر من جهة الخير والدين لا من جهة الجمال والزينة "[(١)].

ومن الحديثين فإن " الاقتصاد المحمود على الإطلاق (جزء) أي كلها أو كل منها (من أربعة وعشرين جزءاً) ويؤيد الأخير ما رواه الضياء المقدسي عن أنس مرفوعاً " السمت الحسن جزء من خمسة وسبعين جزءاً من النبوة " مع زيادة أن المراد بالعدد المذكور التكثير لا التحديد، وينصره حديث ابن عباس عند أبي داود: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:{**إن الهدي الصالح والسمت الصالح جزء من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة**}، على أنه يمكن الاختلاف بحسب الكمية والكيفية الحاصلة في المتصف به (من النبوة) أي من أجزائها "[(٢)].

فهذه الخصال من شمائل، وأخلاق أهل النبوة؛ لذا فالرسول صلى الله عليه وسلم هو قدوتنا التي نقتدي بها في كل زمان ومكان، وهو صاحب الفطرة السوية الذي اصطفاه ربه جلّ وعلا، وجعله أسوة حسنة. قال الله تعالى:{لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾} [سورة الأحزاب آية ٢١].

لذا بعثه الله لأمته معلماً ومزكياً لهم وهادياً لهم إلى الصراط المستقيم. قال الله تعالى:{لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ

---

(١) أحمد علي العسقلاني، فتح الباري، باب الهدي الصالح، مرجع سابق، جـ ١٠، ص - ٥٢٦.

(٢) محمد عبد الرحمن المباركفوري، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، كتاب البر والصلة، دار الكتب العلمية، بيروت،، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ج - ٦، ص - ١٢٧.
محمد عبدالواحد المقدسي، الأحاديث المختارة، تحقيق عبد الملك بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ١٤١٣هـ - ١٩٩١م، جـ ٦، ص - ١٩٤، حديث رقم ٢٢٠٩.

يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ } [سورة آل عمران آية ١٦٤].

ولقد امتدح الله سبحانه نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم كقدوة حسنة في خلقه. قال الله تعالى:{وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾} [سورة القلم آية ٤].

فالرسول صلى الله عليه وسلم جسد في واقعه صورة صاحب الفطرة السوية والشخصية الفذة المتكاملة المتوازنة.

٢ـ الإنسان خليفة الله في الأرض:

لقد كرم الله سبحانه وتعالى وجعله خليفة في الأرض يقوم بتعميرها، وحمله أمانة الرسالة، ويقوم بما أمره الله، وسخر له ما في الكون، وزوده بالعلم الذي له فيه الصلاح والخير والحق إن التزم بالشريعة التي أنزلها سبحانه وتعالى، وحمله التكليف. فالإنسان خليفة في الأرض، وهي خصوصية خصه الله بها؛ لذا خلقه في أحسن تقويم. قال الله تعالى:{لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾} [سورة التين آية ٤].

وجعل له من الصفات التي يتصف بها، والتي ميزته عن غيره من المخلوقات في الأرض فكان منها:

أ ـ التعلم والتعليم:

خلق الله الإنسان وجعل له قدرات، وإمكانيات عقلية حتى يستطيع أن يدرك ما تقع عليه حواسه والتي تغذي حياته الباطنية بالمعاني المجردة، والتي توحي له بها من خلال حواسه.

والإنسان " يتمتع بالقدرة على إعطاء هذه المدركات ما توحي به هذه المصطلحات اللغوية التي يستطيع أن يعبر عنها بالبيان، والقراءة، والكتابة، فيستطيع أن يدون معلوماته وخبراته له وللآخرين، وأن تبادل المعلومات والخبرات يثري الحياة في مسيرتها العلمية والعملية فيصل الإنسان بها إلى مزيد من الرقي " (١).

---

(١) عبد الكريم الخطيب، الإنسان في القرآن الكريم، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٣٩٩هـ

والإنسان من رقيه العلمي والعملي تتزكى نفسه، ويصبح هذا الخليفة مزكى النفس بما يقوم به من أعمال صالحة ترفعه إلى منازل الصالحين المصلحين؛ لذا أكرمه الله سبحانه وتعالى بقدرات عقلية هي محور خلافة الإنسان، من خلال هذه القدرات يتحمل الإنسان التكاليف وأداء الأمانة، ومن خلال الإدراك والفهم والتمييز بين الطيب والخبيث، وبذلك يتميز عن سائر المخلوقات بأنه الكائن المهيأ للتفكير والتعليم والتعلم، وتحمل المسؤولية والأمانة، ومن خلال هذا التكريم وجب على الإنسان تزكية نفسه حتى ينال الدرجات العلى من الجنة.

ب : خلق الله الإنسان في أحسن تقويم:

والإنسان خلقه الله في أحسن تقويم، قال الله تعالى:{وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝ } [سورة التين آية ١-٨].

فالحسن له وجوه " أحدهما أنه تعالى خلق كل ذي روح مكباً على وجهه إلا الإنسان خلقة مديد القامة يتناول مأكوله بيده، وقال الأصم: في أكمل عقل وفهم وأدب وعلم بيان " (١).

ولقد مدح الله:{ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ} " أي صاروا بالإيمان إلى الفطرة التي فطر الله عليها فرجعوا أصلهم إلى أحسن تقويم " (٢).

وبذلك " تتجلى قيمة الإيمان في حياة الإنسان أنه المرتقي الذي تصل فيه الفطرة القويمة إلى غاية كمالها، إنه الحبل الممدود بين الفطرة وبارئها،

- ١٩٧٩م، ص - ٢٥ - ٢٦.

(١) محمد الرازي فخر الدين، تفسير الفخر الرازي، مرجع سابق، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ج - ٣٢، ص - ١٢.

(٢) محمد الطاهر عاشور، مرجع سابق، ج - ٣٠، ص - ٤٢٨.

إنه النور الذي يكشف لها مواقع خطاها المرتقي الصاعد إلى حياة الخالدين " [١].

" و لما كان الإنسان له قوتان: قوة العلم، وقوة العمل، وله حالتان: حالة يأتمر فيها بغيره وحالة يأمر فيها غيره، استثنى الله سبحانه وتعالى من كمل قوته العلمية بالإيمان، وقوته العملية بالعمل و بهاتين القوتين العلمية والعملية يتزكى الإنسان، ويصبح زكياً بتوفيق الله سبحانه وتعالى ونعمة منه[٢].

ولا مجال بعد ذلك كله إلى القول بأن الطبيعة الإنسانية شريرة بل هي طبيعة ركبت أفضل تركيب. قال الله تعالى:{ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾} [سورة الانفطار آية ٧-٨].

" ويؤكد القرآن هذه الصورة الجميلة للطبيعة الإنسانية، والتكوين المتكامل للإنسان الذي يؤهله للقيام بالخلافة في الأرض " [٣].

قال الله تعالى:{خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾} [سورة التغابن آية ٣].

ج: القدرة على التفكير:

إن الله سبحانه وتعالى أكرم الإنسان بالقيام بالعمليات العقلية العليا، كالتفكير المجرد الذي يتعلق بأمور معنوية مجردة، والتأمل والتدبر في ظواهر الكون والتخيل والنظر العلمي بقصد الكشف عن الحقيقة في موضوعية وتجرد من الهوى والمؤثرات الذاتية، وذلك لتدبر وقبول الحقائق عن بصيرة وإرادة وقصد واقتناع وللوقوف عن حجة واقتناع ولمعرفة الكثير عن نفسه وعن العالم من حوله وبالتالي معرفة ربه.

فمن خلال النظر والتفكير في خلق الإنسان يعرف بأن له رباً خلقه. قال

(١) سيد قطب، مرجع سابق، ج - ٦، ص - ٣٩٦٤.
(٢) عبد العزيز ناصر الجليل، وقفات تربوية، دار طيبة، الرياض، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ج - ٥، ص - ٢١.
(٣) عبد الفتاح جلال، مرجع سابق، ص - ٢٩.

الله تعالى:{وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾} [سورة الذاريات آية ٢١].

من خلال خلق الإنسان ومراحله في الخلق يتفكر الإنسان ويعرف قدرة ربه فيكون بمعرفته ربه عبداً طائعاً مخلصاً عمله لله سبحانه وتعالى.

والقدرة على التفكير تؤدي بالإنسان إلى " تحقق تزكية القدرات العقلية من خلال أمور ثلاثة الأول تزكية مسار الفكر، والثاني تزكية أشكال التفكير والثالث تزكية أساليب التفكير.

والإنسان يحقق تزكية مسار الفكر من خلال تنمية القدرات العقلية على التوجه للأهداف التي خلقت من أجلها وهي تدبر شؤون الإنسان وتنظيم علاقاته بالخالق والكون والإنسان والحياة والآخرة " (١).

إذاً فالتفكير ضرورة إنسانية لا غنى للإنسان عنه منذ بداية خلقه إلى أن يقضى الله أمره وينتهي الوجود.

والتفكير وسيلة الإنسان ليواجه المشكلات التي تجابهه في محيط بيئته الطبيعية والاجتماعية، وبالتفكير يستطيع الإنسان أن ينظم علاقة بالإنسان والكون والحياة والآخرة حتى يزكي نفسه بعونه تعالى، فيتعامل على ضوء هذه العلاقة لتحقيق العبودية لله سبحانه وتعالى ولقد حض القرآن الكريم على التفكير فأمر الله سبحانه وتعالى بالتفكر في خلق الإنسان وفي خلق السموات والأرض وخلق كل ما تظله أو تحمله السموات والأرض...

قال الله تعالى:{أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾} [سورة الروم آية ٨].

ولقد أكرم الله الإنسان بما يساعده على التفكر فجعل له السمع والبصر والحواس والعقل والفؤاد يتفكر في خلق الله لذا ينقسم التفكير إلى قسمين كبيرين: -

---

(١) ماجد عرسان الكيلاني، مرجع سابق، ص١٣٢.

الأول: - تفكير ممدوح ويحبه الله عز وجل ويأمر به ويحث عليه وهو ما ندب إليه القرآن الكريم وختمه

بقوله تعالى (أفلا تعقلون) (لعلكم تعقلون) وهي المجالات التي تؤدي إلى محبة الله عز وجل.

الثاني: - تفكير مذموم يسخطه الله وينهي عنه وهو التفكير في المجالات التي لم يعط الإنسان القدرة على التفكير فيها وإدراكها كالأمور الغيبية.... والخواطر الرديئة والوساوس الشيطانية والأماني الباطلة التي لا تثمر إلا الأمراض القلبية والشكوك والشبهات " [١].

د: التسخير: -

إن الله أكرم الإنسان وسخر له الله سبحانه وتعالى ما في السماء والأرض لكي يتمكن من أداء وظيفته كخليفة لله في الأرض ومن حيث إن الإنسان يكون من عناصر الأرض، فإنه الأجدر والأقدر على التعامل معها لأنه مخلوقاً منها.

وأما المخلوقات التي خلقها الله من الأرض فتتكون من عناصرها، " وهي مما سخر للإنسان للاستفادة منها وهو القادر على التعامل معها جميعاً لتفوقه عليها بما منحه الله من قدرات عقلية ونفسية لم تكن كغيره من المخلوقات " [٢].

قال الله تعالى:{ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾} [سورة الجاثية آية١٢- ١٣].

---

(١) عبد العزيز ناصر الجليل، أفلا تتفكرون، دار طيبة، الرياض ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص - ٤٦.

(٢) الراغب أبو القاسم الحسين الأصفهاني، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ص - ٦٢ - ٦٣.

وقال تعالى:{وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ} [سورة الزخرف آية ١٢- ١٣].

" إنها دلالة على الوحدانية، إلى التذكير بما سخر الله للناس من المخلوقات وتصاريفها من حيثُ كانت منافع للناس تقتضي أن يشكروا مقدرها... من تسخير البحر، وتسخير ما في السموات والأرض دلائل على تفرد الله بالإلهية فهي وإن كانت مننا يحق أن يشكرها الناس فإنها أيضاً دلائل إذا تفكر فيها المنعم عليهم اهتدوا... وأوثر التفكر في آخر صفات المستدلين بالآيات لأن الفكر هو منبع الإيمان والإيقان والعلم " (١).

لذا على الإنسان بعد أن سخر الله له كل ما في الكون أن يكون عبداً شكوراً مؤمناً بالله واليوم الآخر، فيحقق معنى العبودية الحقة لله سبحانه وتعالى ومن خلال هذه العبودية يتزكى بإذن الله إذا أصبح عبداً شاكراً لله همه رضاء الله ومحبته فيعبده حق عبادته، فالإيمان بالله واليوم الآخر وعبادة الله رب العالمين بأنواع العبادات التي أمر بها حتى تزكي النفس الإنسانية.

علاقة تزكية النفس بالتربية:

إن تزكية النفس لها علاقة بالتربية وسيتضح ذلك من خلال ما يلي: -

مفهوم التربية: -

التربية مشتقة من رب وهو الله عز وجل هو رب كل شيء.. أي مالكه ومستحقه وقيل صاحبه، ويقال فلان رب البيت ورب الدابة وهن رباب الحجال أي صاحباتها قال الله تعالى:{ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ} [سورة الفاتحة آية ٢٠].

(١) محمد الطاهر عاشور، مرجع سابق، ج - ٢٥، ص - ٣٣٧ - ٣٣٨.

" وكل من ملك شيئاً فهو ربه... والرب يطلق في اللغة على الملك والسيد والمدبر، والمربي والقيم والمنعم... وفي الحديث (لك نعمه تربها) أي تحفظها وتراعيها وتربيها كما يربي الرجل ولده.

والسحاب: رب المطر أي يجمعه وينميه... والمطر رب النبات والثري وينميه والمرب الأرض التي لا يزال بها ثرى... وقيل المرباب من الأرضيين التي كثر نبتها ونأمتها " [١].

وذلك نستخلص أن التربية بمعناها اللغوي تلخصت في عدة دلالات:

١) الزيادة والنماء والعلو والتطوير.

٢) الاعتناء والرعاية والتغذية والإصلاح والتحسين.

٣) السيادة والسياسة والتدبير والملك.

٤) التنمية.

ومن خلال تعريف التربية والتزكية لغة وجد الباحث ما يلي: -

١) يشتركان في الزيادة والنماء.

٢) يشتركان في الإصلاح والصلاح.

ويختلفان فيما يلي: -

١) التثمير حيث التزكية تثمير وتربية ذاتية وتستمر على مدى الحياة.

٢) الصفوة وهي أن التزكية تكون بالقيام بأحسن ما عند الإنسان من أعمال وزيادة في ذلك.

ومن هذا المنطلق فإن مفهوم التربية يمكن تحديده كالآتي:

هي إعداد المسلم إعداداً كاملاً من جميع النواحي في مراحل نموه للحياة الدنيا والآخرة في ضوء المبادئ والقيم وطرق التربية التي جاء بها الإسلام " [٢].

---

(١) محمد مكرم بن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج - ٥ ص - ٩٥ - ٩٧.

(٢) مقداد يالجن، أهداف التربية الإسلامية، دار الهدى للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، ص - ٢٠.

ولإيجاد العلاقة بين التربية والتزكية للنفس نستطيع إيجادها من خلال ما يلي:

١) " التربية تعتبر عملية حياتية في المجتمع البشري وهي ليست عملية سهلة أو بسيطة ولكنها معقدة ومركبة وهي ليست مسؤولية جهة معينة في المجتمع ولكنها مسؤولية المجتمع كله، كما أنها يجب أن تتم في مرحلة الطفولة حيث عدم النضج والطواعية ومن ثم سهولة إتمامها كما حدث ويحدث " [١].

كما جاء في قوله تعالى:{قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾} [سورة الشعراء آية ١٨].

وكما جاء في قوله تعالى:{وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ } [سورة النساء آية ٢٣].

وكما جاء في قوله تعالى:{ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾} [سورة الإسراء آية ٢٤].

وتشير الكلمة في الآيات التالية إلى أن " التربية في هذه المرحلة مسؤولية الأسرة حيث يقدم للوالدين برعاية الطفل والعطف عليه وهو صغير محتاج... وهكذا يرتبط مصطلح " التربية " في الآيات بالإعداد والرعاية في مرحلة الطفولة في البيت " [٢].

٢) تقوم التربية الإسلامية على أساس أن العبادة الصحيحة لله هي وسيلة تزكية للنفس الإنسانية التي يشير إليها القرآن الكريم. قال الله تعالى: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾

(١) سالم حسن هيكل، تربية وتنشئة الفرد في إطار متوازن بين ثقافة مجتمعه والاحتكاك بالمثقفات المجتمعية الأخرى، ندوة مدرسة المستقبل، كلية التربية - جامعة الملك سعود، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ص - ٢.

(٢) عبد الفتاح جلال، من الأصول التربوية في الإسلام، المركز الدولي للتعليم الوظيفي للكبار، سرس اللياس، ١٣٩٧م - ١٩٩٧م، ص - ١٧.

وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾} [سورة الشمس ٧-١٠].

" وهي كذلك وسيلة للتربية ذلك أن الهدف الأخير للتربية هو تزكية النفس ومن ثم كانت وسيلة التزكية هي ذاتها وسيلة التربية " (١).

٣) التزكية وهي " أقرب الكلمات وأدلها على معنى التربية بل تكاد التزكية والتربية ترادفان في إصلاح النفس وتهذيب الطابع وشد الإنسان إلى أعلى كلما حاولت المثبطات والهواجس أن تسف به وتعوج " (٢).

لذا فإن التزكية فعل مستمر مع الإنسان في جميع مراحله العمرية يقوم أولا على مسؤولية الإنسان عن نفسه ومصيره الشخصي ومسؤوليته تجاه من يعيش معهم في أسرته ومجتمعه وأمته وعالمه الإنساني.

٤) فتزكية النفس " كمصطلح يمكن إحلاله بديلاً لمصطلح التربية المستمرة والتربية الذاتية لكن نجد الإشارة إلى أن فعل التزكية للآخرين قد يتضمن تربية لهم حين يكونون ممن لم يصل إلى الرشد بعد... فالتربية والتزكية عمليتين تستهدفان جلب الخير لهذا الكائن الإنساني وإبعاد الشر عنه حين يقوم إنسان ما بالرعاية والتوجيه لآخر صغير أو عاجز يصح عند القول بأنه يربيه ويزكيه معا، ويمكن القول عندها أن التربية هي نوع من التزكية للإنسان بمعناها المادي العملي والمعنوي الأخلاقي، يقوم الآخرون بدلاً عنه لقصور قدراته الحالية عن القيام بالتزكية لنفسه " (٣).

مع التأكيد أن التزكية لا يصح حصرها فقط في التربية أو مساواتها بها، فالإنسان يتعرض للتزكية في جميع حالاته ومراحل حياته. بينما لا يتعرض للتربية سوى في طفولته أو بقدر ضعفه فالعلاقة جزئية بين التربية والتزكية، فالتربية هي جزء من التزكية والتزكية تشمل التربية على الصعيد الاجتماعي العام.

(١) محمد قطب، النظرية التربوية الإسلامية، ندوة خبراء أسس التربية الإسلامية، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٤٠٠ هـ - ١٩٩٠، ط٢، ص - ١.
(٢) محمد الغزالي، نظرية التربية الإسلامية للفرد والمجتمع، المرجع السابق، ص - ١.
(٣) سمر بنت محمد ناصر العريفي، مرجع سابق، ص٢٨.

فالعلاقة بين التربية والتزكية تكاملية على صعيد الدور الاجتماعي للإنسان المسؤول في كون التزكية دور اجتماعي يقوم به الإنسان الصالح المصلح في علاقته بالآخرين في مجتمعه الذي يحتم عليه القيام بالدورين، فيكون مربياً ومزكياً تجاه غيره من الناس تبعاً لسن ورشد من يتعامل معهم في مجتمعه الذي يعيش فيه، حيث مسؤوليته في التربية أن يقوم بالرعاية لتربية الصغار والضعفاء [(١)].

وهي علاقة تكاملية على الصعيد الشخصي أيضا في كل مرحلة من مراحل عمر الإنسان، فكلما اقترب الإنسان من سن الرشد نقصت حاجته للتربية، وزادت في نفس الوقت مسؤوليته في تعهد نفسيه بالتزكية متحرراً من تربية أحد من البشر له، وبقدر ما يكون مزكياً لنفسه لا يكون بحاجة إلى وصايا البشر الآخرين التربوية عليه. بينما حين تصاب قدرات الإنسان العقلية وتقديراته الأخلاقية بالنقص الشديد في حالات الجنون والعته، فيكون عاجزاً عن التقدير السليم لمصلحته أو مصلحة الجماعة التي يشاركها العيش عندها يعود حالة النكوص إلى أحد أشكال الضعف الذي يحتاج معه إلى رعاية تربوية شاملة ممن يقوم على مصلحته وتدبير شؤونه؛ لذا شرع الإسلام القيام بالحجر على أموال السفهاء مع ضرورة القيام بشؤونهم وعدم إهمالهم في شتى النواحي.

قال الله تعالى:{وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾} [سورة النساء آية ٥].

العملية التربوية تقوم على الوصاية الكاملة على السفيه مع رعايته، وإن كان شخص بالغاً.

" والعلاقة بين التربية والتزكية تبادلية في الكثير من الأحيان خصوصاً مع الصغار، فكثيراً ما يجد المرء أن من يقوم بتربيته يساهموا بفاعلية في تزكية لنفسه، ليكون قدوة لهم وجديراً بتربيتهم " [(٢)].

(١) المرجع سابق، ص٢٨ - ٢٩.
(٢) المرجع سابق، ص٢٨ - ٢٩.

ويقوم المُربي بتربية هؤلاء الصغار ليقوموا هم بتزكية أنفسهم يوماً ما، ومن خلال التربية الإسلامية تظهر تزكية النفس في المرء وفي المجتمع.

فيتضح من خلال ما سبق معنى التزكية في اللغة والاصطلاح، ومدى أهميتها لكل فرد من أفراد المجتمع، وتحقيق مدي أهمية تزكية النفس للطبيعة الإنسانية وللتربية.

الخلاصة: ـ

من خلال هذا الفصل تعرفنا على معنى تزكية النفس، وأهميتها، وضرورتها، وأركانها، والغاية منها، وأهمية الطبيعة الإنسانية والتربية لتزكية النفس، وعلاقة التربية بتزكية النفس.

وستتم في الفصل التالي دراسة مجالات تزكية النفس في جانب العبادة، والعقل، والجسم، والأخلاق، والاقتصاد، والناحية الاجتماعية، والناحية والسياسة، فكل هذا الأمور تؤدي إلى تزكية النفس.

* * *

الفصل الثاني:
مجالات تزكية النفس

* توطئة
* تزكية النفس والعقيدة.
* تزكية النفس والعبادة.
* تزكية النفس و العقل.
* تزكية النفس و الجسم.
* تزكية النفس و الأخلاق.
* تزكية النفس و الاقتصاد.
* تزكية النفس و الناحية الاجتماعية
* تزكية النفس والناحية السياسية
*خلاصة

توطئة: ـ

الإنسان في نظر الإسلام أكرم الكائنات، فقد خلقه الله في أحسن تقويم قال الله تعالى:{لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾} [سورة التين آية ٤].

وتولاه بالعلم والتعليم، والإلهام، وحلاه بالعقل الكريم، والقلب السليم، وأعده لشرف خلافة الأرض ما تقصر من دونه الخواطر، وتعي عن إدراكه المدارك، وناهيك بروح نسبها الله إلى نفسه، وأسجد له الملائكة، وبها امتاز عن سائر العوالم.

قال الله تعالى:{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾} [سورة البقرة آية ٣٠-٣٤].

فمكان الإنسان أشرف مكان له في ميزان العقيدة، وفي ميزان الفكر، وفي ميزان الخليقة التي توزن بها طبائع الكائن بين الكائنات [(١)].

والله سبحانه وتعالى كلف الإنسان بالعمل بشرط سعة طاقة المكلف، وبالسعي الذي يسعاه لربه ولنفسه.

قال الله تعالى:{لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ

(١) عباس محمود العقاد، الإنسان في القرآن، المجلد الخامس من الأعمال الكاملة، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م، ص

ٱلۡكَـٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾} [سورة البقرة آية ٢٨٦].

والإنسان هو موضوع التربية، ومحور عمل المؤسسات التربوية، وهذا يتطلب وضوحاً في بحث طبيعته؛ لأن الغموض أو الاختلاف في فهم طبيعة الإنسانية يعني التعمية والتضارب في مفاهيم عن أساليب تزكية النفس الإنسانية، ودراسة طبيعة النفس الإنسانية، وسوف يدرس في هذا الفصل عن المجالات التي تتزكي بها النفس حتى تصبح نفساً زكيةً بإذن الله تعالى.

مجالات تزكية النفس في الإسلام:

إن التصور الإسلامي للإنسان على أنه إنسان مكرم خلقه الله ونفخ فيه من روحه، وجعله خليفة في الأرض كي يحقق الغاية من وجوده، وحتى يتزكى الإنسان جعل الله له مجالات، ومن خلال هذه المجالات يتزكى الإنسان وتصبح نفسه زكية بإذن الله تعالى.

١) تزكية النفس والعقيدة: ـ

إن الإنسان خلقه الله سبحانه وتعالى وجعل له الهداية باستخدام الطريق الصحيحة حتى يعيش في حياته مطمئناً سعيداً بما حققه في حياته الدنيا ليسعد وينال الخير في الآخرة، لذا عليه أن يتخذ من الأساليب والطرق الصحيحة التي تؤدي به إلى تزكية النفس فمن الأمور العقدية التي تتزكى بها النفس.

أ) **التمسك بكتاب الله وسنة نبيه** صلى الله عليه وسلم : ـ

إن الإنسان الذي يريد أن يزكي نفسه، ويتخذ ذلك سبيلا عليه أن يتمسك بكتاب الله عز وجل قال الله تعالى:{وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾} [سورة الأنعام آية ١٥٣].

فالتمسك بكتاب الله في حياة الإنسان فيه السعادة والخير قال الله تعالى: {فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ } [سورة يونس آية ١٠٨].

فالقرآن حجة على الناس وهو من أعظم وسائل التربية والتزكية إذ فيه من الأخبار عن الأمم السابقة والآتية قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم :{وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾} [سورة هود آية ١٢٠].

والتمسك بكتاب الله طريق إلى تزكية النفس إذ هو السبيل إلى النجاة والفوز بالجنة. قال الله تعالى:{وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾} [سورة الحج آية ٧٨].

ومن خلال قيام إنسان التربية الإسلامية بالتمسك بكتاب الله يصبح في منزلة الاعتصام به " إذ يوجب له الهداية واتباع الدليل، والاعتصام والتمسك بالله يوجب له القوة والعدة والسلاح والمادة التي يستلم بها طريقه " (١).

فالتمسك بكتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم استجابة لله، وفيه التحرر للمسلم من أغلال الجهل والشرك والشبهات، وتحرر من ذلك العبودية للبشر، وتحقيق العزة؛ لذا قال الله تعالى:{مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾} [سورة الحشر آية ٧].

والإنسان بهذه الآية يتزكى إذ اتخذ ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم والرسول نفسه قدوة له في حياته، إذ الرسول صلى الله عليه وسلم هو الإنسان الذي زكاه ربه.

وهذه الآية فيها " وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وحدثنا

(١) محمد بن أبي بكر بن القيم، مرجع سابق، ج - ١ - ص - ٤٥٨.

سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :{**اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر**} حدثنا سفيان بن عيينة عن مسعر بن كدام عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه أمر بقتل الزنبور قال علماؤنا وهذا جواب في نهاية الحسن أفتى بجواز قتل الزنبور في الإحرام وبين أنه يقتدى فيه بعمر، وأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالاقتداء به، وأن الله سبحانه أمر بقبول ما يقوله النبي صلى الله عليه وسلم فجواز قتله مستنبط من الكتاب والسنة " [(١)].

لذا فالتمسك بكتاب الله وسنة رسوله من أسس التزكية التي يجب تحقيقه في حياة الإنسان كلها.

٢) الإخلاص: -

يقوم الإسلام على الإخلاص، والتربية الإسلامية تربى أفراد المجتمع على الإخلاص حتى يحصل للإنسان التزكية.

والإخلاص دوام المراقبة لله تعالى، ونسيان حظوظ النفس كلها، فالمخلص يطيع الله ورسوله ولا يطيع هوى نفسه بل يتمرد عليها، والمخلص يمحص نفسه من شهوة المدح والثناء والرياء، ويجردها من الحرص على الدنيا وشهواتها حرصاً يهلكه في الدارين الآخرة والأولى. " والمخلص لا يسمى مخلصاً حتى يفرد الله عز وجل من الأشباه والأنداد والصاحبة والأولاد ثم إرادته بإقامة التوحيد، وجَمْعُ الهَمِّ لهُ وبهِ في النفل والفرض " [(٢)].

قال الله تعالى:{قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾} [سورة الكهف آية ١١٠].

(١) محمد أحمد القرطبي، مرجع سابق، ج - ١٨، ص - ١٧.
(٢) الحارث أسد المحاسبي، رسالة المسترشدين، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م، ص - ١٧٢.

فالإخلاص مطلوب في الأمور كلها حيث يخلص في جميع العلاقات ويقصد به وجه الله تبارك وتعالى ورضاه في علاقته مع ربه بالشعائر التعبدية، وفي علاقته مع نفسه في العناية بها، وتحري الحلال في مأكلها ومشربها وملبسها وما إلى ذلك، وفي علاقته مع أسرته في اختيار الزوجة المسلمة وإعطائها حقوقها وفي إنجاب الأولاد وتربيتهم تربية إسلامية وتهذيبهم بالأخلاق الإيمانية والقيم الإسلامية، وسائر العلاقات الاجتماعية.

والإنسان المسلم يتزكى إذا أخلص وحاسب نفسه، ويتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم قدوة في المحاسبة، وكذلك صحابته رضوان الله عليهم، واستفاد من تجارب الآخرين في طرق محاسبتهم. وفي قوله تعالى:{ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ } [سورة الملك آية ٢].

" قال الفضيل بن عياض هو أخلصه وأصوبه قال يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً والخالص يكون لله والصواب أن يكون على السنة " (١).

" والإخلاص تصفية العمل من كل شوب أي لا يمازج عمله ما يشوبه من شوائب إرادات النفس " (٢).

فبالإخلاص تزكية للنفس إذا تربى الإنسان تربية إسلامية صحيحة، وعرف أن الإخلاص أساس التزكية للنفس وعمل على تخليص أعماله من الرياء والشرك كانت بذلك نفسه زكية بإذن الله تعالى.

عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخيف من منى فقال:{**نضر الله امرأ سمع مقالتي فبلغها فرب**

(١) محمد بن أبي بكر بن القيم، مرجع سابق، ج - ٢، ص - ٨٨ - ٨٩.
(٢) المرجع السابق، ج - ٢، ص - ٩٣.

حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ثلاث لا يغل[(١)] عليهم قلب مؤمن إخلاص العمل لله، والنصيحة لولاة المسلمين، ولزوم جماعتهم فإن دعوتهم تحيط من ورائهم} [(٢)].

" والإخلاص هو تجريد قصد التقرب إلى الله عز وجل من جميع الشوائب، وهو إفراد الله عز وجل بالقصد بالطاعات، والإخلاص شرط لقبول العمل الصالح الموافق لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم " [(٣)].

جـ الإيمان: -

هو من أهم مباحث الدين، وأعظم أصول الحق مستمداً من كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وللإيمان حد يتم في ضوئها تفسيره، " وهو التصديق الجازم والاعتراف التام بجميع ما أمر الله ورسوله بالإيمان به، والانقياد ظاهراً وباطناً. ولهذا يقول الأئمة والسلف والإيمان قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح. فهو يشمل:

١) عقائد الإيمان. ٢) أخلاقه. ٣) أعماله " [(٤)].

فمن أعظم الإيمان وأصوله: -

" ١) الاعتراف بما لله من الحقوق الخاصة وهو التأله والتعبد لله ظاهراً وباطناً.

٢) الاعتراف بما أخبر الله به عن ملائكته، وجنوده، والموجودات السابقة واللاحقة، والأخبار باليوم الآخر.

٣) الإيمان بجميع الرسل صلوات الله عليهم وسلامه و ما وصفوا به في

---

(١) يغل من الغلول وهي الخيانة

(٢) محمد بن يزيد بن ماجة، مرجع سابق، ج - ٢، ص - ١٠١٥- ١٠١٦.

(٣) أحمد فريد، تزكية النفوس، وترتيبها كما يقرره علماء السلف، تحقيق ماجد بن أبي الليل، مكتبة التوعية الإسلامية، القاهرة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م، ص - ١٣.

(٤) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، التوضيح والثبات لشجرة الإيمان، أضواء السلف ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ص - ١١ - ١٢.

الكتاب والسنة من الأوصاف الحميدة " [١].

وأما أركان الإيمان فهي كما يلي: -

أ) الإيمان بالله عز وجل: -

" الاعتقاد الجازم بأن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه وأنه الذي يستحق وحده أن يُفرد بالعبادة، أنه المتصف بصفات الكمال كلها المنزه عن كل نقص " [٢].

فالإيمان بالله هو أساس الدين كله، فإذا تحقق الإيمان كان ركيزة لما بعده من حقائق الدين.

فالإيمان بالله يثمر التزكية لأنه تعبير قرآني يستجمع معاني النمو والخيرية معاً؛ إذ من معاني تزكية النفس " تنميتها بالخيرات والبركات " [٣].

ونقصد بتزكية الفرد أن الإيمان بالله تعالى من شأنه أن يزكي الإنسان من حيث هو فرد، أي ينمي فيه طاقات الخير والشجاعة ويطهره من شوائب الشر والكلالة، بما يجعل في حياته درجة عالية من الاقتدار على تحقيق المصلحة التي بها سعادته.

ويظهر أثر الإيمان بالله تعالى في تزكية النفس والفكر والعمل وهي كما يلي: -

إن النفس ينعكس عليها الإيمان بالله، إذ يشيع فيها جملة من المعاني تقيها الاضطرابات والاهتزازات التي تفضي بالإنسان إلى الضعف والقلق والحيرة واليأس وغيرها من أمراض النفس، ومن أبرز أثر الإيمان بالله في السلوك.

---

(١) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، التوضيح والثبات لشجرة الإيمان، أضواء السلف ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ص - ١١ - ١٢.

(٢) محمد نعيم ياسين، الإيمان، مكتبة العلم، القاهرة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ص - ٦.

(٣) الحسين محمد الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القران، دار الكتاب العلمية، بيروت، ١٢٤٥هـ - ٢٠٠٤م، ص - ٢٣٨.

١) الطمأنينة والأمن:

إن المؤمن الحق يعرف أن بالإيمان بالله تستقر حياته في الاعتقاد أن الكون يملكه قوي جبار، يدبر أمره بناموس مستقر وفق إرادة خيرة رحيمة بالعباد، وإذ يقر في النفس أن الطبيعة لا تتحرك فوضى فيتخبط الإنسان بكوارثها خبط عشواء أو هي تفعل ذلك انتقاماً منه وتنكيلاً به، بل إن كل ما يقع فيها بتدبير حكيم رحيم، وحينئذ فإن المؤمن يطمئن إلى كل ما يقع في الكون إنما هو بتقدير حكيم، وإنما هو خير وصلاح في جملته وإن بدا بعضه في الظاهر شراً وضرراً.

إن المؤمن إذا أسلم قياده في كل أمره لمن اعتقد أنه هو المتصرف الأوحد في الكون، وهو بذلك يكون مطمئن النفس آمن البال إزاء كل ما يضطرب به الكون من الأحداث، وكل ما تنقلب فيه الحياة من الأحوال " وربما حسب بعض الناس أن الإنسان وإن لم يكن مؤمناً بالله فإنه بعقله قد توصل إلى اكتشاف قوانين الكون وعرف أسراره في حركاته وأحداثه، واتخذ من علمه ذلك وسائل للحماية من الطوارئ الفاجعة، فلم يعد إذن يراوده الخوف والقلق بسبب أحداث الكون و متقلباته " (١).

فيكون قد اعتمد في حماية نفسه على ذات نفسه بعيداً عن الإيمان بالله " وشاهده الظاهر ما وصل إليه أهل الحضارة الراهنة فيما اكتشفوا من العلم وفيما اتخذوا من وسائل الاحتماء، وفيما بدا عليهم من نعم الحياة، ولكن عند التبين يظهر أن الحسبان ليس إلا وهماً فالحقيقة القائمة اليوم هي أن أكثر الناس قلقاً وخوفاً في عالم اليوم " (٢).

لذا نجد أن الملحد الجاحد لوجود الله، المعتقد بعلوم القوانين الكونية معتصماً وحيداً لهم من طارقات الأحداث " فهؤلاء هم الذين ظهرت بينهم

(١) عبد المجيد النجار، الإيمان بالله وأثاره في الحياة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٩م، ص - ١٧١.

(٢) طه جابر العلواني، المسلمون والبديل الحضاري، دار الوقف الإسلامي، أمريكا، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ص - ٢٥ و ص - ٢٧.

فلسفات القلق والعبث... وهم الذين تتفشى فيهم أكبر النسب من الانتحار والجنون والهوس وتعاطي المخدرات " [(١)].

وكلها طارئة من الخوف والقلق، وليس هذا النعيم الظاهر عليهم في العيش إلا نعيماً مادياً خارجياً. وجاء القرآن يبين أثر الإيمان في زرع الطمأنينة والأمن في نفس المؤمن. كقوله تعالى:{ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾} [سورة الرعد آية ٢٨].

لذا فالولي هو المؤمن الذي يحمل الإيمان على مجموع الاعتقاد والعمل وهو الموحد لله حق التوحيد، والذاكرون الله هم الذين يعمر قلوبهم الإيمان، ويفيض إيمانهم على ألسنتهم وجوارحهم، وهؤلاء يحصدون من إيمانهم بالله الطمأنينة والأمن وينتفي عنهم الحزن والخوف، وإذا اطمأنت نفسه وآمنت من الحزن والخوف تزكت نفسه بإذن الله فأصبح في ظل الأمن والطمأنينة في الدنيا والآخرة.

والإنسان المؤمن إذا كان مؤمناً حقاً اطمئن، وانتفى عنه الحزن، والخوف فهو الذي تربى تربية إسلامية حقه. كما جاء في الحديث عن أبي زرعه بن عمرو بن جرير أن عمر رضى الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانتهم من الله قالوا: يا رسول الله تخبرنا من هم ؟ قال: هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام ولا أموال يتعاطونها فوالله إن وجوههم لنور وإنها لعلى نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس وقرأ هذه الآية:{أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾} [سورة يونس آية٦٢] " [(٢)].

ولا يخفى أن الإنسان إذا لم يشعر بالأمن والطمأنينة في الحياة، وهي من

---

(١) طه جابر العلواني، المسلمون والبديل الحضاري، دار الوقف الإسلامي، أمريكا، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ص - ٢٥ و ص - ٢٧.

(٢) سليمان بن الأشعث السجستاني أبو داود، سنن أبي داود، مرجع سابق، ح - ٣، ص - ٢٧٤.

الشروط الضرورية كي يقدم على العمل والإنتاج والتعمير في الأرض، وبذلك تنمو القدرات الذهنية، تتجه نحو الإبداع، وتنشط القدرات الانجازية، وتتضاعف فعاليتها ويَزكوا إنتاجها.

وإذا حدث في النفس الحزن والفزع فكل طاقات الإنسان تنكمش عن النمو، وتضعف في الأداء، وتنكفي النفس على ذاتها مشتغل بما أصابها مقتصرة عليه، فلا تمتد إلى التعمير.

٢) العزة والقوة:

تصاب النفس بالوهن والمذلة بما يتسلط على الإنسان من أسباب القهر والاستبداد إذا لم يكن مؤمناً بالله، وفي رحاب الإيمان بالله الذي يمدنا بروح القوة فالمؤمن لا يرجو إلا فضل الله، ولا يخشى إلا عذاب الله ولا يبالي بشيء في جنب الله إنه قوي، وإن لم يكن بيديه سلاح، وما العزة والقوة الذي يشّعهما الإيمان بالله في النفس إلا لأنه يستمدهما من الله العلي الكبير.

فالمؤمن المتحقق بتوحيده التوحيد الأكمل فإنه يكون مسلماً نفسه لله وحده فيما يأمر وينهي، وفيما وأن المؤمن المتحقق، والذي تربى تربية إسلامية على الإيمان بالله لينظر إلى المستبد بنظرة ترفعه من الخضوع لغير الله وتخلصه من عبودية غير الله والإيمان بالله حافز، وشحنه نفسية، تغمر المؤمن القوة على المقاومة، وتملؤه بروح التحدي والإصرار، وتشحذ فيه العزم الصارم، والإرادة الشماء، والقرآن يقص علينا كثيراً من القصص.

فالمؤمن الحق الذي كان ومازال يؤمن بالله، وقد تربى تربية إسلامية لا يجعل في نفسه الاستعلاء على العباد والتكبر عليهم، بل يكون مستبداً مستعلياً على أسباب الاستبداد وأهل الطغيان، وأنه يكون موطأً لعامة الناس، متواضعاً لهم وذلك. قال الله تعالى:{يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ } [سورة المنافقون آية ٨].

إن " العزة غير الكبر ولا يحل للمؤمن أن يذل نفسه، فالعزة معرفة

الإنسان بحقيقة نفسه وإكرامها عن أن يضعها لأقسام عاجلة دنيوية كما أن الكبر، وجهل الإنسان بنفسه وإنزالها فوق منزلها، فالعزة تشبه الكبر من حيث الصورة وتختلف من حيث الحقيقة " (١).

قال الله تعالى:{ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمۡ تَفۡرَحُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَمۡرَحُونَ ﴿٧٥﴾} [سورة غافر آية ٧٥].

" فيه إشارة خفية لإثبات العزة بالحق والوقوف عند حد التواضع من غير انحراف إلى الصفة وقوف على العزة " (٢).

فالإيمان بالله يقيم النفس على معادلة دقيقة من استشعار العزة والقوة من جهة، احتماء بالله وانتصاراً به، و استشعار القلة والضعف بإزاء قوة الله من جهة أخرى، وذلك حينما تراوده نوازع التكبر فيكون منه التواضع واللين في معاملة الناس. وما حدث " من الإنجاز الحضاري الذي تم على يد المسلمين في وقت قصير جداً من ظهور الإسلام إلا أثراً لإيمانهم بالله الذي حررهم من أصناف العبودية، وآمنهم من ضروب الخوف فانطلقوا في عزة يصنعون المعجزات الحضارية في كل مجال، وذلك بما تقومت به نفوسهم لاستشعارهم القوة من مبادرات ابتكاريه، وفعالية إنجازية لا تكون إلا من قوى عزيز " (٣).

وفي هذا قول الله تعالى:{وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣٩﴾} [سورة آل عمرن آية١٣٩].

فالإيمان بالله يثمر في النفس شعور بالاستعلاء والمتحقق به خير تحقيق لا يداخله الوهن والحزن.

والإيمان بالله يمد الإنسان العزة والقوة في المضي في إنجاز مهمتهم التعميرية، وهو في نفس الوقت تحذير من الوقوع في الوهن والحزن المعيقين للإنجاز بما عسى أن يسرب من ضعف الإيمان.

(١) محمد الرازي فخر الدين، مرجع سابق، ج - ٣٠، ص - ١٨.
(٢) محمد الرازي فخر الدين، مرجع سابق، ج - ٣٠، ص - ١٨.
(٣) عبد المجيد عمر النجار، مرجع سابق، ص - ١٧٥.

وفي مقابل ذلك فإن النفس حينما تنسلخ من حبل الله تعالى وتقع في ربقة المستبدين من مخلوقات الله وأهل الطغيان، لذا فإنها بما تذل به إليهم يشيع فيها الشعور بالصغار فتنقمع ويصيبها الخمول، لذا " فأسير الاستبداد يعيش خاملاً خامداً حائراً لا يدري كيف يميت ساعاته وأوقاته، ويدرج أيامه وأعوامه " [١].

ومن خلال شعوره بالصغار فيكون مستعبداً لغير الله فلا تتزكى نفسه ولا ترقى إلى تحقيق العبودية لله سبحانه وتعالى " بل إن الوضع النفسي نتيجة لذلك قد يتطور إلى ما هو أسوأ حتى يصير انتكاساً مرضياً تطلب به النفس خلاف ما جبلت عليه من طلب الأوضع والرضا بالأدون قصوراً في تحصيل الأسباب وخمولاً دونها " [٢].

وفي هذا " قد يبلغ فعل الاستبداد بالأمة أن يحول ميلها الطبيعي من طلب الترقي إلى طلب التسفل بحيث لو دفعت إلى الرفعة وتألمت كما يتألم الأجهر من النور " [٣].

ولا فرق في هذه النتيجة بين أن تكون النفس راضية بهذه الاستكانة لغير الله أو تكون مكرهة عليها بوجه من وجه الظلم، فإنها في كلا الحالتين تنكمش عن الأداء في التعمير، ولهذا نجد أن الاستبداد والعدوان على الناس في أموالهم ذاهب بآمالهم في تحصيلها واكتسابها لما يرونه حينئذ من أن غايتها ومصيرها انتهابها من أيديهم، وإذا ذهبت آمالهم في اكتسابها وتحصيلها انقبضت أيديهم عن السعي في ذلك " [٤].

والتربية بغير إيمان بالله تصبح النفس وقواها إلى الضعف والهوان والكلالة في العزائم والأفعال، وتنتهي إلي النكوص عن التعمير، والتربية بإيمان الله تتناسق فيها جميع " جوانب الشخصية، وبين جميع عناصر

(١) عبد الرحمن أحمد الكواكبي، طبائع الاستبداد، دار موفم للنشر الجزائر، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ص - ١١٧.
(٢) عبد المجيد عبد النجار، مرجع سابق، ص - ١٧٦.
(٣) عبد الرحمن الكواكبي، مرجع سابق، ص - ١٣٣.
(٤) عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، دار الشعب، القاهرة، د.ت، ص - ٢٥٥.

المجتمع وبين جميع ظروف الحياة ومتطلباتها الاقتصادية والحضارية والعلمية السياسية والحيوية " [١].

جـ- وحدة النفس: -

إن الإيمان بالله يورث الانتماء الإسلامي حيث يخضع النفس بالولاء لله في شؤون حياتهم، وإذا حصل عكس هذا كان التشتت النفسي وهو " ظاهر اليوم في أحوال الكثير من المسلمين ممن لم يتحققوا بوحدانية الله على الوجه الأكمل، فإذا هم مع انتمائهم الوراثي للإسلام حيث يخضعون بالولاء لله في بعض شؤون حياتهم، ويخضعون بالولاء أيضاً لقيم ثقافية غربية تحكم كثير من شؤونهم في الحياة الاجتماعية خاصة " [٢].

وبهذا تتناقض النفس وتشتت فيها لتوزعها بين الائتمار بين مصدر إلهي ومصدر وضعي.

ووصف الواقع في نفوس المسلمين إذ " الإرادة الاعتقادية البناءة هي التي خارت وضعفت فأصبحت الأوضاع الاجتماعية والآثار المدنية تصدر عن غير ما كانت تصدر عنه (من داعية العقيدة) فصارت هي في واد والعقيدة الدينية في وادي آخر، وبقي المسلم وفياً لعقيدته الدينية من جهة متقبلاً لحياته العملية إلى واقعها من جهة أخرى حتى أصبح الواقع النظري والعملي عنده متباينين، فسقطت في نفسه منزلة الحياة العملية التي يحياها باعتبار أنها مباينة لدينه الكريم يتلقاها تلقي المستهتر يعرف الشر ويعيش فيه، فهانت عليه نفسه أيضاً لأنها تعيش أسيرة بحياة الشر " [٣].

وما سبب ذلك إلا نتيجة لإيمان بالله مهزوز، غير قائم على إخلاص

(١) عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، دار الفكر، دمشق، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.ص - ٧٦.
(٢) عبد المجيد النجار، مرجع سابق، ص - ١٧٩.
(٣) محمد الفاضل عاشور، روح الحضارة الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ص - ٧٦. - ٧٧.

الوحدانية، فإذا الولاء موزع بين أوامر الله وبين سطوة الواقع، ومن ذلك كان داء التشتت المذهب للمبادرة في الابتكار والفاعلية في السلوك؛لذا فإن المؤمن الموحد حق التوحيد لا تكون نفسه إلا موحدة القوى، منسجمة الأطراف، إلا حينما تدين بالولاء إلا لله وحده، فالله وحده هو المصدر الذي تتلقى منه الأمر والنهي لا يشاركه في ذلك مشارك. وقد ضرب الله سبحانه في القرآن مثل بليغ لبيان الوحدة النفسية للمؤمن الذي تربى تربية إسلامية حتى تزكو نفسه.

قال الله تعالى:{ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾} [سورة الزمر آية ٢٩].

فالرجل لما يكون موالياً لشركاء فيه يتجاذبونه بالأمر والنهي وهم مختلفون فإنه يكون منقسماً في النفس بينهم، فتنتابه الحيرة والاضطراب ولكن حينما يكون الرجل خاصاً بخدمة رجلاً واحداً فإنه يتجه إليه بكلية نفسه فلا يكون شتاتاً مثل الأول.

وعندما يؤمن الإنسان بالله فتزكى نفسه ويظهر لهما آثار هي الأمن والطمأنينة والعزة والقوة والوحدة للنفس، وهي ليست إلا معاني أساسية من ثمرات الإيمان بالله.

د) التقوى: -

ذكرت التقوى في القرآن الكريم مع اشتقاقها (٢٦٩مرة)

فهي " عبارة عن تجنب كل منهي عنه وفعل كل مأمور به " [(١)].

والإنسان الذي تربى تربية إسلامية وتربى على تقوى الله زكى نفسه بما يفعله من أوامر، فبالتقوى يحصل للعبد المؤمن الذي يريد أن يزكي الفلاح لأنه من اتقى أفلح كل الفلاح، ومن ترك تقوها حصل له الخسران وفاته

(١) أحمد خليل جمعه، هيثم هلال حمزة، التقوى، سلسلة مفاهيم إسلامية، دار اليمامة دمشق، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ص - ١.

الفلاح.

قال الله تعالى:{فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٠٠﴾} [سورة المائدة آية ١٠٠].

وبالتقوى يصبح الإنسان في " مأمن من الخوف والحزن فمن اتقى ما حرم الله عليه من الشرك والكبائر والصغائر وأصلح أعماله الظاهرة و الباطنة فلا خوف عليه من الشر ولا يحزن على ما مضى، فإذا انتفى الخوف والحزن حصل الأمن التام والسعادة والفلاح " (١).

قال الله تعالى:{يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٥﴾} [سورة الأعراف آية ٣٥].

فحقيقة التقوى " اتخاذ ما يقي سخط الله وعذابه بامتثال أوامره واجتناب النواهي ما اهتدوا به وانتفعوا غاية الانتفاع " (٢).

" وتعتبر التقوى هي منتهى درجات السالكين وهو التبري من كل شيء سوى الله تعالى فحمله على المقام الأكمل من مراتبها " (٣).

قال الله تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾} [سورة البقرة آية ٢١].

الآثار التربوية للتقوى:

للتقوى آثار تتضح من خلال حياة الإنسان المسلم، ويصبح لحياته معنى وأثراً من خلال اكتسابه لها فمن هذه الآثار كما يلي:

١) محبة الله للمتقين: -

قال الله تعالى:{بَلَىٰ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾} [سورة

(١) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مرجع سابق، ص - ٢٨٨.
(٢) المرجع السابق، ص - ٤٠.
(٣) سليمان نصيف الدحدوح، من هم المتقون، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ص - ٦٩.

آل عمران آية ٧٦].

إن من آمن بالله تعالى ربا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولاً، واتقى الله، واجتنب محارمه، وأدى الأمانة وحفظها، فإن الله يحبه ويكرمه، وذلك يدل على أن الإنسان قد تربى تربية إسلامية أدت إلى أن يتصف بالتقوى التي بها تتزكى النفس وتتطهر.

٢) التحرر من العبودية: -

التقوى تحرر الإنسان من العبودية لغير الله، فيتحرر عقله من الخرافات، والأوهام، ويتحرر ضميره من الخضوع والذل والاستسلام وتتحرر حياته من تسلط المتألهين من البشر على عبادة الله.

٣) تكوين شخصية المسلم: -

تعين التقوى على تكوين شخصية المسلم المتزنة التي توحد غايتها وطريقها، فليس لها سوى إله واحد تلجأ إليه في جميع أمور حياتها وشانها.

٤) تهذيب النفس البشرية: -

وذلك باتقاء جميع ما في الإنسان قلبه وجوارحه وتفكيره لمعاني التقوى، فتتهذب النفس وتتزكى من خلال القيام بأعمال العبادة والأخلاق الحسنة والتعامل بكل ما في ذلك من معاملات يبعد عن غضب الله وسخطه.

إن مدارج التزكية كثيرة ومتشعبة، فإذا كان الإخلاص مفتاح التزكية وسرها، يسري في كل جزء أو جانب أو مرفق منها (كالأرض الطيبة الخصبة) التي تنبت فيها كل الفضائل، وتلازمها كل معاني التزكية والسلوك من إيمان وإحسان، وإتقان والتزام الحق وأداء الأمانة وعمل الصالحات وغير ذلك من الأعمال.

فإن التقوى روحها وجوهرها يسري في كل عمل من الأعمال أي إن التقوى والإخلاص يلزم كل واحد منهما الآخر.

٢: تزكية النفس والعبادة: ـ

إن الإسلام يزكي أفراد المجتمع الذي تربى تربية إسلامية من خلال القيام بأمور شرعها الله سبحانه وتعالى لنا من الدين وهي الفرائض في العبادات والمعاملات على لسان نبيه المصطفى عليه وعلى سائر الأنبياء أفضل الصلاة والسلام، وهي ليست أمور تعبدية فقط أمرنا الخالق جل وعلا بأدائها فنحن نؤديها حتى تزكوا أنفسنا. وهي كما يلي: -

أ: الصلاة: ـ

هي أفضل ما يتقرب به المتقربون إلى ربهم، ولقد مدح الله سبحانه وتعالى المؤمنين وبين أهم صفاتهم التي يتصفون بها قال الله تعالى:{وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾} [سورة المعارج آية ٣٤].

ويعتبر شأن الصلاة عظيم في تفريغ القلب، وتقويته، وشرحه وابتهاجه، ولذته أكبر شأن، وفيها اتصال القلب والروح بالله وقربه، والتنعم بذكره.

إن في " الصلاة أكبر العون على تحصيل مصالح الدنيا والآخرة، ودفع مفاسد الدنيا والآخرة، وهي منهاة عن الإثم، ودافعة لأدواء القلوب، ومطردة للداء عن الجسد، ومنورة للقلوب، ومبيضة للوجه، ومنشطة للجوارح والنفس وجالبة للرزق ودافعة للظلم، وناصرة للمظلوم، وقامعة لأخلاط الشهوات، وحافظة للنعمة، ودافعة للنقمة، ومنزلة للرحمة وكاشفة للغمه " (١).

قال الله تعالى:{وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾} [سورة البقرة آية ٤٥].

وقال الله تعالى:{وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقًاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ﴿١٣٢﴾} [سورة طه آية ١٣٢].

(١) عادل عبد الشكور الزرقي، ذوق الصلاة عند الإمام ابن القيم، دار طويق للنشر والتوزيع، الرياض ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، ص - ١٧.

وقال الله تعالى:{قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ } [سورة المؤمنون آية ١-٢].

وقال الله تعالى:{قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝} [سورة الأعلى آية ١٤-١٥].

إن هذه الآيات دالة على تزكية النفس وهي مهمة ولها قدر عظيم والإنسان الذي تربى تربية إسلامية عليه أن يعتني بصلاته كما يلي: -

أولا: - إن تكون موافقة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم قدر الإمكان: إن إنسان التربية الإسلامية وهو يصلي، ويؤدي الهيئات والأركان والواجبات، يشعر بأنه يسير على هدى النبي صلى الله عليه وسلم فيلزم ما التزمه النبي صلى الله عليه وسلم ، ويترك ما تركه، ويفعل أحيانا ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم فعله أحيانا، ثم نراه ينوع بعض الأذكار، لورود ذلك عنه صلى الله عليه وسلم ومن خلال تتبع منهج النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة يشعر بحلاوة الإتباع وتتزكى نفسه بإتباعه.

ثانيا: - أن يراعي الخشوع فيها.

قال الله تعالى:{قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝} [سورة المؤمنون آية ١-٢].

وقال سبحانه وتعالى:{حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ۝} [سورة البقرة آية ٢٣٨].

إن الخشوع في الصلاة يؤدي بالإنسان إلى تزكية النفس فلا يتفكر الإنسان إلا في صلاته، وعن كيفية الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وعلى المصلي أن يتفكر في الموت ليتخذ أنها آخر صلاة له، كما على المصلي أن يتدبر معاني الكلمات والآيات ويعرف ما تشمله هذه الآيات من تعظيم لله سبحانه وتعالى ويترك كل الذنوب والمعاصي والآثام فهي سد منيع للوقوف بالإنسان المسلم.

قال الله تعالى:{لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ

سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ} [سورة الرعد آية ١١].
والإنسان في صلاته عليه أن لا ينشغل بالدنيا ولا التفكير فيها لأن ذلك يكون على حساب آخرته، وعلى المسلم أن يقوم إلى صلاة الليل لأنها تزكية للإنسان وتوثيق صلته بربه حين يناجيه في جوف الليل فيدعوه ويتوجه إليه، فالصلاة " تسمو بصاحبها في درجات الكمال الإنساني ويحرز أرقى الدرجات وهي كمال العبودية " [(١)].

عن أبي بشر جعفر انه سمع حميد بن عبد الرحمن يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الصلاة بعد الفريضة قيام الليل وأفضل الصيام بعد رمضان المحرم " [(٢)].

وعن أبي أمامة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:{**عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم وهو قربة إلى ربكم ومكفرة للسيئات و منهاة للآثام**} [(٣)].

والإنسان يرى الأمور التي تدفعه إلى تزكية النفس كصلاة التراويح والصلاة مع الجماعة وصلاة الوتر.

ومن أهم الآثار التربوية للصلاة: -

١) الصلاة نشاط إنساني يومي يصل المسلم بخالقه وتتكون العادات الحسنة عند المسلم منذ طفولته ومنها التعود على النظافة وطهارة الثوب والمكان والبدن، وتقوم على تربية المسؤولية نحو الجماعة.

٢) الصلاة نشاط نفسي وجسمي متكامل ومتكرر فهي تسهم في حفظ طاقات المسلم وخاصة الشباب حيث تتبدد في نشاطات ضارة كالانشغال

---

(١) محمد عبد القادر أبو فارس، تزكية النفس، دار الفرقان، الأردن، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ص - ١٦٨.
(٢) أحمد شعيب النسائي، سنن النسائي، كتاب قيام الليل وتطوع النهار، باب فضل صلاة الليل المكتبة العلمية بيروت، د.ت.ج - ٣.ص - ٢٠٧.
(٣) محمد عيسى الترمذي، مرجع سابق، كتاب الدعوات، ج - ٥، ص - ٥١٦ - ٥١٧.

بلذات الجنس دون التقيد بالزواج ومسؤولياته [١].

٣) إن الصلاة تجعل من الإنسان المسلم شخص يتخلى عن الصفات السيئة كالكبرياء، ويتحلى بصفة التواضع فلا يتعالى، ولا يصر على المعاصي وبهذا تتزكى النفس.

٤) تعود الصلاة الإنسان المسلم على النظام وتقسيم الوقت على حسب الأحوال وترتيب حياته طبقاً للأولويات اللازمة.

ب) الزكاة: ـ

فريضة اجتماعية تقوم على البذل بالتنازل عن جزء من المال الذي يملكه المسلم طاعة لله وابتغاء ثوابه

وتؤدي الزكاة وفق شروط معينة، والزكاة هي تطهير للمال، وتزكية، وتنمية له بفضل الله تعالى عز

وجل قال الله تعالى:{خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [سورة التوبة آية ١٠٣].

فهي تطهر النفس من البخل والقسوة والأثرة وتبني مجتمعاً متكاملاً وهي إحساس بالفضل والنعمة التي أنعم الله بها على الإنسان والزكاة من الأمور التي تساعد النفس على تزكيتها وارتقائها على بذل المال.

قال الله تعالى:{وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾} [سورة الحشر آية ٩].

وللزكاة تأثيرات تربوية بالغة الأهمية في تكوين شخصية الفرد كعضو صالح في المجتمع الذي يعيش فيه، وتشترك معه في تحقيق الأهداف والغايات والمنافع المشتركة.

كما أن الزكاة تساعد في إصلاح البشرية، ومنع الفساد في الأرض،

(١) سعيد إسماعيل علي وآخرون، مرجع سابق، ص - ١٢٢.

وإقامة مجتمع متضافر، القوى يأخذ بيد الضعيف والغني يمد يديه للفقير في مودة ورحمة مطبقاً لشرع الله، وإن التربية الإسلامية من شأنها أن تظهر المواهب والقوى بحيث تخصص كل قوة لما هي له، فلا تخبو قوة كانت تستطيع العمل ولا ينطفئ نور عقل كان يمكن أن يجتهد ويستنبط، ومن يعجز عن العمل تتكفل الدولة أو الجماعة الإسلامية في سد حاجته، ورفع العوز فقد جعل لهؤلاء حقاً في أموال الأغنياء.

ومن الآثار التربوية للزكاة: -

١) قد قرنت الزكاة بالصلاة فكانت عنوان الإخوة الإسلامية قال الله تعالى:{فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾} [سورة التوبة آية ٥].

وقال الله تعالى:{فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾} [سورة التوبة آية ١١].

٢) تزكية للنفس من الرذائل وخاصة البخل، والشح والجشع، والطمع والشر التي تنعكس أثرها السلبية على حياة الجماعة.

٣) تساعد الزكاة على إعطاء كل ذي حق حقه وعدم التقاعس في أداء الحقوق، وإعانة كل المحتاجين مع توفر الاستطاعة.

٤) تعود الزكاة الإنسان الصالح على التحلي بالأخلاق والفضائل وخاصة الإيثار والبذل والكرم والجود والتضحية في سبيل الآخرين.

٥) " تقوي الزكاة في المؤمن روح الانتماء الاجتماعي، والاهتمام بأمر الجماعة، ومشاركتها الايجابية الفعالة فيما يحقق سعادتها ويخفف من بؤسها.

٦) تسهم الزكاة في إقامة المصلحة العامة ذات الأهداف والغايات المشتركة بين مختلف أعضاء الجماعة فقراء وأغنياء والتي تتوقف عليها

حياة الجماعة وسعادتها وتقدمها " [١].

٧) تقوم الزكاة بالحد من تكدس الأموال لدى الأغنياء وهي " مما يوجب الأمن في البلاد لسد الحاجة للفقراء والمحتاجين مما يؤدي إلى اتحاد الرعية وسعادة الجميع وهنائهم " [٢].

٨) شعور للمؤمن المؤدي زكاة ماله بالسكينة والطمأنينة في نفسه والراحة والرضا لإحساسه بأنه أدى حق الله تعالى عليه، وطهر ماله وزكاه، فالزكاة مصدر سعادة مستمرة في حياته مما يحفزه على البذل والعطاء والمزيد من العمل حتى يزيد من اعمار الأرض ويحقق خلافته فيها.

جـ الصوم:

الصوم هو حلية العام كله، وفيه تجديد للإيمان في النفس والصحة والجسم، فالصوم واجب على الفرد والجماعة، وفيه تهذيب للنفس فالنفس المطمئنة تزداد إيماناً وتتزكى بهذا الصوم، والنفس الأمارة بالسوء تنضبط في هذا الشهر، وتتربى على الصبر وتترك ما حرم الله سبحانه وتعالى. " والصوم له خصيصة ليست لغيره من العبادات وهي إضافته إلى الله عز وجل " [٣].

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :**{كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف قال الله عز وجل إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به}** [٤].

وفضل الصوم لسببين هما: -

(١) عبد الحميد الصيد الزنتاني، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ص - ٣٨٨.
(٢) علي أحمد الحنبلي، حكمة التشريع وفلسفته، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ص - ٨٥.
(٣) أحمد عبد الرحمن بن قدامه، مختصر القاصدين، مكتبة المؤيد، الطائف، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ص - ٤٥.
(٤) مسلم بن الحجاج النيسابوري، مرجع سابق، ج - ٣، ص - ١٥٨، باب فضل الصيام.

" أ) أنه سر وعمل باطن لا يراه الخلق ولا يدخله رياء.

ب) أنه قهر لعدو الله، لأنه وسيلة العدو الشهوات، وتقوى بالأكل والشرب وبالصوم تضيق على الشياطين المسالك والمداخل " (١).

ففي الصوم تهذيب وتزكية للنفس وتعويد على الخير والنظام والطاعة والصبر والإخلاص، وهو كف النظر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح من الآثام وعن المحرمات، كما تشمل الآداب وسائر الأحكام والفضائل في المساواة والمواساة والإحساس بأفراد أمة الإسلام.

الأثر التربوي للصوم: -

١) الصوم حافز للتقوى لأنه يقي الإنسان من المعاصي، ومدرسة يتعلم فيها سمو الروح وصفاء النفس ولذة المناجاة لرب العالمين. قال الله تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣} [سورة البقرة آية ١٨٣].

٢) ومن خلال الصوم يتزكى الإنسان حيث يبتعد عن محارم الله والشهوات ويكبح جماحها، ويحول رغباتها، ويروضها أن تستعذب الصبر على طاعة الله والصوم تربية وتنمية لجانب الإرادة في شخصية المسلم.

٣) الصوم تربية اجتماعية فيحس المسلم الغني بأخيه المسلم الفقير البائس، ويذكرهم بحالهم والإحسان إليهم والرحمة بهم ومد يد العون لهم.

٤) يعود الصوم على الأمانة وعدم الخيانة؛ إذ هي عبادة في السر فيتعود حفظ الأمانة ويحفظ حقوق العباد في السر والعلانية.

٥) الصوم تزكية للنفوس، وتهذيب للأخلاق، وتكريم للإنسان وجنسه، و " يلتقي الجسد والقلب على كتاب الله وفريضة الصوم، فالصيام والقرآن إصلاح للجسد والروح وتهذيب للشكل والمضمون " (٢).

---

(١) أحمد عبد الرحمن بن قدامه، مرجع سابق، ص - ٤٥.

(٢) محمد محمود عمير، العبادات وأثرها في التربية والتهذيب، مكتبة التراث الإسلامي

فبالصوم تتزكى النفس، ويرتقى الإنسان في مدارج السالكين، ويصبح الإنسان زكي النفس مهذب الأخلاق.

٦) الصوم تربية إسلامية للمجتمع؛ إذ " يظهر فيه رمز الاتحاد والقوة والوحدة وسعادة الأمة وعزتها " (١).

وبالصوم يظهر توحد الأمة على كلمة واحد، وعلى عبادة واحدة، ويسعد الجميع لإحساسهم بحاجة الفقراء.

٧) الصوم عبادة تجعل الإنسان واعياً فكرياً مطبقاً لمنهجية واضحةٍ ضمن خطةٍ ووعي وتفكير " (٢).

د: الحج: ـ

فريضة على كل مسلم لابد من أدائها إذا توفرت لديه سبل الاستطاعة كالزاد والراحلة وأمن الطريق، وهي شعيرة من الشعائر.

قال الله تعالى: {فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾} [سورة آل عمران آية ٩٧].

فالله سبحانه وتعالى جعل في الحج منافع تحقق مصالح الدين والدنيا، ومن أبرز هذه المنافع تزكية

والتجرد عن الأهل والأوطان والأعمال طاعة لله، والحج من القواعد الخمس التي بني عليها الإسلام وهو ركن من أركانه.

ولكي يحقق الحج دوره في تزكية النفس لابد أن تتوفر فيه **الشروط التالية: -**

١) الإخلاص لله وحده.

٢) تجنب الرفث والفسوق والجدال امتثالاً لقوله تعالى:{ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٌ

القاهرة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م، ص - ١٠٧.

(١) سعيد إسماعيل علي، مرجع سابق، ص - ١٢٥.

(٢) عبد الرحمن النحلاوي، مرجع سابق، ص - ٥٥.

مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾} [سورة البقرة آية ١٩٧].

وللحج أثر تربوي: ـ

١) يقوي الحج إيمان المسلم وعقيدته، وذلك بشعوره بعظمه الله تعالى وقدرته، وإظهار عبوديته له وتسبيحه والتلبية له ودعائه فيما لديه من نعيم مقيم والخوف من عذابه، والاطمئنان إلى عفوه ورحمته وكرمه ولطفه وهدايته وعونه.

٢) " يشع الحج في نفس المؤمن السكينة والطمأنينة والأمن والسلام ويقوي أمله في الله تعالى واطمئنانه إلى تجاوزه عن زلاته وسيئاته وذنوبه وخطاياه، فيقبل على الحياة بمزيد من الثقة والتفاؤل والروح الايجابية.

٣) يعود الحج المؤمن على ضبط غضبه والتحكم في انفعالاته ويغرس فيه روح التسامح والتجاوز والعفو وغيرها مما يجعل خلقه رضيا محمودا محببا إلى الآخرين " (١).

٤) يزكي الحج نفس المؤمن ويطهرها، ويفجر فيها المعاني السامية والقيم العليا كالعفة والاستقامة والحياء والشعور بالمساواة والتواضع والعدل والخير والرفق والعطف والتعاون ونحوها من الصفات الحميدة النافعة للفرد والجماعة.

٥) يهذب الحج نفس المؤمن ويرقي خلقه ويجنبه الصفات المذمومة كالغرور والتكبر والعجب والخيلاء والمباهاة وغيرها من الأخلاق المذمومة.

٦) الحج وسيلة لتنمية الروح الجماعية والانتماء الاجتماعي للمسلمين والمؤمنين والميل للمشاركة الوجدانية بين المسلمين وتقوية تماسكهم

(١) عبد الحميد الصيد الزنتاني، مرجع سابق، ص٣٩٤.

وتلاحمهم وتراحمهم وتعاطفهم والعناية بشؤونهم العامة، وتحقيق الأهداف والغايات التي تعود عليهم بالفائدة المشتركة في دينهم ودنياهم.

ثمرة العبادة: -

إن جميع شعائر الله تزكية قال الله تعالى:{لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ} [سورة البقرة آية ١٧٧].

" والمراد بالبر جميع خصال الخير التي يحبها الله لذلك عد الله أصل التقوى. كما في قوله تعالى:{يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾} [سورة البقرة آية ١٨٩].

وتقوى الله بتزكية النفس هي ثمرة العبادة " (١).

قال الله تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾} [سورة البقرة آية ٢١].

هـ ذكر الله: -

ذكر الله ودعاؤه لا يحتاجان إلى واسطة، ولا إلى تصور وسطاء عند الله، لا في إجراء الذكر ولا في قبوله، لأن الله تعالى لا يحتاج إلى وسيط لأنه سميع بصير، عليم خبير، بصغائر الأشياء والأفعال ودقائقها وينبغي أن تترسخ هذه العقيدة في نفوس جميع الناس، وإلا كان ذلك طعنا في صفات الله تعالى.

(١) سليم عيد الهلالي، منهج الأنبياء في تزكية النفوس، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ص - ٦٦ - ٦٧.

وحقيقة الذكر " تظهر وتتجلى قبل كل شيء في طاعة الله تعالى، والتزام حدوده وشرائعه، وأحكامه وآدابه، والمراد بالطاعة: جميع أنواعها من صلاة وصيام وصدقة وتلاوة القران وتسبيح وتحميد وتهليل ونصيحة وغير ذلك، فإن المطيع الذي أطاع الله: هو الذي ذكر الله بقلبه ولسانه "[1]. وهذا هو المراد من قول الله تعالى:{فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴿١٥٢﴾} [سورة البقرة آية ١٥٢].

وقوله تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾} [سورة الأحزاب آية ٤٠].

والذكر لابد له من شروط وهي:

١) حضور القلب مع الله. ٢) خشوع النفس ٣) الإيمان بأسماء الله وصفاته. ٤) الصلة بالله تعالى.

فالذكر له آثار تربوية هي: -

١) الطمأنينة والأمن والسكينة قال الله تعالى:{ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ } [سورة الرعد آية ٢٨].

٢) تقوية الصلة بالله تعالى ورقابة الله في السر والعلن وغرس معالم التقوى في النفس والسلوك.

٣) " إن دوام ذكر الله تعالى على كل حال: باللسان والقلب، والعمل والحال، فنصيبه من المحبة على قدر نصيبه من الذكر "[2]. فالذكر من أسباب محبة الله تعالى.

٤) يمكن للإنسان أن يذكر الله في كل أوقاته وحالاته قال الله تعالى: {ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ} [سورة آل عمران آية ١٩١].

---

(١) وهبة الزحيلي، ذكر الله تعالى، دار المكتبي، دمشق، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ص - ٩.

(٢) محمد بن أبي بكر بن القيم، مدارج السالكين، مرجع سابق، ج - ٣، ص - ١٧.

" وهي العبادة التي تمكنك المواظبة عليها عند ما تضعف عن باقي العبادات لسن أو مرض " [١].

٥) إن ذكر الله مع الغفلة قد يؤدي بالإنسان إلى الحضور في الذكر والتنبيه له فلا " تترك الذكر لعدم حضور قلبك مع الله فيه، فإن غفلتك عن وجود ذكر أشد من غفلتك في وجود ذكره فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة.

ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع غيبة عما سوى المذكور، وما ذلك على الله بعزيز " [٢].

٦) إن الذكر يزكي النفس ويرفعها إلى مقام الذاكرين الله فالذاكرون هم أهل السبق. فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في طريق مكة فمر على جبل يقال له: جمدان، فقال:{**سيروا هذا جمدان سبق المفردون**}. قالوا: ما المفردون يا رسول الله ؟ فقال:{**الذاكرون الله كثيرا والذاكرات**} [٣].

٧) يعين الذكر على استجابة الدعاء، ومجابهة الشدائد، ويغير الله إرادته بتغير الأحوال ففي قصة نبي الله زكريا. قال الله تعالى:{هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ

(١) أحمد بن محمد السكندري، تاج العروس الحاوي لتهذيب النفس، شرح محمد نجدات المحمد، دار المكتبي، سوريا، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ص - ٣٤٤.

(٢) أحمد محمد السكندري، الحكم العطائية، شرح محمد سعيد البوطي، دار الفكر، دمشق، ١٤٢٦هـ - ٥م، ج - ١، ص - ٥٥٦.

(٣) مسلم بن الحجاج النيسابوري، مرجع سابق، باب الحث على ذكر الله تعالى، ج - ٨، ص - ٦٣.

إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ} [سورة آل عمران آية ٣٨-٤١].

٨) إن لذكر الله أثرًا عظيمًا في تربية النفس، وتحريك الذات؛لأن ذكره تعالى يربي في مقام النفس مراقبة الله في السلوك والتصرفات... حيث أن مداومة الذكر من أزكي الأعمال وأرفعها " (١).

فعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :**{ألا أخبركم بخير أعمالكم عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟}** قالوا: بلى، قال:**{ذكر الله}** (٢).

وعن معاذ رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :**{ما عمل آدمي عملا قط أنجي من عذاب الله من ذكر الله}** (٣).

ففي الحديثين تربية، وذكرى لكل فرد من أفراد المجتمع حتى يكون من الذاكرين الله، ومحباً للذكر.

٩) إن " الطريق إلى الله تعالى يؤدي إلى مراقبة الأوقات وعمارتها بالأوراد على سبيل الدوام " (٤).

فدوام الذكر من أفضل الأعمال وأكثرها قبولاً ففيه محبة الله تعالى للذكر وصفة الخيرية.

عن أبي أوفى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :**{إن خيار عباد الله الذين يراعون الشمس والقمر والنجوم والأظلة لذكر الله}** (٥).

---

(١) هاشم علي الأهدل، التربية الذاتية، دار المعالي، عمان، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ص - ٨٩.
(٢) محمد عيسى الترمذي، مرجع سابق، كتاب الدعوات، ج - ٥، ص - ٤٢٨.
(٣) أحمد بن حنبل الشيباني، المسند، مرجع سابق، ج - ٥، ص - ٢٣٩، وصححه محمد ناصر الدين الألباني في صحيح الجامع الصغير، المكتب الإسلامي، دمشق، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، جـ ٥ص - ١٤٢، برقم ٥٥٢٠.
(٤) سعيد حوى، المستخلص في تزكية النفس، مرجع سابق، ص - ٩٠.
(٥) محمد بن عبد الله الحاكم، المستدرك على الصحيحين، كتاب الإيمان وأسسه، تحقيق عبد القادر عطا، دار الكتاب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، ج - ١، ص - ٥١.

١٠) كل ذكر من الأذكار كتلاوة القرآن والتسبيح والتهليل والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من وسائل التزكية وترقيق القلوب. وقال الله تعالى:{ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾} [سورة الرحمن آية ٥].

وقال تعالى:{أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾} [سورة الفرقان آية ٤٥-٤٦].

وقال تعالى:{وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾} [سورة يس آية ٢٩].

وقال تعالى:{وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾} [سورة الأنعام آية ٩٧].

فكل هذه دلائل على أن هذه الأوقات إنما خلقها الله ليستعان على أمور الدنيا وعلى ذكره، والشغل بالطاعات والدار الآخرة.

ز) الدعاء: -

الدعاء له أهمية كبرى، ومنزلة عظمى في الإسلام فقد أمر الله تبارك وتعالى بدعائه في مواضع عديدة من كتابه العزيز، ووعد المتمسكين بالاستجابة المحققة والرحمة المقربة كما توعد المستكبرين بعذاب كبير وشر مستطير. قال الله تعالى:{وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾} [سورة غافر آية ٦٠].

عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: **{الدعاء هو العبادة}**، ثم قال:{وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾} "(١).

(١) محمد سورة الترمذي، مرجع سابق، باب التفسير سورة البقرة، ج - ٥، ص - ١٩٤ -

فأخبر صلى الله عليه وسلم أن الدعاء هو العبادة؛ لأنه حقيقة العبودية تبرز في الدعاء ظاهراً وباطناً، ففي الظاهر نجد سلوك الداعي يمثل أرفع أنواع التذلل والتقرب كرفع اليدين أو السجود وخفض الصوت مع خشوع الجوارح، مناجاة الرب سبحانه وتعالى كأنه يراه ويسمعه، وفي الباطن يمتلئ القلب حباً وأنساً بصفات الجلال والكمال والجمال. فكل هذه الأعمال من وسائل التزكية، ولذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يسأل ربه بأن يزكي نفسه.

عن زيد بن أرقم رضى الله عنه أن رسول الله كان يقول:**{اللهم إني أعوذ بك من العجز، والكسل، والجبن، والبخل، والهرم، وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن دعوة لا يستجاب لها}** [(١)] .

وللدعاء آثار جليلة: -

١) الدعاء طاعة لله وامتثال لأمره عز وجل.

٢) الدعاء سبب لانشراح الصدر:، ففيه تفريج الهم وزوال الغم وتيسير الأمور.

٣) الدعاء سبب لرفع غضب الله، فمن لم يسأل الله غضب عليه.

٤) الدعاء وسيلة لتكَبُرَ النفس وتعلو الهمة لها " فبالدعاء تكبر النفس وتشرف، وتعلو الهمة وتتسامى ذلك أن الداعي يأوي إلى ركن شديد ينزل به حاجته، ويستعين به في كافة أموره، وبهذا يقطع الطمع فما في أيدي الناس، يستخلص من أسرهم، ويتحرر من رقهم، ويسلم من فتنهم " [(٢)].

١٩٥، حديث رقم ٢٩٦٩، وصححه محمد ناصر الألباني، صحيح سنن الترمذي، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ج - ٣، ص - ٢٤، حديث رقم ٢٣٧٠.

(١) مسلم بن حجاج بن مسلم، صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ج - ٨، ص - ٨١ - ٨٢.

(٢) محمد إبراهيم الحمد، الدعاء، دار ابن خزيم، الرياض، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ص - ١٩.

٥) الدعاء تذكير للنفس بحقيقة فقرها إلى الله وصلتها به.

٦) " الدعاء هو سبيل إلى التوبة الحقة فلا يقضي على النفس ويوردها موارد التهلكة كإحساسها بالضياع وفقدان السند المعين واليد الحانية "

ح) الجهاد: -

الحياة التي يعيشها الإنسان حياة تكليف وابتلاء، ولذلك جعل الله سبحانه وتعالى هذه الحياة دار مجاهدة. والجهاد مجال ووسيلة لتزكية النفس، و به تكون ترقية الإنسان لنفسه وترقية له في المعالي، وبما أن الجهاد يؤدي بالإنسان إلى تزكية نفسه فتتزكى من خلال أمور هي: -

١) جهاد الفرد لنفسه: -

أولا: أن يجاهد على تعلم الهدي ودين الحق الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به، ومتى فاتها علمه شقيت في الدارين.

ثانيا: أن يجاهد على العمل به بعد علمه وإلا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها.

ثالثا: أن يجاهد على الدعوة إليه وتعليمه، من لا يعلمه وإلا كان من الذين يكتمون ماأنزل الله من الهدى و البينات ولا ينفعه علمه ولا ينجيه من عذاب الله.

رابعا: أن يجاهد على الصبر لتحمل مشاق الدعوة إلى الله وأذى الخلق، ويتحمل ذلك كله لله فإنه استكمل صار من الربانيين، فإن السلف مجموعون على أن العالم لا يستحق أن يسمى ربانياً حتى يعرف الحق ويعمل به ويعلمه فمن علم وعَلّم فذلك يدعى عظيماً في ملكوت السماء " (٢).

٢) جهاد الشيطان مرتبتان:

(١) محمد شديد، منهج القرآن في التربية، دار النشر والتوزيع، القاهرة، د.ت، ص - ١٩٦.
(٢) محمد بن أبي بكر بن القيم، زاد المعاد في خير هدى العباد، مؤسسة تحقيق شعيب الارنؤوط، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ج - ٣، ص - ١٠.

قال الله تعالى:{إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾} [سورة فاطر آية ٦].

أولاً: جهاده على دفع ما يلقي إلى العبد من الشبهات والشكوك القادحة في الإيمان.

ثانياً: جهاد على دفع ما يلقي إليه من الإرادات الفاسدة والشهوات، فجهاد الإرادات يكون بعده اليقين وجهاد الشهوات يكون بعده الصبر.

قال تعالى:{وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾} [سورة السجدة آية ٢٤].

فأخبر أن إمامة الدين إنما تنال بالصبر واليقين، فالصبر يدفع الشهوات والإرادات الفاسدة، واليقين يدفع الشكوك والشبهات " (١).

ومن خلال مجاهدة النفس يصلح نفسه ويصفيها، وهي طاعة لله واستعداد لغيره من أنواع الجهاد وعلى الإنسان أن لا يغالي، ولا ينحرف في جهادٍ لنفسه بتحريم الحلال، وتعذيب الجسد، وحتى تتزكى النفس على الإنسان أن يتجنب الفحشاء والمنكر، ويتجنب خطوات الشيطان، ويهتدي بهدى القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم .

٣) جهاد الكفار والمنافقين: -

" وأما جهاد الكفار والمنافقين فأربع مراتب، بالقلب واللسان والمال والنفس وجهاد الكفار أخص باليد وجهاد المنافقين أخص باللسان " (٢).

فالجهاد منازل أهله من أعلى المنازل في الجنة كما لهم الرفعة في الدنيا فهم الأعلون في الدنيا والآخرة.

قال الله تعالى:{وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ } [سورة الفرقان آية ٥٢].

---

(١) محمد بن أبي بكر بن القيم، زاد المعاد في خير هدى العباد، مؤسسة تحقيق شعيب الأرنؤوط، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ج - ٣، ص - ١٠.

(٢) محمد بن أبي بكر بن القيم، زاد المعاد في خير هدى العباد، مؤسسة تحقيق شعيب الأرنؤوط، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ج - ٣، ص - ١٠.

وقال الله تعالى:{إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾} [سورة الحجرات آية ١٥].

وقال الله تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾} [سورة التوبة آية ٧٣].

فجهاد الكفار بالحجة والبيان وتبليغ القرآن، وجهاد المنافقين بالحجة وهو أصعب من جهاد الكفار وهو جهاد خواص الأمة. إذ بالجهاد تتزكى النفس وتصلح وتتطهر.

ط) محاسبة النفس: -

النفس عدو لدود لصاحبها إن أطلق لها العنان، وترك لها الحبل على الغارب، أسرته بالسوء وقادته إلى المهالك، وقال الله تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾} [سورة الحشر آية ١٨].

" وحقيقة المحاسبة تفقد ما مضى وما يستقبل وهي واجبة بإجماع الأمة، وأما العلم الحامل عليها فهو الإيمان بمحاسبة الله تعالى " (١).

ومحاسبة النفس نوعان مهمان: نوع قبل العمل ونوع بعده.

الأول: محاسبة النفس قبل العمل: -

وهو أن يقف عند أول همه وإرادته، ولا يبادر بالعمل حتى تتبين له رجاحته على تركه. قال الحسن البصري رحمه الله " رحم الله عبداً وقف عند همه، فإذا كان لله أمضاه، وإن كان لغيره تأخر " (٢).

قال الحسن رحمه الله " لا يزال العبد بخير ما كان له واعظ من نفسه، وكانت الفكرة من عمله، والذكر من شأنه، والمحاسبة من همته،

(١) يوسف المرعشلي، تزكية النفس، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ص - ٤٦.

(٢) أحمد فريد، تزكية النفوس، مرجع سابق، ص - ٧٧.

ولا يزال بشر ما استعمل التسويف، واتبع الهوى، وأكثر الغفلة، ورجح الأماني " [١].

عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم... فأخبرني عن الإحسان قال:{أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك..} [٢].

فإذا تحركت النفس لعمل من الأعمال، وهم به العبد، وقف أولاً ونظر: هل ذلك العمل مقدور عليه أو غير مقدور؟ ومستطاع وغير مستطاع؟ فإن لم يكن مقدوراً لم يقدم عليه، وهل فعله خير من تركه أم تركه خير من فعله ؟ عن أبي هريرة رضى الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :{من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت} [٣].

" فهذه مراقبة العبد في الطاعة أما مراقبته في المعصية تكون بالتوبة والندم والإقلاع، ومراقبته في المباح تكون بمراعاة الأدب والشكر على النعم فإنه لا يخلو من نعمه لابد من الشكر عليها ولا يخلو من بلية لابد من الصبر عليها " [٤].

فهذه الأمور التي ذكرت إن كان الباعث إرادة وجه الله عز وجل وثوابه أم إرادة الجاه والثناء والمال من المخلوق، فإن كان الأول أقدم عليه، وإن كان الثاني لم يقدم.

وجماع ذلك أن يحاسب العبد المؤمن الذي تربى تربيه إسلامية ونشأ النشأة الصحيحة على دين الله نفسه أولا، وعلى الفرائض فإذا تذكر نقصا منها تداركه إما بقضاء أو إصلاح ثم يحاسب نفسه على المناهي، فإن عرف أنه ارتكب شيئاً تداركه بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحية ثم يحاسب نفسه على الغفلة، فإن كان قد غفل عما خلق له تداركه بالذكر

---

(١) الحسن بن يسار البصري، الزهد، تحقيق محمد عبد الرحيم محمد، دار الحديث، القاهرة، د.ت، ص - ١٣٨.

(٢) مسلم الحجاج مسلم النيسابوري، مرجع سابق، كتاب الإيمان، ج - ١، ص - ٣٨.

(٣) مسلم الحجاج مسلم النيسابوري، مرجع سابق، كتاب الإيمان، ج - ١، ص - ٣٨.

(٤) أحمد عبد الرحمن بن قدامه، مرجع سابق، ص - ٤٧٦.

والإقبال على الله ثم يحاسب نفسه بما تكلم أو مشت به رجلاه أو سمعته أذناه وذلك إخلاصاً لله تعالى ومتابعة لنفسه. كما قال الله تعالى:{لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْۚ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾} [سورة الأحزاب آية ٨].

النوع الثاني: ـ محاسبة النفس بعد العمل

قال الله تعالى:{قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ } [سورة الشمس آية ٩-١٠].

والمحاسبة بعد العمل في أمور مقصدها محاسبة النفس ومتابعتها. عن شداد بن أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: {**الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله**}. هذا حديث حسن. ومعنى قوله من دان نفسه يقول يحاسب نفسه في الدنيا قبل أن يحاسب يوم القيامة. ويروى عن عمر بن الخطاب قال: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وتزينوا للعرض الأكبر وإنما يخف الحساب يوم القيامة على من حاسب نفسه في الدنيا. ويروى عن ميمون بن مهران قال: لا يكون العبد تقيا حتى تحاسب نفسه كما يحاسب شريكه من أين مطعمه وملبسه [(١)].

وكما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه " حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، فإن أهون عليكم في الحساب غدا أن تحاسبوا أنفسكم وتزينوا للعرض الأكبر. قال تعالى:{يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾} [سورة الحاقة آية ١٨] [(٢)].

ولذلك المؤمن يحاسب نفسه في الدنيا عن كل عمل، قبل لأن يحاسب يوم

(١) محمد عيسى الترمذي، مرجع سابق، كتاب القيامة والرقاق والورع، باب ٢٥، ج - ٤، ص - ٥٥٠.

(٢) أحمد بن حنبل الشيباني، الزهد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ص - ١٤٩.

القيامة عن أعماله.

وقال الحسن البصري: " إن المؤمن قوام على نفسه يحاسب نفسه " [١].

فمن يحاسب نفسه في الدنيا، ويكون حسابه عن كل عمل عمله. هل أخلص لله سبحانه أم لا ؟

والمحاسبة بعد العمل في أنواع ثلاثة:

١) محاسبتها على طاعة قصرت فيها حق الله فلم توقعها على الوجه الذي ينبغي، وحق الله في الطاعة ستة أمور وهي:

أ) الإخلاص في العمل.

ب) النصيحة لله فيه.

ج) متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم .

د) شهود مشهد الإحسان.

هـ) شهود منة الله عليه.

و) شهود تقصيره فيه بعد ذلك كله.

٢) أن يحاسب نفسه على كل عمل كان تركه خيراً له من فعله.

٣) أن يحاسب نفسه على أمر مباح لما فعله وهل أراد به الله تعالى والدار الآخرة فيكون له ربحاً أو أراد به الدنيا وعاجلها فيسخسر ذلك الربح ويفوته الظفر به " [٢].

قال الله تعالى:{أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾} [سورة الرعد آية ٣٣].

وإذا استمر الإنسان المسلم في مراقبة نفسه ومحاسبتها حتى يستقيم الأمر

(١) أحمد عبد الرحمن بن قدامة المقدسي، مرجع سابق، ص - ٧٨.
(٢) أحمد فريد، مرجع سابق، ص٧٨.

له، فيضحى سلطانه على نفسه كاملاً، فأمن مكرها، وضمن خيرها، وبلغ المنزلة التي وعد بها ربه ذا الجلال والإكرام عبادة المخبتين.

قال الله تعالى:{يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرۡضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي} [سورة الفجر آية ٢٧-٢٩].

عن الحسن البصري قال: " إن المؤمن قوام على نفسه يحاسب نفسه لله وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر على غير محاسبة إن المؤمن يفجأ الشيء يعجبه فيقول: والله إني لأشتهيك وإنك لمن حاجتي، ولكن الله ما من وصله إليك هيهات حيل بيني وبينك ويفرط منه الشيء فيرفع إلى نفسه فيقول: ما أردت إلى هذا ولهذا، والله تعالى عذر بها، والله لا أعود لهذا أبدًا إن شاء الله، إن المؤمنين قوم أوثقهم القرآن حال بينهم وبين هلكتهم، إن المؤمن أسير في الدنيا يسعى في فكاك رقبته، لا يأمن شيئا حتى يلقى الله عز وجل يعلم أنه مأخوذ عليه في ذلك كله " [١].

ي) الخبيئة: -

العمل الصالح الخفي وهي " عمل صالح لم يطلع عليه بشر " [٢]. حيث يصلح هذا العمل ليوم في توسل إلى الله. عن الزبير رضى الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم : **{من استطاع منكم أن يكون له خِبءٌ من عمل صالح فليفعل}** [٣].

مثل قصة أصحاب الغار بخبايا أعمالهم الخالصة في من الأعمال التي يزكو بها القلب بإذن الله تعالى.

إن هذه العبادات التي يقوم بها الإنسان تقوم بتزكية النفس إذا أخلص فيها

---

(١) الحسن بن يسار البصري، الزهد، مرجع سابق، ص - ٥١.

(٢) محمد حسين يعقوب، أصول الوصول إلى الله تعالى، دار التقوى، القاهرة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م، ص - ٣٦.

(٣) جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، مرجع سابق، ج - ٦، ص - ٤١٥، حديث رقم ٢٠٢١٩.

إلى الله.

٣) تزكية النفس والعقل: -

أ) العقل: -

العقل في القرآن الكريم وظيفة من وظائف القلب، وليس وجوداً مستقلاً كما يظن البعض، والإنسان يبلغ درجة النضج العقلي أو الرشد حين يعقل ما هو خير وصواب وما هو شر وخطأ ثم يسلك طبقاً لهذا العقل.

" وللعقل في الإسلام منزلة رفيعة لا تدانيها منزلة، وكيف لا يكون كذلك ودين الله تعالى الذي أنزله على خلقه في كتابه الكريم، وفي سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، قد جعل القيام به منوطاً بوجود العقل.. فإذا فقد (أي العقل) ارتفع التكليف، وعد فاقده كالبهيمة لا تكليف عليه " (١).

" قال صالح بن عبد الكريم: -جعل الله عز وجل رأس أمور العباد العقل، ودليلهم العلم، وسائقهم العمل، ومقويهم على ذلك الصبر " (٢).

ولكي تتزكى القدرات العقلية تكون بما يلي:

١) العلم ضروري لصحة العمل وهو بفضل الله يعصمه من الزيغ والانحراف عن الجادة، به يعرف الإنسان ربه وما يوصل إليه، وما يجب عنه ويعرف رسوله ودينه، ويعرف حقيقة الحياة والموت والدنيا والآخرة، وحقيقة نفسه، وما حوله، فالعلم الذي يقرب إلى الله هو العلم الذي يحقق التزكية المهمة، ويكفي أن الله سبحانه قضى بأن العلماء هم أشد الناس خشية له سبحانه وتعالى.

فقال الله تعالى:{أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾} [سورة فاطر آية ٢٨].

---

(١) إبراهيم موسى الشاطبي، مرجع سابق، ج - ٣، ص - ١٣.

(٢) عبدالله بن محمد القرشي المعروف بابن أبي الدنيا، العقل وفضله، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ص - ٢٣.

والعلم عبادة عظيمة، وقد أمر الله عباده وجعله مقدما على العمل. قال الله تعالى:{فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾} [سورة محمد آية ١٩].

ففي الآية بدأ بالعلم وثنى بالعمل، ورأس العلم معرفة الله تعالى وتوحيده التي تتزكى به النفس، فالعلم شرط ضروري للعمل ليصح ويستقيم على أمر الله سبحانه وتعالى.

أهداف العلم: -

إن الإسلام لا يعرف علماً من أجل العلم، ولا معرفة من أجل المعرفة فلكل شيء هدف وغاية.

ومن أهداف العلم ما يلي: -

١) معرفة الله سبحانه وتعالى والإيمان به. قال الله تعالى:{وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾} [سورة الحج آية ٥٤].

" فالعلم يتبعه الإيمان تبعية ترتيب، والإيمان تتبعه حركة القلوب من الإخبات والخشوع لله تعالى " [(١)]. ويقترن العلم والإيمان. قال تعالى:{وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾} [سورة الروم: آية ٥٦].

والقرآن الكريم يدعو إلى النظر والتفكير والعلم؛ لأن الحقيقة الدينية في الإسلام لا يمكن أن تناقض الحقيقة العقلية.

٢) تسخير المخلوقات للإنسان الخليفة: - استخلف الله سبحانه وتعالى الإنسان في الأرض.

قال الله تعالى:{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ

(١) عبد البديع عبد العزيز الخولي، في التربية الإسلامية، جامعة الأزهر، كلية التربية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، ص - ٧٠.

أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾} [سورة البقرة آية ٣٠].

والتسخير لا يمكن أن يأتي للإنسان بدون العلم للكشف عن سنن الله في الكون، واكتشاف الطاقات.

" فالعلم الحق يهدي إلى الإيمان والإيمان الحق يفسح مجالاً للعلم " [(١)].

٣) التربية المتكاملة للإنسان: إن المعرفة في الإسلام مربية للإنسان؛ ولذا لا يخلو نص إلا فيه دلالة تربوية صريحة أو ضمنية. قال الله تعالى:{قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾} [سورة طه آية ٢٥-٢٨].

وقال تعالى:{يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾} [سورة الحجرات آية ١٢].

وقال تعالى:{أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ } [سورة الحج آية ٤٦].

ومن تربية الإنسان بالآيات القرآنية تتزكى نفسه ويصبح إنساناً زكياً.

ثمرة العلم: -

إن العلم الذي يؤدي إلى معرفة الله هو أشرف العلوم وأوجبها، وكانت ثمار شجرته ذات الأصل الثابت، والتي تزكت أنفسهم فثمرة علمهم مجاهدة النفس حتى يتفرغ القلب، فتستطيع أن تشتغل بتمام القوى بجهاد النفس والسعي إلى الله وعبادته وإزالة القذى عن النفس والترقي بمعارج التقوى.

(١) يوسف القرضاوي، الرسول والعلم، دار الصحوة، القاهرة، ١٤١٤هـ - ١٩٨٤م، ص - ١٥ - ١٦.

والعلم له صلة بالتزكية، فالعالم بالحق العامل به هو المنعم عليه، وهو الذي زكى نفسه بالعلم النافع والعمل الصالح، وهو المفلح الذي قال الله فيه:{قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا }(١)

والعلم " مذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد وطلبه قربة وبذله صدقة ومدارسته تعدل بالصيام والقيام " (٢).

لذا فالعلم يكفر الذنوب والخطايا " ويطهر النفس لأنه عبادة جليلة يحظى بها المسلم بالأجر العظيم ومن الحسنات الذي يكفر الله بها السيئات " (٣).

قال الله تعالى:{وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ ۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾}[سورة هود آية ١١٤].

وبما إن ثمرة العلم هي تعميق الإيمان بالله وكتابه ورسوله واليوم الآخر، " وليس هدف البحث العلمي هو اكتساب الطالب قدرة على تفسير الظواهر العلمية فحسب " (٤).

قال الله تعالى:{وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ } [سورة الحج آية ٥٤].

" فالدراسة النظرية لمجرد الدراسة المحجوبة عن غاية العلم وثمرته، فهذا هو العلم الذي ليس بعلم؛ لأنه لا يعصم من فقه الهوى وإغواء الشيطان، ولا يقدم للبشرية خيراً، كما أن المتعلمين الذين لم يتقنوا العلم أخطر على أي أمة من الجهلة لأنهم يبنون مواقفهم على معلومات مغلوطة أو منقوصة فيضلون ويضلون، وهم يحسبون إنهم يحسنون

(١) محمد أبو بكر ابن القيم، مدارج السالكين، مرجع سابق، ج - ١، ص - ١٧.
(٢) محمد أبو بكر ابن القيم، مدارج السالكين، مرجع سابق، ج - ٢، ص٤٨٩.
(٣) أنس أحمد كرزون، منهج الإسلام في تزكية النفس، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ج - ١، ص١٩٩.
(٤) سليم عيد الهلالي، مرجع سابق، ص١٠٨.

صنعا، في حين إن الجهلة لا يفتون ولا يدعون المعرفة فليس فطنه ذلك " [(١)].

ولذا يحذر من اللجوء إلى المعرفة غير اليقينية بل التأكيد على إتقان المعرفة.

وحتى يؤدي العلم ثمرته وهو تزكية النفس: -

١) إنما يصحب العلم العمل الصالح مع الإخلاص لله سبحانه وتعالى والتزام آداب طالب العلم والعالم والمتعلم.

٢) أن يتجنب المسلم المراء في الخصام وفي مسائل العلم.

قال الله تعالى:{وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾} [سورة الكهف آية ٤٥].

عن أبي أمامة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :{**أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وببيت في أعلي الجنة لمن حسن خلقه**} [(٢)].

" قال الأوزعي: إذا أراد الله بقوم شراً فتح عليهم الجدل ومنعهم العمل " [(٣)].

ب: مسار العقل: -

١: الفكر والتفكر: -

العقل الذي كرم به الإنسان حتى يميز بين النافع والضار ويعرف به طريق الخير من طريق الشر، ويتقبل بواسطته العلوم والمعارف وإدراك حقائق الأشياء ويتحكم في غرائزه.

(١) أحمد رجب الأسمر، النبي المربي، دار الفرقان، عمان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ص - ٣٢٩.

(٢) سليمان الأشعث السجستاني أبو داود، مرجع سابق، ك الأدب، باب في حسن الخلق حديث رقم ٤٨٠٠، ج - ٤، ص - ٢٧١.

(٣) أحمد على البغدادي، اقتضاء العلم العمل، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠١هـ - ١٩٨٤م، ص - ٧٩.

والعقل من أجل النعم إذا استخدمه الإنسان فيما خلق له وأطلق له حرية التفكير في هذا الكون العظيم، وتدبر بديع صنع الله فإذا كان العقل يستمد التفكير مما جاء في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن منقاداً لهواه ولشهوته حتى يتم إدراك الحقائق وتدبر شؤون الحياة، فالقرآن والسنة النبوية المطهرة لهما أثر في الطريقة التي يفكر بها العقل؛ ذلك لأن الصورة التي يحملها العقل عن الوجود إيماناً بالغيب أو نكراناً له تشكل حركته في التفكير، ومن خلال التصور والذي هو من أهم المعطيات المعرفية، فمن خلال القرآن الكريم والسنة النبوية يتم التأثير على العقل من جهة حركته المعرفية تأثيراً إيجابيًّا ترشد به تلك الحركة في إصابة الحقيقة، وفي توفيق الحياة إلى الخير والصلاح.

ومن خصائص هذا التأثير الإيجابي: -

أ] سعة النظر:

" إن مصير العقل إلى اكتشاف الحقيقة محكوم في الإصابة والخطأ إلى حد كبير بمقدار المعطيات التي يتخذها مجالا للتأمل والنظر، فكلما كانت المعطيات أوسع كانت إصابة الحقيقة أضمن " [(١)]. بإذن الله إذا كانت المعطيات من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فإذا كانت المعرفة مستمدة من غير هذين المصدرين فلا يكشفها العقل وتكون أحكامه إذن ناقصة، وقد تكون خاطئة بسبب هذه المعطيات الدالة على الحق.

والقرآن الكريم والسنة النبوية يوسعان أمام العقل مجال النظر إلى أكبر مدى ممكن، لذا فإن مفهوم عالم الغيب والشهادة في القرآن الكريم والسنة النبوية واضح وأبعاده واضحة في العقل المسلم، إذا من خلال هذا المفهوم يتحدد معنى الحياة والوجود وغاية الحياة والوجود والعلاقة بما وراء الحياة وما وراء الوجود وما وراء المادة.

إن " مفهوم الغيب والشهادة هو الإطار الأشمل الذي يحدد معنى الوجود

---

(١) عبد المجيد عمر النجار، أثر الإيمان، مرجع سابق، ص - ١٨٣.

الإنساني ومعنى العقل الإنساني، ودوره في الحياة الإنسانية وحدود هذا الدور ومجالاته " [(١)].

لذا فإن الإطار القرآني والسنة النبوية المطهرة المبني على " حقيقة التوحيد والوحدانية يتكامل الغيب

والشهادة، ويتكامل الوحي والعقل والكون، ويتكامل الإيمان والعمل ويتكامل التوكل والسعي " [(٢)].

مع تمام جدية السعي وتتكامل عقيدة القضاء والقدر والثقة بالكليات الربانية والأوامر الإلهية، مع تمام الجدية في فهم وعلم السنن والفطرة والأسباب.

إن النظرة إلى تزكية النفس من خلال هذه المجالات إذ يسعى إلى تحري الحقيقة والتي هي إحدى ثمار المعرفة من القرآن والسنة النبوية المطهرة، فمن خلال هذه المعرفة يسعى إلى تسخيرها وتنظيمها ورعايتها وإصلاح شأنها عل أساس من الموضوعية.

٢) تحرر الفكر: -

" الفكر هو حركة العقل لإدراك الحقيقة، وتعني حرية الفكر أن يكون عقل الإنسان موجودًا وهو يمارس الحركة من أجل معرفة الحقيقة " [(٣)]. منطلقاً من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

إن أحكام القرآن والسنة النبوية المطهرة فيها من التوجيهات التي تلزم بحرية لتحقيق تزكية الفكر وهي نوعان هما: -

أ- أحكام تحرر الفكر من أسباب تعطيل تتسلط عليه من خارجه: -

---

(١) عبد الحميد أحمد أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا، ١٤١٢هـ - ١٩٩١، ص - ١١٠، ص - ١١٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) عبد المجيد عمر النجار، مقاصد الشريعة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ص - ١٣٠.

مثل العادات والتقاليد الفاسدة التي يسلطها المجتمع على الفرد فتكون عائقه دون انطلاق فكرة في حركة للتعامل مع موضوع النظر، إذ هي توجه ذلك الفكر لينتهي عند النظر في القضايا المطروحة عليه إلى ما يواطئ تلك العادات والتقاليد وهو ما جاء فيه نكير شديد ونهي غليظ.

قال الله تعالى:{وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾} [سورة الزخرف آية ٢٣-٢٥].

ويجب التحرر من تأثير كل ما هو مؤثر والتي تقيد العقل حتى تتزكى هذه النفس وعلى المستضعفين أن يتحرروا من أهل الشرك.

قال الله تعالى:{إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾} [سورة النساء آية٩٧].

فالتحرر من هؤلاء ليصلوا بنظرهم الحر إلى حقيقة الإيمان بالله وتوحيده الذي يؤدي إلى تزكية النفس.

ب : أحكام تحرر الفكر من المعوقات الداخلية الناشئة من ذات الإنسان: -

ومثاله ما جاء بدافع الهوى على اختلاف أنواعه ذلك الذي يتمكن من النفس، فيوجه حركة العقل في البحث عن الحقائق إلى ما يوافقه من النتائج، ويصرفه عن اتباع الحجة ليصل إلى الحقيقة.

قال الله تعالى:{وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾} [سورة الأنعام آية ١١٩].

" ودلت الآية على أن القول في الدين بمجرد التقليد حرام لأن القول بالتقليد قول بمحض الهوى والشهوة والآية دلت على أن ذلك حرام " (١).

وبتحرير العقل من الهوى وغير من العادات والتقاليد لشرع الله تتزكى نفس الإنسان، وأما ما يرد أن تحرر الفكر أي تحررت عقول أهل الحضارات حتى الحقائق التي بنوا عليها حضارتهم، وهي ليس مستمدة من الكتاب والسنة " فجوابه أن أولئك تحررت عقولهم في نطاق معين من التفكير وهو التفكير في المادة فوصلوا فيها إلى الحقائق، ولكنها ظلت مكبلة في مجال القيم والأخلاق بالأهواء والشهوات ومنازع التعالي والتكبر على شعوب الأرض " (٢).

٣) وحدة المعرفة: ـ

إن من مقتضيات وحدة المعرفة في الكتاب العظيم والسنة النبوية، وأن يرى الكون وما يجري فيه من أحداث محكوماً من عند الله وسننه في تدبر الكون، ومن ذلك يرى أن الإنسان موحدا في وسائل انفتاحه على هذا الكون ليدرك حقيقته، فالله الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم ورتب وسائله في الإدراك لتفضي متظاهرة إلى نفس الحقيقة، وإذا رأى الكون من منظور الكتاب والسنة النبوية، فإن ذلك سيورث معنى الوحدة في تفسير الأحداث التي ترد من خلال الظواهر المتنوعة إلى السبب الموحد.

أما لو رأى الكون وأحداثه شتاتاً ينتمي كل قسم منه إلى مدبر، فإن العقل يتيه في معرفة الأسباب الحقيقية التي تحكمه، ويسقط في الخرافات والأساطير يفسر بها أحداث الكون. وحينما يصبح الإنسان يستقي معرفته من مصدر الوحي، فالعلم الذي يأتي به يصدقه الحس والعقل، فتتم بذلك وحدة المعرفة.

قال الله تعالى:{وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾} [سورة الإسراء آية ٣٦].

(١) محمد الرازي فخر الدين، مرجع سابق، ج - ٧، ص - ١٦٧.
(٢) عبد المجيد عمر النجار، أثر الإيمان، مرجع سابق، ص - ١٩١.

وعلى هذا النحو من وحدة المعرفة بنيت العلوم الإسلامية كلها فبدت على سعتها وتراثها وتنوعها وحدة متآلفة يظاهر بعضها ويفضي بعضها بعضاً، وكان ناشئاً بالخصوصية الإسلامية فإن في وحدة المعرفة تزكية للفرد المسلم ونفسه من خلال قيام التربية الإسلامية بإعطائه من مصدر الوحي الكتاب والسنة النبوية المطهرة المعرفة عن كل ما يحتاجه في حياته.

تزكية القدرات العقلية: ـ

زود الله الإنسان بقدرات عقلية لها من أهمية في حياة الفرد الحالية والمستقبلية، فضلاً عن حياته المهنية والتعليمية والاجتماعية؛ لذا تحتاج إلى تزكية، وتتحقق تزكية القدرات العقلية من " خلال أمور ثلاثة الأول: مسار الفكر- الثاني: تزكية إشكال التفكير- الثالث: تزكية أساليب التفكير " (١).

أولا: ـ مسار الفكر

تتزكى النفس إذا كان مسار فكرها في تنمية القدرات العقلية من خلال تنميتها على التوجه للأهداف التي خلقت من أجلها وهي تدبر شؤون الإنسان وتنظيم علاقته بالخالق والكون والإنسان والحياة والآخرة، وتقوم التربية الإسلامية بإحسان توجيه القدرات العقلية نحو الأهداف، ولذلك تسمى حكمة.

قال الله تعالى:{يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾} [سورة البقرة آية ٢٦٩].

والحكمة التي يؤتيها الله لمن يشاء تكون أمراً وسطيا في كل تدبير وكل علاقة بين الخلق والكون والإنسان والحياة الآخرة " وإذا انحرفت عن قصد وعمد أصبحت طغيانًا وتكبرًا، وإذا كانت تفريطاً وتسفيهًا للإنسان أصبحت سفاهة واستضعافًا " (٢).

(١) ماجد عرسان الكيلاني، مرجع سابق، ص - ١٣٢ - ١٣٣.
(٢) ماجد عرسان الكيلاني، مرجع سابق، ص - ١٣٢ - ١٣٣.

وفي هاتين لا تتزكى النفس، بل تصبح في غاية البعد عن التزكية.

ثانيا: ـ تزكية أشكال التفكير في النفس.

تقوم التربية الإسلامية بتزكية النفس حيث يحتاج الإنسان تزكية وتنمية أشكال التفكير بحيث يصبح هذا التفكير بشكل سليم ومن هذه الأشكال على التفكير: -

١) التفكير الناقد بدلاً من التفكير التبريري: ـ

وهو النوع من التفكر الذي يكشف الخطأ في معلومة ما أو تناقضها ولقد انتقد القرآن الكريم المعتقدات الخاطئة لدى الإنسان.

قال الله تعالى:{أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ} [سورة يس آية ٧٧-٧٨].

" كما أن التفكير الناقد يمكن أن يتوجه إلى الذات فيقوم الإنسان بمحاسبة نفسه، والتفكير في أعماله وأقواله ونقدها على جهة العموم، وفي مواطن المصائب والشدائد من جهة الخصوص " [(١)].

ومن شأن أن يقضي على التفكير التبريري الذي يكرس الخطأ، ويحجب عن صاحبه عن المعالجة السديدة الواعية لنقصه وقصوره.

قال الله تعالى:{أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ} [سورة آل عمران آية ١٦٥].

ومن خلال التفكير الناقد تتزكى النفس، وتصبح زكية لمعالجة أخطائها، " والقرآن في جميع توجيهاته يقرر النقد الذاتي قاعدة أساسية في جميع النواقص والأخطاء الفردية أو الاجتماعية " [(٢)].

---

(١) خليل عبد الله الحدري، منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ص - ١٧٦.

(٢) ماجد عرسان الكيلاني، أهداف التربية الإسلامية، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة،

والتربية الإسلامية تقوم بتربية المسلم على التفكير الناقد الذي يربط بين الأحوال، والأحكام، والقضايا ليخرج من خلال ذلك بحكم صحيح، وموقف مهتد متفق مع الفطرة، والعقل حين تكون القضايا شرعية متعلقة بالحلال والحرام، أو متفقة مع العقل حتى تكون القضايا مادية يسوغ فيها الاجتهاد البشري المجرد.

٢: تنمية التفكير العلمي بدلاً من الظن والهوى: -

لقد احتفى القرآن الكريم بالعقل وأعماله، ونظر إليه نظرة إجلال وتكريم؛ لذا عملت التربية الإسلامية بالتفكير العلمي الذي يحرر العقل، ويزكيه من أوضاع الجهل، والخرافة، والظن، والهوى، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم، ونبه إلى كل من يتكلم في قضية لا يملك فيها علماً صحيحاً.

قال الله تعالى:{وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾} [سورة الإسراء آية ٣٦].

وينهي القرآن الكريم عن الذين يتبعون الظن والهوى. قال الله تعالى:{إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾} [سورة النجم آية ٢٣].

واتباع الظن والهوى إذا أصاب مرة فانه يخطئ عشرات المرات، وأما استخدام التفكير العلمي والبحث والتمحيص والاعتماد على الأدلة الشرعية وغيرها من الأدلة العقلية أصلح وأفلح؛ لذا ندد بمن يستخدم الظن. قال الله تعالى:{وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾} [سورة يونس آية ٣٦].

" كما أن اتباع الشهوات والغريزة والهوى في تدبير الأمور وتحقيق

١٤٠٨هـ ١٩٨٨م ص - ٦٤.

الرغبات والحكم بين الناس، وتسيير أمور الحياة يؤدي إلى الفساد والفسوق وتدمير الحضارة وانهيار المجتمع " [١].

قال الله تعالى:{وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾} [سورة المؤمنون آية ٧١].

وقال تعالى:{ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾} [سورة الجاثية آية ١٨].

٣) التفكير الجماعي بدلاً من التفكير الفردي: -

في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة تطبيقات متكررة هدفها تدريب الإنسان على التفكير الجماعي الذي يربط مصير الفرد بالجماعة، ومصير الجماعة بالفرد، ويجعل التبادل بين الطرفين.

إن تضافر التفكير الجماعي ليتجسد في مبدأ الشورى، وهو من أهم المبادئ الذي تقوم عليه الحياة في الإسلام.

" والشورى من أبسط معانيها هي التشاور أو تداول الرأي في أمرين من الأمور وهي بذلك تدخل أيضاً في باب النصيحة " [٢].

قال الله تعالى:{وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾} [سورة الشورى آية ٣٨].

والقرآن الكريم جعل التفكير الجماعي صالحًا للتطبيق، والتنفيذ ليس على نظام معين فقد جعل التفكير الجماعي من القيم الإنسانية، ومن الأسس الاجتماعية للحياة الإسلامية، والناظر في سير المصطفى صلى الله عليه وسلم يجد أنه كان أكثر الناس مشاورة لأصحابه؛ شاورهم في غزوة بدر

(١) أمينة أحمد حسن، نظرية التربية في القرآن وتطبيقاتها في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، دار المعارف، القاهرة، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٥م، ص - ٢٨٦.

(٢) محمد جميل علي خياط، المبادئ والقيم في التربية الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٦١هـ ١٩٩٦م، ص - ٣٩٦.

قبل القتال، وفي أثنائه وبعده ولم يدخل المعركة إلا بعد أن اطمأن على رضا الصحابة " [١].

وبهذا التفكير يصبح فكره مزكى للمحافظة على تحقيق الصالح العام وتماسك الأمة، حيث إن التفكير الجماعي خير للأمة من التفكير الفردي والرأي الجماعي في خير الأمة، وهذا من حرص الإسلام على أن يكون فكر الفرد بروح الجماعة.

٤: التفكير والنظر دون التقليد والجمود: -

حث الإسلام الفرد على أن يكون مفكراً فيما حوله من الأفكار والأعمال، ويأخذ كل شيء بودية واقتناع عقلي؛ إذ إن التقليد والأخذ بالمظاهر الجوفاء دون تدبر وتفكر ليس طريقاً للعلم ولا مُوصلاً له بل شبه الله هؤلاء كالأنعام.

قال الله تعالى:{وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾} [سورة البقرة آية ١٧١].

والتربية الإسلامية تربي الإنسان على عدم قبول العلم دون فكر أو إعمال للعقل حتى تصبح هذه النفس زكية، وتقبل على الطاعات، وهي في تدبر وفهم لآيات القرآن الكريم؛حيث يقوم هذا الفهم على الاستماع الجيد والإنصات التام، ويكون اكتشافه لقوانين الكون وفق عقلية علمية دون تقليد، فالتربية الإسلامية تقوم على تربية الأفراد وتزكيتهم بانفتاح العقل على الكون والحياة، وكل ما في هذا الوجود مستمد من كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ؛لأنه إذا أخذ واستمد نظرته من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة تزكت نفسه، وآمن بالخالق وحقق ربوبيته في نفسه، وأما إذا كان تقليداً وجموداً.

فقد قال الله سبحانه وتعالى:{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ

(١) يوسف القرضاوي، ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، مكتبة وهبه، القاهرة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ص - ١٢٦.

﴿١٧٠﴾} [سورة البقرة آية ١٧٠].

لذا أمر الله سبحانه وتعالى بتدبر الآيات وفهمها؛ لتزكية الإنسان عن طريق تدبرها وفهمها.

٥) التفكير الشامل: ـ

وهو ذلك التفكير الذي يتعلق بدراسة موضوعاً دراسة وافية من جميع الجوانب الخاصة به مادية معنوية ظاهرةً خفيةً مكانياً وزمنياً، وحتى يتم اتخاذ القرار الصحيح للظاهرة، وحتى لا يكون الموضوع جزئيًا يتناول جزءاً بسيطاً من هذا الموضوع؛ إذ يؤدي ذلك إلى الانحراف في الفكر، وتفقد النفس تزكيتها بسبب هذا الانحراف العقدي والفكري، ولقد جاء في القرآن الكريم مفصلاً لبعض التفكير الذي فكر فيه الإنسان بطريقة جزئية، فقضية المشركين مع الرسول صلى الله عليه وسلم التي جاءت في القرآن الكريم وذلك بعدم إحاطتهم. قوله تعالى:{بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾} [سورة يونس آية ٣٩].

وقضية التوكل حيث ترك بعض الأخذ بالأسباب حيث ظن تاركها " أن ذلك من تمام التوكل على الله وحدث ذلك كله مع انتشار الفكر الإرجائي والتصوف، فترك المسلمون علوم الدنيا وأهملوا عمارة الأرض، وتقاعسوا عن طلب الرزق ونكلوا عن الجهاد وأعرضوا عن التداوي والاستشفاء " (١).

فالتفكير الشامل في العبادة لابد أن يفهم معناها ظاهراً وباطناً لهذه العبادة قدر المستطاع، وتكون هذه العبادة خالصة لوجه الله، فلا يكون التفكير في جزء من العبادة وهو أداؤها فقط، ولا تطغى عبادة على عبادة فلكل عبادة لها الحق الذي يجب أن تؤدى به دون التقصير في العبادة الأخرى.

والرسول صلى الله عليه وسلم هو " القدوة في منهاج التفكير الشامل

(١) علي بخيت الزهراني، الانحرافات العقدية والعلمية، دار طيبة مكة المكرمة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ج - ١، ص - ١٠٨.

فهو حين يمايز بين أمرين من أمور العبادة أو التشريع أو الاجتماع لا يقصد أن يحل أحدهما محل الآخر ويلغيه، وإنما يهدف إلى تحديد رتبته ودوره في سلم الأعمال والممارسات " [١].

أنواع تزكية القدرات: ـ

لتزكية القدرات عند الإنسان من عده أنواع وهي كالتالي:

١) تزكية القدرات العقلية:

يحظى موضوع القدرات العقلية من قبل العلماء و المتخصصين في علم النفس والتربية من الأهمية بمكان، ويرجع الاهتمام المتزايد إلى التطورات الحديثة التي يشهدها التقدم العلمي، بالإضافة إلى دراسة الابتكار كقدرة عقلية نامية، يمكن تربيتها منذ السنوات المبكرة من حياة الفرد، وتزكيتها بعد ذلك.

فالقدرات العقلية " هي التمكن من القيام بالأعمال العقلية والحركية المختلفة " [٢]. ولكي نتمكن من تزكية القدرات العقلية وهي تزكية أساليب التفكير فيحتاج الإنسان إلى التدريب على خطوات التفكير العلمي [٣]. " وخطوات التفكير العلمي تبدأ باختيار المشكلة، ثم تحديدها، ثم المغزى من المشكلة وتفاصيلها، ثم جمع المعلومات المتعلقة بها، ثم تحليل هذه المعلومات ثم الانتقال إلى الحكمة الكامنة وراءها، ووضع الحلول المناسبة واللازمة لها " [٤].

ولكي يتزكى التفكير فعلى الإنسان البعد عن التفكير غير الموضوعي الذي يقفز من الشعور بالمشكلة إلى طرح المشكلة انطلاقاً من الأهواء

(١) ماجد عرسان الكيلاني، مناهج التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص ـ ١٣٧.
(٢) عبد الحميد الصيد الزنتاني، مرجع سابق، ص ـ ٤١٩.
(٣) ماجد عرسان الكيلاني، مناهج التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص ـ ١٤٠.
(٤) جابر عبد الحميد جابر، مهارات البحث التربوي، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م، ص ـ ٣٩ ـ ٤٠.

والظنون، والتي تؤدي إلى حل غير صحيح بل وبدون موضوعية " وعلى هذا فالالتزام العلمي أو الموضوعي لا يعني الحياد، والتجرد من كل الأفكار المسبقة، وإنما تعني الترفع عن الموازين الوضعية والآراء الذاتية، وصياغة أفكارنا وفق ما جاء به الإسلام " (١). وحتى تتزكى القدرات العقلية فعلى الإنسان أن يتفكر في خلق النفس والآفاق، لأنه يؤدي تزكية القدرات العقلية؛ لأن التفكر والنظر في هذه المخلوقات يؤدي إلى الإيمان بالله، وتحقيق الوحدة الفكرية.

قال الله تعالى:{إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾} [سورة آل عمران آية ١٩٠-١٩١].

وقال تعالى:{وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾} [سورة الذاريات آية٢٠-٢٢].

ومن خلال القرآن والسنة النبوية المطهرة تتأكد وحدة المجتمع، والإنسان من خلال تأكيدهما على وحدة العقيدة التي تتزكى بها النفس، وكذلك وحدة الهدف.

قال الله تعالى:{شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾} [سورة الشورى آية١٣].

وقال تعالى:{فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾} [سورة الروم آية٣٠].

(١) محمد محمد أمزيان، منهج البحث الاجتماعي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ص - ٣٣٠.

وقد أثنى الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم على أولي الألباب وهم أصحاب " العقول الزكية التي تدرك الأشياء بحقائقها على جلياتها " (١).

فالتفكر عبادة يتقرب بها المتقربون إلى ربهم، فبه يحيى القلب بنور الإيمان، فالتفكر في كل شيء من مخلوقات الله عبادة لابد لمن أراد السير في طريق التزكية بأن يحرص عليها حتى يتوجه القلب، ويخشع عندما يعمره الإيمان.

لذا فالتفكر عبادة تؤدي إلى تزكية النفس إذا ما نظر فيما حوله، واعتبر بما فيه، وأطلق العنان في التفكر بقيد واحد، وهو عدم التفكر في ذات الله؛ لأنه سبحانه وتعالى :{فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ } [سورة الشورى آية١١].

" فإذا داوم المرء على التفكر وأصبح له عادة طيبة مباركة، وخشع قلبه، وأصبح كل مثير في بيئته لا يستجيب له إلا بالطيب من الأحاسيس والمشاعر التي تسيطر على شعوره الداخلي ونشاطه الفكري " (٢).

٢) تزكية القدرات الإرادية:

هي الدوافع والانفعالات

الإرادة هي القوة الثانية للقلب وهي الدوافع.

" الدوافع هي القوى المحركة التي تبعث النشاط في الكائن الحي، وتبدئ السلوك، وتوجهه نحو:

الهدف أو أهداف معينة " (٣).

---

(١) إسماعيل عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ج - ١، ص - ٣.

(٢) مالك بدري، التفكر من المشاهدة إلى الشهود، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ص - ٣١.

(٣) محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، دار الشروق، القاهرة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ص - ٢٧.

" وتعرف بأنها قوة المشيئة والاختيار " (١).

وتصنف الدوافع أو الإرادة إلى قسمين رئيسين:

١) الدوافع الفطرية أو الانفعالات الفطرية (الأولية) : وهي التي تهمنا في هذه الدراسة.

٢) الدوافع المكتسبة.

الدوافع الفطرية:

" هي تلك الدوافع التي لم يكتسبها الفرد من بيئته عن طريق الخبرة والمران والتعلم،، إنما هي عبارة عن استعداد يولد الفرد مزوداً به، لهذا فهي تسمى بالدوافع الفطرية " (٢).

وتزكى هذه الدوافع الفطرية إذا نظمت نحو أهدافها التي خلقت من أجلها، وهذه تساعد على التوافق من أجل حفظ الذات، وبقاء النوع.

وتنقسم الدوافع الفطرية إلى ما يلي:

أولا: الانفعال أو دوافع الغضب:

إن انفعال الغضب له جانبان: إحداهما: إيجابي، والآخر: سلبي. فالغضب حينما يتعدى أي فرد على حد من حدود الله محمود من قبل الله، و به يتزكى الإنسان لأن فيه أمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر.

أما الغضب السلبي فهو غضب من أجل إشباع شهوة، وملذات النفس البشرية التي تولد في القلب الحقد والغل والحسد وإضمار السوء والشماتة إلى غير ذلك من ألوان السلوك اللاسوي لذا فهذا نوع مذموم وغير مقبول (٣).

---

(١) ماجد عرسان الكيلاني، مناهج التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص - ١٤٢.
(٢) مصطفى فهمي، في علم النفس، دار الثقافة، القاهرة، د.ت، ص - ٤٥.
(٣) محمد محمود محمد، علم المعاصر في ضوء الإسلام، دار الشروق، جدة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ص - ١٧٩.

ومن الغضب المذموم حينما تضعف النفس فتسمى وهن، ويكون نتيجة الهوان والاستضعاف؛ إذ فيه الهلاك والضرر بالجسد البشري والنوع الإنساني " (١). وبهذا النوع من الغضب لا تتزكى النفس، لأنها تبعت الشهوات.

وأما الذي يكون فيه تزكية النفس هو الجانب الإيجابي الذي لحدود الله، والذي فيه الانفعال، وليس فيه حسد ولا غل ولا هوان، وبذلك لا يفقد الإنسان تزكيته لنفسه، فالغضب المحمود " ينتظر إشارة الدين والعقل فينبعث حيث تجب الحمية، وينطفئ حين يحسن الحلم، وحفظه على حد الاعتدال هو الاستقامة التي كلف الله بها عباده، وهو الوسط الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم " (٢). فالوسطية في الغضب لله سبحانه وتعالى وهذا يعتبر شجاعة، " ولكي يتم علاج الغضب في التربية الإسلامية بما يلي:

١) ذكر الله سبحانه وتعالى.

٢) قراءة القرآن الكريم؛ إذ يبعث الطمأنينة في النفس.

٣) الانصراف للعبادة كأداء صلاة نافلة.

٤) إجراءات تصحيح موقف الخطأ: - عن طريق التحكيم والمصالحة أو إزالة الضرر " (٣).

قال الله تعالى:{وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾} [سورة فصلت آية٣٤].

ثانياً: الانفعال ودوافع الخوف

(١) ماجد عرسان الكيلاني، مرجع سابق، ص - ١٤٣.
(٢) محمد محروس الشناوي، بحوث في التوجيه الإسلامي للإرشاد والعلاج النفسي، دار غريب، القاهرة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ص - ٣٤٥، و ص - ٢٥٦ - ٢٥٧.
(٣) المصدر السابق.

الخوف له جانبان، إيجابي: من ذلك الخوف من الله سبحانه وتعالى، وسلبي مثل الهلع والجبن وهو إفراط.

إذ " الخوف هو إحساس نفسي بالضيق مصحوب في أغلب الأحيان بتغيرات أداء وظيفية معظم أداء أعضاء الجسم " [(١)].

ولقد وصف القرآن الكريم الخوف بقوله تعالى:{أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا} [سورة الأحزاب آية١٩].

فالخوف حينما يشتط الإنسان يصيبه جبن وهلع وهذا إفراط، وحينما يضعف أو يتوقف يسمى تهور وهذه الحالتين تلحق بالإنسان الضرر والخوف، والخوف فضيلة كما قال الله تعالى:{وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾} [سورة الرحمن آية٤٦].

وقال تعالى:{وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ } [سورة النازعات آية٤٠-٤١].

فالله يكافئ العبد الذي يخاف قيامه بين يديه للحساب بالجنة ونعيمها، لذلك جعل الورع والتقوى خصوصاً للخائفين من حساب الله يوم القيامة. لقوله تعالى:{سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾} [سورة الأعلى آية١٠-١٧].

وقال تعالى:{إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [سورة الأنفال آية٢].

وقال تعالى:{إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ

(١) عدنان الشريف، من علم النفس القرآني، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ص - ٦٣.

بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ } [سورة السجدة آية١٦ -١٧].

فالخوف من الله يؤدي إلى تزكية النفس؛ إذ يجنبه ارتكاب المعاصي فيقيه غضب الله، ويحثه على أداء العبادات، والقيام بالأعمال الصالحة ابتغاء مرضات الله كما " يؤدي إلى تحقيق الأمن النفسي؛ إذ يغمر المؤمن شعور الرجاء في عفو الله تعالى ورضوانه " (١).

قال الله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ } [سورة فصلت آية ٣٠].

فالإنسان المسلم الذي تزكت نفسه يحقق صفة الوسطية، فيلتزم الخوف ويكون صادقاً في قوله وعمله ومعاملاته مما يغرز في حياة الأفراد والجماعات كمنهج حياة، وهذا المنهج هو الاستقامة على الصراط المستقيم، وأما الذي لم تتزكى نفسه فيصيبه الطغيان والضعف، وكلاهما يؤديان إلى عدم طاعة الله سبحانه وتعالى، والخروج من كل أوامره واتباع نواهيه.

" قال إبراهيم بن سفيان: إذا سكن الخوف القلوب أحرق مواضع الشهوات منها، وطرد الدنيا عنها " (٢).

والله سبحانه وتعالى جعل الخوف لأهل الأعمال الصالحة، وكذلك الرجاء، ومن علم أن الرجاء والخوف النافع هو ما اقترن به العمل.

قال الله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾} [سورة فصلت آية ٣٠].

---

(١) محمد عثمان نجاتي، مرجع سابق، ص - ٧٩.
(٢) يوسف المرعشلي، مرجع سابق، ص - ١٣٦.

" فالقلب أي القدرة الإرادية في سيرها إلى الله عزوجل بمنزلة الطائر فالمحبة رأسه والخوف والرجاء جناحاه، وقيل: أكمل الأحوال اعتدال الرجاء والخوف، وغلبة الحب فالمحبة هي المركب، والرجاء حاد ينشد، والخوف سائق، والله الموصل بمنه وكرمه " (١).

التعصب: -

التعصب من الدوافع و الانفعالات " وهو يقوم على اعتقاد المتعصب أن قبض على الحقيقة النهائية التي تدفع به إلى وجوب الالتزام الكامل برأيه أو مذهب أو جماعة أو قبيلة أو فترة تاريخية معينة مما يجمع عادة بيت الفضيلة والرذيلة والحسن والقبح والخطأ والصواب " (٢).

وحتى تتزكى النفس لابد لها من البعد عن التعصب، وإحقاق الحق وعدم الانحياز لأي من التعصبات التي تؤدي إلى عدم تزكية النفس.

أنواع التعصب: -

١) التعصب لمذهب ٢) التعصب للانتماء إلى البلد والقبيلة والقومية.

٣) التعصب للرأي وهو المهم في البحث.

فالتعصب من الأمور التي قام الإسلام بإبعاد الناس عنه، وهو غير مرغوب فيه؛ إذ يؤدي إلى التفرقة بين الناس، والبعد عن إحقاق الحق، والإسلام يدعو التمسك بالدين هو الواجب على المسلم أن يتمسك به.

ولقد صور القرآن هذه العصبية العمياء. قال الله تعالى:{وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾} [سورة غافر آية ٤٧-٤٨].

(١) محمد بن أبي بكر ابن القيم، مدارج السالكين، مرجع سابق، ج - ١، ص - ٥١٣.
(٢) عبد الكريم محمد بكار، فصول في التفكير الموضوعي، دار القلم، دمشق، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص - ١٨٦.

ومن هنا حمل القرآن الأتباع تبعة ضلالهم، فقد منحهم الله القدرات والآلات ما يمكنهم من اتباع الهدى، فعطلوا ذلك، وساروا في ركاب المضلين.

" فالفرق بين التعصب والالتزام؛ إذ الالتزام انحياز إلى قطعيات لا تقبل الجدل أو مبادئ عامة وقع الإجماع عليها كالانحياز إلى أمهات الفضائل والعقائد، فالالتزام يكون مما يكون بما علا على دوائر الاجتهاد، ويكون التعصب فيما يقبل النظر والتأمل، فالتعصب ضرب من ضروب الأنانية ولا يكون مبنيًّا على أساس " (١).

فالعقيدة مظهر من مظاهر الحياة الحرة الكريمة للأفراد فهو حق من حق الأفراد، والتمسك بها من دلائل الخير في الفرد ودلالة على تزكية النفس، " ذلك لأن العقيدة إن كانت دينية فهي اضبط المقاييس لأهواء الفرد ونزعاته، و أقوى الروادع بين الجماهير والجماعات، وإن كانت فكرية فهي دليل الوعي، والوعي دليل الشخصية الحسية التي تعقل وتفكر " (٢).

فليس عيباً أن يتمسك الإنسان بدينه، ويعمل بعقيدته، بل العيب أن يعتنق ديناً فلا يعمل به، ولا يخضع لنظمه، ولا يضحي بأهوائه احتراماً لدينه ولقيمه الإسلامية.

ومن هنا نلمس سر عظمة التمسك بدين الله من أبي بكر رضي الله حين وقف ذلك الموقف الحازم الشديد حينما " ارتدت طوائف كثيرة من العرب عن الإسلام، ومنعوا الزكاة، فنهض أبو بكر الصديق رضى الله عنه لقتالهم فأشار عليه عمر رضى الله عنه وغيره أن يفتر عن قتالهم، فقال: والله لو منعوني عقالاً أو عناقاً كانوا يؤدنها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها " (٣).

(١) المرجع السابق، ص - ١٨٦.
(٢) مصطفى السباعي، أخلاقنا الاجتماعية، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ص - ١٤٢.
(٣) محمد أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ ٢، ص - ٤٩٢.

هذا هو حقيقة التعصب (التمسك) الكريم للعقيدة والدين، وتلك حدودها وآثارها.

أما التعصب الذميم فهو أن تضطهد مخالفيك في العقيدة، وتمتد عليهم، وتسيء معاملتهم، و تسلب أموالهم، وتهين كرامتهم، كما يفعل الجهلاء من أصحاب العقائد والديانات، فهذا سبيل الشقاء والخراب في حياة الأفراد، ودلالة على عدم تزكية النفس، وهذا ما نهى عنه كل دين حق.

تزكية السمع والبصر: -

والسمع والبصر أدوات تتلقي العلم والمعرفة ثم ترسلها إلى القوى العقلية لتقوم بفهمها ووعيها؛ إذ إن هذه الأدوات إذا كان يحسن استعمالها الاستعمال الذي خلقها الله من أجله، فالقرآن الكريم يوجه إلى استخدام هذه الأدوات ويوضح المسؤولية التي عليها. قال الله تعالى:{وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾} [سورة الإسراء آية ٣٦].

والتربية الإسلامية تربي الإنسان المسلم على أن يستخدم حواسه في الخير الذي خلقت من أجله ليكشف عن الحق والحقيقة، ولا يستخدمها فيما تسول له نفسه " فالهوى والضلال والرغبات المنحرفة

جعلت من العيون لا تبصر، والأذن لا تميز بين الخير والشر فسقطت في غفلة لا تنتج معرفة يعتد بها " (١).

قال الله تعالى:{وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآۚ

(١) أحمد رجب الأسمر، فلسفة التربية في الإسلام انتماء وارتقاء، دار الفرقان، عمان، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ص - ٣٥٧.

أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ } [سورة الأعراف آية ١٧٩].

فتزكية السمع والبصر من كل المرئيات والمسموعات الفاحشة أو الخبيثة أو الضارة، والتي يؤول إليها إفراز عناصر بشرية. وصفها القرآن الكريم:{صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿١٨﴾} [سورة البقرة آية ١٨].

لذا فهم " صم عن سماع الخير، وبكم عن النطق به، و عمي عن رؤية الحق، فهم لا يرجعون لأنهم تركوا الحق بعد أن عرفوه، فلا يرجعون إليه " (١).

ومن خلال صممهم فتراهم لا يستفيدون مما يسمعون ولا يقبلونه، وهم بكم فاقدون للقدرة عن البيان والتعبير عنه، وهم عمي لأنهم مشتتو البصر لا يستفيدون مما يبصرون، وهم فاقدون البصر عن النظر الموصل للعبرة التي تؤديهم إلى الهدى، وفاقدون للبصيرة.

لذلك من أراد أن يزكي بصره فليلتزم ما أمره الله به. قال الله تعالى: {قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴿٣٠﴾} [سورة النور آية ٣٠].

تزكية الجسم:

الإنسان يولد مزوداً بدوافع كثيرة منها دافع الطعام والشراب، دافع التملك، دافع الخلود، دافع النكاح، وتطلق عليها شهوة الطعام والشراب " والحكمة من شهوة الطعام والشراب الحفاظ على الجسد، والحكمة من شهوة النكاح المحافظة على النوع البشري " (٢).

فالإنسان إذا اتبع شهواته، وطغت عليه أصبح في حالة سرف وإفراط وطغيان، أما إذا أضعف وفرط فيها، ورغب عنها، وأصبح في حالة ضعف وخور، وهاتان الحالاتان تفرضان تعرض الجسد إلى خطر

(١) عبد الرحمن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ص - ٤٤.
(٢) ماجد عرسان الكيلاني، مناهج التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص - ١٥١.

لضياعه، وانقطاع لهذا النوع البشري.

والإنسان المنصف لنفسه ولجسده أن يتبع حالة الوسطية، والاعتدال في كبح جماح هذه الشهوات،

ولنتأمل قول الله الحق سبحانه وتعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾} [سورة البقرة آية ١٦٨].

" فإنما أذن للناس أن يأكلوا مما في الأرض بشرطين أن يكون طيباً، وأن يكون حلالاً " (١).

فالطيبات التي أحلها وأباحها المطاعم النافعة للعقول والأخلاق والخبائث هي الضارة للعقول كالخمر أو الخبائث؛ لأنها تفسد العقول والأخلاق.

لذا خاطب الله سبحانه وتعالى الناس، ودعاهم لأن يأكلوا مما في الأرض، ويدعوهم إلى أكل الحلال لا لشيء إلا لمصلحتهم " وحين يأمر الحق سبحانه وتعالى المؤمنين أن يأكلوا من طيبات مما رزقهم الله فإن حكمة ذلك أن يكون المؤمنون قدوة لغيرهم " (٢).

وبالحلال يزكي الإنسان نفسه، وهو سبب لحماية الدين والعرض، فالدعوة لأكل الحلال، هي صيانة للإنسان من الشيء الضار، وسبب لحماية الدين والعرض " أي البراءة من النقص في الدين وعرضة من الطعن فيه " (٣).

عن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:{**الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس**

---

(١) أحمد عبد الحليم بن تيمية، الإيمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ص - ٤٢.

(٢) محمد متولي الشعراوي، منهاج الصالحين، دار العصرية، بيروت، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، ص - ٢٣٢.

(٣) أحمد علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، المكتبة السلفية، القاهرة، ١٤٠٧هـ - ١٩٩٧م، ج - ١، ص - ١٥٥.

فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه و عرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه. ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب} [(١)].

إن هذا الحديث عظيم الموقع كثير الفوائد، وهو أحد الأحاديث الأربعة التي عليها مدار الإسلام، وثانيهما: هو حديث:{إنما الأعمال بالنيات} وثالثهما: حديث:{من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه} ورابعها: حديث:{لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه} [(٢)].

فالحاجة اليوم إلى تعلم الحلال لنلتزمه، والحرام لنجتنبه حتى تتزكى الأنفس، وتصل إلى مرتبة عند الله سبحانه وتعالى، وبذلك يتزكى الجسم.

فالذي تزكت نفسه أخذ كل أمر صادر من عند الله، وهو متيقن أن الله سبحانه وتعالى لا يأمره إلا بشيء نافع له، والضار الذي نهى عنه ضار، وإن كانت فيه منفعة.

وبعض الناس تأكل أكثر مما تحتاج في أوقات لا يحس بالجوع، وقد يأكل ويشرب ما يضره، و قد ينكح لا لبقاء النوع واستمرارية الذرية، ويكون ذلك بوسائل وأشكال تتسبب في تدمير النوع، وعقم منابعه أي أنه قد ينزل إلى مستوى السلوك الحيواني، وينطبق عليه الوصف الإلهي.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾} [سورة الأعراف آية ١٧٩].

لذلك احتاج الجسم الإنساني إلى تنظيم حاجاته، وتزكية جسمه بغية تحقيق هدفين اثنين:

---

(١) محمد إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب الإيمان، باب من استبرأ لدينه، ج - ١، ص - ٣٠.

(٢) يوسف المرعشلي، مرجع سابق، ص - ١١١.

الأول: - إباحة كل ما أحله الله للإنسان، والذي أحله الله هو الطيب النافع الذي يتفق مع قوانين الخلق، ويوفر النمو والعافية للجسم، ويوفر للنوع البشري الاستمرار، ويمكّن الإنسان من القيام بوظائفه التي خُلق من أجلها.

الثاني: - منع كل ما حرمه الله على الإنسان، والذي حرمه الله هو الخبيث الضار الذي يصطدم بقوانين الخلق، ويهدد نمو الجسم وعافيته ويتسبب بالأخطار التي تهدد بقاء النوع البشري، ويفقد الإنسان عن القيام بمسؤولياته " (١).

قال الله تعالى:{يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ} [سورة المائدة آية ٤].

قال الله تعالى:{ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾} [سورة الأعراف آية ١٥٧].

والإسلام يراعي الإنسان في المشاق حيث تختلف هذه " المشاق بالقوة والضعف، وبحسب الأحوال، وقوة العزائم وضعفها، وبحسب الأزمان والأعمال، وقد ترك الشارع كل مكلف على ما يجد، كما ترك كثيراً موكولاً إلى الاجتهاد كالمرض فكثير من الناس يقوى في مرضه على مالا يقوى

(١) ماجد عرسان الكيلاني، مناهج التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص - ١٥٢.

عليه الآخر " (١).

وعندما نظر العلماء في النصوص المخففة من أجل المرض والسفر، وحالات الإكراه، والاضطرار كانت لهم نظرات متعددة عند تغير الحكم الشرعي من وضعه الأصلي إلى ما هو من أجل العذر، فبعضهم نظر إلى إعمال الدليل المحرم، وقيام الحرمة أو عدمها، وانبنى على ذلك تقسيمات للرخصة إلى حقيقة ومجازية.

والإنسان المسلم الذي تزكت نفسه عليه أن يستجيب لأمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم في قبول الرخص التي رخص بها حتى يؤدي العبادات التي فرضت عليها.

قال الله تعالى:{شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾} [سورة البقرة آية ١٨٥].

قال الله تعالى:{يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾} [سورة النساء آية ٢٨].

فالمراد عموم التخفيف، وأخذ الرخصة كما جاءت الشريعة به.

فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً فرخص فيه، فتنزه عنه قوم فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فخطب، وحمد الله ثم قال: ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه فوالله إني لأعلمهم بالله، وأشدهم له خشية (٢).

إن اتباع اليسر والسهولة، والأخذ برخص الله هو منهج الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فهو أعلم الناس بما أنزل، وأشدهم خشية له.

---

(١) إبراهيم موسى الشاطبي، مرجع سابق، ج - ١، ص - ٢١٣ - ٢١٥.
(٢) أحمد على العسقلاني، مرجع سابق، ج - ١٠، ص - ٥١٣.

والرسول صلى الله عليه وسلم أعلمهم " وإن كان الله قد غفر له لكنه مع ذلك أخشى الناس لله، وأتقاهم فما فعله من عزيمة أو رخصة فهو غاية التقوى والخشية " [١].

لذا فالتقوى والخشية من صفات الذين تزكت أنفسهم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم زكاه ربه فلا بد من متابعته صلى الله عليه وسلم .

ولقد راعت التربية الإسلامية حاجة الجسم إلى الترويح لإعطاء الجسم قسطاً من الراحة، وعدم قضاء الوقت كله في الصرامة والتوتر " والمقياس في براءة الترويح هو ألاّ يتعدى اللهو، والترويح سرور اللاهي ليلحق الأذى والألم بالآخرين والمخلوقات الأخرى " [٢].

والترويح واللهو المباح الذي يمارسه الإنسان المسلم لأحد سببين:

الأول: الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثانيا: تحقيق فوائد لا تتم إلا به.

وتتم ممارسة اللهو في ظل الضوابط الشرعية التي تكفل له الانضباط بالشريعة الإسلامية حتى تتزكى الأنفس، ويكون هذا الترويح واللهو المباح.

فعن عطاء بن رباح قال: رأيت جابر عبدالله وجابر عمير الأنصاريين رضى الله عنه يرميان فقال: أحدهما للآخر أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " كل شيء ليس من ذكر الله فهو لعب، لا يكون أربعة: ملاعبة الرجل امرأته، وتأديب الرجل فرسه، ومشي الرجل بين الغرضين، وتعليم الرجل السباحة " [٣].

" ففي الحديث نص على أن هذه الألوان من الترويح محمودة،، إنها من ذكر الله، وما ذلك إلا لأنه تحقق أهدافاً كبرى: كالاستعداد للجهاد بتقوية

(١) المرجع السابق، ج - ١٣، ص - ٢٧٩.
(٢) ماجد عرسان الكيلاني، مرجع سابق، ص - ١٥٣.
(٣) نور الدين أبوعلي الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت، ج - ٥، ص - ٢٦٩.

الجسم، وإعداد النفس، وتعويد الإنسان على نبذ الكسل " [١].

والإسلام راعى الطبيعة الإنسانية " وجعل لهذا المخلوق المكلف الضعيف فسحة في الأمر. قال الله تعالى:{يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ} [سورة البقرة آية ١٨٥]... وجعل لهذه الفسحة ما يضبطها من قواعد حتى لا يخرج عن الإطار الذي حدد لها، وحتى لا تفسد الهدف الأسمى الذي يكدح الإنسان من أجله " [٢].

فأباح الله سبحانه وتعالى للإنسان بعد الجد والكدح، وأن يأخذ شيئاً من الراحة والاستجمام يريض به جسمه، ويعيد بها نشاطه، ويحي بها نفسه، ويعيد إليها تجددها، ويرح عقله، ويعيد له صفاءه وتوقده.

والإسلام يحث النظر إلى الكون المليء بآيات الجمال، وعلى الإنسان أن يفكر دائماً في سر الإبداع في نفسه وفيما حوله، ويشد الأذهان إلى الجمال، والتربية الإسلامية تحوي منهجاً تربوياً متكاملاً يتضمن هذه الناحية الجمالية.

والقرآن الكريم يلقي الضوء على الانعكاسات التربوية، والتي لها دور في تحقيق الأهداف، ومنها الزينة، والتي لا غنى للإنسان عنها حتى لقد أمر الله بها " ولكن التوسط والاعتدال حتى لا تكون سبيلاً إلى الفتنة والفساد " [٣].

وحتى تتزكى النفس بهذا التوسط والاعتدال، والإسلام يحل الزينة، ويزجر من يحرمها، ويصف الله الجمال ويعده " من آيات قدرته وسوابغ نعمه على عباده " [٤].

---

(١) محمد بن أبي بكر بن القيم، الفروسية، دار التراث، المدينة المنورة، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ص - ٤٣.

(٢) خالد فهد العودة، الترويح التربوي، دار مسلم للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، ص - ٣٣.

(٣) أحمد فؤاد الأهواني، القيم الروحية في الإسلام، من سلسلة دراسات في الإسلام، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف، القاهرة، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م، ص - ١١٨.

(٤) عبد الجواد سيد بكر، فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، دار الفكر، القاهرة،

حيث يقول سبحانه وتعالى:{ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾} [سورة الكهف آية ٤٦] " والزينة والعبادة تتفقان ولا تفترقان بل تجب الزينة في محراب العبادة " (١).

حيث يقول سبحانه وتعالى:{يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ} [سورة الأعراف آية ٣١].
وقال تعالى:{وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾} [سورة القصص آية ٦٠].
ولكي يدخل الإنسان في هذه التوجيهات الجمالية لابد من التنفير من القذارة والرثاثة و شعث الهيئة واصطناع الزهد والخشوع في الأشكال دون الأصول؛ إذ " ليس الخشوع بأكل الخشن ولبس الخشن وتطأطئ الرأس ولكن الخشوع أن ترى الشريف والدنيء في الحق سواء، وتخشع لله في كل فرض افترض عليك " (٢).

فهذا المظهر الخارجي في الخشوع ليس المطلوب، ولكن الذي تتزكى بها النفس هو الخشوع لله، وإعطاء الحق الواجب عليك.

فالمظهر الجمالي يكون بجمال الثياب والملبس دون التكبر والتعالي على الناس والتشبه بمن لا يليق لنا أن نتشبه بهم. كما قال تعالى:{فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾} [سورة القصص آية ٧٩].

تزكية النفس والأخلاق [التحلية والتخلية]:

الأصل في السلوك الظاهر أن يكون مظهرياً تعبيرياً لأحوال النفس

١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ص - ٢٤٤.

(١) عباس محمود العقاد، التفكير فريضة إسلامية، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ص - ٦٨.

(٢) محمد يزيد بن ماجه، مرجع سابق، باب القناعة، ج - ٢، ص - ١٣٨٨ حديث رقم ٤١٤٣.

وحركاتها، ولما كان السلوك الظاهر عرضه لدوافع النفاق والرياء أو مؤثرات العادة التي لا تعبر عن صدق في الاتجاه القلبي والنفسي.

والإسلام له عناية بتزكية النفس وتهذيبها من نزعات الشر والإثم، وإزالة حظ الشيطان منها، وتنمية فطرة الخير، ومتى حصلت في النفس هذه التزكية غدت صالحه لغرس فضائل الأخلاق فيها، وتهذيب طبائعها تهذيباً مصلحاً ومقوماً وكابحاً وموجهاً، وبتهذيب طباع النفس يتهيأ المناخ النفسي الصالح لتفجر منابع الخير، وطبيعي أنه متى تزكت النفس، وتهذبت طباعها استقام السلوك الداخلي والخارجي لا محالة.

والإسلام له بناء خاص فأحوال النفس الداخلية يعبر عنه السلوك الظاهر، فالتقويم للسلوك الظاهري بناء على غير أساس، وكل بناءٍ على غير أساس عرضة للانهيار، لذلك كان نظر الله تبارك وتعالى في مراقبته لأعمال عباده موجهاً لما في قلوبهم ونفوسهم.

عن أبي هريرة رضى الله عنه رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال:{**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى أعمالكم وقلوبكم**} [١].

وقال الله تعالى:{خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾} [سورة الأعراف آية ٩٩].

فالآية تدعو إلى التمسك بالأخلاق لتتزكى النفس إذ " لما نزلت هذه الآية سأل النبي صلى الله عليه وسلم جبريل فقال: يا محمد إن ربك يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك فقال النبي صلى الله عليه وسلم :{**ألا أدلكم على أشرف أخلاق الدنيا والآخرة؟**} قالوا: وماذاك ؟ فذكره قال الطيبى ما ملخصه أمر الله نبيه في هذه الآية بمكارم الأخلاق فأمر أمته بنحو ما أمر الله به، ومحصلهما الأمر بحسن المعاشرة، وبذل الجهد في الإحسان إليهم والمداراة معهم والإغضاء عنهم

(١) محمد أحمد القرطبي، مرجع سابق، ج - ١، ص - ٢٦١.

" [١].

لذا على الإنسان أن تكون هيئة النفس الخلقية سامية مترفعة عن السفاسف والدنايا التي تسيء إلى الإنسان، وتعطي عنه صورة أخلاقية مذمومة. وصدق العمل في بعض الطاعات سبباً في تزكية النفس، وتطهيرها من ممارسات أخرى فيها دنس، ولذلك جعل الله من وسائل مداوة الذي خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً واعترفوا بذنوبهم أخذ قسط من أموالهم على سبيل الصدقة لتطهيرهم وتزكيهم.

قال الله تعالى:{وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾} [سورة التوبة آية ١٠٢-١٠٣].

والإسلام " ربط بين العقيدة والأخلاق التي ارتضاها لأتباعه ربطاً وثيقاً حتى تتزكى نفسه بهذه الأخلاق فإن مقتضى الإيمان بالله أن يكون المؤمن ذا خلق محمود، وأن الأخلاق السيئة دليل على عدم وجود الإيمان أو دليل على ضعفه، وعلى ذلك يمكننا أن نعرف مدى إيمان الشخص بمقدار ما يتحلى به من مكارم الأخلاق " [٢].

ولذا على الإنسان أن يكون حسن الخلق، وهو في حقيقته هو صورة لباطن الإنسان، وللناس أحوال في حسن الخلق وهي كما يلي:

(١) أن يحسن مع الله ومع الخلق، وهذا أكملها وهذا هو المأمور به شرعاً.

(٢) أن يحسن مع الناس، ويسيء المعاملة مع الله مع انتفاء الإيمان أو وقوع الشك، وهذا حال المنافقين.

(٣) أن يحسن مع الله، ويسئ مع الخلق مع انتفاء أصل حسن الخلق منه بوجود الاعتداء والظلم لغيره، فهذا أهدى حسناته لمن ظلمه، وهو لا يشعر.

---

(١) أحمد علي العسقلاني، شرح البخاري، مرجع سابق، ج - ١٣، ص - ٢٧٤.
(٢) محمد ربيع جوهري، أخلاقنا، مكتبة دار الفكر الإسلامي، المدينة المنورة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، ص - ٣٧.

(٤) تكميل أحد الجانبين مع التقصير في الجانب الآخر مع وجود أصله.

(٥) التقصير في كلا الجانبين مع وجود أصلهما من الإيمان الصادق، وتأدية الفرائض في جانب الخلق، ودفع الأذى، وبذل الندى في جانب الخلق " [١].

فالقاعدة الكبرى للأخلاق تتلخص: بأن يعامل الإنسان الآخرين ما يحب أن يعاملوه به، ولا يعاملهم بما يكره أن يعاملونه به، فذلك يؤدى إلى صفاء القلب وطهارته وتزكية لنفسه وبناء مجتمع راسخ متماسك تشيع فيه الألفة والمحبة بين أفراده، ولن تترسخ الأخلاق الحسنة في النفس ما لم يتعود جميع العادات الحسنة، وما لم يترك جميع العادات السيئة، وما لم يواظب عليها مواظبة من يشتاق معها إلى الأفعال الجميلة ويتنعم بها، ويكره الأفعال القبيحة ويتألم بها.

لكن لابد من اكتساب الأخلاق الحسنة مع وجود الاستعداد الفطري لاكتسابها، فمن لا يملك هذا الاستعداد فمن المقدر عليه أن يكتسبه بأية وسيلة من الوسائل.

عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :**{إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله عز وجل يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الدين إلا لمن أحب فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه، والذي نفسي بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه، ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه}**. قالوا: وما بوائقه ؟ يا نبي الله قال:**{غشمه وظلمه، ولا يكسب عبد مالاً من حرام فينفق منه فيبارك له فيه، ولا يتصدق به فيقبل منه،، لا يترك خلف ظهره إلا كان زاده النار، إن الله عزوجل لا يمحو السيئ بالسيئ، ولكن يمحو السيئ بالحسن إن الخبيث لا يمحو الخبيث}** [٢].

أي أن الله أعطى بعضاً خلقاً حسناً، وبعضاً خلقاً سيئاً، و فاوت في مراتبها،

---

(١) خالد سعود الرشود، عبق الجنة في صفات النفس المطمئنة، دار القاسم، الرياض، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص - ١٢١.

(٢) أحمد بن حنبل الشيباني، مرجع سابق، ج - ١، ص - ٣٨٧، صححه الحاكم في ج - ١، ص - ٣٣ - ٣٤، ووافقه الذهبي.

كما وسع الرزق على بعض وضيق على الآخر. فالذي غلب عليه الحسن الكامل لا يحتاج إلى علاج، ومن غلب عليه صفات الذم احتاج إلى علاج قوي، ومن كان فيه أصل الحسن احتاج التعود ليحصل له قوة في الصفة التي تلبس بها.

فالإنسان الذي يريد أن يزكي نفسه عليه أن يتحلى بأخلاق منها الرحمة والتواضع، والحلم والسخاء، والقناعة والعفة وأن يتخلى عن الكبر والحسد والحرص والبخل والغيبة والنميمة والرياء.

تزكية النفس والاقتصاد: ـ

من الأمور التي تؤدي إلى تزكية النفس معرفة الحلال والحرام حيث تمتد إلى جميع النشاطات الإنسانية فسلوك المنتج له أثر فإذا عرف ما الحلال الذي ينتجه فكان ذلك حلالاً له؛ لذا فتطبيق لقاعدة الحلال والحرام نجد الإسلام قد حرم على أبنائه صناعات وحِرفًا لما فيها من إضرار بالمجتمع في عقيدته أو في أخلاقه أو مقوماته ويدخل في دائرة الحلال الإتقان في الصنعة، والدعوة إلى الكسب الشريف ليحمي الإنسان من السقوط والتهلكة والنار. قال الله تعالى:{كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾} [سورة المدثر آية ٣٨].
" ومن كما ل الدين أن شرع الزكاة لتطهير النفس مما قد يكون علق بها من أوضارٍ أثناء العمل، كأن لا يؤدى متقناً أو يؤخذ عنه أجراً أكثر مما يستحق " (١).

فيقول الله سبحانه وتعالى:{خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [سورة التوبة آية ١٠٣].

والإسلام يحرم الإسراف في الاستهلاك لجميع الموارد التي يمكن أن يستخدمها آخرون فيها مصلحة لهم.

قال الله تعالى:{إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ

(١) أحمد ماهر البقري، القيم الخلقية في الإسلام، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م، ص - ٢٥.

كَفُورًا ﴿٢٧﴾ } [سورة الإسراء آية ٢٧].

وحرم الترف وقال تعالى:{حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم بِٱلۡعَذَابِ إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجۡـَٔرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾} [سورة المؤمنون آية ٦٤-٦٥] ومن أهم خصائص الإنسان حبه الشديد للمال حبا يملك عليه نفسه، ويسيطر على تفكيره، ويؤثر في سلوكه، ويكيف نظرته إلى الحياة، ويؤثر على علاقته بالناس، فقد يكون المال سبباً في سعادة الإنسان وقد يكون سبباً في شقائه.

والإنسان مفطور على حب المال وقد بين الله سبحانه وتعالى ذلك في القرآن الكريم.

قال الله تعالى:{وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾} [سورة الفجر آية ٢٠].

وقال تعالى:{زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ} [سورة آل عمران آية ١٤] " والإسلام يرضي غريزة حب المال عند الإنسان مع دعوته إلى مراقبة الله حين يسعى لكسب المال، كما يأمره بتجنب الوسائل المحرمة كالربا والنسيء والسرقة والقتل، وغيرها من أجل كسب المال والسيطرة عليه " (١).

والمال نعمة من عند الله، والإنسان المسلم يحتاج إلى تزكية نفسه عن طريق " الزهد النافع الذي يحبه الله وهو الزهد فيما لا ينفع في الآخرة، فأما ما ينفع في الآخرة، وما يستعان به على ذلك فالزهد فيه زهد في نوع من عبادة الله وطاعته، والزهد إنما يراد لأنه زهد فيما يضر أو زهد فيما ينفع فأما الزهد في النافع فجهل وضلال " (٢).

(١) عبد المنعم حسنين، والإنسان والمال في الإسلام، دار الوفاء للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م، ص - ٨١.

(٢) أحمد عبد الحليم ابن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام، مرجع سابق، ج - ١٠، ص - ٥١١.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :{**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف. وفي كل خير. احرص على ما ينفعك. واستعن بالله ولا تعجز. فإن أصابك شيء فلا تقل: لو إني فعلت كذا وكذا. ولكن قل: قدر الله، وما شاء فعل. فإن لو تفتح عمل الشيطان**} [١].

" والنافع للعبد هو عبادة الله وطاعته وطاعة رسوله، وكلما صده عن ذلك فإنه ضار لا نافع، ثم الأنفع له أن تكون كل أعماله عبادة لله وطاعة له، وإن أدى الفرائض، وفعل مباحاً لا يعينه على الطاعة فقد فعل ما ينفعه، وما لا ينفعه ولا يضره " [٢].

فالإنسان الذي أكرمه الله بنور البصيرة يعرف النافع له، ويحرص عليه، ومن ذلك الزهد بأنواعه.

إذاً فالزهد يكون على " ثلاثة أوجه:

الأول: ترك الحرام وهو زهد العوام.

الثاني: ترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص.

الثالث: ترك ما يشغل عن الله وهو زهد العارفين " [٣].

قال الله تعالى:{مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ } [سورة النحل آية ٩٦-٩٧]

وقال تعالى:{وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾} [سورة طه آية ١٣١].

" فالزهد هو عدم الالتفات إلى الدنيا بحذافيرها؛ مالها وجاهها وشهواتها،

---

(١) محمد يزيد بن ماجة، مرجع سابق، جـ ١، ص - ٣١.
(٢) أحمد عبد الحليم ابن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام، مرجع سابق، ج - ١٠، ص - ٥١١.
(٣) محمد بن أبي بكر ابن القيم، مدارج السالكين، مرجع سابق، ج - ٢، ص - ١٤.

وزينتها وزخارفها رغبة في الآخرة ونعيمها " [١].

قال الله تعالى:{تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾} [سورة القصص آية ٨٣].

كما أن الزهد يكون لله وهو " صرف الرغبة إليه، وتعلق الهمة به، والاشتغال به عن كل شيء يشغل عنه ليتولى هو حسم هذه الأسباب عنك " [٢].

ويقع غلط عند الناس في فهم الزهد من عدة وجوه: -

" ١- أن يزهد الناس فيما ينفع و لا يضر كالزهد في الزواج و أكل الطيبات من الحلال.

٢- أن يزهد الناس زهداً يوقعهم في فعل المحظور كالزهد في العمل إلى أن ينتهي الزاهد إلى الفقر، ويضطر إلى التسول، وأخذ الصدقات، والمعونات المشروطة بهدر الدين والكرامة.

٣- أن يجنح أناس إلى الكسل والبطالة، والراحة بحجة الانقطاع إلى الآخرة أو القناعة بالقليل.

٤- أن يعتبر الزهد صفة ملازمة للفقراء دون الأغنياء بحيث يصبح الزهد ذريعة يحتال بها المحتكرون للاستئثار دون غيرهم للمال ونعيم الدنيا " [٣].

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: كنا نمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض حيطان المدينة فقال: يا أبا هريرة فقلت: لبيك يا رسول الله فقال:**{إن المكثرين هم الأقلون إلا من قال: بها له هكذا وكذا، وأومأ بيده عن يمينه وعن شماله، وقليل ما هم}**، ثم قال: يا أبا هريرة ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة ؟ قلت: بلى يا رسول الله قال: **{تقول لا حول ولا قوة إلا بالله ولا ملجأ ولا منجا من الله إلا إليه...}** [٤].

---

(١) يوسف المرعشلي، مرجع سابق، ص - ١٠٢.
(٢) محمد بن أبي بكر ابن القيم، طريق الهجرتين، دار ابن كثير، دمشق، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ص - ٤٠٩.
(٣) ماجد عرسان الكيلاني، مناهج التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص - ١٨٨ - ١٨٩.
(٤) محمد عبد الله الحاكم، مرجع سابق، ح - ١، ص - ٥١٧.

الإنفاق في سبيل الله من الأمور المحببة، وهي من الأمور التي أمر الله بها، والأفضل ذكر الله سبحانه وتعالى.

" ٥- أن يظن الناس أن الزهد هو صفة ملازمة للفقراء من العلماء، والحقيقة أن الزهد الذي طالب به الإسلام العالم هو أن يزهد بما عند الحاكم ترفعاً و استعلاءً بمكانته.

٦- طلب الفقير أن يزهد بقوت حياته، وما يحفظ له كرامته وإنسانيته، وأن يرضى بفقره " (١).

ومن الأمور التي تتزكى بها نفس الإنسان عد استغلال الناس بعضهم البعض بحجة أن يرضوا بما قسمة العباد القسمة الظالمة الجائرة، ويجعل من الربا و الاحتكار أنه مراد الله وقسمته.

قال الله تعالى:{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ} [سورة يس آية ٤٧].

والإسلام نهى عن الربا حتى يُكون مجتمعاً يسوده التعاون والتكامل والتراحم، والمحبة خالٍ من الظلم.

وكما أن الإسلام نهى عن الاحتكار درءاً لمساوئه، وحضارة للمجتمع، وإخلال بحاجات الناس.

" والاحتكار هو: حبس السلع عن البيع، ويري بعضهم أن ذلك قاصر على الطعام فقط " (٢).

فعن عبدالله بن نافع العدوي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:{لا يحتكر إلا خاطئ مرتين} (٣).

(١) ماجد عرسان الكيلاني، مرجع سابق، ص - ١٩١ - ١٩٢.

(٢) محمد عبد المنعم عفر، الاقتصاد الإسلامي، دار البيان العربي، جدة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ح - ١، ص - ١٦٥.

(٣) محمد عبد الرحمن الدارمي، سنن الدارمي، دار الكتب العلمية، د. ت، ج - ٢، ص٢٤٩.

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:{الجالب مرزوق والمحتكر ملعون} [(١)].

فتتزكى نفس الإنسان المسلم بترك الاحتكار وهو من الأمور المحرمة شرعاً، والتي نهى عنه الإسلام، وترك الاحتكار من الأمور التي فيها متابعة للرسول صلى الله عليه وسلم .

المال في الاقتصاد يقوم في الإسلام على أسس ثلاثة: -

أولاً: المال مال الله تعالى، والناس مستخلفون فيه [(٢)].

قال تعالى:{ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿٧﴾} [سورة الحديد آية ٧].

ويقول الله شأن المكاتبين من الأرقاء:{وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغۡنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَكَاتِبُوهُمۡ إِنۡ عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرٗاۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمۡۚ وَلَا تُكۡرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمۡ عَلَى ٱلۡبِغَآءِ إِنۡ أَرَدۡنَ تَحَصُّنٗا لِّتَبۡتَغُواْ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَمَن يُكۡرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعۡدِ إِكۡرَٰهِهِنَّ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٣﴾} [سورة النور آية ٣٣].

ثانيا: كراهية أن يحبس المال في أيدي فئة قليلة من الناس يتداول بينهم بينما يمنع عن الآخرين " [(٣)].

قال الله تعالى:{مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٧﴾} [سورة الحشر آية ٧] " فلجأ الإسلام إلى وسائل أهمها

(١) المصدر السابق.

(٢) على أحمد مدكور، منهج التربية في التصور الإسلامي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، ص - ١٩٦ - ١٩٧.

(٣) على أحمد مدكور، منهج التربية في التصور الإسلامي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، ص - ١٩٦ - ١٩٧.

الزكاة، والإرث، والصدقات، والمال العام أو الملكية العامة، وتربية الضمير الإنساني.

ثالثا: الملكية الفردية فالمال مال الله، والناس مستخلفون في ملكيته التصرف فيه والانتفاع به، لكن التصرف والانتفاع الذي لا يصل إلى السفه والناس يملكون المال بالعمل والكسب وبالإرث " (١).

وبهذه النظرة يصبح الإنسان المسلم زكي النفس إذا ارتضى حكم الله وشرعه في المال.

تزكية النفس والناحية الاجتماعية: ـ

الإنسان لا يعيش إلا منتظماً في جماعة يتصف أفرادها بخصائص واحدة، وهو يمتاز عن غيره من الكائنات بما وهبه الله من العقل والتفكير وحرية الاختيار حتى يحاسب على ما عمل في أمره، وأقام الله الحياة الاجتماعية على الزواج لإيجاد التعرف بين أفراد المجتمع، وبث روح المودة والأنس والمحبة والرحمة، وأفراد المجتمع يتفاوتون في المواهب والإمكانات والاختصاصات ليكمل بعضهم بعضاً، ويسدد بعضهم خلة بعض؛ لذا أودع فيهم استعدادات فطرية للتعاون والتكامل في المجتمع.

وتزكية النفس تكون في الأمور الاجتماعية كما يلي:

١) الزواج:

دعا الإسلام لحفظ النفس وتزكيتها، ومن الأمور التي تزكي النفس غض البصر، والزواج يساعد على غض البصر، ويعين على ذلك، فلا يستهين أحد بالنظرة فقد قال بعض الصالحين " كم من أكلة نعت من قيام الليل. وكم من نظرة منعت قراءة سورة " (٢).

لذا كان الأمر بغض البصر والتحذير من إرساله طليقاً، وذلك صيانة للقلب وتزكي للنفس.

---

(١) المرجع السابق، ص ـ ١٩٦ ـ ١٩٧.
(٢) محمد محمد الغزالي، مرجع سابق، ج ـ ١، ص ـ ٣٦٨.

قال الله تعالى:{قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ أَوۡ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآئِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوۡ نِسَآئِهِنَّ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣١﴾ } [سورة النور ٣٠-٣١].

وذلك لأن " غض البصر وحفظ الفرج أطهر في الدين وأبعد من دنس الآثام " (١).

وقال فيها أيضا " البصر هو الباب إلى القلب وأعمر طرق الحواس بحسب ذلك كثر السقوط من جهته ووجب التحذير، وغضه واجب عن جميع المحرمات، وكل ما يخشى الفتنة من أجله " (٢).

ومن الأمور المساعدة على غض البصر الزواج؛ إذ هو نعمة من نعم الله وهو من الأمور التي تتزكى بها النفس وتحفظها، فقد حث الإسلام على الزواج ورغب فيه فقال تعالى:{وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٣٢﴾} [سورة النور آية ٣٢].

ولقد وصف الله رسله ما امتن به عليهم. فقال سبحانه:{وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَذُرِّيَّةٗۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ لِكُلِّ أَجَلٖ كِتَابٞ ﴿٣٨﴾} [سورة الرعد آية ٣٨].

وحض الرسول صلى الله عليه وسلم الشباب على الزواج، وبين أثره في

(١) محمد أحمد القرطبي، مرجع سابق، جـ ١٢، ص - ٢٢٦.
(٢) محمد أحمد القرطبي، مرجع سابق، ج - ١، ص - ٢٢٣.

تحصين النفس.

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :**{يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء}** (١).

فالزواج يؤدي إلى تزكية النفس ووقايتها من الانحرافات وتوجيه الشهوة في طريقها الشرعي الذي يرقى بالفرد والمجتمع ويحقق صلاحهما. فعن أنس ابن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:**{من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه فليتقي الله في الشطر الثاني}** (٢).

فالزواج له صلة وثيقة بتزكية النفس حيث تحقق شطر الدين، وتحصين النفس من الرذيلة، وبالزواج يتحقق إقامة حدود الله وذلك بإقامة الحياة الزوجية على تقوى الله وخوف منه ومرضاة له في كل من شؤونهما وعلاقتهما الزوجية.

والزواج إذا قام على أسس صحيحة كانت تزكية النفس للزوجين " وعليه فالزواج ليس قضاء الشهوة وإرواء لغريزة بل هو مقربة إلى الله سبحانه وتعالى، وأحد الوسائل المعينة على طاعته ونيل لمرضاته " (٣).

عن أبي حاتم المزني رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :**{إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فانكحوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد}**. قالوا: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن كان فيه؟ قال:**{إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فانكحوه}** ثلاث مرات (٤).

---

(١) محمد إسماعيل بن البخاري، مرجع سابق، كتاب النكاح، باب قول النبي: من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ج - ٧، ص - ٣.

(٢) محمد عبد الله الحاكم، مرجع سابق، كتاب النكاح، ج - ٢، ص - ١٦١.

(٣) محمد عقله، نظام الأسرة في الإسلام، مكتبة الرسالة، عمان، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ج - ١، ص - ١٢٦.

(٤) محمد بن عيسى الترمذي، مرجع سابق، كتاب النكاح، باب ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه فزجوه، ج - ٣، ص - ٣٩٥.

فهكذا يعلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف نقدر الناس وبأي مقياس نقيس الرجال إنه مقياس التقوى العمل الصالح، وليس المال أو الجاه أو المظهر. " ولا يفهم من قولنا هذا أنه دعوة إلى مراعاة الجوانب المعنوية من عقيدة، وخلق وإليها فحسب، وانتباذ الجوانب المادية من مال أو جمال أو جاه وما إلى ذلك؛ بل هي دعوة إلى أن نضع الاعتبارات الإنسانية والمعنوية في المقام الأول؛ بحيث لا يصح إغفالها أو تجاهلها بأي حال من الأحوال عند الاختيار، فإذا أضفنا إليها الاعتبارات الحسية كان ذلك أكمل وادعى إلى أن يحقق الزواج غاياته وأهدافه " (١).

والمرأة تنكح لأمور كما جاء في الحديث الشريف عن جابر رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:{**إن المرأة تنكح على دينها ومالها وجمالها فعليك بذات الدين تربت يداك**} (٢).

فالعنصر الأساسي في الاختيار والذي من شأنه مراعاته، وتحكيمه أن يكتب للأسرة السعادة والنجاح والديمومة هو التقاء الرجل والمرأة على الدين والتقوى والإيمان، والذي تتزكى بهم النفس مع الإخلاص في النية والقصد.

ومن تزكية النفس عدم العضل للزوجات اللاتي طلقن بالرجوع إلى أزواجهن.

قال الله تعالى:{وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾} [سورة البقرة آية ٢٣٢].

مما يؤدي إلى عفاف الزوج والزوجة وهو من تزكية النفس، وتحقيق الاستقرار والمودة والرحمة.

---

(١) محمد البهي، الفكر الإسلامي والمجتمع المتكامل، دار الفكر العربي، القاهرة، د. ت، ص - ٢٣٣ - ٢٣٤.

(٢) محمد بن عيسى الترمذي، مرجع سابق، كتاب النكاح، باب: ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه، ج - ٣، ص - ٣٩٦.

٢: الصحبة: ـ

الصحبة لها تأثير في صاحبها إذ تذكر بالله، وقد يضل عن الذكر وهي من أعظم الأمور التي تبعث على الهمة، وتربي على الأخلاق الرفيعة في النفس، وتعين على تزكية النفس وتهذيبها.

فالإنسان مولع بمحاكاة من حوله، شديد التأثير بمن يصاحبه، والصحبة الشريفة لا صحبة المنفعة أو صحبة المصلحة تشبه سائر الفضائل من حيث رسوخها في النفس، وإيتاؤها ثمراً طيباً في كل حين.

فالصحبة الصالحة هي زينة في الرخاء، وعدة في البلاء، وهم الذين يذكرون الله إذا نسي الناس، ويرشدون إذا جهلوا، ويأخذون باليد إذا ضعفت.

ولذلك أمرنا سبحانه وتعالى بصحبة أهل الصدق والتقوى والحرص على مجالستهم وملازمتهم قال الله تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ } [سورة التوبة آية ١١٩].

والصحبة الصالحة من أعظم وسائل التزكية، ولأهميتها فقد استخدمها القرآن الكريم.

قال الله تعالى:{وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾} [سورة الكهف آية ٢٨]، وقال تعالى:{قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ﴿٦٦﴾} [سورة الكهف آية ٦٦].

ولقد دعا موسى ربه بأن يشد أزره بأخيه هارون عليه السلام.

قال الله تعالى:{وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا} [سورة طه آية ٢٩-٣٤].

فطلب " موسى أن يشرح صدره وييسر له أمره، ويحل عقدة من لسانه،

ويعينه بوزير من أهله... كل أولئك لا ليواجه المهمة، ولكن يتخذ ذلك كله ساعداً له ولأخيه، على التسبيح والذكر الكثير والتلقي من السميع البصير »[١].

فالصحبة المتينة لا تحل في نفس إلا هذبت أخلاقها الذميمة، فالمتكبر تنزل به الصحبة إلى أن يتواضع لأصحابه، وسريع الغضب تضع الصحبة في نفسه شيئاً من كظم الغيظ، فيجلس إلى أصحابه في حلم وأناة.

والمولى سبحانه وتعالى بين أن كل صحبة أو صداقة لا ترتبط عراها على أساس الدين والإيمان والتقوى سوف تنقلب عداوة يوم القيامة.

قال الله تعالى:{ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ} [سورة الزخرف آية ٦٧].

وما أشد الموقف الذي يصور الحسرة والندامة لإنسان جالس أصدقاء السوء حتى كانوا سبباً في إفساده، وإبعاده عن طريق أهل الإيمان.

قال الله تعالى:{وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ﴿٢٨﴾ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ﴿٢٩﴾} [سورة الفرقان آية ٢٧-٢٩].

والإنسان بطبعه يحب العيش بين الناس؛ لذا فلا يستغني عن الصحبة، فهو يحب أن يكون له صحبة يلتقي بهم، ويأنس بمجالستهم، فالصاحب المؤمن يضيء لصاحبه طريق الخير، والصحبة السيئة تؤدي إلى الهلاك والضرر[٢].

والسنة النبوية أرشدت إلى اختيار الجليس الصالح الذي ينفع، والبعد عن الجليس السوء الذي يضر.

عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم

(١) سيد قطب، مرجع سابق، ج - ٤، ص - ٢٣٣٣.
(٢) سيد قطب، مرجع سابق، ج - ٤، ص - ٢٣٣٣.

قال:{إنما مثل الجليس الصالح، والجليس السوء كحامل المسك، ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيباً، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثاً} [(١)].

فالصاحب ساحب ولو بعد حين، ومن أدعى أنه لا يتأثر بمصاحبة الأشرار فقد أخطأ.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :{الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل} [(٢)].

فإذا وفق المرء لصحبة أجلاء عقلاء من ذوي الدين والمروءة فإن ذلك من علامة توفقيه، ومن مهينات نبوغه، فإذا كان الأمر كذلك، فما أجدر أن يبحث عن إخوان ثقات، وأصحاب الخير حتى يعينوه على كل خير، ويقصروه عن كل شر، ونبه إليها السلف الصالح إلى الصحبة، وأثرها.

فليس " شيء أشبه بالرذائل من الاستكثار من الإخوان والأصدقاء فإن ذلك فضيلة تامة متركبة لأنهم لا يكتسبون إلا بالحلم والجود والصبر والوفاء والاستضلاع والمشاركة والعفة، وحسن الدفاع، وتعليم العلم، وبكل حالة محمودة.

ولسنا نعني الشاكرية[(٣)] والأتباع أيام الحرمة (فأولئك لصوص الإخوان، وخبث الأصدقاء، والذين يظن أنهم أولياء وليسوا كذلك، ودليل ذلك) انحرافهم عند انحراف الدنيا " [(٤)].

فإذا كانت الصحبة غير صالحة فهي مؤذية تؤذي صاحبها فكثرتها كذلك، فإذا " أحصيت عيوب الاستكثار منهم، (وصعوبة الحال في

(١) محمد إسماعيل البخاري، مرجع سابق، كتاب البيوع، باب في العطار وبيع المسك، ج - ٣، ص - ١٦.
(٢) سليمان الأشعث السجستاني أبو داود، مرجع سابق، كتاب الآداب، باب من يؤمر أن يجالس، ج - ٤، ص - ٢٧٩.
(٣) الشاكري: الأجير، والمستخدم
(٤) علي أحمد بن حزم، الأخلاق والسير، تحقيق إيفار رياض، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ص - ١١٩ - ١٢٠.

إرضائهم، والغرر في مشاركتهم)، وما يلزمك من الحق لهم عند نكبة تعرض (لهم، فإن غدرت بهم، أو أسلمت لومت وذممت، وإن وفيت أضررت بنفسك، وربما هلكت.) " [١]

وما للصاحب من تأثير بالغ على صاحبه، فقد يكون سبباً للتذكير بالله تعالى، والعمل الصالح، وقد يضل عن الذكر والعمل الخير.

وللصحبة شروط وخصائص لابد منها لرفقة طريق الآخرة وهي كما يلي:

أولاها: خصائص فردية تمكن الفرد من العيش والعمل، وتحمل المشاق، وصحة التوجيه كالعلم والحماسة، وغيرها من مجمل صفات المسلم المقتصد العادية.

ثانيها: خصائص ملائمة للحياة الاجتماعية تمكنه من العيش مع جماعة حتى يتفاعل معها، ويؤثر في مسيرتها كالأخوة والطاعة والصبر الإيثار.

الثالثة: خصائص جهادية تمكنه من تحمل المشاق للسفر الطويل، والأخذ بالعزائم، والمرونة في التعامل، والشجاعة والتضحية " [٢].

ولذلك لابد من النظر في الصحبة، وكيفية بناء طريقهم في الحياة، فالأصل " الذي بنو به طريقهم؛ التزام الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتقديم العلم على حظوظ النفس والاستغناء بالله عن جميع خلقه " [٣].

لذا فالصحبة الخيرة لها عظيم الأثر، فالأصحاب " الثقات من الأخلاء إن افتقرت أغنوك، وإن دعوا الرب لم ينسوك " [٤]، وإذا رأيتهم، بالله ذكروك.

قال الله تعالى:{أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ } [سورة يونس آية ٦٢] عن عبد الله بن عباس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى:{أَلا إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا

(١) المصدر السابق.
(٢) إبراهيم محمد العلي، مرجع سابق، ص - ١٩٣.
(٣) الحارث أسد المحاسبي، مرجع سابق، ص - ١٠٠ - ١٠١.
(٤) المرجع السابق، ص - ١٠٨.

خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [سورة يونس آية ٦٢] قال: الذين إذا رؤوا ذكر الله " (١).

لذا فعلى المسلم أن يختار من ينفعه ويعينه على دينه ودنياه.

٣) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الأمور التي تتزكى بها الأنفس وهى من شعائر الإيمان التي يتميز بها أهل الحق من الأنبياء والرسل وأتباعهم، فقد كانت مهمتهم الأمر بالمعروف من إقامة التوحيد وعبادة الله وإقامة العدل، والتزام الأخلاق الفاضلة والنهي عن المنكر من الشرك والعصيان والظلم والإفساد في الأرض.

قال الله تعالى:{يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾} [سورة لقمان آية١٧].

وقال تعالى:{فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾} [سورة هود آية ١١٦].

وقال تعالى:{وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾} [سورة آل عمران آية ١٠٤] وقال تعالى:{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾} [سورة آل عمران آية ١١٠].

وكان حظ النبي صلى الله عليه وسلم من هذه الوظيفة أكبر حيث أمر أمته بكل أمر معروف، ونهاهم عن كل منكر.

وقوله تعالى:{ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ

(١) نور الدين أبوعلي الهيثمي، مرجع سابق، ج - ١٠، ص - ٧٨.

وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٥٧﴾} [سورة الأعراف آية ١٥٧].

" هو بيان لكمال رسالته فإنه صلى الله عليه وسلم هو الذي أمره الله على لسانه بكل معروف ونهى عن كل منكر وأحل كل طيب وحرم كل خبيث " (١).

فاتباع أمر الرسول صلى الله عليه وسلم من تزكية النفس التي رضي بها الإنسان المؤمن، وهو من أعظم إصلاح النفوس للأفراد والمجتمع.

فالإنسان المسلم يبدأ بنفسه فيأمرها بما أمر الله سبحانه وتعالى ورسوله، ينهاها عما نهى عنها، وهي من أهم وظائف الإنسان والمجتمع المؤمن؛ الذي مكنهم الله في الأرض، وهو لازم لاستمرار التمكين.

قال الله تعالى:{ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾} [سورة الحج آية ٤١].

وقال تعالى:{وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾} [سورة التوبة آية ٧١].

ففي الآية " أن المؤمنين جميعاً من رجالٍ ونساءٍ يضطلعون من قاعدة واحدة، وهي أنهم يأمرون بالأمور الحسنة، والأعمال الصالحة، والأخلاق الفاضلة، وينهون عن كل ما خالف الشرع من العقائد الفاسدة والأعمال السيئة، والأخلاق الرديئة، ومن هذا شأنه. قال الله تعالى: {أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُ} أي يدخلهم في رحمته ويشملهم بإحسانه " (٢).

---

(١) أحمد عبد الحليم بن تيمية، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تحقيق صالح المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م، ص - ١٠.
(٢) عبد الرحمن ناصر السعدي، مرجع سابق، ص - ٣٤٤.

وقال تعالى:{ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾} [سورة التوبة آية ١١٢].

أي " الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر أي الداعون إلى الإيمان، وما تبعه من أعمال البر والخير، والناهون عن الشرك وما سبيله من المعاصي والسيئات " (١).

فا لآية فيها دلالة على تزكية النفس بالأمر بالمعروف، وهي الإيمان بالله، وما يتبعه من أعمال البر، والنهي عن المنكر وهو الشرك على أن يبدأ بنفسه، ويعمل ما يأمر به الناس.

تزكية النفس والسياسة: -

الإنسان المسلم له دور كبير في السياسة يظهر ذلك في سلوكه من خلال اتجاهاته النفسية، وأخلاقه الاجتماعية، ومن خلال قيام الإنسان المسلم الذي تربى تربية إسلامية منذ صغره على إقامة هذا السلوك، وهو كما يلي:

١) الولاء:

" الولاء هي من الولاية أي النصرة والمحبة والإكرام والاحترام والكون مع المحبوبين ظاهراً وباطناً " (٢).

قال الله تعالى:{ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ} [سورة البقرة آية ٢٥٧].

" يعنى التقرب إليهم، وإظهار الود لهم بالأقوال والأفعال، والنوايا " (٣).

(١) محمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، دار الفكر، بيروت، د. ت، جـ ٤، ص - ٣٤.

(٢) سليمان بن عبدالله محمد، تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد، دار الفكر، بيروت، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ص - ٣٥٧.

(٣) محمد نعيم ياسين، الإيمان ن مكتبة العلم، القاهرة، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، ص - ١٤٠.

لذا " عقد الله الأخوة والمحبة والموالاة والنصرة بين المؤمنين، ونهى عن موالاة الكافرين كلهم من يهود ونصارى وملحدين ومشركين وغيرهم " [(١)].

كان من الأصول المتفق عليها بين المسلمين أن كل مؤمن موحد تارك لجميع المكفرات الشرعية تجب محبته وموالاته ونصرته، وكل من كان بخلاف ذلك وجب التقرب إلى الله ببغضه، ومعاداته وجهاده باللسان واليد بحسب القدرة والإمكان.

فالولاية " التي ينهى الله الذين آمنوا أن تكون بينهم وبين اليهود والنصارى... تعنى التناصر والتحالف معهم، ولا تتعلق، بمعنى إتباعهم في دينهم فبعيداً جداً أن يكون بين المسلمين من يميل إلى اتباع اليهود والنصارى في الدين، إنما هو ولاء التحالف والتناصر الذي كان ملتبسًا على المسلمين أمره، فيحسبون أنه جائز لهم بحكم ما كان واقعاً من تشابك المصالح والأواصر، ومن قيام هذا الولاء بينهم وبين جماعات من اليهود قبل الإسلام، وفي أوائل العهد بقيام الإسلام في المدينة حتى نهاهم الله عنه، وأمر بإبطاله بعد ما تبين عدم إمكان قيام الولاء والتحالف والتناصر بين المسلمين واليهود في المدينة " [(٢)].

والولاء من تزكية النفس " وهو واجب شرعي بل من لوازم الشهادة وشرط من شروطها " [(٣)].

قال الله تعالى:{وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ} [سورة البقرة آية ١٦٥].

والولاء ثلاثة أقسام:

(١) محمد سعيد القحطاني، الولاء والبراء في الإسلام، دار طيبة، مكة المكرمة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ص - ٩١.

(٢) سيد قطب، مرجع سابق، ج - ٢، ص - ٩٠٩.

(٣) إبراهيم بن محمد البريكان، المدخل لدراسة العقيدة، دار السنة، الخبر، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ص - ١٩٤ - ١٩٥.

أولا: من يستحق الولاء المطلق: وهم الذين آمنوا بالله ورسوله وقاموا بشعائر دينيه من القيام بالواجبات واجتناب المحرمات مخلصين له الدين.

ثانيا: من يستحق الولاء ويستحق البراء من جهة أخرى فهو المسلم العاصي الذي يهمل في بعض الواجبات ويفعل بعض المحرمات التي لاتصل إلى الكفر الأكبر.

ثالثا: من يستحق البراء مطلقاً وهو المشرك والكافر سواء كان يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً أو غير ذلك " (١).

فالولاء تزكية للنفس كان من بداية صدر الإسلام.

وقال الله تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾} [سورة التوبة آية ٢٣-٢٤].

لذا على المسلم الذي يريد تزكية نفسه أن يبتعد عن جميع ما يؤدي إلى الولاء للعصبيات أو المصالح المادية الإدارية والتربوية والاجتماعية وغيرها.

٢) العدل:

يعتبر دعامة قوية لتزكية النفس، وهو الغاية لكل فرد في أمة الإسلام يحققه لنفسه ولمجتمعه.

قال تعالى:{۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾} [سورة النحل آية ٩٠].

(١) إبراهيم بن محمد البريكان، المدخل لدراسة العقيدة، دار السنة، الخبر، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ص - ١٩٤ - ١٩٥.

والعدل أوجبه الله وهو العدل المطلق الذي ينظم به جوانب الحياة جميعا فهو عدل في الحكم قال الله تعالى:{۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾} [سورة النساء آية ٥٨].

وعدل في القول{وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾} [سورة الأنعام آية ١٥٢].

وعدل عند كتابة الوثائق:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ} [سورة البقرة آية ٢٨٢].

وعدل عند الصلح بين المتخاصمين. قال الله تعالى:{وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٩﴾ } [سورة الحجرات آية ٩].

والعدل واجب " مع الإحسان لأن الإحسان يلقي ظلال الرحمة والمودة على العدالة التي تشمل كل جانب من جوانب النفس وتحيط بكل ما في المجتمع " (١).

" وهو من أهم الركائز في مجال السياسة والحكم بصفة خاصة، وفي كل مناحي الحياة بصفة عامة، وهو مقصد رئيسي وضروري من مقاصد الإسلام، ولا يتصور صلاح النفس والمجتمع وانتظام أمرهما إلا على أساس العدل " (٢).

فالعدل مطلوب في نطاق العلاقات الأسرية قال الله تعالى:{وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا

(١) عبد الفتاح عاشور، منهج القرآن في تربية المجتمع، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. ص - ٤٩٦.

(٢) محمد السيد يوسف، منهج القرآن في إصلاح المجتمع، دار السلام، القاهرة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، ص - ١٧١.

تُقْسِطُواْ فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ } [سورة النساء آية ٣].

وكذلك العدل بين الأولاد في العطية، وذلك بعدم التفريق بين أولاده فيعطي ولداً ولا يعطي الآخر.

والإمام العادل الذي زكى نفسه من الأصناف السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم القيامة.

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم :{**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله الإمام العادل......**}.

قال القاضي عياض المراد بالإمام هنا من يلي أمور المسلمين من الأمراء وغيرهم، وإنما بدا به لأن نفعه كثير ومتعد إلى غيره " [١].

وترقية المجتمع لأنه لن يصلح أمر الفرد إذا ساءت أحوال المجتمع، وحركة المجتمع ليست واحدة فالذي تزكت نفسه بما عليه من واجبات وحقوق له لأفراد مجتمعه بحيث يصبح فرداً من هذا المجتمع.

كما يكون الأثر التربوي في العدل أن يكون هناك " تحقيق للمساواة بين الطلاب بوصفهم في مدارس موحدة المستوى من حيث المباني، والمناهج والمدرسين، بل يجب أن ترتفع إلى مستوى العدالة الحقيقية فتصمم المباني والمناهج التي تتناسب مع فطرة الله في البنت والولد، فيعطي كل جنس نوع من التعليم الذي يناسبه، ويناسب وظيفته في الحياة " [٢].

فالعدل أساس في المعاملات بحيث لا يكون هناك تفضيل لفرد على فرد آخر، فيكون هناك تفريط في العدل.

خلاصة:

---

(١) مسلم بن الحجاج بن مسلم، مرجع سابق، كتاب الزكاة، ٠باب فضل إخفاء الصدقة، ج - ٣، ص - ٩٣.

(٢) علي أحمد مدكور، مرجع سابق، ص - ١٩٩.

تكلمت في هذا الفصل عن تزكية النفس في المجالات التعبدية والأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ومن خلال الفصل تبين أن تزكية النفس هي تربية ذاتية ومستمرة يكون عون الله أساس فيها، ومن ثم يقوم بها الإنسان في حياته حتى تتزكى نفسه، وتصبح نفساً زكية بإذن الله تعالى، وسأتكلم في الفصل التالي عن تزكية النفس في بعض الفلسفات وهي الفلسفة الواقعية، والفلسفة البرجماتية، والفلسفة البوذية؛ حيث أدى مدى قيام كل فلسفة من خلال الأفكار الرئيسية لها، والاستنباط من خلالها عن تزكية النفس.

وما سبب الاختيار لهذه الفلسفات، وذلك بكلامها عن النفس والأخلاق.

* * *

الفصل الثالث: تزكية النفس في بعض الفلسفات

الفصل الثالث: تزكية النفس في بعض الفلسلفات

* توطئة.
* الفلسفة الواقعية وتزكية النفس.
* الفلسفة البرجماتية وتزكية النفس.
* الفلسفة البوذية وتزكية النفس.
* خلاصة

توطئة:

جاء الإسلام بتزكية النفس حتى يحقق للإنسان صفاء القلب، ويشعر بالسعادة؛ لأنه أهّل نفسه ليكون عبداً لله، وصار جديراً باستقبال الهدي، وذلك أن هدي الله لا تتقبله إلا النفوس الزكية، والتي زكت نفسها لله سبحانه وتعالى.

قال الله تعالى:{وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾} [سورة العنكبوت آية: ٦٩].

وتحصيل السعادة لا يكون إلا بتزكية النفس عن طريق الإيمان والاهتداء لمعرفة الخالق سبحانه وتعالى والاستنارة بنورة، والخضوع له بطاعته فيما أمر، والانتهاء عما نهى عنه.

وفي المقابل قامت الفلسفات على مبادئ وأفكار تدعو إليها، ولوجود فلسفات متعددة بدأت بالفلسفة المثالية، فهي تقوم من خلال أفكار ومبادئ ومعتقدات تبناها مفكرون حتى تصبح هذه الفلسفة لها دور فعال من خلال مبادئها وأفكارها ومعتقداتها، وحتى تُخرج جيلاً يؤمن بها ويقوم على غرسها في الأجيال القادمة، ولحقتها الفلسفة الواقعية بفكر يناقض الفلسفة المثالية، وكرد فعل لها لأنها تقوم على نظرية الحقيقة، وهي تختلف تماماً عن النظرية الخاصة بالفلسفة المثالية، وتتابعت الفلسفات الأخرى تلو الأخرى إلى الفلسفة البرجماتية والتي عُرفت بمجموعة من الأسماء البرجماتية كما كان يطلق عليها بيرس، والأداتية، والوظيفية، والتجريبية.

ومن خلال كل مبادئ ومعتقدات هذه الفلسفات المثالية، والواقعية، والبرجماتية نستنبط مدى تحقيق كل فلسفة بتزكية النفس، وطريقة تزكيتها لها، وسبب اختياري هذه الفلسفات كلامها عن النفس والأخلاق والفكر وطريقة التفكير، وأما في الشرق فكانت هناك فلسفات ومنها الفلسفة البوذية، والتي انتشرت في أماكن كثيرة؛ إذ تنتشر مبادئها، و التي قام بها عدد كبير، ومن خلال هذه المبادئ نستنبط مدى تحقيقها هذه الفلسفة بتزكية النفس.

فالجوهر الذي تتمثل فيه علاقة الفرد بذاته يرتبط بالقدرة الذاتية على تزكية نفسه، وتنمية وجدانه وإصلاح فكره وصقل غاياته، فيصبح الإنسان في حالة توازن بين الجسم والعقل والروح، كما أن الفرد عليه أن يتخلق بالأخلاق الفاضلة، ويسعى إلى البراءة من دوافع الأثرة واتباع الهوى، حتى يقوم بعمار الأرض بالعمل الصالح من خلال منهج الله فيها، وليس من خلال سلوك فردي، وعزلة ينقطع فيها المرء عمن حوله، فإطلاق العنان لشهوات الجسد، وتحطيم متطلبات الروح، يؤدي إلى التخبط والضياع، وكما أن معاملة الإنسان بمقاييس الآلة أو الحيوانية التي دمرت خصائصه، وحولته عن إنسانيته؛ لذا وقع في التناقض والاضطراب في كيانه الإنساني، وتمزق بين وجهتين مختلفتين وهي الروح والجسد.

الفلسفة الواقعية:

هي تلك التي يعترف مفكروها " بوجود عالم خارجي مستقل عن أي عقل يدركه، وعن جميع أفكار أو أحوال العقل وليست الأمور المدركة في التجربة سوى رموز في العمل، ولكنها رموز تدل على حقائق خارجية واقعة " [١].

لذا جاءت هذه الفلسفة لتناقض منطلقات الفلسفة المثالية، وتختلف معها اختلافا جذرياً إذ اتجهت إلى الواقع المادي المحسوس، ولا وجود لعالم المثل الذي آمنت به الفلسفة المثالية، وتستند الفكرة الواقعية إلى استقلال العالم الخارجي بما يحويه من أشياء، ومكونات فيزيائية عن العقل الذي يقوم بإدراكها وعن جميع ذلك العقل وأحواله [٢].

والواقع أن التعارض بين المثالية والواقعية يكمن في فكرة أساسية هي أن المذهب المثالي يشطر العالم شطرين ظاهر وباطن أو مظهر وحقيقة، ويجعل عالم الحقيقة الكائن خلف هذا العالم هو عالم الفكر على حين أن

---

(١) أوزفلد كوليه، مرجع سابق، ص - ١٩١.
(٢) عبد الكريم على اليماني، مرجع سابق، ص - ٧٠.

الواقعية تتقبل العالم كما هو لهذا قيل عنها " إنها وجهة نظر طبيعية يأخذ بها رجل الشارع أخذ الواثق، من صدق دعواه فمن لم تكن لديه بعض المعارف لوظائف الأعضاء أو علم النفس فسوف يكون على استعداد تام للأخذ بالواقعية بل بالصورة الساذجة منها أيضاً " [١].

والواقعية هي المذهب الذي يأخذ به عامة الناس حين يعتقدون أن أفكارنا صور مكانية للأشياء في الخارج فالعينان نوافذ ندرك من خلالها العالم الواقعي على نحو ما هو عليه تماماً، وليس الذهن إلا لوحة أو صفحة يخط عليها الإدراك الحسي انطباعاته.

ولقد " تطورت الواقعية وأصبحت تضم عدة مذاهب واتجاهات واقعية، إنها مصطلح شامل تندرج تحته عدة مدارس فكرية مستقلة عن بعضها البعض، على الرغم أن كل فلاسفتها يؤكدون على واقعية وجود المادة، ولكنهم يختلفون على قضية أصل العالم المادي الفيزيقي(الواقعي)، وأنه موجود مستقلاً عن الملاحظة " [٢].

فالواقعية لا تحط من قيمة الأفكار، ولكن تثبتها عن طريق التجربة الحسية اعتقاداً منها أن الفكرة والنظرية يجب أن يتفقا مع الوجود الواقعي (الفيزيقي)، ومن هذا يجب تعليم الدارسين المناهج والأساليب التجريبية كعمليات عقلانية [٣].

إن البدايات المنظمة للفكر الفلسفي الواقعي نجده عند أرسطو " حيث ذهب إلى أن الصورة والمادة كل لا يتجزأ، وتكن الحقيقة في عالمنا؛ لذا فإن أرسطو اهتم بدراسة الحقائق البيولوجية (علم الأحياء)، ويرى أن الإنسان عليه أن يحكم عقله فيما بين يديه، وإن عالمنا يفهم ذاته، وأن

(1) Cergo. TW. Patrick, Introduction To Philosophy, Houghton mitfllin Company ‹N. Y. 1935 ‹pig354.

(٢) محمد منير مرسي، فلسفة التربية واتجاهاتها ومدارسها، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ص - ١٨٣.

(٣) نعيم حبيب جغيني، مرجع سابق، ص - ١٣٣.

الإنسان يفهم كمخلوق طبيعي لا كمخلوق إلهي " [١].

وتستمد الواقعية اسمها وفكرتها وفلسفتها من الفكرة التي تقوم عليها، وهي دراسة الواقع والأساس منها المادة معتمده على الخواص الخاضعة لأحكام العقل في الوقت نفسه على منهج التجريب والاستقراء في جمع البيانات من طريق الواقع وفحصه [٢].

إن الفلسفة الواقعية هي الفلسفة التي لا تريد أن تضحي بوجود الطبيعة في سبيل الذات، وهي تريد أن تحد من تأثير الذات واتجاهات الشخصية في الحكم على الأشياء، وسميت واقعية لاعتقادها بحقيقة المادة، فالحقيقة موجودة في عالم الأشياء الفيزيقية(الواقعية)، ووجودها حقيقي فكل ما هو موجود في العالم الخارجي ليس مجرد أفكار من العقول لدى الأفراد الذين يلاحظونها أو حتى في عقل ملاحظ أزلي بل موجودة وجوداً حقيقيًا في حد ذاتها مستقلة عن العقل [٣]، وترفض الفلسفة الواقعية كل ما وراء الطبيعة (الميتافيزيقية أي الغيبيات)، وإن كل ما يأتي من الطبيعة خاضع للقوانين العلمية [٤].

لذا فالفلسفة الواقعية تميل إلى الاعتراف بوجود مستقل للطبيعة والأشياء، وتنكر على الذات قدرتها على خلق الأشياء أو إيجادها.

كما تقوم الفلسفة الواقعية على أسس رئيسة وهي:

١) أن هناك عالمًا له وجود حقيقي لم يصنعه أو يخلقه الإنسان، ولم يسبقه وجود وأفكار مسبقة.

٢) أن هذا العالم الحقيقي يمكن معرفته بالعقل الحقيقي سواء بالعقل الإنساني أو الحدس أو التجربة.

---

(١) هاني عبد الوهاب خلاف، المستقبلية والمجتمع المصري، كتاب الهلال، العدد ١٤٢٤، القاهرة ١٤٠٦هـ (ابريل) ١٩٨٦م، ص - ١١٧ - ١١٨.

(٢) عبد الكريم على اليماني، مرجع سابق، ص - ٧١.

(٣) أحمد فاروق محفوظ، مرجع سابق، ص - ١٩٧.

(٤) هاني عبد الوهاب خلاف، مرجع سابق، ص - ٩٧.

٣) أن هذه المعرفة يمكن أن ترشد وتوجه السلوك الفردي والاجتماعي الضروري للإنسان.

وبالرغم من هذه الاعتقادات المتفق عليها عند الواقعيين إلا أن الفلسفة الواقعية قد مرت بعدة حقب تاريخية عكست كل حقبة مرحلة من المراحل التي مرت بها الفلسفة وسوف نتناول كل حقبة على أساس الفلسفة التي ظهرت في تلك الحقبة.

تطور الفلسفة الواقعية:

١) الفلسفة الكلاسيكية:

تعرف الفلسفة الواقعية " بالفلسفة الإنسانية وهي واقعية أرسطو الذي ولد في عام (٣٤٨ـ ٣٢١ ق. م) في ستاجيرا وهي مستعمرة يونانية وكان أبوه نيقوماخوس طبيب بلاط الملك امينتاس المقدوني، وتلقى العلم على يد أفلاطون، وبعد وفاة أفلاطون أسس دار التعليم المنسوبة إلى الفلاسفة المشائين في أثينا " [(١)]. وهو مؤسس الفلسفة الواقعية حيث كان واقعي النظرة تجريبي النزعة [(٢)]، فرأي أرسطو أن العالم الواقعي هو عالم حقيقي بما فيه من أشياء، ولا تسبقه أفكار، وذهب إلى أن كل ما هو موجود في العالم الفيزيقي (الواقعي) (هواء، ورجال، حيوانات، ماء، نبات) مكون من مادة، وأن هذه المادة تأخذ أشكالاً مختلفة، فالمادة هي أساس كل شيء، ويمكن مشاهدتها باتخاذها لشكل معين، والمادة تزداد في التعقيد كلما ازداد تعقد الشكل " [(٣)].

ويحاول أرسطو عن طريق العلة أن يفسر العناصر الميتافيزيقية (ما وراء الطبيعة) المسببة للتغيرات المختلفة في الكائنات، ويقسم العلة إلى أربعة أقسام وهي كما يلي:

---

(١) إسماعيل الشرفا، مرجع سابق، ص - ٤٠، فيصل عباس، موسوعة علماء النفس والتربية، دار الفكر العربي، بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ص - ٣٦.

(٢) إبراهيم ناصر، مرجع سابق، ص - ٢٥٣.

(٣) أحمد فاروق محفوظ، مرجع سابق، ص - ١٩٨.

١) **العلة المادية**: وهي المادة التي تتكون منها الأشياء.

٢) **العلة الفاعلة أو المحركة**: وهي ما يؤثر في إيجاد الشيء كالصانع للتمثال.

٣) **العلة الصورية**: وهي الأوصاف والمميزات التي بها تكون حقيقة الشيء وماهيته.

٤) **العلة الغائية**: وهي التي تشكل الغاية من وجود الشيء " [١].

وليس " المقصود لكي نشرح أي شيء أن ننتقي علة أو أخرى بل إن العلل الأربعة ماثلة. في كل حالة من والوجود أو إنتاج شيء من الأشياء فإن العلل الأربعة تعمل في وقت واحد. زيادة على ذلك فإن العلل الأربع نفسها موجودة معاً في الإنتاج الإنساني والكوني. موجودة في إنتاج المواد المصنعة على يد الإنسان، وفي إنتاج الأشياء على يد الطبيعة " [٢].

" ويختصر أرسطو العلة إلى علتين لاعتقاده أن العلة الغائية ترجع على الصورة، والعلة الفاعلة ترجع إلى المادة، ولكن سرعان ما يحوّل ما أطلق عليه العلة المادية والعلة الصورية إلى ما أسماه هو بالهيولي، والصورة لا يصح أبداً أن تكون هيولي لغيرها، والتي ينتهي عندها تسلسل الصور فهي الله أو المحرك الأول " [٣] فالتحول لا يقره أرسطو من الصورة إلى الهيولي " و " يستدل أرسطو على وجود الله من النظر في ظاهرتي الزمان والحركة، فالزمان لا بداية له ولانهاية؛ لأن كل آن Nun منه له قبل وبعد، فهو موجود منذ الأزل وإلى الأبد، ولما كان الزمان الحركة، فهو يفترض وجود حركة أزلية أبدية، ومثل هذه الحركة لابد أن تكون دائرية متصلة في المكان حتى لا يكون لها بداية ولا نهاية

(١) محمد بيصار، مرجع سابق، ص - ١٢٦.
(٢) ولتر ستيس، تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م، ص - ١٧٥.
(٣) أميرة حلمي مطر، الفلسفة عند اليونان، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، د. ت، ج - ٢، ص - ٢٧٩ - ٢٨٠.

وهي حركة السماء " [١].

" فالله محرك السماوات هو دوماً موجود بالفعل، والحال إن الموجود تمام الوجود بالفعل حتى لا يبقى أثر في الوجود بالقوة من التطور الممكن من الهيولي من عدم الملك لا يمكن إلا أن يكون تعقلاً، ويتخيل أرسطو هذا الفعل الخالص بمقتضى الحال الأكثر إنصافاً للألوهية وبالغبطة التي يكون عليها الإنسان " [٢].

فهذا ما قدمه أرسطو عن إثبات وجود الله عن طريق الزمان والحركة.

الإنسان:

أشار أرسطو إلى تكوين الإنسان بتعريفين:

الأول: أن النفس كمال أولي لجسم طبيعي آلي، فالإنسان نفس هي صورته والبدن هو مادة هذه الصورة.

الثاني: أن النفس ما به نحيا ونحس ونفكر ونتحرك في المكان " وهو يشير إلى وظائف الإنسان " [٣].

وأما " وظيفة الإنسان هي نشاط النفس التي توصف بالإدراك أو على الأقل التي لا توصف بعدم الإدراك لشخص عاقل أو على الأقل لشخص غير عاقل " [٤].

وأما تعريف الخير بالنسبة للإنسان فهو " نشاط طبقاً لمبدأ الخير، ووفق ما هو أحسن وأكمل إذا كان هناك أكثر من نوع واحد للخير " [٥].

---

(١) أميرة حلمي مطر، الفلسفة عند اليونان، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، د. ت، ج - ٢، ص - ٢٧٩ - ٢٨٠.

(٢) إميل برهية، تاريخ الفلسفة، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة، بيروت، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، ص - ٨٤.

(٣) محمد أحمد شريف وآخرون، استراتيجية تطوير التربية العربية، مؤسسة الريحاني للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ص - ٣١.

(٤) بول منرو، المرجع في تاريخ التربية، ترجمة صالح عبد العزيز، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د. ت، ص - ١٥٠.

(٥) المصدر السابق.

ولقد قسم أرسطو الخير إلى نوعين: خير الإدراك، وخير الخلق، أما خير الإدراك: فينشأ وينمو عن طريق التعليم وهو من نتائج الخبرة ومرور الزمن، وأما خير الخلق: فينشأ عن العادة، ولما كانت الطبيعة لا تمنع خير الخلق، فهي تترك كل فرد منا قادراً على أن يحصل على هذا الخير عن طريق تكوين العادة وبناء على ذلك يتكون الخير من عنصرين وجود الخير، وعمل الخير " (١).

وأما علاقة البدن فهي علاقة وثيقة، والدليل الذي يستند إليه أرسطو هو أن " لا تصدر عن النفس وحدها، بل عن المركب من النفس والجسد، وكذلك الأحاسيس فهي تتم بمشاركة البدن، أما العقل فهو محتاج للتخيل والإدراك والحس أي أنه محتاج للبدن؛ إذ أن الإنسان مركب من نفس وجسد

متحدان اتحاد الصورة بالمادة " (٢).

٢) الواقعية الدينية:

وتعرف أحياناً بالفلسفة الواقعية المدرسية، والصورة الرئيسية للواقعية الدينية هي " الاسكولائية " أو الفلسفة للكنيسة الكاثوليكية الرومانية، وترى الفلسفة الواقعية الدينية أن العالم مادي واقعي، وموجود خارج عقول أولئك الذين يلاحظونه منطلقين من مبدأ أرسطو، و أما التوماويون من أتباع توماس الأكويني فيقولون: إن الله خلق المادة والروح معاً، فأنشأ كوناً منظماً ومعقولاً بحكمته، وهذا دليل على واقعيته، وكل شيء يخلقه الله فهو واقعي وحقيقي، وعلى الرغم من أن الروح ليست أكثر واقعية من المادة، لكنها أهم منها لأن الله نفسه روح فهي ضرب من الكينونة أسمى من المادة، ومنطلق تفسيرهم هذا يستمدونه من الوحي والكتاب المقدس، أي من الإيمان غير مهملين العقل والتجربة لدعم هذا الإيمان

(١) المرجع السابق، ص - ١٥٠.
(٢) عبد الكريم على اليماني، مرجع سابق، ص - ٧٢.

.[١]

ومن أبرز مؤسسي هذه الفلسفة: - " توماس الأكويني(١٢٢٥- ١٣٧٤م) " [٢]

" ولد في دوكاسيكا بالقرب من أكوينو على الحدود الشمالية المملكة صقلية القديمة، وينتمي لأسرة نبيلة - لومبارديه من قرابة فريدريك الثاني، وقد انتقل إلى جامعة نابولي حيث انضم إلى رهبنة الدومنيكان، ودرس على ألبرت الأكبر بكولونيا وباريس، حيث تخرج وحاضر بوصفه أستاذاً، ثم عين فيها مستشاراً للبلاط البابوي.

وقد كان ثابت العزيمة هادئاً متواضعاً... وأعلن قديساً ١٣٢٣م - توفي وهو في طريقه إلى ليون " [٣].

" وهو عالم اللاهوت الفيلسوف الذي أبدع في تطويع تعاليم أرسطو للاهوت الكنيسة وخرج بفلسفة مسيحية سميت التومية، وما هي إلا مزيج من علم الأخلاق عند فلاسفة العهد القديم والمسيحية والميتافيزيقية عند فلاسفة اليونان، فهو يقيم دعامة لأخلاقه كما عند أرسطو؛ إذ يعتقد أن أسمى مراتب الخير الذي يفعله الإنسان هو الجهاد في سبيل الوصول إلى الكمال الإلهي.

كما يؤمن بأهمية العقل والتفكير المنطقي ودراسة الطبيعة، وذلك كالفلسفة الإنسانية العقلية لكنها تضيف الاهتمام بالوحي والإلهام وعلة اللاهوت، فهي تقوم على الاعتراف بكل ما في الطبيعة والقوة الخارقة للطبيعة ممثلة في الإله الذي خلق الوجود كله، فهي فلسفة ذات طبيعة ثنائية، وعلى الرغم من الازدواجية بين الإله والطبيعة إلا أن لكل منهما صفات خاصة به لا تنسب إلى الآخر، فالزمان والمكان والتغير والنمو من خصائص الجوانب الطبيعة في حين أن الأولية، وعدم التغير، وعدم

(١) جورج. ف. نيللر، مقدمة إلى فلسفة التربية، مرجع سابق، ص - ١٥.
(٢) علي أحمد مدكور، نظريات المناهج العامة، دار الفرقان، الأردن، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ص - ٢٣٩.
(٣) فيصل عباس، موسوعة الفلاسفة، دار الفكر العربي، بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ص - ٧٥.

التقيد بالزمان والمكان من خصائص الإله " [١].

وفلسفة توماس الأكويني تقوم على العبارة التالية الشهيرة " يجب ألا تقوم العقيدة على العقل، ولا يمكن أن تنبثق العقيدة من المعرفة، و إنما تنبثق المعرفة من العقيدة ولتبدأ بعقيدة راسخة في خير الله ومن هذه القاعدة يمكنك أن تثبت التناسق بين الكون وخلاص نفسك " [٢].

" لذا يردد كثيراً (في عقيدتي الكثير مما يفوق عقلي، ولكن ليس فيها ما يناقضه).

والواقع أن الأكويني كان يمثل مدرسة فكرية سادت في العصور الوسطى كان هدفها الاستعانة في الدفاع عن العقيدة، وتقوية الحياة الدينية، والكنيسة عن طريق تقوية المواهب العقلية، والقضاء على الشك والتساؤل والإلحاد عن طريق المناقشة " [٣].

" لذا فمعرفة الله الخالق تتم بالحدس أو الإلهام فجميع الأديان السماوية تشير إلى وجود الله، والأديان هي كلمة الله إلى جميع البشرية عن طريق رسله وأنبيائه " [٤]. ولكن المعرفة يمكن أن يحصل عليها الإنسان بالحواس.

كما أن الإنسان كجسم وروح (مادة وعقل) لا يمكن تصور وجوده بدون روح أو النفس فهي سر الحياة وكذا لا يمكن تصوره مجرد جسم.

لذا تنظر الواقعية المدرسية إلى أن العالم حقيقي، ويقوم خارج عقل أولئك الذين يلاحظونه، ويؤكد التوميين أن كلاً من المادة والروح قد خلقهما الله، فهو الذي أنشأ كوناً منظماً معقولاً صادراً عن حكمته وخبرته الفائقتين

---

(1) Brubacher J. S., Modern Philosophies of Education, 5rd. Edn. McGraw - Hill Book Company, Inc. , New York, 1992, pig 335 - 6

(٢) محمود عبد الرزاق شفشق، الأصول الفلسفية للتربية، دار البحوث العلمية، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ص - ١٧٩.

(٣) محمود عبد الرزاق شفشق ومنير عطا الله سليمان، تاريخ التربية، دار القلم، الكويت ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م، ص - ١٧١.

(٤) أحمد فارق محفوظ، مرجع سابق، ص - ٢٠٠.

(١)
.

ويؤكد الأكويني أن العالم " الخير أساسه فيقول إن الخير ليس حالة سلبية، وإنما هو عمل إيجابي. فإذا ما تساءلنا: لماذا يسمح الله بالشر ؟ فإننا لا نعني حقاً إلا هذا السؤال: لم يسمح الله بوجود ما نحكم عليها بالشر ؟ وجواب ذلك: أن الله يرى، ونظره أصوب من غير ما حدود من النظر البشري.

إن الشر نتيجة الابتعاد (ابتعاد الإنسان عن الله) كما أن الخير نتيجة الاتحاد (اتحاد الإنسان مع الله).

وهكذا فإن الشر لا يقوم بذاته بل هو خير ناقص لم ينضج أو ظل يطمس ضوء الشمس والشر إن هو إلا تحد لروح الإنسان، فلنتغلب على النقص، ونزيل العقبات التي تلغي الظلال، والبدن الشرير هو بدن مريض، وما الآلام التي تصدر عن المرض سوى آلام نفس ممزقة فإذا ما انتصرنا على الشر، فإننا نعود أصحاء مرة أخرى " (٢).

كما أن الحركة تستند إلى سلطة الكنيسة وتعاليمها، فقد عملت على أن تتجنب إثارة روح البحث والتساؤل، وتبتعد عن خلق جو من العداء يبعث على معارضة أي حكم من الأحكام لم يدل البحث المبدئي على أنه صحيح(٣).

والعالم أو الطبيعة محكومة بقوانين ربانية تسير الكون توجهه، وما على الإنسان إلا أن يحاول أن يتكشف ذلك من خلال دراسته للعالم، فمن خلال دراسة الكون وسر إبداعه وتناسقه ليصل الإنسان إلى معرفة المبدع

---

(١) جورج ف. نيللر، في فلسفة التربية، ترجمة محمد منير مرسي، عالم الكتب، القاهرة، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م، ص - ٦٠ - ٦١.

(٢) محمود عبد الرزاق شفشق، الأصول الفلسفية، مرجع سابق، صـ ١٨٠ - ١٨١، وص - ١٨٣.

(٣) محمود عبد الرزاق شفشق، الأصول الفلسفية، مرجع سابق، صـ ١٨٠ - ١٨١، وص - ١٨٣.

الخالق [١].

فالفلسفة الواقعية الدينية تحمل أفكار الفلسفة الكلاسيكية إلا إنها تصبغها بصبغة دينية محاولة التوفيق بين العقل والدين مستخدمة الدفاع عن الدين بوجه عام.

٣) الفلسفة الواقعية الطبيعية أو العلمية: ـ

قامت الفلسفة الواقعية الطبيعية خلال القرن الخامس عشر والسادس عشر بعد قيام العلم الطبيعي، ماثلاً ذلك من تقدم في الصناعة والتقنية، وترجع جذور هذه المدرسة إلى روجر بيكون حيث كان عصر التحول من اللاهوت إلى البحث في الظواهر الطبيعية والتجريب [٢].

إذ " الطريق إلى الحقيقة يمر عبر اللغات القديمة، والأبحاث التجريبية واللاهوت، وتنفرد التجربة بأن لها قيمة بذاتها، لكن التجربة مع ذلك لا تكفي للوصول إلى اليقين فلا بد من مساعدتها من الأشكال العليا للمعرفة الفلسفة واللاهوت " [٣].

وأشهر من نادى بالواقعية العلمية هم ما يلي:

١) فرنسيس بيكون: (١٥٦١ ـ ١٦٢٦)

كانت ولادته " في ظل البلاط الإنجليزي الذي خيم على حياته بأسرها تلقى تعليمه في كيمبردج، ولكنه تركها دون أن يحصل على إجازة علمية، وعاد ودرس القانون فيها، وبعد تخرجه سلك المحاماة في ١٥٧٥، وفي عام ١٥٨٤حصل على مقعد بمعونة عمه اللورد بيرجل، وترقى في مناصب عدة " [٤].

وهو أشهر من نادى بالواقعية العلمية فكان هدفه البحث العلمي، والاستقصاء عملياً أكثر منه ميتافيزيقياً.

---

(١) أحمد فاروق محفوظ، مرجع سابق، ص ـ ٢٠١.
(٢) أحمد فاروق محفوظ، مرجع سابق، ص ـ ٢٠١.
(٣) فيصل عباس، مرجع سابق، ص ـ ٧٩.
(٤) فؤاد كامل، الموسوعة الفلسفية، مرجع سابق، ص ـ ١٤٥ـ ١٤٦.

" وحاول من نواحي كثيرة أن يحيي فلسفة مادية قريبة من مادية ديموقريطس. فلقد زعم أن المنطق الأرسطي غير مفيد بوصفه أداة للكشف فهو يجبرنا على التسليم بنتيجته لكنه لا يكشف عن شيء جديد، ويجر التجربة وراءه كأنها أسير " [١].

" فرسالة بيكون الفلسفية تدور حول موضوع هو (علاقة الإنسان بالطبيعة)، ويمكن القول كذلك إن وراء هذا الموضوع عند بيكون كانت عدة عوامل هامة تشكل الأرضية التي قامت عليها رسالة بيكون، والتي وجهت هذه الرسالة وجهتها الخاصة " [٢].

لذا رأى بيكون ضرورة تحرر العقل من الأوهام، فهي تحرف الإنسان عن قصده، وتجرده على طريق الضلال [٣].

ولذلك " كان أشهر أجزاء كتاب (الأورجانون الجديد)، بل أشهر أجزاء كتاباته كلها، وهو ذلك الجزء الذي يتحدث فيه بيكون عن مظاهر الزلل في ذهن الإنسان أعني الأوهام الأربعة وهي أوهام القبيلة، أوهام الكهف، وأوهام السوق، وأوهام المسرح... وينتقد بيكون ضمن هذه الفئة من الأوهام ثلاثة أنواع من الفلاسفة النوع النظري أو السفسطائي ويمثله أرسطو.

والنوع الثاني هو التجريبي العشوائي empiric، وهو يعتمد تجارب قليلة... النوع الثالث هو أصحاب الخرافة الذين يمزجون الفلسفة باللاهوت " [٤].

---

(١) حبيب الشاروني، فلسفة فرنسيس بيكون، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م، ص - ٨١.

(٢) محمود السيد سلطان، مسيرة الفكر التربوي عبر التاريخ، دار المعارف، القاهرة، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩، ص - ١٤٦.

(٣) فؤاد كامل وآخرون، الموسوعة الفلسفية المختصرة، مراجعة زكي نجيب محمود، دار القلم، بيروت، د. ت، ص - ١٤٧.

(٤) فؤاد زكريا، في آفاق الفلسفة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، ص - ٩٠ - ٩٤.

وهو يرفض تدريس الكلاسيكيات الموروثة عن القدماء؛لأنها تحد تفكير الإنسان، و دعا إلى دراسة الطبيعة للوصول إلى الحقائق العلمية عن طريق دراسة ظواهرها، وذلك بواسطة الحواس، وعن طريق الاستقراء أي الانتقال من دراسة الجزئيات إلى القواعد والمفاهيم العامة (١).

و " حدد الاستقصاء العلمي بمراحل ثلاثة: -

أولاً: - الملاحظة الدقيقة للطبيعة. ثانياً: جمع المعلومات والحقائق.

ثالثاً: - الوصول إلى تعميمات بناءًا على العلاقات المشاهدة بين الحقائق الجزئية " (٢).

وبذلك يعرض لنا منطق بيكون الجديد بقسميه: السلبي وهو الأوهام والإيجابي وهو المنهج الاستقرائي.

٢] جون لوك: [١٦٣٢ـ ١٧٠٤م]

" ولد جون لوك في رينجتون بمقاطعة سومرست في أغسطس سنة ١٩٣٢م أثناء حكم الملك شارل الأول، وكان والده محامياً، واشترك في الحرب الأهلية في جيش كرومل ضد الملك، وهذا كان عاملاً لتفتح ذهنه على بعض الأفكار السياسية السائدة، اشتغل بالسياسة وأصبح يعرف بفيلسوف الحرية، تلقى تعليمه في مدرسة ويستمنستر في لندن، وانتقل إلى اكسفورد؛ لذا يعرف بفيلسوف الحرية في أوروبا، حصل البكالوريوس والماجستير من جامعة أكسفورد، وعين مدرساً للفلسفة، ودرس الطب وحصل على درجة علمية تؤهله لممارسة المهنة إلا أنه لم يعمل في مهنة الطب كمهنة أساسية، وكان يميل ميلاً كبيراً للعلوم الطبيعية " (٣).

وهو " أحد ممثلي النزعة التجريبية درس الطب والكيمياء، ونظرياته في علم النفس يقيمها على اهتمامه بعلم الأحياء، وتدور نظرياته حول

(١) فؤاد كامل وآخرون، الموسوعة الفلسفية المختصرة، مرجع سابق، ص - ١٤٧.
(٢) أحمد فارق محفوظ، مرجع سابق، ص - ٢٠٢.
(٣) نعيم حبيب جغيني، مرجع سابق، ص - ١٤٠

المعرفة والتربية والسياسة... وأهم كتبه: (مقال في الفهم الإنساني " ١٦٩٠ ")[١].

وكان لوك " طيلة حياته نصيراً للتسامح الديني والحرية الفكرية، فهو ينكر سلطة الكنيسة والآباء، ويدعو إلى تفسير الكتاب المقدس في ضوء العقل مما آثار حقد بعض الناس عليه... وللوك عدد كبير من المؤلفات وهي: (بعض آراء في التربية، روح التسامح، التحررية في الدين، التحررية في السياسة، العقلانية في المسيحية) " [٢].

لذا يتميز جون لوك بأنه يميز بين أسلوبين لوجود أي شيء:

أولاً: كونه مادة للطبيعة. ثانياً: كونه مادة للفكر.

وعلى هذا فله وجود مبدئي في العالم الخارجي، وله وجود أيضاً كمادة للفكر في عقول هؤلاء الذين يدركونه [٣].

" فالأنشطة العلمية تهتم بالدرجة الأولى بموضوعات، ومواد العالم الخارجي أو بعمليات العقل، فأما معرفة العقل لمواد العالم الخارجي، فهي تتم عن طريق الحواس، وأما إدراك العقل لعملياته الخاصة الداخلية كالإدراك والتفكير والشك، فتتم عن طريق الاستبطان " فالإحساس " وهو مصدر إدراك الأشياء الخارجية و " الانعكاس " هو مصدر معرفة العقل لعملياته، والانعكاس يعني الاستبطان عند لوك وهو عملية استدارة العقل إلى الداخل، ومعاودته النظر والتأمل داخلياً في آرائه وأفعاله " [٤].

وقد ميز لوك بين الأفكار البسيطة واعتبرها أفكارًا كاملة تمثل نماذجها التي افترض العقل أنه كون فكرته وأفكار غير كاملة (ناقصة).

---

(١) فيصل عباس، مرجع سابق، ص - ٣٩.

(٢) كريم متى، الفلسفة الحديثة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ط٢، ص - ١٥٩.

(3) Boultwood M.F.A., A short History of Education Ideas ‹London, Curtis. S.J. and University Tutorial Press ‹Uthed., 1969. pig 229 - 230.

(٤) على أحمد مدكور، مرجع سابق، ص - ٢٤٤.

فالأفكار البسيطة - تتكون في العقل بواسطة الإحساس أو التفكير، أما الأفكار المركبة، فهي تلك الأفكار التي يقوم العقل بتركيبها أو تأليفها من مجموعة من الأفكار البسيطة الموجودة في العقل أو مجموعة من الأفكار المركبة التي نتجت عن أفكار أخرى بسيطة.

" ويقسم الأفكار البسيطة إلى أربعة أنواع: -

١-أفكار تصل إلى العقل بواسطة حاسة واحدة، وهي التي تتكون في العقل نتيجة للانطباعات الحسية التي تصل إلى الذهن بواسطة إحدى الحواس مثل أفكارنا عن الضوء والألوان كذلك جميع الأصوات والنغمات... وهكذا بالنسبة لبقية الحواس بالإضافة إلى فكرتنا عن الصلابة والبرودة.

٢-أفكار تصل إلى العقل بواسطة أكثر من حاسة مثل - أفكارنا عن المكان والامتداد والشكل والحركة والسكون، فهذه جميعا تكونت نتيجة للانطباعات الحسية التي وصلت إلى الذهن عن طريق حاستين هما " البصر، واللمس ".

٣-أفكار تتكون في العقل بواسطة التأمل الذاتي - مثل أفكارنا عن الإرادة والإدراك.

٤-أفكار تتكون في العقل بواسطة الإحساس مضافا إليه التأمل الذاتي - مثل أفكارنا عن القوة والوجود واللذة والألم [١].

وأما الأفكار المركبة قد قسمها لوك إلى ثلاثة أقسام رئيسية:

١- أفكار مركبة عن الأعراض وهي قد تكون:

أعراض بسيطة Simple modes أي أفكار مركبة نتجت عن قيام العقل بتكرار أو إضافة فكرة بسيطة واحدة أكثر من مرة.

أو أعراضا مركبة Compound modes أي أفكار مركبة نتجت عن تجميع أو ربط بعض الأفكار البسيطة مختلفة الأنواع بعضها عن بعض.

---

(١) عزمي إسلام، جون لوك، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، د. ت، ص - ٧٢.

٢- أفكار مركبة عن الجوهر وهي قد تكون:

جواهر مفردة Substances Simple مثل فكرتنا عن إنسان ما.

أو جواهر جمعية Collective Substances مثل فكرتنا عن الجيش أو الإنسان بصفة عامة.

٣- أفكار مركبة عن العلاقات: مثل أفكارنا عن العلية والعلاقات الزمانية والمكانية وعلاقات الذاتية والتباين " [١].

وينكر لوك وجود الأفكار الفطرية في العقل على أي نحو كان، بما في ذلك وجودها بالفعل ووجودها بالقوة وقد رد على أصحاب المذهب الفطري في المعرفة على النحو التالي: -

" يقسم لوك ما يدعي بالمبادئ الفطرية الموجودة في العقل إلى نوعين: نظرية(تأملية) Speculative و(عملية) Practical. فأما النظرية تشمل القضايا المنطقية البينة بذاتها مثل قانون الذاتية " كل ما هو هو ". وقانون التناقض " من المحال أن يكون الشيء ذاته وأن لا يكون " التي يعتقد الفلاسفة العقليون بأنها فطرية بحجة أنها موضع إجماع الناس كلهم. ورد لوك على هذه الحجة يقول: إجماع الناس على صدق هذه المبادئ لا يشكل دليلاً على كونها فطرية إلا إذا تبين أنه من المحال أن يحصل عليها الإنسان بطريق آخر، ومن ناحية أخرى لم تحظ هذه المبادئ - فيما أشار لوك - بإجماع الناس لأن الأطفال والبلهاء لا يفقهونها مطلقاً وهذا دليل على أنها ليست فطرية، ولو كانت فطرية لأدركها الناس كلهم بدون استثناء " [٢].

لذا جعل المبادئ العملية هي التي تشمل القواعد الأخلاقية والمعتقدات الدينية وهي ليست موضع إجماع الناس كلهم.

" فلا توجد مبادئ أخلاقية عامة كلية بيّنة بذاتها، لأن المقاييس الأخلاقية

(١) المرجع السابق ص - ٧٣.
(٢) كريم متى، مرجع سابق، ص - ١٥١.

ومفاهيم الحق والباطل أمور نسبية، وتختلف باختلاف المكان والزمان وبتباين الظروف الاجتماعية، وينبغي أن يكون هناك ما يبررها، فنسأل دائماً لماذا يعد الفعل - أي فعل - خطأ ؟ أو لماذا يعد باطلاً ؟.

كما وأن الضمير الذي يعتبر خير ما يهدي الإنسان إلى السلوك الصحيح قلب حوّل ويملي على الأشخاص المختلفين أفعالاً مختلفة وعلى الشخص الواحد أفعالاً مختلفة في أوقات مختلفة، وكذلك الحال مع المعتقدات الدينية، فإن فكرة الله - وهي الفكرة الرئيسة في كل الأديان - ليست فطرية؛ لأنها من ناحية ليست عامة، إذ أن بعض الأقوام لا يملكون فكرة عن الله دع عنك الملحدين الذين ينكرون وجوده، ولأنها من ناحية أخرى تختلف باختلاف الشعوب [١].

ويرد على الفلاسفة الذين يعتقدون أن المبادئ الفطرية موجودة في العقل منذ أول نشأته، ولكن العقل لا يستطيع أن يدركها إلا حين يصل إلى مرحلة معينة من النضج.

" إن ذلك يعني أحد أمرين إما أن العقل يمتلك قوى فطرية لإدراك هذه المبادئ وهذا صحيح، وإما أن هذه المبادئ موجودة في العقل، ولكن العقل لا يدركها وهذا غير صحيح، لأن الدليل الوحيد على وجود فكرة أو مبدأ في العقل يدركها. ولأنه من ناحية أخرى إذا كانت بعض الحقائق مطبوعة في العقل دون أن يدرَك فذلك يعني أنه لا يبقى أي اختلاف بين الحقائق التي يستطيع العقل إدراكها " [٢]. " وتؤكد الواقعية الطبيعية وهي المتسمة بالشك والتجريب في مزاجها أن الفلسفة ينبغي أن تنشد تقليد الدقة البالغة والموضوعية التين يتسم بهما العلم الطبيعي " [٣].

لذا تعطي " دوراً للعلم أكثر من الفلسفة في استقصاء خصائص العالم،

---

(١) كريم متى، مرجع سابق، ص - ١٥٢.

(2) John Locke, Essay concerning Human Understanding, ed. S. P. Lamprecht ‹Scribner's, New York, 2004. Pig 96.

(٣) جورج ف. نيللر، مرجع سابق، ص - ٦٢.

وتؤمن بالتغيير المستمر الذي يحدث وفقاً لقوانين الطبيعة الدائمة التي تمنح الكون بنية متصلة " [(١)].

وأما وظيفة الفلسفة هي أن تقوم بالتنسيق بين المفاهيم، وبين مكتشفات العلوم المختلفة [(٢)]. حتى يتم الوصول إلى الدقة الموضوعية التي يتصف بها العلم الطبيعي.

أما الإنسان حسب الواقعية الطبيعية كائن بيولوجي له جهاز عصبي متطور جداً، واستعداد اجتماعي فمناشطه العقلية أو الروحية هما في الواقع عمليات جسمية معقدة إلى حد بعيد، ولم يستطع العلم الطبيعي حتى الآن شرحها بدرجة مرضية [(٣)].

" وينكر معظم الواقعين الطبيعيين وجود حرية الإرادة، وهم يبرهنون أن الفرد محكوم بتأثير البيئة الطبيعية والاجتماعية على الأصل الموروث، وما نسميه بحرية الاختيار، وهي حرية ظاهرية فحسب، فنحن نظن أننا نختار، ولكننا في الواقع لا نفعل ذلك " [(٤)].

كما أن الواقعية العلمية الطبيعية تنادي بأن الصواب والخطأ مصدرهما فهمنا الطبيعة، لا من المبادئ الدينية، فيجب تأسيس الأخلاق على ما تبين من الاستقصاء أنه نافع للإنسان [(٥)].

٤/ الواقعية النقدية:

وتري الواقعية النقدية أن الحس يدرك حقائق الأشياء، وهذه الحقائق يتم فحصها في ضوء قوانين العلوم الطبيعية، فالمادة في نظر هذه العلوم شيء حقيقي له وجود عيني خارجي، إلا أن الصور التي تدركها الحواس ليست إلا من عمل الذهن.

---

(١) نعيم حبيب جغيني، مرجع سابق، ص - ١٤٥.
(٢) جورج ف. نيللر، مرجع سابق، ص - ٦٣.
(٣) أحمد فاروق محفوظ، مرجع سابق، ص - ٢٠٣.
(٤) جورج ف. نيللر، مرجع سابق، ص - ٦٣.
(٥) المرجع السابق، ص - ٦٧ - ٦٨.

" إن الواقعية النقدية ترفض التسليم بالوجود الحقيقي لعالم المدركات الحسية بغير فحص واختبار نقدي، إنها تحاول أن تثبت الحقيقة بمناقشة الحجج المضادة وإبطالها حتى يتسق منطق الواقعية من النتائج التي ينتهي إليها نقد المعرفة، وتنتهي من مناقشتها إلى إقرار المعرفة إقراراً قاطعاً... ولقد أضافت الواقعية النقدية إلى العقل فاعلية خاصة " (١).

" والواقعية ترى العملية المعرفية معقدة لها ثلاث حلقات متوسطة تتألف من عناصر ثلاثة الذات والموضوع، والمعطيات (الماهيات).

ولم تكوّن الواقعية النقدية اتجاهاً متجانساً فقد كانت تياراً مثالياً ذاتياً ينطوي على عناصر مادية، وأيضاً على عناصر مثالية موضوعية " (٢).

وبذلك تكون الواقعية النقدية أنها تحمل أفكاراً مثالية، ولم تكوّن وحدة في الفكر بل هي تأخذ من الفكر المادي والموضوعي.

ويمثل الواقعية النقدية ثلاثة تيارات هي الواقعية النقدية التقليدية، والواقعية الجديدة، والواقعية المعاصر.

أ) الواقعية النقدية التقليدية:

اعتمدت على العلوم الطبيعة بعد إخضاعها للنقد العلمي، وتعتقد أن الحواس تدرك حقائق الأشياء، ولكنها تمحص في ضوء قوانين الطبيعة، فالمادة لها وجود عيني حقيقي خارج حواس الإنسان، ولكن الكيفيات التي تدركها الحواس هي من عمل الذهن، وتعتمد على النقد محاولة إثبات الحقيقة من خلال مناقشة الحجج، ودحضها.

إنها تعتبر صورة عن الواقع بواسطة العقل الذي يتجاوز الجزئيات، والمحسوسات إلى الكليات، فالصورة المعدلة هي من الحقائق المسلم بها إلى فطرة العقل كما هو الحال عند جون لوك الذي رفض إرجاع الحقائق المسلم بها إلى فطرة العقل؛بل جعل له وظيفة إيجابية بحيث

---

(١) إبراهيم ناصر، مرجع سابق، ص - ٢٥٥.

(٢) مجموعة من الأساتذة، المعجم الفلسفي المختصر، ترجمة توفيق سلوم، دار التقدم موسكو، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ص - ٥٢٨- ٥٢٩.

يؤلف من الصورة الحسية معاني جديدة " [١].

فالاعتماد في هذه الفلسفة على العقل في تحقيق النقد العلمي لمعرفة حقائق الأشياء، مع تمحيصها في ضوء قوانين العلوم الطبيعية.

ب) الواقعية النقدية الجديدة: -

رفضت التسليم بمنطلقات الواقعية النقدية بوجود وسط بين الشيء المدرك، والذات العارفة، فركزت وصف الظواهر والوقائع وتحليلها، أما فاعلية الذهن فتتمثل في الاهتداء والكشف من خلال التمييز والمقارنة.

لقد رفضت دمج العارف والمعروف في نسق واحد، وأيدت الثنائية (وجود المدرك والشيء المدرَك) [٢].

" وهذا الاتجاه قريباً من المثالية الذاتية، ولا يقدم تفسيرات مقنعة بين المعرفة الحقة، والباطلة لذلك حلت محله الواقعية النقدية " [٣].

فهذا النوع من الفلسفة كما وضح من الفكر الذي قدمته، فيه من المثالية الذاتية، ولذا لم تقنع كل من اعتنق فكرها.

جـ) الواقعية النقدية المعاصرة: -

" جاءت كتعبير عن نظرية المعرفة الجديدة التي تعتبر أن الحركة هي قوتها الدافعة لذلك يقف هذا الاتجاه عند وضع معين، فهو ينمو من خلال تطور الفكر وتقدمه؛لأنه يهتم بالعلم، ومنهجها مشترك مع العلوم، فاستفادت من علوم الرياضيات والفيزياء الحديثة، وعلم الحياة وعلم النفس، وتركز على معرفة الأجزاء أكثر من الكل مع الحرص على القيام بأعمال تفصيلية دقيقة أكثر من الأداء الشامل.

إن هذه الواقعية نقدية لا تأملية تلتزم بالوقائع بوضوح ونزاهة، وتعادي الميتافيزيقيا (ما وراء الطبيعة) أحياناً، ولا تهتم بأي شيء

---

(١) سعيد التل وآخرون، المرجع في مبادئ التربية، دار الشروق، عمان، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ص - ٧١ - ٧٢.

(٢) نعيم حبيب جغيني، مرجع سابق، ص - ١٤٦، وص - ١٤٨.

(٣) المصدر السابق.

يتجاوز التجربة، ويصعب فهمه بالبحث العلمي " [١].

٥) الفلسفة الواقعية التحليلية: ـ

الفلسفة التحليلية اهتمت بتحليل العلاقة التي تربط بيت الذات العارفة، وموضوعها والذهني منها في عملية المعرفة بغير وسيط، مما يجعل معرفتنا للشيء الخارجي صورة مطابقة لحقيقته في الخارج.

كما أنها " جاءت في وقت للعلوم والتقنية لها أثر عميق على مختلف التيارات الفكرية، والفلسفية المعاصرة في مجال المعرفة، والكشوفات وخاصة في مجال الذرة، ورد كل شيء مادي إلى جزئيات صغيرة مما جعل الطابع العام للفكر والعلم هو الطابع التحليلي الواقعي انسجاماً مع روح العصر " [٢].

كما أن التقدم العلمي الذي أحرزته " العلوم الرياضية حيث تضافرت كل منهما، وقدما للإنسانية آفاقاً جديدة من المعرفة والكشوفات أدى إلى ذلك " [٣].

وبذلك أصبح كل هذا بما أحرزه العلم بمنهجه التجريبي في ارتباطه بالرياضة بمنهجها التحليلي؛ لذا كانت هذه السمة سمة القرن العشرين، وهي أنه " عصر التحليل " سماء أكان تحليلاً تجريبياً مادياً أو رياضياً مجرداً، كما أدى إلى تحول المفكرين والفلاسفة المعاصرين من الاتجاه المثالي إلى الاتجاه الواقعي.

والفلسفة الواقعية التحليلية تؤمن بتحليل الفكر والمادة، وتحليل اللغة والكلام، وربط التحليل مع المنطق.

وبذلك تتبين ثلاثة اتجاهات أساسية لمعنى التحليل:

" ١-تحليل المفهوم أو الفكرة عن طريق تطبيقاتها الجزئية لمعرفة المبدأ

(١) سعيد التل وآخرون، مرجع سابق، ص - ٧٤ - ٧٥.
(٢) نعيم حبيب جغيني، مرجع سابق، ص - ١٤٧.
(٣) سماح رافع محمد، المذاهب الفلسفية المعاصرة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ص - ٧٧.

الكامن وراءها كما هو واضح في منهج الحوار، وفي محاورات " أفلاطون " وأخلاق " أرسطو ".

٢- تحليل المعرفة الإنسانية وردها إلى مجموعة من البسائط، والعناصر الأولية، وكذلك تحليل الوجود كما هو الحال عند كل من " رينيه ديكارت " و " ديفيد هيوم " و " لا يبتز ".

٣-تحليل الإطارات التي تصب فيها المعرفة الإنسانية - أي اللغة - كما هو حال مؤسسي الفلسفة التحليلية " فتنخشتاين " و " كارناب "، وجماعة فينا، فضلاً عن فلاسفة كمبردج مثل " جورج مور " و " برتراندرسل " [(١)].

فمن أبرز ممثلي هذه الفلسفة الواقعية التحليلية، والذين أسسوا هذه الفلسفة وهم كالتالي:

أ] جورج مور: [١٨٣٢ـ ١٩٥٨م]

" كان مور - وهو إنجليزي - زميلاً بكلية تربنتي، ومحاضراً ثم أستاذاً بجامعة كمبردج ١٨٩٨ـ ١٩٠٤م، ومن ١٩١١ـ ١٩٣٣م على التوالي، وقد نال وسام الاستحقاق، وكان زميلاً بالأكاديمية البريطانية؛ كان تأثيره الشخصي المباشر على الفلاسفة البريطانيين في عصره عظيماً.

والموضوعات الرئيسية الثلاثة التي عالجها مور في كتاباته هي: المنهج الفلسفي، والأخلاق، والإدراك الحسي. ولقد كتب قليلاً عن منهجه لأنه وجه طاقاته إلى ممارسة هذا المنهج " [(٢)].

قام " جورج مور " بهذه الحركة حتى يدحض المثالية، حيث حاول أن يبرهن على مدى بطلان المذهب المثالي، " ومحور دراسته الإدراك الحسي والتميز بين عنصرين هما:

أولاً: الوعي الذي يوجد كل الإحساسات بالنسبة إليه.

---

(١) سعيد إسماعيل علي، فقه التربية مدخل إلى العلوم التربوية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ص - ٣٠٤.

(٢) فؤاد كامل، الموسوعة الفلسفية المختصرة، مرجع سابق، ص - ٤٥٨.

ثانياً: موضوع الوعي الذي يختلف بالنسبة إليه كل إحساس عن كل إحساس آخر " [١].

ومور " لديه ثلاثة آراء منفصلة كثيراً ما يعتنقها كلها دفعة واحدة فينبغي على الفيلسوف التحليلي عامة أن يفحص القصور، ويحاول وصفه ثم عليه خاصة إما أن يقول كيف يمكن أن يقسم إلى مجموعة من المدركات العقلية المكونة له؟ وإما أن يقول كيف " نميز " ذلك التصور العقلي عن طريق التشابه والاختلاف من غيره من التصورات العقلية التي تستحضر أمام العقل بوساطة عبارة بعينها أو عبارة أخرى مرتبطة، ولطريقة التقسيم باعتمادها فيما يختص بالمعنى مع نظرية المدرك العقلي " [٢].

فآراؤه التي يدعو إليها هي معرفة المدرك بالعقل الذي يحاول تمييز التصورات العقلية.

" أما معنى الوحدة فيتحدد بكيفية فهم التجربة وعناصرها، وامتدت هذه الفلسفة تقرر بعض المبادئ العامة في المعرفة، والقيمة، والميتافيزيقا وهي المبادئ التي لا سبيل إلى إثبات صحتها عن طريق المنطق البحت أو عن طريق العلم الطبيعي أو التجريبي وحده " [٣].

ومشكلة مور في علم الأخلاق أن " تعريف الخير موضوعه الأساسي هو التنقيب عن الأسباب الصحيحة التي تجعلنا نعد هذا الشيء أو ذاك خيراً " [٤].

ب] برتراندرسل: [١٨٧٢ـ ١٩٧٠م]

" ولد برتراند راسل في عام ١٨٧٢م لعائلة إنجليزية، وهو ابن الفيكونت إمبرلي الذي كان الابن الأكبر للسياسي الليبرالي لورد جون رسل الذي

---

(١) فؤاد كامل، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، دار الجيل، بيروت، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ص - ٤٣.

(٢) فؤاد كامل، الموسوعة الفلسفية المختصرة، مرجع سابق، ص - ٤٦١.

(٣) زكريا إبراهيم، دراسات في الفلسفة المعاصرة، مكتبة مصر، القاهرة، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م، ج - ١، ص - ٢٠٤.

(٤) فؤاد كامل، أعلام الفكر الفلسفي، مرجع سابق، ص - ٤٥.

أصبح فيما بعد إيريل رسل الأول، وأمه ابنة لورد ستانلي كان راسل ابنهما الثاني وطفلهما الثالث " [١]. " وكان أبوه العماد جون ستيوارت مل، ومات أبواه كلاهما، ولما يبلغ الرابعة من عمره تولت جدته لأمه وهي ليدي رسل، و حصل بعد أن تلقى تعليماً خاصاً على منحة لدراسة الرياضيات في كلية ترينتي بجامعة كمبردج عام ١٨٩٠م، وفي عام ١٨٩٣م كان السابع من طلاب الامتياز في الرياضة، ثم تحول عن الرياضيات إلى الفلسفة حاصلاً على مرتبة الشرف في الجزء الثاني من العلوم الأخلاقية في إجازة الترايبوس في عام ١٨٩٤م " [٢]. " فما أن بلغ من عمره الحادية بعد العشرين حتى أحس في نفسه كفراً بالمسيحية، وأبى أن يذهب إلى الكنيسة يوم عيد الميلاد " [٣].

وبعد ذلك بسنتين نشر بحثاً في " الديمقراطية الاجتماعية الألمانية " فكانت أول كتبه الكثيرة، كان راسل زميل بكلية ترينتي بجامعة كيمبردج من عام ١٨٥٩م إلى ١٩٠١، ومحاضراً للفلسفة من عام ١٩٠١ م إلى عام ١٩١٦م، وفي أثناء هذه الفترة كان منشغلاً قبل كل شيء بمؤلفه المنطق الرياضي، وظل بعد ذلك عدة أعوام منشغلاً بالسياسة، وفي عام ١٩٢٧م أسس مدرسة تقدمية في " بيكن هل "، وهناك وضع نظرياته في التربية موضع التنفيذ [٤].

" وقد أظهر نشاطاً تأليفياً لا يكاد يكون له مثيل في خصوبته فمنذ أول كتبه الذي ظهر عام ١٨٦٩م أخرج كتاباً كل عام على التقريب، وذلك حتى عام ١٩٥٠م، وكثيراً ما أخرج كتابين في العام، هذا إلى جانب عشرات من المقالات ظهرت في مجلات أكثر ما تكون تنوعاً وهذا المجموع الهائل من الكتابات يناظر التنوع الكبير للمشكلات التي اهتم

---

(١) إسماعيل الشرفا، مرجع سابق، ص - ١٠٤.
(٢) فؤاد كامل، الموسوعة الفلسفية المختصرة، مرجع سابق، ص - ٢١٠.
(٣) مصطفى غالب، في سبيل موسوعة فلسفية، برتراند راسل، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ص - ١٢.
(٤) فؤاد كامل، الموسوعة الفلسفية المختصرة، مرجع سابق، ص - ٢١٠.

بها رسل فليس هناك ميدان من ميادين الفلسفة لم يبحث فيه، كما أنه أهتم فوق هذا بمشكلات أخرى، منها مشكلة رفض الحرب، وهو ما أدى إلى أن يحكم عليه بالسجن في بلده خلال الحرب العالمية الأولى " (١).

لذا تقوم فلسفة برتراندرسل على رفض إقامة المعتقدات الفلسفية عموماً، والميتافيزيقية خصوصاً على أسس وجدانية، لذا يدعو إلى " تجاوز مرحلة التصورات الميتافيزيقية العاطفية التي يقتصر فيها الفيلسوف على تصور الكون كما يحلو له، لكي نصل إلى فلسفة علمية يكون قوامها " الحياد الخلقي "، ورائدها النظر إلى الظواهر دون تأثر بمعتقداتنا البشرية ورغباتنا الوجدانية ومطالبنا العاطفية " (٢).

لذا ينبغي أن " تستخرج أحكام الفلسفة من علوم الطبيعة، وليس من الدين أو من الأخلاق " (٣).

ومن آرائه لتقريب الفلسفة من العلم: " أنه إذا أريد للفلسفة أن تحقق بالفعل أي تقدم ملموس فلابد أن تتخلى عن الآمال العريضة في بناء نسق ميتافيزيقي متكامل لكي تنصرف إلى دراسة بعض المسائل الجزئية (منطقية كانت أم طبيعية) وفقاً لمنهج علمي صارم " (٤).

كما أعلن صراحة أنه ليس ثمة راحة نفسية يمكن أن تستخلص من الفرض القائل بأن العالم هو من صنع خالق، وبالمثل لست أرى من ضرب الارتياح أو العزاء في الافتراض القائل بأن هذا الكون المزعج قد صنع لخطة مرسومة أو تدبير سابق (٥).

ويرفض راسل كافة العقائد الدينية المسيحية، " ويؤكد على إيمان الإنسان، واحترمه للعلم، يؤمن إيماناً عميقاً بالعقل، والمنطق، والواقعة

(١) فيصل عباس، موسوعة الفلاسفة، مرجع سابق، ص - ٢٣٨.
(٢) زكريا إبراهيم، مرجع سابق، ج - ١، ص - ٢٣٤.
(٣) فيصل عباس، موسوعة الفلاسفة، مرجع سابق، ص - ٢٤٠.
(٤) زكريا إبراهيم، مرجع سابق، ج - ١، ص - ٢٣٤.
(5) Bertrand Russell, The Scientific Outlook Routledge New York, NY, U. S. A. Routledge, 2001, pig132.

مع ثقة قدرة الإنسان على السير في سبيل المعرفة والمحبة، والتحسن الأخلاقي عن طريق الجمع بين سلاحين رئيسين آلا وهما العقل والآلة " [(١)].

ويتضح للباحث من خلال الدراسة لأفكار برتراندرسل " أنه لم يكن أمامه إلا خياران، إما أن يحتمي بمذهب التشكيك الكلي، و يعترف بحقية الدين فحيث لم يستطع الوقوف على الهيكل الخارجي للأشياء، واستحال عليه معرفة بواطنها، فلم يبق لديه إلا طريقان: إما أن يصر على أنه لن يؤمن بحقية شيء ما، إلا إذا تمكن من الوصول إلى الحقيقة مباشرة ونهائياً " [(٢)].

" ولكن من العجيب أن " رسل " ينكر التشكيك الكلي، ويرفض في الوقت نفسه أيضاً، وينسى أنه وقع في تناقض شديد على ضوء مسلماته نفسها.

إن رسل يسلم بوضوح، بصحة " العقائد " التي لم تخضع للتجربة، وهو يعترف بأنه مؤمن ببعض " العقائد "، والتي منها على سبيل المثال قبوله عن الماضي السحيق للأرض، وعن النجوم البعيدة التي في علم الفلك وغيره " [(٣)].

ويقول في كتاب " لماذا لست مسيحياً "، " وإنني اعتقد أن كل الأديان العالمية الكبرى كالبوذية والهندوسية والمسيحية والإسلام والشيوعية باطلة وضارة " [(٤)].

٦: الفلسفة الواقعية الوجدانية: -

يعتبر هذا الاتجاه إن المعرفة الفلسفية تمنح موضوعات الإدراك قيمة

---

(١) زكريا إبراهيم، مرجع سابق، ج - ١، ص - ٢٥٠.
(٢) وحيد الدين خان، الدين في مواجهة العلم، ترجمة ظفر الإسلام، دار النفائس، بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ص - ٣٤.
(٣) المرجع السابق، ص - ٣٥، و ص - ٣٦.
(٤) المرجع السابق، ص - ٣٥، و ص - ٣٦.

إنسانية نابعة من الوجدان الإنساني الذي يحول التجارب العلمية المنطقية من وضعها المطلق إلى وضعها الإنساني تدريجياً، فالوجدان هو الذي يسبغ عليها بعداً اجتماعياً، ويتجه الإنسان من التأثير تدريجياً في واقعه الذي يكشف عنه العلم من خلال إدراجه في مجال الاستعمال الحياتي لسد إشباع الحاجات الإنسانية مما يجعل هذا الواقع له قيمة إنسانية [١].

أي أن سلوك الإنسان له دور في هذه الفلسفة التي تعتمد، وتحلل سلوكه عن طريق التجريب.

وتعد المدرسة السلوكية من الفلسفة الواقعية الوجدانية؛ " إذ يمكن إرجاعها للفلسفة الكلاسيكية أيضاً لأن السلوكيين يرون أنه يمكن فهم السلوك الإنساني من خلال دراسة أنواع معينة من السلوك، وأن الطبيعة الإنسانية يمكن فهمها على أنها وجهة من أوجه سلوك الإنسان الحقيقي.

كما تنسب المدرسة السلوكية إلى الفلسفة العلمية لتأكيدها على أهمية الدراسة العلمية... وذلك بسبب التأكيد على أهمية التحليل التجريبي " [٢].

٧) الفلسفة الواقعية المحدثة: ـ

تعتبر الفلسفة الواقعية المحدثة والتي ظهرت في إنجلترا وأمريكا، وهي تعتمد على الدراسة التجريبية للعناصر الأولية أو غير تجريبية من روادها هو.

١) صموئيل إلكسندر: (١٨٥٩-١٩٣٨م)

ولد صموئيل إلكسندر عام ١٨٥٩م في السادس من يناير في مدينة سدني بمقاطعة جنوب ويلز بإستراليا، وتلقى دراسته الابتدائية والثانوية في ملبورن باستراليا، وأمضى عامين في جامعتها ثم انتقل إلى كلية " باليول " في أكسفورد، ومنها حصل على الليسانس، وكانت قراءته بعد ذلك

(١) نعيم حبيب جغيني، مرجع سابق، ص - ١٤٧.
(٢) أحمد فاروق محفوظ، مرجع سابق، ص - ٢٠٨.

مــوزعة بيـت اللغـات القديمــة وآدابهــا مــن لاتينيــة ويونانيــة والفلسـفة والرياضـيات وحصــل عــام ١٨٨٨م علــى جــائزة جــرين فــي الفلسـفة الخلقية... عين أستاذاً لكرسـي الفلسفة فـي كليـة أوينـز بجامعـة مانشستير وتوفي عام ١٩٣٨م " (١).

مصادر فلسفته: -

" تأثر الكسندر بنظرية التطور، وحركة الواقعية الجديدة التي ظهرت في إنجلترا أمريكا، و باسبنوزا الذي يشير إلى نظرته إلى العقل، ووضعه لـه إلى جانب الأشياء في الطبيعة وتأويله له، ونظرية النسبية التـي تقوم فـي جوهرهـا علـى أن مـادة الكـون أو العـالم لـيس هـو المكـان بـل المكـان الزمـاني، وتقوم علـى إدخـال الزمـان فـي جـوهر العـالم، إلا أنـه يعلـن أن الجانـب الفيزيـائي - الرياضـي منهـا لا يعنيـه، وأن الـذي يعنيـه منهـا هـو نتائجها الفلسفية فقط " (٢).

تعريف الفلسفة: -

هي " الدراسة التجريبية للعناصر الأولية أو غير التجريبية التي توجد في الواقع "، فإذا كـان موضـوع دراسـة العلـم هـو المـادة، فتقوم فلسفته علـى دراسة الروابط أو العلاقات، أو المقولات التي تصل بين الأشـياء الماديـة بروابط، وعلاقات عقلية، توصف على أساسها هذه الأشياء بأنها جواهر، أو بأنهـا علـل ومعلـولات، أو بأنهـا كليـات وجزئيـات، أو بأنهـا ذات كـم معين، أو كيف معين، أو بأنها واحدة أو متكثرة (٣).

وبذلك تنتهج الفلسفة عند إلكسندر منهجاً تجريبياً أي أنهـا تعـالج العلاقـات والمقـولات لا علـى أنهـا تنبـع مـن العقـل، بـل علـى أنهـا روابـط تجريبيـة محضـة تنتظم الأشياء بحـسبها فـي مجموعـات، وتشكيلات تنشأ، وتنمو،

(١) يحـي هويـدي، دراسـات فـي الفلسـفة الحديثـة والمعاصـرة، دار الثقافـة للنشـر والتوزيـع، القاهرة، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ص - ١٣٣ - ١٣٤.
(٢) المرجع السابق، ص - ١٣٧ - ١٣٩.
(٣) المرجع السابق، ص - ١٣٧ - ١٣٩.

وتتم على أرض الواقع.

أما القيم عند إلكسندر:

" فهو يرى أن اختلاط الذات بالموضوع هو الذي نستطيع أن نصفه الحق أو الخير أو الجمال ومعنى هذا أن الكيفيات الثالثة كيفيات ذاتية وموضوعية معاً، والإنسان عنصر ضروري لوجود القيم، لكن لا يعني هذا أنها من خلقه وإبداعه، وذلك لأن الفهم الحقيقي لفكرة العلاقة، كما أنه يمنعنا من أن نضع القيم في الأشياء، مستقلة استقلالاً تاماً عن الإنسان، كذلك فإنه قد يمنعنا أيضاً من أن تجعلها تابعة في وجودها للإنسان، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن القيم لا يمكن أن تكون خاضعة للإنسان أو فرد معين لأن وضعها الصحيح هو قيامها بين الناس أو في العلاقات القائمة بين الأفراد " [١].

ومعنى ذلك أنها علاقة توجد بين الإنسان والأشياء من ناحية، وبين الإنسان وأخيه الإنسان من ناحية أخرى، وكان هذا من أجل أن يكسبها إلكسندر وجوداً طبيعياً، ويبعدها عن تأثير اللذات الفردية. هذا فضلا عن أن لكل قيمة نموذجاً يتحدد كيانها بانخراطه فيه، وتنطبع سماته عليها حصولاً لا تستطيع أن يدعي من هذه الناحية أيضا أن القيمة فردية ذاتية.

الألوهية: ـ

فالألوهية " بالنسبة لكل مستوى من مستويات الوجودات تمثل الصفة التجريبية للمستوى الذي يعلوها، ولذلك هي متغيرة، تتغير كلما نما الكون في الزمان، لكن إذا كانت المادة تخلع صفة الألوهية على الحياة لأنها لا تستطيع أن تنفذ إلى أسرارها، وإذا كانت الحياة تخلع صفة الألوهية على الإنسان لأنها لا تستطيع أن تنفذ إلى أسراره، فهل لنا أن نفترض وجود مستوى أعلى من الإنسان يخلع عليه هذا الأخير صفة الألوهية، أسوة بما حدث بالنسبة إلى المادة وإلى الحياة ؟ فالألوهية هنا

---

(١) فايزه أنور شكري، القيم الأخلاقية بين الفلسفة والعلم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م، ص - ٤٣.

ليست إلا مجرد شعور أو عاطفة تدفعنا إلى أن نتطلع إلى ما بعد ذلك، نحو صفات أعلى من العقل أو نحو صفات أو خصائص ثالثة (ثالثة بالنسبة إلى خصائص المادة الأولوية أو الأولى وخصائصها الثانوية أو الثانية) تسمى بالقيم، وتجعلنا نؤمن بوجود خصائص جديدة فوقنا.

فالله هو مجموعة أجزاء الكون من حيث صفة الألوهية تحركه فكل أجزاء الكون عبارة عن جسم الله، وأما الألوهية فتمثل روحه، ولكن هذا الكائن الحاصل على صفة الألوهية ليس موجوداً حاضراً؛ إنما وجوده مثالي، فالله في وجوده الحاضر ليس إلا الكون اللامتناهي في تطوره، ومن حيث الألوهية تحركه " [١].

تزكية النفس والفلسفة الواقعية: -

١) أرسطو:

تظهر " الوثنية في اليونانية في تعدد الآلهة، وتدني معتقدات القوم بها؛ إذ كانت ديانتهم مشركة بلغ من شركه آخر درجات الشرك، وذلك أن الاعتقاد في الآلهة نزل بهم إلى مستوى أخلاقي تأنف منه الفطرة الإنسانية وتأباه النفوس الكريمة " [٢]. كما أن تعدد الآلهة في الفكر اليوناني كانت تحتمل بطبيعة الحال " تعدد أهواء تلك الآلهة بعضا مع البعض... ! وأن تحقق مرادات هذه الآلهة وفقاً لمقتضى طبيعتهم المبنية على افتراضات مقدسة " [٣]. إنما هو ضرب من المحال !

كما أقر أرسطو " البرهان العقلي المحض حيث يمتنع التسلسل في العقل الفاعلية والعلل الغائية، ولكنه أثبت هو وأتباعه الإله لكونه علة غائية بمعنى التشبه به على قدر الطاقة " [٤].

---

(١) يحيى هويدي، دراسات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة، مرجع سابق، ص - ١٥١.

(٢) عبد الحليم محمود، أقوى الأدلة على وجود الله، مجلة الجديد، القاهرة، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، ص - ٦٠.

(٣) عطية الويشي، الصراع في الفكر الغربي، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، ص - ٢٦.

(٤) مصطفى حلمي، مناهج البحث في العلوم الإنسانية، دار الدعوة، الإسكندرية، ١٤١٢هـ

كما أن أرسطو خالف في قوله " قدم العالم " أسلافه من أساطين الفلسفة الذين قالوا بحدوث العالم، وهذا اعتقاد غير صحيح، وهو " سبب انحراف الفكر اليوناني هو تصورهم الخاطئ بأن العالم قديم " [(١)].

هذه هي العقيدة التي لها آلهة حالكة الظلام، وليس لهذه دين، فكيف ترضاها إلا فطرة منطمسة، وعقول مغلقة، ولم يجعل الله لها نور، فلا تتزكى هذه النفوس بمثل هذه العقيدة، فالواجب أن يجعلوه معبوداً محبوباً لذاته كما جاءت الرسل بذلك، وأنه هو الرب الخالق.

كما أن أرسطو هو صاحب الرأي في الرق الذي يرضاه لأفراد الشعب، فهذه من الأصول الأساسية تكشف التعارض بين الفلسفة اليونانية والإسلام، فقد دعا الإسلام إلى تحرير الفرد، وأخلاقية الحياة، والقضاء على العبودية [(٢)] إلا لله الخالق الإله الحق المعبود الذي كل ما سواه مفتقر إليه.

وتزكية النفس ليس بديانة وثنية، وعبودية لغير الله، تجعل من الإنسان لا يساوي شيئاً، بل هو أضل من الأنعام.

كما أن أرسطو " يصنف القرصنة أو قطع الطريق - freebooting - كضرب من ضروب الصيد فهي مهنة شريفة " [(٣)].

فالأخلاق التي يدعو إليها لا تقوم بتزكية النفس، والدعوة إلى القرصنة هي سرقة، وأخذ مال الناس بالباطل، وهي من الأمور التي نهى الله عنها.

- ١٩٩١م، ص - ٢٨٩.

(١) علي لبن، الغزو الفكري في المناهج الدراسية، دار الوفاء، للطباعة والنشر، المنصورة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ص - ٩٦.

(٢) أنور الجندي، الإسلام والفلسفات القديمة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ص - ١٢.

(٣) ليزا هـ. نيوتن، نحو شراكة خضراء، ترجمة إيهاب عبد الرحيم محمد، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، سلسلة عالم المعرفة (٣٢٩)، ص - ٧٥.

٢) توما الأكويني:

يصف توما الله بجميع صفات الكمال، ومنها العلم بكل شيء من الكليات والجزئيات " و دليل توما الأكويني أن الله يعلم ضرورة ما هو خلاف ذاته؛ لأنه يعقل ذاته عقلاً تاماً كما هو جلي ظاهر، وإلا كان وجوده ناقصاً؛ لأن وجوده هو عقله، ومتى كان الشيء معروفاً معرفة تامة لزم من ذلك أن تكون قدرته لا تعرف تماماً إلا بمعرفة المدى الذي تمتد إليه، ومتى كانت قدرة الله تمتد إلى الأشياء، بمقتضى علتها الأولى فمن اللازم أن يعلم الله جميع الأشياء.. " (١).

لذا فهو يقول كما قال فلاسفة الشرق من قبله " إن صفات الله السلبية أيسر فهماً من صفات الله الثبوتية، فالله غير حركي، وغير متعدد، وغير فانٍ، وغير ناقص، ويلزم من ذلك أنه كامل كل الكمال، وأن صفات العلم والخير و الجمال هي من معاني هذا الكمال، ولا تدل على التعدد والتركيب " (٢).

وأما الدين الذي يدعو إليه توما الأكويني فهي المسيحية المحرفة الدخيلة عليها عقيدة التثليث الوثنية التي تعرف بأنها " إله واحد الأب والابن والروح القدس، جوهر (ذات) واحد متساويين في القدرة والمجد " (٣).

وبهذا الاعتقاد الفاسد، والذي حكى عنهم القرآن ذلك وسماهم (الكافرين الضالين) قال الله تعالى:{لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ

(١) عباس محمود العقاد، موسوعة عباس محمود العقاد، الله جل جلاله، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ج - ١، ص - ١٤٥.
(٢) عباس محمود العقاد، موسوعة عباس محمود العقاد، الله جل جلاله، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ج - ١، ص - ١٤٥.
(٣) نخبة من الأساتذة النصارى، قاموس الكتاب المقدس، دار الثقافة المسيحية، د. ب، ط الثانية، ص - ٢٣٤.

مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾} [سورة المائدة آية ٧٣].

فالعقيدة المسيحية بعد تحريفها " أصبحت خليطاً من الوثنية الرومانية والهندية، والفلسفة اليونانية والتحريف اليهودي " [(١)].

وبهذه العقيدة التي بها لوثة من الكفر والشرك لا تصبح النفس زكية، لأنها لم تعبد الله الواحد الأحد، وبهذا الخليط من العقائد التي تصيب الإنسان بالكفر والإلحاد.

٣) فرنسيس بيكون:

صاحب منهج البحث الأورجانون، فهذا المنهج الذي يعتمد على الفكر إذ أي " فكر لابد أن يستند أساساً على خصائص اللغة، ولذلك فإن منهج البحث العلمي الغربي يستند إلى خصائص اللغة (أو لغات) غير عربية، ولما كان لكل لغة منهجها الفكري القائم على معانيها ومضامينها الأصلية " [(٢)].

ولهذا كان الخطأ الذي وقع فيه هذا المنهج مع اللغة العربية.

إن المتتبع لأوهام بيكون يجد أن القرآن الكريم والسنة النبوية قد سبقه وحذر منها، وهي اتباع للآباء والأفراد والهوى والعادات.

" يستخدم بيكون كلمة " الصورة " بمعنيين متناقضين فمن حين نقول إن الصورة تدل على طبيعة الشيء وماهيته فإن الصفات التي تتجلي لنا ينبغي أن تكون موضوعية أي أن تعود إلى الأشياء بالذات، ولكن من جهة أخرى حين نقول: إن الصورة تدل على القانون الذي بمقتضاه يحدث الشيء أو الظاهرة.... كما يعتقد بوحدة العلم رغم انقسامه إلى فروع

(١) ناصر عبدالله القفاري، ناصر عبد الكريم العقل، الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، دار الصميعي للنشر و التوزيع، الرياض، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ص - ٧١.
(٢) أنور الجندي، أخطاء المنهج الغربي الوافد، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، ص - ٦٤.

متعددة فإن آراءه في أساس الوحدة متضاربة " [١].

وما دعوة بيكون إلى منهجه إذ يقول عنها " أندرسن: إن أعظم مآثر بيكون الفصل بين العلم البشري والوحي الإلهي " فعند بيكون يمكن أن تكون أي قضية خاطئة تماماً في نظر العقل، ولكنها صحيحة في نظر الدين " [٢].

وحينما يتعارض الوحي مع العقل، وينتج من ذلك آراء، فلا يتزكى الفكر لأنه يصبح كل إنسان على هواه، فلا تكون تزكية للنفس؛ إذ يبقى الإنسان في حيرة وشك وهذا ما لا يريده الإسلام.

٤: جون لوك:

يعتبر جون لوك ممن طالب بإخضاع الوحي للعقل عند التعارض فإن " من استبعد العقل ليفسح للوحي مجالاً فقد أطفأ نور كليهما، وكان مثله كمثل من يقنع إنساناً بأن يفقأ عينيه، ويستعيض عنهما بنور خافت يتلقاه بواسطة المرقب من نجم سحيق " [٣].

وينكر لوك الأفكار الفطرية، ويقول: إن الأفكار كلها على اختلاف أنواعها تأتينا من (التجربة). ولكن بعض القضايا تبدو لنا بديهية لأن العقل لا يكاد ينظر فيها حتى يدركها، فنحسبها أفكاراً فطرية. " ولو نظرنا إلى المتوحشين والأطفال لرأينا أنهم لا يعرفون هذه البداهة. وهذا ما يدلنا على أن عقولنا خلقت خالية من كل فكرة كلوحة جرداء (Table rase) ولكننا نكون أفكارنا ومعارفنا من التجربة في الحياة " [٤].

ومن خلال فكر لوك فقد اعترف ضمناً بالأفكار الفطرية، وذلك في تحليل العقل، وتفسير طرقه في كسب المعرفة وسماها(أفكاراً تمثيلية) " إن في

(١) كريم متى، مرجع سابق، ص - ٤٨.

(٢) مجموعة من الأساتذة، سلسلة تراث الإنسانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د. ت، جـ ٢، ص - ٦٠.

(٣) توفيق الطويل، قصة النزاع بين الدين ولفلسفة، مكتبة مصر، القاهرة، د. ت، ص - ٢١٤.

(٤) نديم الجسر، قصة الإيمان، د. ن، لبنان، د. ت، ص - ١٤٤.

عقولنا نماذج لحقائق الأشياء، وهذه النماذج تقاس عليها الفكرة فيُعْرف خطؤُها من صوابها، وبقدر ما يكون التطابق تاماً واضحاً، بين فكرتنا عن الشيء، وبين
النموذج القائم في عقولنا، تكون معرفتنا أقرب إلى الصحة " [١].

كل هذه الأفكار جعلت العقل الإنساني في حيرة، بذلك أصبح العلم المقبول هو العلم الذي فيه تجربة.

ولم يقدم عن الأخلاق شيئاً إذ كان كل كلامه مبعثراً من خلال كتاباته؛ لذا " دعا إلى تطبيق مبدأ جديد على الحياة الأوروبية آنذاك وهو مبدأ التسامح الديني، وإعطاء الحق لكل إنسان في أن يعتنق ما يشاء، ويكفر بما يشاء من الأديان والمذاهب " [٢]. كل هذه الأفكار جعلت العقل الإنساني في حيرة، بذلك أصبح العلم المقبول هو العلم الذي فيه تجربة.

٤) برترندراسل:

من خلال دراسته استفاد برترندراسل من أربعة علوم هي " الطبيعة (الفيزياء) وعلم الحياة (الفسيولوجية)، و علم النفس، والمنطق الرياضي.

لذلك لم يهتد على تكوين فلسفة متكاملة بالرغم من أنه أمضى كل حياته في سبيل ذلك، " وبعبارة البروفيسور آلان وود(Alan Wood) " برترندراسل فيلسوف بدون فلسفة " [٣].

أفرط برترندراسل إفراطاً شديداً في صب هجومه على الدين يقول " إن الدين لا يقوم إلا على عوامل الترهيب والتلويح بالعقاب، وبالتالي فإن الدين يشكل ضرباً من ضروب الشر التي تملأ هذا العالم، وهذا هو السبب في أننا نجد أن أولئك الذين لم يبلغوا بعد درجة كافية من النضج الأخلاقي والعقلي هم وحدهم الذين مازالوا يتمسكون بالمعايير الدينية التي

(١) نديم الجسر، مرجع سابق، ص - ١٤٤.
(٢) سفر عبد الرحمن الحوالي، العلمانية، جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث، دار مكة للطباعة، مكة المكرمة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢، ص - ١٥٤.
(٣) وحيد الدين خان، الدين، مرجع سابق، ص - ٢٩.

تناهض بطبيعتها جميع المعايير الإنسانية الخيرة التي يجب أن تسود العالم " [١].

ومن خلال أقواله وتصوراته عن الكون العلمية وهي أن " تصورنا العلمي للكون لا تدعمه حواسنا التجريبية بل هو عالم " مستنبط كلياً Inferred World " ويبلغ الأمر بأن يقول " أفكار الناس لا توجد إلا في مخيلاتهم فحسب " [٢].

فما الذي صده عن الإيمان بالله تعالى، والإيمان باليوم الآخر الذي هو من لوازم حكمته وعدله، ومن لوازم تزكية النفس التي ينشدها أفراد المجتمع؛ لذا من خلال أقواله تظهر عقدة الهوى و التعصب ضد الدين عند " راسل " وعند سائر الملحدين.

وهذا التعصب لديهم لا تدعمه أية أدلة مرجحة لقضية الإلحاد، بل ليس للإلحاد أي دليل، غير مجرد سفسطات، وتخيلات تقوم على رؤوس أصحابها " [٣].

ولقد لجأ راسل إلى الداروينية وهي لا تزال نظرية غير ثابتة كلياً حتى الآن، واعتقاد راسل أن اللجوء للداروينية يؤدي إلى عدم اعترافه بحقيقة الدين، و من خلال الدعوة إلى التطور في الداروينية والتي " تحاول أن تقضي على التراث، ومنها العقائد، والأديان، والأخلاق " [٤].

ومن خلال العرض السابق للفلسفة الواقعية ظهر للباحث الأمور التالية:

١-الفردية التي تعتبر العقل الفردي مقياس كل شيء.

٢-نزعة العلم الآلي الذي يحثون إليها كل الفلاسفة في هذه الفلسفة.

---

(١) عبد الرحمن حبنكة الميداني، كواشف زيوف، دار القلم، دمشق، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ص - ٤٥٦.

(٢) وحيد خان، الدين، مرجع سابق، ص - ٢٩.

(٣) عبد الرحمن حبنكة الميداني، كواشف زيوف، مرجع سابق، ص - ٤٦٢.

(٤) أنور الجندي، معلمة الإسلام، المكتب الإسلامي، بدمشق، ١٤٠٢هـ - ١١٩٨٢م، ص - ١١.

٣- حار العلم في ثقة العقل الإنساني، إذ أصبح نتائج العلم هي السمة العامة لدى الفلاسفة.

٤- وبهذه الفلسفة ومبادئها لا تحدث تزكية للنفس؛إذ كل مبادئها من علم بشري قاصر.

٥- لا تتزكى النفس إلا بوحدة فكر، وتحرر من فكر فيه تبعية للهوى وتعصب.

التطبيقات التربوية للفلسفة الواقعية: -

١- " هدف التربية الواقعية، هو التكيف حسب البيئة. ليتقبل الإنسان حظه المكتوب في هذه الحياة، فما التربية إلا مساعدة الإنسان، ليتكيف مع بيئته، ولكي يتم هذا، لا بد من التكيف مع الواقع الذي يعيش فيه، ودور التربية، هو تسهيل هذا التكيف " (١). حتى يسهل له العيش منسجماً.

" وإنها تعمل على تمكينه من أن يصير شخصاً متسامحاً ومتوافقاً توافقها حسناً، وأن يكون منسجماً عقلياً وجسمياً مع البيئة المادية والثقافية " (٢).

٢- لقد أكدت الواقعية في فهمها " للطبيعة الإنسانية والعالم (بوجه خاص الكلاسيكية والدينية وبعض الفلاسفة العلميين) أن الإنسان وحده من جسم وعقل وهذا التصور للإنسان يتوافق مع مفاهيمنا وأفكارنا إلى حد كبير فالنظرة التكاملية للإنسان هي من إحدى جوانب القوة من وجهة نظرنا في آراء بعض الفلاسفة الواقعيين " (٣).

لذا تهتم " التربية الواقعية بالتربية العقلية على أساس إنها غاية في حد ذاتها، ووسيلة لإدراك كل شيء وتعليله، عن طريق التدريب الصحيح على التفكير. ولذلك كان الاهتمام بالدراسات الأساسية، ذات الصلة بالنواحي العقلية والمنطقية الإنسانية، وتتسم المادة الدراسية في جوهرها، بأنها وصفية ومنطقية التنظيم، وذلك لكي تكون مطابقة للتنظيم الجوهري

(١) علي خليل أبو العنين، مرجع سابق، ص - ٣١٢.
(٢) جورج ف نيللر، ترجمة محمد منير مرسي، مرجع سابق، ص - ٦٤.
(٣) احمد فاروق محفوظ، مرجع سابق، ص - ٢١٨.

للمادة الكونية، وعلى المدرسين أن يبدعوا في تدريسهم بالواقع المحسوس، وينتقلوا منه إلى المادة المجردة " (١).

٣) والمنهج الدراسي في الفلسفة الواقعية " يجب أن ينظم في صورة موضوعات أو مواد منفصلة من منطلق أن ذلك يساعد في تنظيم العقل وفي عمليات تصنيف متطورة لمعرفة - حسب وجهة نظرهم - فتنظيم التاريخ أو الجغرافيا أو الكيمياء أو الجبر مثلا يتضمن مجموعة من المفاهيم المترابطة، كما يتضمن مجموعة من الموضوعات، وهذه كلها يمكن شرحها لتفسير الخبرة الإنسانية، وكل مجال من هذه المجالات يشكل من المفاهيم في إطار وتركيب من المعاني المترابطة أيضاً فمثلا تنظيم الحكومات يمكن أن يدرس في إطار العلوم السياسية ومجالاتها، أما الخبرات السابقة للإنسان فيمكن أن تدرس من خلال علم التاريخ " (٢).

كما يرون " ضرورة اتصاف المادة المدروسة بالمنطقية والتنظيم حتى تكون مطابقة للتنظيم الأساسي للمادة الكونية. لذلك يرون أن يبدأ المدرس في تدريسه بالواقع المحسوس ثم ينتقل منه إلى جوهر المادة المجرد " (٣).

٤) ومن وجهة نظر الواقعية " أن المعرفة ينبغي ألا تقتصر على الكتب وحدها، وإنما ترى أن الطبيعة يجب اعتبارها والنظر إليها على أساس أنها كتاب مفتوح منه نتعلم أسرارها من اجل الاستفادة العلمية، وأيضاً لمعرفة قوانينها والسيطرة عليها كما إنهم يرون أن العالم الحقيقي يوفر للإنسان معظم المعرفة " (٤).

---

(١) علي خليل أبو العنين، مرجع سابق، ص - ٣١٢.

(٢) محمد حسن العمايرة، أصول التربية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، ص - ٢٥٦.

(٣) احمد علي الفنيش، أصول التربية، الدار العربية للكتاب، ليبا، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ص - ٣٤.

(٤) هادي مشعان ربيع، مدخل إلى التربية، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، عمان، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م، ص - ١١٨.

٥) التركيز على الحواس، وذلك بتدريب الفرد على حسن استخدام حواسه، وتطبيق الطريقة الاستقرائية في التدريس.

الفلسفة البرجماتية:

تعود الفلسفة البرجماتية في جذورها إلى العصور القديمة " وبالتحديد إلى الفيلسوف اليوناني هيراقليطس (٥٣٥ - ٤٧٥ ق. م) الذي يعتبر الجد الأعظم، والذي آمن بالتغيير المستمر، وأن الحقائق الثابتة المطلقة لا وجود لها.

وكذلك كونتليان (٣٥ - ٩٥ م) المدرس والخطيب الروماني الذي آمن بأن الممارسة العلمية هي أساس التعليم مخالفاً بذلك المثالية الدينية القائلة من حلول الإيحاء والحدس والإلهام يصل الإنسان إلى الحقائق والمعارف " [١].

وأيضاً إلى بروتاغوراس (٤٨١ - ٤١١ ق. م) الذي قال: " إن الإنسان مقياس كل شيء " [٢].

كما تنسب البرجماتية كفرع فلسفي إلى أصل شجرتها المسماة الوضعية، " فالوضعية هي اتجاه فكري يقنع بما هو كائن، ويفسره، ويرفض ما ينبغي أن يكون " [٣].

ولقد أخذت الفلسفة الوضعية شكلاً جديداً وهو " إذا كانت الوضعية قد رفضت التسليم بالحقائق المطلقة والقضايا الميتافيزيقية فإن الفلسفة العملية لا تتردد في قبولها واعتبارها صادقة متى كانت مفضية إلى نفع يتحقق في حياة الإنسان " [٤].

وأما في العصر الحديث منذ نهاية القرن التاسع عشر وحتى الآن، وقد اتسعت " آراء البرجماتية لتشمل معظم الميادين الفلسفية والاجتماعية

(١) هاني عبد الرحمن صالح، مرحع، سابق، ص - ٧٠.
(٢) مجموعة من الأساتذة، مرجع سابق، ص - ٨٦.
(٣) مصطفى حلمي، مناهج البحث في العلوم الإنسانية، مرجع سابق، ص - ٣٤٢.
(٤) توفيق الطويل، الفلسفة الخلقية، مرجع سابق، ص - ٢٧١

والسياسية، " وأول من صاغ هذا الاصطلاح هو بيرس في مجلة البوبيولار ساينس مونتلي (Popular Science Monthly) ومعناه عملي أو صالح لغرض معين أو يؤدي إلى الغرض المطلوب ثم تناوله ويليام جمس وفصله في نظام فلسفي. ونشره حتى أصبحت هذه الفلسفة تعرف بوليام جمس ويعرف بها " (١).

وتقع البرجماتية في " منتصف الطريق بين المثالية والواقعية فهي ترفض الأكاديمية المطلقة للمثالية، وفي نفس الوقت تنتقد التغيرات الذاتية التي ينتقدها المذهب الواقعي، وتعتبر الواقع يتحدد حسب خبرات الفرد الحسية، فمعرفة الإنسان محددة بنطاق خبراته " (٢).

فالأصل اللغوي الذي يفيد (ما هو عملي) ومن هنا أطلق عليها اسم (الفلسفة العملية) لذا فإنها تهتم بالعمل على حساب النظر (٣).

فالمذهب البرجماتي العملي يعتمد على التجربة الوجدانية الخالصة، وهذه التجريبية البحتة، وهي متنوعة متغيرة تعارض الأحادية والجبرية، وتجعل مستقبل العالم معلقاً يحتمل إمكانيات عدة يتوقف تحقيقها على فعل الكائنات التي تقرر مصير وبناء، وعلى ذلك يعرض جيمس على أنها نظرية في ماهية الحقيقة ومنهج لحسم الخلافات الفلسفية (٤).

وتعد البرجماتية تطوراً للاتجاه التجريبي العلمي الذي ربط المعرفة بالتجربة، و " تتجه بالفكر اتجاهاً جديداً لا يهمه البحث في كنه الأشياء ومصدرها؛ بل ما يترتب عليها من النتائج، وأن أهم ما يميزها التجريب، والبحث عن المعرفة، وحل المشكلات والروح الديمقراطية، وتؤمن بأن الإنسان حامل الفكر المبدع، وصانع العمل، وأن العالم مرن، متصور

---

(١) يعقوب فام، البرجماتية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ص - ١٣١.
(٢) محمد منير مرسي، مرجع سابق، ص - ١٨٥ - ١٨٦.
(٣) مراد وهبة، قصة الفلسفة، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، ص - ١٠١.
(٤) يوسف كرم، مرجع سابق، ص – ٤٧٥.

ومستمر في التطور والتجديد، و عالم مستمر في الصيرورة، ولا يزال يتشكل، وأنه عالم مفتوح " [١].

مبادئ البرجماتية: -

تمتاز البرجماتية عن غيرها من الفلسفات بمبادئ وأفكار أساسية كما يلي: -

١ – العالم أساسه التعدد والكثرة: –

ترى البرجماتية " أن العالم ليس جامدًا ومغلقًا بل هو متعدد، وذو معالم كثيرة، بل إنه في دور التكوين أي أن حقيقة العالم ناقص وليس مكتمل، ومعنى ذلك أن العالم نظام مفتوح فينطوي على تغيرات عديدة واحتمالات لتحسينه وتطويره والآفاق أمامه مفتوحة " [٢].

لذا فالمجتمع في نظر البرجماتية " مرن ليس من طبيعته التماسك بين كوناته، ففيه تصارع القوى والنظم الاجتماعي داخل البناء القيمي " [٣].

٢– جوهر العالم التغير المستمر: –

رفضت البرجماتية " فكرة الثبات والخلود، ومبدأ الثنائية للعالم كما نادت بها المثالية، وترى أن العالم وما يحويه من مظاهر طبيعية والمجتمع الإنسان في حالة تغير دائم، وصيرورة مستمرة فكل شيء يتغير فالأشياء تتحول من صورة إلى أخرى، والأحداث تأتي وتذهب والكائنات الحية تولد وتموت، والمجتمع وثقافته ينمو ويتحول من شكل إلى آخر، وهكذا لا يوجد ثبات وجمود خارج نطاق الحركة والتغيير والتقدم، فالتغير حقيقة الكون وجوهره " [٤].

(١) أحمد فؤاد الأهواني، جون ديوي، دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م، ص - ٩٤، ط٣.
(٢) أحمد علي الحاج، مرجع سابق، ص - ٩٣.
(٣) حسان محمد حسان وآخرون، مقدمة في فلسفة التربية، دار عالم الكتب، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ص - ١٩٠.
(٤) احمد على الحاج، مرجع سابق، ص - ٩٣.

كما يؤكد البرجماتيون أن العالم ليس " دائماً ولا مستقلاً على الإنسان، وحيث أن التفسير جوهر الحقيقة، فإننا لا نستطيع أن نثق في أن أي شيء سوف يظل ثابتاً إلى الأبد ".

٣- وحدة الطبيعة الإنسانية: -

ترى الفلسفة البرجماتية أنه من العسير عزل العقل عن الجسد؛ إذ تنظر إلى " طبيعة الإنسان على أنها وحدة متكاملة لا فصل بين جوانبها الجسمية والعقلية والروحية، ولما كانت جميع أنواع الوجود بما في ذلك الوجود الإنساني، لا تعدو أن تكون سلسلة من الأحداث فإن صفتي الجسمية والعقلية بالنسبة للطبيعة الإنسانية لا تعد أن تكونا صفتين لشيء واحد أو لهدف واحد، والإنسان جسم وعقل في آن واحد " (١).

والإنسان كائن متفاعل مع بيئته بشكل تلقائي أو مقصود، وهو قابل للتعلم، واكتساب الخبرة، والتكيف، كما أن العقل يكتسب الخبرات من البيئة، ويسجل الخبرات الجديدة إلى الخبرات القديمة حيث تتفاعل بعضها مع بعض، ويعاد تركيبها بشكل مستمر، والإنسان محايد، وقابل لتعلم الخير والشر سواء حسب تأثير المجتمع، وما يمكن تعلمه قد يصعب تعلمه (٢).

٤- أداتية المعرفة ووظيفتها: -

تؤمن البرجماتية بأداتيه المعرفة ووظيفتها، وإمكانية تطبيقها يستدعي الإيمان بأن المعرفة الحقيقة هي " التي تساعد الفرد على التغلب على مشكل الحياة، وعلى تكييف بيئته وتطويعها لخدمة أغراضه، وهو يطبق مبدأ الأداتية، ومبدأ إمكانية التطبيق حتى بالنسبة لمعرفة الماضي؛ إذ أنه في اعتقاده لا قيمة لمعرفة الماضي إذا لم تساعد على فهم، وحل مشكل

---

(1) Jown Dewey, Experience and Nature, Norton, New York, 1925, pig 206.

(٢) وليم ج. صموئيل، مرجع سابق، ص - ٢٤.

الحاضر، ولم تساعد على التنبؤ بالمستقبل، ولم تعط معنى للمستقبل " [١].

ولما كانت المعرفة هي وحدات خبرية، فإن وظيفة المعرفة " المكتسبة هي التي تساعد الفرد على توجيه الخبرات اللاحقة له، وتعطيه حرية الاختيار، والتصرف تجاه المتغيرات والمواقف المختلفة " [٢].

٥- القيم: -

القيم عند البرجماتي هي ثمرة التفاعلات الاجتماعية الإنسانية أي أن الناس يبتكرون قيمهم بأفعالهم ونتائج هذه الأفعال.

" فالقيم كالحقيقة تنبع من تفاعل عقل الإنسان مع البيئة الاجتماعية المحيطة، فالبرجماتي لا يتفاعل مع أصل وجودها؛ إنما يتساءل عن فائدتها، وهل لها فوائد عملية للأفراد أو الجماعة المعينة ؟

وهناك قيمة واحدة يلتزم بها البرجماتي وهي الديمقراطية، وتطبيقاتها السياسية القائمة على الإيمان بالمساواة وحقوق الأفراد في المجتمع " [٣].

٦- المنهج العلمي:

أكدت البرجماتية على التفاعل مع العلم بطريقة حل المشكلات، " وهي الشعور بالمشكلة، وتحديديها وتحليلها، وفهمها، وجمع المعلومات عنها إلى فرض الفروض، وأخيراً تقويم الفروض للتثبت من النتائج، وأكدت أيضاً على المنهج العلمي الذي عدته الأسلوب الأمثل مع الديمقراطية والذكاء، والعلم لا يعد علماً إلا إذا حل مشكلات الناس مع محيطهم، ومع أنفسهم " [٤].

ومن خلال ما سبق نستنتج أن الفلسفة البرجماتية أتت كرد فعل من أساتذة معاهد وجامعات ومتخصصين بالدراسات الفلسفية بالحجج المنطقية، ولذا أصبحت اتجاهاً فلسفياً معتبراً في القرن العشرين

فالبرجماتية لها منهج في التفكير يتألف من مواقف، وأفكار تجاه قضايا

---

(١) عمر محمد الشيباني، مرجع سابق، ص - ٣٤٢.
(٢) أحمد على الحاج، مرجع سابق، ص - ٩٦.
(٣) وليم ج. صموئيل، مرجع سابق، ص - ٢٢.
(٤) عبد الكريم علي اليماني، مرجع سابق، ص - ٩٥.

فلسفية وموضوعات.

وستتضح صورة البرجماتية من خلال عرض أفكار أهم مؤسسيها الرئيسيين الذين ترجع العناصر الفلسفية ومنهجها إليهم.

١ـ تشارلس ساندر بيرس: [١٨٣٩ـ١٩١٤م]

" ولد في مدينة كيمبردج بولاية مساشوستس وهو ابن بنجامين بيرس الذي كان في ذلك الوقت رائد أمريكا في العلوم الرياضية، والكثير من نشأة تشارلس بيرس الأولى كان علمياً فقد حصل على الماجستير في الرياضيات، وفي عام ١٨٦١م كان أول من حصل على بكالوريوس العلوم في الكيمياء من جامعة هارفرد، واتجه إلى الفلسفة عن طريق قراءته شيلر ثم سيطر عليه " كانت " فيما بعد، ولقد اتصل بيرس بمعظم زعماء الفكر الأمريكيين، ومن بينهم ورايت وهولمز، ولكنه لم يظفر إلا بقليل من التقدير الأكاديمي، ولم يعين في منصب جامعي دائم " [١].

فهو مؤسس المذهب الفلسفي البرجماتي، " وصاحب فكرة وضع (العمل) مبدأ مطلقاً في مثل قوله: (إن تصورنا لموضوع ما هو إلا تصورنا لما قد ينتج عن هذا الموضوع من آثار عملية لا أكثر) [٢].

وهذا يعني أن علامة الحقيقة أو معيارها المنتج لا الحكم العقلي، ويتوسع في دائرة العمل بحيث يشمل المادي والخلقي أو التصور، و تثمر هذه النظرة للعمل اتساع العالم أمامنا، إنه مرن، نستطيع التأثير فيه وتشكيله، وما تصوراتنا إلا فروض أو رسائل لهذا التأثير والتشكيل [٣].

ولقد أقام بيرس النظرية القائلة: إن المدلول العقلي لكلمة من الكلمات أو عبارة من العبارات، إنما يكون فقط في تأثيرها المقصود في مجرى الحياة، ولذلك فإن الشيء إذا لم يكن ناجماً، فلا يمكن أن يكون له تأثير مباشر في السلوك.

(١) فؤاد كامل، الموسوعة الفلسفية المختصرة، مرجع سابق، ص - ١٣٨.
(٢) مصطفى حلمي، مناهج البحث في العلوم الإنسانية، مرجع سابق، ص - ٣٤٣.
(٣) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص - ٤١٧ - ٤١٨.

لذا كان بيرس " تجريبياً مشبعاً بعقلية المعمل، ولهذا أن يسمي مذهبه بالمذهب العملي، كما اقترح بعض أصدقائه، بيرس رجل منطق، فاهتم بفن التفكير وطرائقه وخاصة فيما يتعلق بدور الطريقة البرجماتية في فن المدركات العقلية أو ابتكارات تعريفات وافية وفعالة طبقاً لروح الطريقة العلمية " (١).

كما أراد بيرس شأنه شأن أرسطو، أن يضع تصنيفاً لأوجه الحقيقة الرئيسة من نظرية المقولات وهي كما يلي:

الرتبة الأولى: فهي المظهر التلقائي للأشياء، وتتمثل بوجه خاص في جيشان العقل الحر، وهو يصوغ الفروض العلمية، وهي تشير إلى ما في الكون من حياة ونمو وتنوع.

الرتبة الثانية: تشير إلى عنصر الثنائية في الخبرة طالما أن المقاومة تفترض سلفاً وجود كائن آخر، ومن خلال هذه المقولة يؤكد بيرس قيام الوجود الخارجي ذلك النوع من الوجود الذي يكمن في مقاومتنا لشيء آخر... فالشيء بلا معارضات لا يكون له وجود بحكم الأمر الواقع، وبهذا المعنى لا يكون الوجود محمولاً بل شيئاً ما يختبر بالإرادة، ويدرك بالإحساس.

الرتبة الثالثة: تتناول الاستمرار، وبخاصة الاستمرار في الفكر، إذا استمر الفكر يكشف لنا عن ضروب الاستمرار التي عسى أن نجدها في النواحي الأخرى، ويطلق بيرس على مقولة الرتبة الثالثة " اسم القانون "... فيقول أن ما نكتشفه من اطرادات في عالم الواقع لا يكون له معنى بالقياس إلينا إلا بمقدار نستطيع نحن أنفسنا أن نعمل في ضوئه عملاً مطرداً (٢).

---

(١) جون ديوي، نمو البرجماتية الأمريكية في فلسفة القرن العشرين، نشرها داجوبرت د. رونز، ترجمة عثمان نويه، القاهرة، مؤسسة سجل العرب، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م، ص - ٢٣٢.

(٢) فؤاد كامل، الموسوعة الفلسفية المختصرة، مرجع سابق، ص - ١٤٠ - ١٤١.

ومن خلال مقولته الثالثة نجد أنها تتصل اتصالاً مباشراً بنظرية المعرفة.

٢-وليم جيمس: [١٨٤٢ -١٩١٠م]

عالم نفسي ولد بمدينة نيويورك، ويقال: إنه كان مفكراً أصيلاً مرهف الحس إلى حد بعيد، جمع في شخصه بين عالم الطب (الفيزيولوجيا) وعالم النفس المبرز، كما كان واسع المعارف في ميدان الفنون وذا طبع متدين عميق، متسق التفكير اتساقاً صارماً وفي هذا القول شيء من الحقيقة، ولكن لا ينبغي المغالاة فيه، ولقد اجتاز تطور جيمس الفكري ثلاث مراحل رئيسة: المرحلة المبكرة وكان مهتماً بعلم النفس، والمرحلة الوسطى التي تميزت بدفاعه عن البرجماتية، والمرحلة الأخيرة التي ظهرت أبحاثه التي كتبت لخاصة المتخصصين عن ضرب من الواقعية اشتهر باسم " الواحدية المحايدة "" (١).

" أصبح أستاذاً مساعداً في الطب في سنة ١٨٨٠م، ثم أستاذاً مساعداً للفلسفة بهارفارد، وفي سنة ١٨٨٥م أصبح أستاذاً للفلسفة " (٢).

وهو من أشهر الفلاسفة البرجماتيين، " وسبب اتجاهه إلى الفلسفة يرجع إلى سماعه لمحاضرة فلسفية ألقاها (شارلس بيرس) الذي كان يعرض مذهبه، فشعر وليم جيمس على أثرها، وكأنه ألقي عليه رسالة محددة وهي تفسير رسالة (البرجماتية).

ويعرف وليم جيمس الحقيقة بأنها (مطابقة الأشياء لمنفعتنا، لا مطابقة الفكر للأشياء).

وتحلل فلسفته إلى مكوناتها الأساسية في النظر والقيم فنحن أمام مقولتين:

١- ازدراء الفكر أو النظر.   ٢-إنكار الحقائق والقيم " (٣).

---

(١) المرجع السابق، ص - ١٧٧، فيصل عباس، مرجع سابق، ص - ١٩٦.

(٢) محمود فهمي زيدان، وليم جيمس، دار الوفاء لدنيا الطباعة، الإسكندرية، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص - ١٣.

(٣) هنري توماس ودانالي توماس، المفكرون من سقراط إلى سارتر، ترجمة عثمان نوبة، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م، ص - ٤٣٠ - ٤٣١٠.

أي بعبارة أخرى أكثر وضوحاً فإن العمل عند جيمس مقاس " فالفكرة صادقة عندما تكون مفيدة، ومعنى ذلك أن النفع والضرر هما اللذان يحددان الأخذ بفكرة ما أو رفضها " [١].

الصدق عند وليم جيمس: -

" الصدق مطابقة الفكرة للواقع... ويقصد به ثلاثة عناصر أساسية: قصد به أولاً الأشياء والحوادث والوقائع الجزئية التي يمكن أن تبدو للحس، وقصد به العلاقات الكائنة بين هذه الأشياء والوقائع. إنه اعتبر مذهب هيوم ومل و الوضعيين ناقصاً في نظرتهم إلى العلاقات حيث ردوها إلى صياغة العقل لترتيب الأشياء. ورأى جيمس أن العلاقات جزء من الواقع الحسي، وتخضع للإدراك الحسي سواء بسواء " [٢].

فجيمس يعتبر صفتي (الصدق) و(المنفعة) مترادفتين فيقول " إني أسمي الفكرة الصادقة حين أبدأ بتحقيقها تجريبياً، فإذا ما انتهت من التحقيق، وتأكدت من سلامة الفكرة أسميتها نافعة. إن الصدق أعلى مراحل التحقيق، والفائدة أعلى مراحل الصدق " [٣].

كما أن جيمس يربط الصدق، والمنفعة بفكرة أخرى وهي الرضا والقبول، أي أن الفكر لابد أن تحقق للإنسان نوعاً من الرضا والقبول حتى تكون فكرة صادقة... وهو يؤمن بعدم وجود (تدبير)، إلا أنه يقول إن اعتناق مثل هذه الفكرة يمنح الإنسان الأمل والاطمئنان والرضا والقبول ذلك لأن الاعتقاد في التدبير يذهب عنا الخوف من المستقبل، ومن ثم فهذه الفكرة صادقة [٤].

لأنها ببعثها على الأمل والرضا، توفير الطمأنينة للإنسان، تمنحه القدرة

(١) مراد وهبة، قصة الفلسفة، رجع سابق، ص - ١٠٥.
(٢) محمود فهمي زيدان، وليم جيمس، مرجع سابق، ص - ٥٨.
(3) William James, Meaning of Truth, Longman Green, N. Y. ‹1914, pig XL.
(4) William James, Pragmatism, Longman Green and Co., N. Y., 1943, pig 115.

والفرصة على العمل، والنشاط بينما كل القلق والخوف يكاد يقعد الإنسان عن ذلك.

ولا شك أن ربط الصدق بالتجربة يستتبع نتيجة مهمة، إذ أنه مادامت كل تجربة محددة، فليس ثمة فكرة يمكن أن يقال: إنها صادقة صدقاً مطلقاً، ولا ينبغي أن تقلقنا هذه الحقيقة، فالصدق المطلوب هو ضرب من الخيال الذي لعب بكثير من المناطقة، وهو ليس بذي قيمة في الحياة العملية (١).

ومن خلال دراسة جيمس للصدق أدى ذلك لدراسة مشكلة العلاقات " وهي العلاقات المكانية والزمانية والكمية والكيفية والعلية " (٢).

من خلال دراسته للصدق وربطه بالتجربة جاءت دراساته أنه لن يتم إدراك الفكرة إلا بالتجربة.

ولذا قال جيمس إن " صدق الفكر لا يكون إلا إذا قادتنا الفكرة إلى تجربة واقعية تتصل بواقعة جزئية أخرى وهذه بثالثة، وهكذا حتى تنتهي إلى موضوع فكرتنا، فسوف يترتب على ذلك، النظر إلى هذه الخبرات أو التجارب أو الخبرات المتوسطة التي تصل بين فكرتنا وموضوعها على أنها جزء لا يتجزأ من واقع الخبرة، وبالتالي فإدراكه يكون عن طريق الإدراك الحسي (٣).

و تلون هذه الفلسفة نظرة أتباعها إلى العالم، فإن العالم الذي نعيش فيه نظرية من النظريات بل هو شيء كائن، " وهو في الحق مجموعة من أشياء كثيرة، وليس من كل شيء يقال له الحق دون سواه وإن الذي تدعوه بالحق إنما هو فرض عملي - أي أداة مؤقتة نستطيع بها أن نحيل قطعة من الخامات الأولية إلى قطعة من النظام " (٤).

---

(١) جود، فصول في الفلسفة ومذاهبها، ترجمة عطية محمود هنا و ماهر كامل، دار النهضة المصرية، القاهرة، د. ن، ص - ٢٦٧.

(٢) محمود فهمي زيدان، مرجع سابق، ص - ١٠٧.

(3) Joseph Blau, L: Men and Movements in America Philosophy. Printice Hall, Inc Englewood Cliffs, N. J., 2001, pig 254.

(٤) مصطفى حلمي، مناهج البحث في العلوم الإنسانية، مرجع سابق، ص - ٣٤٤.

ويلزم من هذا التعريف للعالم، أنه خاضع للتحولات والتغيرات الدائمة، ولا يستقر على حال " فما كان حقاً بالأمس - أي ما كان أداة صالحة أمس - قد لا يكون اليوم حقاً - ذلك بأن الحقائق القديمة، كالأسلحة القديمة - تتعرض للصدأ، وتغدو عديمة النفع " (١).

١- فما قيمة الحق والصدق إذا كان مجرد فرض عملي أي مجرد أداة يختبر بها تصوره السابق، ويرى الحقائق تنقسم إلى قسمين قديمة وجديدة.

" فالفكرة أو المعتقد لا يطلب لذاته، وإنما يطلب لترقية حياتنا وتحقيق أغراضنا، إن الحق أو الخير كالسلعة المطروحة في السوق، قيمتها يحددها الثمن الذي يدفع فيها فعلاً " (٢).

والصواب الذي يتفق عليه الفلاسفة، أن الحق يستمد قيمته المطلقة من قيمته الثابتة خارج مقولتي (الزمان والمكان).

وهو يخلط خلطاً " معيباً بين المبادئ والأهداف حيث يصبها في قالب (المنفعة) بينما التفكير السليم يقتضي العكس، أي الإيمان بالفكرة والعقيدة أولاً عن اقتناع وتثبيت بقيمها الذاتية، ثم السعي بمقتضاها مهما قابلنا في طريقنا من صعوبات، فضلاً عن افتقاد (المنافع) وهذا هو منهج الأنبياء والرسل عليهم " (٣).

٢ - كما أن هذه الفلسفة كانت ملهمة للنظام الرأسمالي القائم على مبدأ المنافسة الحرة الذي ظهرت مساوئه عند التطبيق، واستفحلت أخطاره التي تتضح كما يلي: -

أ) اللاأخلاقية: - بالرغم من التقيد ببعض الفضائل كالأمانة والانضباط والدقة، ومراعاة المواعيد ولكن هذه الفضائل لا تكتسب قيمتها إلا لأنها تفيد الرأسمالي وتحقق مصالحه، ويظهر ذلك بوضوح في أساليب الدعاية

(١) هنري توماس، مرجع سابق، ص - ٤٣٨.
(٢) توفيق الطويل، فلسفة الأخلاق، مرجع سابق، ص - ٢٩٧.
(٣) مصطفى حلمي، مناهج البحث في العلوم السلوكية، مرجع سابق، ص - ٣٤٦.

والإعلان.

ب) الارتباط الوثيق بالحرب أي تنتمي إلى صميم بنائها وتركيبها الباطن.

ج) الانحراف السلوكي في المجتمع الرأسمالي (١).

٣- ولم يسلم الدين أيضاً من التفسير (النفعي) في ضوء الفلسفة البرجماتية " فإن اعتبار شروط وجود الدين وأصوله ونشأته لا أهمية لها عند من يسأل عن قيمة الدين، لأن قيمته فيما ينتجه " (٢).

وهو " أقام الدين على التجربة، وحاول أن يطبق عليه منهجه البرجماتي، وكانت دراساته في هذا سيكولوجية برجماتية، ويبدأ بالقول بأن الإيمان الديني هو استعداد للسلوك وإلا كان مجرد فرض ميت، وليست العقيدة عنده إلا مجرد فرض أمكن تحقيقه عند صاحبه تجريبياً، والاعتقاد يتحقق بالتجربة عن طريق ما يترتب عليه من نتائج نافعة " (٣).

٣-جون ديوي: [١٨٥٩-١٩٥٢م]

" ولد جون ديوي في عام ١٨٥٩م في مدينة بيرلنجتون بولاية فيرمونت بالولايات المتحدة الأمريكية، ة وكان والده آرشيبالد تاجراً متوسط الحال ملماً ببعض الثقافة، وكانت أمه ثرية وعلى جانب كبير من الثقافة.

نشأ ديوي محباً للقراءة و الاطلاع،، كان يقضي وقت فراغه في قراءة الكتب بالمكتبة العامة، وبعد أن أتم المرحلة الابتدائية و الثانوية في مدرسة بيرلنجتون العامة التحق بجامعة فيرمونت، ولم يتجاوز سنه الخامسة عشرة. وفي هذه الجامعة درس ديوي اللغة اليونانية واللاتينية والتاريخ والرياضيات والعلوم الطبيعية ونظرية التطور وعلم النفس

---

(١) فؤاد زكريا، آفاق الفلسفة، مرجع سابق، ٥١ - ٥٣.

(٢) إميل بوترو، العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، ترجمة أحمد الأهواني، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م، ص - ٢٤٧.

(٣) محمود عبد الرزاق شفشق، الأصول الفلسفية للتربية، مرجع سابق، ص - ٣٧٩.

والفلسفة، وخاصة فلسفة أفلاطون " [١].

و " قليل من الفلاسفة هم الذين كان لهم تأثير كبير أوسع من تأثيره نطاقاً في عالم الشؤون العملية كلا وليس من قبيل المصادفة أن يكون الأمر على النحو، لأن ديوي في جميع كتاباته يسترشد بفكرة معينة هي أن الفلسفة مهمة إنسانية قلباً وقالباً، وعلينا أن نحكم عليها في ضوء تأثيرها الاجتماعي أو الثقافي " [٢].

ولقد أطلق على فلسفته اسماً جديداً هو مذهب " الأداتية " كما حاول تطبيق مبادئ هذه الفلسفة في مجالات لم تخطر لهما على بال، ولهذا لم يقتصر نفوذه على أوساط الفلاسفة المحترفين، بل امتدت إلى التربية وعلم الجمال، والنظرية السياسية [٣].

إذ يرى أن حياة الإنسان ليست في جوهرها إلا محاولة متصلة من جانبه ليتم التوافق مع البيئة المحيطة به [٤].

إذ يتضح ذلك من خلال نظرياته التربوية والاجتماعية والسياسية على حد سواء.

" وتبدأ الأداتية عند ديوي إذ أنها محاولة لوضع نظرية منطقية دقيقة عن التصور والأحكام والاستدلالات في شتى صورها بالنظر قبل كل شيء إلى التفكير على كيفية العمل في تحديد النتائج المستقبلية تحديداً تجريبياً " [٥].

ويعني ذلك أنها تحاول أن تضع قواعد منطقية يعترف بها عامة عن طريق استخلاصها من وظيفة العمل المتوسطة والمبدعة، والغرض من الأداتية تكوين نظرية عن الصور العامة للتصور والاستدلال لا عن هذا

(١) فؤاد كامل، الموسوعة الفلسفية المختصرة، مرجع سابق، ص - ٢٠١.
(٢) توفيق الطويل، فلسفة الأخلاق، مرجع سابق، ص - ٢٩٧.
(٣) فؤاد كامل، أعلام الفكر الفلسفي، مرجع سابق، ص - ١١٥.
(٤) أحمد فاروق محفوظ، مرجع سابق، ص - ٢٣٠.
(5) Jown Dewey, Philosopher of Science and Freedom, edited by Sidney Nook, 1950, pig 3 - 46

الحكم أو ذاك أو هذا التصور أو ذاك في علاقته بمضمونه.

" أما المحور الثاني هو " الترابط العضوي " إذ كان متأثراً بهيجل من ناحية، ولنظريات هكسلي البيولوجية من ناحية أخرى.

أما المحور الثالث التجريبية فقد كان تراثاً مشتركاً في الفلسفة الأنجلو سكسونية بوجه عام، والفلسفة البرجماتية الأمريكية بوجه خاص " [١].

وبذلك أخذ ديوي عن فلسفة الإغريق أموراً، ورفض أموراً أخرى " أخذ عنهم روح الفلسفة واتجاهها إلى البحث في الأمور الإنسانية، ومحاولة الرقي بالمجتمع عن طريق التربية، والجرأة في مواجهة التقاليد الجامدة " [٢].

وكان شغل ديوي الشاغل هو تغيير القيم في المجتمعات الإنسانية، حيث يتذرع بالمنهج العلمي لإحداث التغير في القيم الأخلاقية والسياسية والجمالية [٣].

وقد لخص جون ديوي تطور فكره في أربعة أمور هي: -

١- الاهتمام بالتربية نظرياً وعملياً، وبخاصة للصغار، وأن التفلسف يجب أن يدور حول التربية من حيث أنها تاج الاهتمامات الإنسانية.

٢- إخراج منطق جديد للثنائية القائمة بين منهج العلوم ومنهج آخر للأخلاق. باعتبار أن العلم هو التفكير النظري والأخلاق هي السلوك العملي، وهذا المنهج الذي سماه الأداتية.

٣-تخليص علم النفس من النزعات الميتافيزيقية والبحث في الشعور وتطبيق العلوم البيولوجية (علم الأحياء) على دراسة نفسية الإنسان.

٤-تطبيق العلم الحديث ومناهجه على العلوم الاجتماعية مثل الأنثروبيولجيا(علم الإنسان) والتاريخ والسياسة، والاقتصاد واللغة

(١) فؤاد كامل، أعلام الفكر الفلسفي، مرجع سابق، ص - ١١٧.
(٢) محمود عبد الرزاق شفشق، الأصول الفلسفية للتربية، مرجع سابق، ص - ٣٨٦.
(٣) فؤاد كامل، أعلام الفكر الفلسفي، مرجع سابق، ص - ١١٨.

والأدب وغير ذلك.

الطبيعة الأخلاقية عند ديوي:

إن فلسفة جون ديوي تعبر عن " نزعة طبيعية أخلاقية لأنها ترى أنما ينبغي أن يكون يصدر دائماً عما هو كائن ويرتد دائماً بحيث إن كنا هنا بإزاء صورة تتسم أولاً بالذات بطابع الفعل أو النشاط والطابع الدينامي ألتي تتصف بها فلسفة ديوي هو الذي يسمح لها بالانتقال من التقرير إلى التقدير أو من الملاحظ إلى الالتزام أو من العلم إلى الأخلاق " [١].

ومن خلال ما سبق فنجد أن ديوي يتفق مع سابقيه في القول بأن الفكرة لا تكون صواباً ما لم تتحول إلى سلوك ناجح في حياة الإنسان، فالحق هو النتائج الموفقة التي تترتب على اعتناقه.

لذا جاهر بالقول أن الفكرة هي اقتراح لحل أشكال أو خطة للتغلب على صعوبة أو مشروع للتخلص من مأزق فهي في كل الحالات أداة للعمل، وبمقدار نجاحها في توجيه سلوك الإنسان بمقدار حظها من الصواب[٢].

يتضح مما سبق أن ديوي يعد سلوك الإنسان هو الدال على نجاح الفكرة، وهو بهذا يدل أن الفعل هو الحكم.

وديوي ينكر " وجود مبادئ ثابتة في التقاليد الأخلاقية والاجتماعية والسياسية والدينية والعلمية، ونزع إلى الإصلاح الذي يغير من كل شيء حتى يجعله ملائماً لظروف الحياة متمشياً مع روح العصر الصناعي الجديد، وقيم الأخلاق ومُثلها تنشأ المواقف التي يقفها الفرد إزاء المشاكل التي تعترضه، والفرد في هذا النشاط يستهدف حل المشكلات التي تعترضه " [٣].

وتختلف الأخلاقيات عند ديوي عن سائر تلك النظريات فهي كما يلي:

أولاً: أخلاق إنسانية تنبع من صميم الحياة التي نعيشها على ظهر هذه

(١) زكريا إبراهيم، مرجع سابق، ص - ٧٥.
(٢) توفيق الطويل، مرجع سابق، ص - ٢٩٩ - ٣٠١.
(٣) توفيق الطويل، مرجع سابق، ص - ٢٩٩ - ٣٠١.

الأرض، وليست أخلاقاً متعالية تفرض على الإنسان فرضاً.

ثانياً: أخلاق اجتماعية لا تحصر السيرة الفاضلة في داخل الفرد بينه وبين نفسه، ولا تنبع من الذات أو النفس أو الضمير أو العقل.

ثالثاً: أخلاق يمكن بحثها علمياً كما تبحث سائر العلوم الطبيعية، ويمكن ضبطها وتوجيهها كما تضبط العلوم [١].

وأما أفكاره المتصلة بالقيم الأخلاقية فإن أهمها " إيمانه بأن القيم الأخلاقية هي أمور إنسانية تنبع من صميم الحياة التي يعيشها الإنسان على ظهر هذه الأرض وليس أخلاقا متعالية تفرض على الإنسان من جهة عليا [٢].

كما أن إيمانه بأن مصدر القيم الأخلاقية هي الخبرة والتجربة وتفاعله مع البيئة المحيطة به. كما إيمانه بأن القيم الأخلاقية هي أخلاق اجتماعية لا تنبع من الذات أو الضمير أو العقل [٣].

لقد خالف ديوي الأديان السماوية، والنظريات الأخلاقية القديمة التي تقوم على الإعلاء من شأن الحياة الروحية، وعلى فرض معايير أخلاقية تعد مثلاً عليا ينبغي على الإنسان أن يتسامى إليها، ويتمثل بها، حتى يسعد في دنياه وتتزكى نفسه.

الدين عند جون ديوي:

وصف ديوي مذهبه بأنه طبيعي أو كما سماه جمال الأفغاني الدهرية[٤]، لذا فالدين الذي يدعو إليه دين طبيعي دين الإنسانية؛ لذا كانت فلسفته ووليم جيمس لهما نفس السمة.

أما وصف الدين عند البرجماتية وعند جون ديوي بالإنسانية من خلال قولهم:

" نعيش الآن أجزاء منها تمتد جذورها تمتد إلى الماضي السحيق، وهي

(١) أحمد فؤاد الأهواني، مرحع سابق، ص - ١٢٥ - ١٢٦.
(٢) عمر التومي الشيباني، مرجع سابق، ص - ١٣٩- ١٤٠
(٣) أحمد فؤاد الأهواني، مرجع سابق، ص - ١٣٢وصـ ١٣٩.
(٤) أحمد فؤاد الأهواني، مرجع سابق، ص - ١٣٢وصـ ١٣٩.

إنسانية قد تفاعلت مع الطبيعة، إن الأمور العزيزة علينا في الحضارة ليست من صنع أيدينا، ولكنها موجودة ثمرة العرق والدموع للجماعة الإنسانية المتصلة، والتي تكون حلقة من حلقاتها، مهمتنا حفظ تراث القيم التي تلقيناه، ونقله وتعديله، ونشره حتى يتسنى لخلفنا أن يتسلمه أصلب عوداً، وأكثر أمناً، وأيسر تناولاً، وأعظم انتشاراً مما تلقيناه، وفي هذا تقوم جميع العناصر لإيمان ديني لن يقتصر على فرقة أو طبقة أو جنس، وقد كان مثل هذا الإيمان في صميم القلوب المشترك لبني الإنسان، ويبقى اليوم أن ينتقل هذا الإيمان المشترك من السر إلى العلن ويتخذ سبيله إلى التحقيق.

إله واحد، ودين واحد، إيمان مشترك يتطور من تطور الحياة لن يكون هذا التغيير في الدين مضراً، لأن التغيير يوضح مثلنا، ويجعلها أبعد من الوهم والخيال، ويحررنا من عبء التفكير في المثل الدينية كأنها شيء ثابت لا قوة له ولا نمو " (١).

لذا فالدين عند ديوي إنساني، وليس إلهياً أو مؤلهاً (٢). كما أن ديوي يتلمس حل المشكلة في المتدين لا الدين فيرد الأمر إلى التجربة الدينية.

تزكية النفس والفلسفة البرجماتية:

١- تقوم الفلسفة البرجماتية على " مذهب الإنسانية وهو مذهب إباحي هدام، ودعوة خادعة من قبل دهاه أعداء الدين، وهو مذهب جديد من المذاهب الكثيرة التي أنتجتها العقلية الأوروبية في الأساس في خضم الصراع مع الكنيسة... وقيل لها: إنسانية نسبة إلى الإنسان، وقيل إنها عالمية أو أممية... ونادي أهلها بأن يتفق ويتألف جميع الناس تحت اسم الإنسانية بسبب اشتراك جميع الناس في أصل الخلق مع إغفال كل

---

(1) Jown Dewey, A common Faith, Yale University Press, Newhaven, 1999, pig 57

(2) John Childs, American Pragmatism and Education, New York. Application - century - crofrs Inc. 1950, pig 328.

الفوارق بينهما مهما كانت تلك الفوارق دينية أو غير دينية، قومية أو وطنية أو غير ذلك " [١]. من الروابط فلابد أن يكون التجمع على الإنسانية وحدها بدلاً من الكنيسة وتعاليمها، وإن الدين أمر شخصي بين الله والإنسان... وعلى أن يوجد دين موحد للكل تحت راية واحدة بعد أن تسقط جميع الأديان وجميع القوميات والوطنيات.

وبالنظر في العبارات الماسونية " اخلع عقيدتك على الباب كما تخلع نعليك... أو ادخل بلا عقيدة... بلا دين ومن ثم بلا أخلاق.

فالدعوة إلى الإنسانية دعوة مهذبة لنشر الإلحاد بجسارة في الأرض حتى يتم إغواء الناس بهذا " [٢].

وإنما توجه الدعوة الإنسانية فقط ضد أصحاب الدين ممن كان متمسكاً بدينه فهذا " المتعصب " ضيق الأفق " الذي يفرق بين البشر على أساس الدين، ولا يتسع قلبه للإنسانية فيتعامل معها بلا حواجز في القلب أو الفكر أو السلوك.

٢-فهم ينظرون إلى القيم الثابتة كالحق والخير كما ينظرون إلى السلعة التي تطرح في الأسواق، فالحق أو الخير معياره المنفعة المادية التي ستعود عليهم من ورائها وليس معياره القيمة في ذاتها [٣].

٣- اندفع البرجماتيون إلى تكديس الثروات من خلال فلسفتهم التي تعظم المنفعة، وتزدري القيم الثابتة، وبذلك انتشر الانحراف السلوكي وتمجيد العنف [٤].

٤-جعل الدين علاقة نفعية بين العبد وربه وإضاعة الإيمان الذي يهب

---

(١) غالب علي العواجي، المذاهب الفكرية المعاصرة، المكتبة العصرية الذهبية، جدة، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م، ج - ٢، ص - ٨٢٧ - ٨٢٨.

(٢) محمد قطب، مذاهب فكرية معاصرة، دار الشروق، القاهرة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ٥٨٩ - ٥٩٠.

(٣) مصطفى حلمي، الإسلام والمذاهب الفلسفية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥، ص - ٢٤٠.

(٤) على لبن، مرجع سابق، ص - ٧٩.

الإنسان على مقاومة اعتى الصعاب.

٥-حصرت مطالب الإنسان في النواحي المادية ورفض الجانب الروحي وقصرت العقل على التفكير في حل المشكلات المادية وحدها -صحيحاً أن التقدم الحضاري والمادي مطلوب ولكن وحده لا يكفي، فمجموع الإنسان وخصائصه لا تشبعه النواحي المادية.

٦-تدعي البرجماتية تبنيها لقيم الحرية والديمقراطية، " فالديمقراطية تعني حكم الشعب نفسه بنفسه لنفسه " (١). وهذا مخالف للأديان وفيه صور من الطغيان وتسلط العباد على العباد.

٧-عالج الإسلام مشكلة الملكية الفردية بطريقة يستأثر فيها الانتفاع بمنافعها، والتصرف في محلها، بدون سرف ولا تبذير، وأيضاً منع التقتير، وجعل في المال حق.

قال الله تعالى:{وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ } [سورة الإسراء آية ٢٦-٢٧].

وما أساس الملكية " أنها ملكية استخلاف من الله مالك الوجود إلى الإنسان خليفته في الأرض، ومن شروط الاستخلاف يرعي الخليفة ما في يده من نعم الله، ويتعهد مرافقها بالصيانة والتقوية والتحسين " (٢). وإعطاء الحق الذي عليه في الملكية.

لا يمكن لفلسفة تقوم على هذه المبادئ والأفكار البشرية، والأخلاق القائمة على المنفعة التي تهم الفرد أولاً دون النظر لمصالح المجتمع، وهي مستمدة من التطور المطلق، ودين مجموعه نسبي أن تزكي أنفس أفرادها.

الفلسفة البوذية: -

(١) سعيد عبد العظيم، الديمقراطية في الميزان، مكتبة الفرقان، الإسكندرية، د.ت، ص - ٣٨.
(٢) عبد السميع المصري، عدالة توزيع الثروة في الإسلام، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ص - ١٣٢.

ولد بوذا عام(٦٢٣ق. م) في مدينة لُمْبَنِي قريب من " كيل واستو " في جنوب نيبال، وكان أبوه ملك ساكا وكان اسمه سدهارتا، وكان يطلق عليه عدة ألقاب مثل (جوتاما) أي الراهب، و(ساكياموني) أي المتبتل والمنعزل من قبيلة ساكيا و (تتاغاتا) أي البالغ أو المخلص.

فتعلم الفنون العسكرية من الرمي والفروسية، وتعلم النظريات الفلسفية التي كانت شائعة في عصره، أتقن فيها [١].

وفي مرحلة من مراحل حياته " انجذب نحو دنيا الرهبنة فبدأ حياة الترهب، لذلك يحسن بنا في هذه المرحلة من حياته أن نسميه غوتاما أي الراهب أو غوتاما أستاذ الفلسفة الهندية " [٢].

البوذية على رأي بوذا فلسفة إذ " الأساس الذي بنا عليه بحثه وتجربته أساس فلسفي خالص حتى وضعه كثير من الباحثين المعاصرين في صفوف الفلاسفة " [٣].

ويعتقد البوذيين أنها " دين وكذلك بعض المفكرين الغربيين يرون أن البوذية ديناً لأنها ترسم الطريق للتخلص من الذنوب، ولأنها فيها جانباً روحياً، ولأن معتنقيها يمتازون بحماسة قوية لا تتوفر إلا في الأديان " [٤].

كما أن البوذية " تعيش في الخيالات والأوهام، ولا تواجه مشكل الحياة وصعابها، وهي أقرب إلى الفلسفة في الحياة منها إلى الدين، وتقوم على التجرد والزهد تخلصاً من الشهوات والآلام " [٥].

(١) عبدالله مصطفى نومسوك، مرجع سابق، ص - ٨٦ - ٩٠.
(٢) أحمد شلبي، أديان الهند الكبرى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ص - ١٤٤.
(٣) عبدالله مصطفى نومسوك، مرجع سابق، ص - ١١٥.
(٤) مجموعة من الأساتذة، موسوعة الأديان في العالم، دار كريبس انترناشيونال، بيروت، (الديانات القديمة)، د.ت، ص - ١٩٥.
(٥) محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دراسات في اليهودية والمسحية وأديان الهند، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، ص - ٦٣٧.

وقد تضمنت البوذية " القول بالتغيير الشامل في العالم فيفترض بوذا عدداً من الأفكار الفلسفية التي تستحق الاهتمام إن الحياة جدول من الصيرورة ولا يوجد شيء دائم في الذات المادية والشيء يتعلق بالشيء الآخر - ويعتمد عليه، ومن هنا ينبع الإيمان، وبأن لا ثواب ولا عقاب وبأننا نتحمل نتيجة كل عمل لنا " (١).

وبذلك فبوذا " لم يكن نبياً ولا صاحب دين ولم يتلق وحياً وإنما هو باحث فيلسوف مفكر عاش على الأرض وفكر فيما حوله من الأحياء ورأى ما ينزل بهم من متاعب " (٢).

وتقوم دعائم الفلسفة البوذية على أربع قواعد مختصرة فيما يلي: -

" ١) ما هو الألم ؟ الولادة والشيخوخة والمرض والموت ألم والانفصال عما نحب والاجتماع بما نكره واليأس والفشل كل هذا ألم.

٢) ما هو مصدر الألم ؟ الشهوة والتعطش إلى الوجود الذي يسلمنا إلى اللذة، وتجديد الولادة والإحساس بالرغبة والأنانية كل هذا مصدر الألم.

٣) كيف إفناء الألم؟ إن الآلام لا تفنى إلا بالتحرر من الذات والانفلات من كل رغبة وشهوة.

٤) ما هي الطريقة الموصلة إلى إفناء الألم؟ إنها الممرات الثمانية: - الرؤية السليمة، القرار السليم، الكلام السليم، العمل السليم، السلوك السليم، الجهد السليم، التفكير السليم، والتأمل السليم " (٣).

هذه الحقائق الأربعة هي فلسفته وهي منصبة على تجريد النفس، وقمع الشهوات، وإبطال الرغبات والتحرر من أمور الدنيا. وسيتم تبيين هذه الحقائق:

١) الحقيقة الأولى: -

---

(١) كارل ياسيرز، فلاسفة إنسانيون، ترجمة عادل العوا، بيروت، منشورات عويدات، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.ص - ١٠٠.

(٢) أحمد شلبي، مرجع سابق، ص - ١٧٥.

(٣) عبد الله مصطفى نومسوك، مرجع سابق، ص - ١١٦.

الحياة عند بوذا ليست إلا سلسلة من موكب الآلام الحافلة بالعذاب والتعب والكد والكفاح في سبيل البقاء والوجود على هذه الأرض " [١].

وهذه الحقيقة باطلة كل الباطل، وهى تخالف القرآن الكريم، ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم . قال الله تعالى:{فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾} [سورة الروم آية ٣٠].

٢) الحقيقة الثانية: -

إن كل شيء له سبب أو عامل، ولابد لهذا الألم سبب أو عامل لذا فإن " السبب في وجود الإنسان عند بوذا هو الرغبات والشهوات لأنها هي التي تبعث في الإنسان الرغبة في اللذة والتملك والشوق إلى عالم مستقبل، فإذا وجدت هذه الرغبات والشهوات، وجد الإنسان، وإذا انتهت الرغبات والشهوات انتهى وجود الإنسان [٢].

" وترجع نظرة بوذا إلى الرغبة وهوى النفس وترجمة ذلك في النعيم والترف الزائد " [٣].

ومزاعم الحقيقة الثانية هي " أن سبب الولادة والموت هو الجهل " أفيديا " الذي يسبب الرغبة في العيش، سبب هذه الرغبة وجود آلات الإدراك الستة هي الحواس الخمس والعقل، وسبب إدراك الستة الجمع والتركيب بين الجسم والروح، وسبب هذا التركيب وجود الجسم مع رغبته في العيش في حياته السابقة " [٤].

---

(١) سانج جانترا راغام، أصول البوذية، مكتبة باناخار، بانكوك، ٢٥٥١ب، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، ص - ٢٥٥ - ٢٥٦.

(2) Chatterjee and Dhirendramuhan, Introduction to Indian Philosophy, Muhachula Statischandra Buddhist University, Bangkok, 2519 Be, 1976 A.D., pig 221.

(٣) علاء حمروش، تاريخ الفلسفة الشرقية، د.ن، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، ص - ٦٤.

(٤) الجامعة البوذية (مها مونج كوت راجا فيد بالي) / تري بابيتاس (الكتاب المقدس في البوذية)، سانان شايا نوكول، (مهانات)، ترجمة عبد الله نومسوك، بانكوك، ٢٥٢٦ب،

وهذا ناموس العلة والمعلول، وهذا معتقد قائم على الكفر بالله واليوم الآخر والإيمان بهذا الناموس.

٣) الحقيقة الثالثة: -

" إعدام الألم وهي مبنية على الحقيقة السابقة التي تقول أن الألم والأحزان والمشكلات التي يعانيها الإنسان كلها منبعث من السبب، وهو زحمة الآمال والأماني والرغبات والشهوات التي تروا الإنسان، وتحتضنه دائماً، وإن هذا السبب قابل للزوال أي في استطاعة الإنسان التخلص من هذه الآلام والمشكلات وذلك بمنع جميع الرغبات والشهوات والآمال والأماني، والإفلات منها نهائياً، وإنكار الذات مطلقاً والتحرر من كلمة " أنا " بكل الوسائل وقطع جميع الصلات " (١).

وهذه الحقيقة مخالفة لما جاء في القرآن من الصفات البشرية التي يتصف بها حتى الرسل.

قال الله تعالى:{قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾} [سورة إبراهيم آيه ١١].

وما جاء في السنة النبوية المطهرة من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :**{إنما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر، وأغضب كما يغضب البشر}** (٢).

٤) الحقيقة الرابعة: -

الوسيلة لإعدام الألم: ولإعدام الألم طريق واحد عند بوذا وهي ما يسميه " الشعب الثماني أو الممر الوسط بين التلذذ والزهد " (٣).

١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ط٧، ص - ١١٣.

(1) Sat .Chandra .Ibid .pig.227.

(٢) يحيى شرف الدين النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، مرجع سابق، ج - ١٦، ص - ١٥٤ - ١٥٥.

(٣) الجامعة البوذية، مرجع سابق، ص - ٤٠٥.

وهي كما يلي: -

١) سلامة الرأي: -

أي المعرفة بالحقائق الأربعة (الألم، وسبب الألم، وإعدام الألم، والسبيل لإعدام الألم) وتكون بالهدوء الدائم وعدم الاستسلام للفرح أو الحزن.

٢) سلامة النية: -

وتكون بهدوء المرء دائما وبعزمه على التخلص من الشهوات وعدم إيذاء أي مخلوق.

٣) سلامة القول: -

وتكون بالابتعاد عن الكذب والنميمة وعدم التلفظ بالكلمات الفاحشة.

٤) سلامة الفعل: -

وتكون بالابتعاد عن السرقة وقتل الحيوانات والاعتداء على حق الغير وفعل ما يأسف له أو يخجل منه.

٥) سلامة العيش: -

وتكون بالكسب الحلال والبعد عن العمل السيئ مثل النزيف وعن أخذ السلع المسروقة وعن اغتصاب المرء ما ليس له.

٦) سلامة الجهد: -

بأن يسعى المرء دائما إلى كل ما هو خير والابتعاد عما هو شر.

٧) سلامة التفكير: -

وتكون بقطع الجهل " أفيديا " الذي جعل المرء يتعلق بالأوهام ويسعى لباب الأمور.

٨) سلامة التأمل: -

وتكون بصفاء النفس والبصيرة وإيجاد التأمل الدائم وعدم الخوف والتعلق، ولا تتأتى إلا باتباع القواعد " [١].

(١) عبد الله مصطفى نومسوك، مرجع سابق، ص - ١٢٥ - ١٢٦.

الألوهية في البوذية: ـ

" كان بوذا أول الأمر يتحاشى الدخول في مباحث الألوهية خوفاً من أن يقع في المتناقضات، ويترك الناس حيارى " [١].

كما أنه لم يكن ليعير التفاتاً إلى مسألة الحديث عن الله سلباً ولا إيجاباً، ولذا فإن الله مسألة متروكة جانباً في البوذية... " ولكن البعض الآخر يرى أن بوذا كان يسخر من الله والحديث عنه.

ولكننا نلاحظ أن أتباع بوذا من بعده قد تحدثوا عن الله، وذهب بعضهم إلى الاعتقاد بأن روح الله قد حلت في بوذا، فأصبح هذا في جانب منه إنساناً من حيث تكوينه المادي، وفي جانب آخر إلهاً، وهكذا رفعوه إلى مصاف الآلهة " [٢].

لذا " يرى كثير من الباحثين في الأديان إن البوذية فلسفة أخلاقية وآداب للسلوك أكثر منها دين، وإن أتباع بوذا هم الذين رفعوا هذه الفلسفة إلى مستوى الدين " [٣].

لذا " كيف يدعي بوذا أنه حصل على " النرفانا " والعلم الإلهي وهو لا يعرف ربه وخالقه وإلهه ويضاف إلى انه يدعو إلى دينه ليخرجهم من المصائب والآلام، ومن هنا تشكك الناس كثيراً في البوذية وكونها ديناً " [٤].

ومن خلال قيامها على أساس كهنوتي مقرر، فلا تتزكى النفس مع مثل هذه المعتقدات التي تدعو إلى الإلحاد والكفر.

---

(١) المرجع السابق، ص - ١٥٢.
(٢) مهدي فضل الله، آراء نقدية في مشكلات الدين والفلسفة والمنطق، دار الأندلس، بيروت، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ص - ١٧١.
(٣) عبد الغفور عطار، الديانات والعقائد في مختلف العصور، مكة المكرمة، د.ت، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ج - ١، ص - ١٢٤.
(٤) محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مرجع سابق، ص - ٦٤٦.

البوذية والعالم: -

كما أن " البوذية لا تهتم بالبحث في ظواهر الكون المترامي الأطراف، كما أنها لا تهتم بمعرفة أصل الوجود وتكوينه والغاية منه، فالبوذية لا تنكر وجود خالق للكون، وإنما لا تهتم بمعرفة ذلك الذي خلق الكون، إنها ترى فقط العالم مليء بالآلام والأحزان، وهو عالم وهمي خداع لأن كل شيء فيه وهم وسراب فهو في صيرورة دائمة ومستمرة، وليس فيه إلا حوادث، وظواهر متغيرة على الدوام ومن خلال الحقائق الأربع الذي لا يكلف نفسه إلا معرفتها " (١).

ومن خلال الحقائق فقد أنكرت حقيقية العالم الحسي بدرجة أوقعها في التناقض؛فالعالم الذي لا حقيقة له لا يمكن أن توجد فيه ظواهر أو أعراض لها حقيقة؛لذا يجب التأكيد على عدم وجود ظواهر الحزن والشقاء في العالم.

كما أن القول بأن المحن والآلام هي وحدها العناصر السائدة في العالم من الصحة في شيء، فنحن نلاحظ أن في الحياة الفرح والترح، والمرض والصحة، والضحك والبكاء، والغنى والفقر، والحرب والسلام، والحياة والموت والميلاد، والنعمة والبلاء، والسعادة والشقاء.

البوذية والإنسان: -

" البوذية ترى أن الذات غير واقعة أو مجرد لفظة مفترضة، وليس لها وجود، ويطلقون على هذه النظرية بأناتا أي لا ذات، وهنا لها تفسيران: -

أولاً: أي ليس للإنسان ذات حقيقية بل ذات وهمية خيالية تتكون من خمسة عناصر وهي:

١) الجسم. ٢) الحواس. ٣) التذكر. ٤) التفكير. ٥) الوعي.

إن هذه العناصر الخمسة يتكون منها الإنسان ليست ذاتاً للإنسان، وإنما هي مجرد حالات أو سلسلة التي تخضع لقانون شامل وهو قانون

(١) مهدي فضل الله، مرجع سابق، ص - ١٧٣.

الحدوث والتغيير والزوال والفناء، فالإنسان ليس له ذات حقيقية، إنما مجرد لهذه العناصر التي تحدث، وتتغير وتفنى حسب الأسباب والعوامل.

ثانياً: فسره بعض الفلاسفة البوذيين المعاصرين بأن لا وجود للذات، ولا وجود للروح أي لا حقيقة ولا خلود " (١).

خلاصة القول بأن بوذا لم يسلم بوجود الذات كشخصية موحدة ولم يسلم بخلود الروح وحقيقتها.

" السؤال الذي يطرح نفسه هو لم وجدت الشخصية إذن، وكيف نتحدث عنها ؟ وهب أن الإنسان تخلى عن خصائصه الإنسانية العامة فما الذي يتبقى فيه كانسان يا ترى؟ أن بدنه سيفنى وستذهب معه الغرائز والميول لارتباطها به، وكذلك سيتلاشى عقله لاعتماده على التجريد من الظواهر والمحسوسات وهذا يعني أن الإنسان إذا ما استطاع تحقيق الخلود لنفسه فإنه في الواقع لن يتعرف هو على نفسه، ولن يعرفه أحد لأنه فقد كل ما كان يعرف أو يتميز به " (٢).

إن القصور الفكري في البوذية يتمثل أصلاً في عدم رؤيتها لعناصر ثابتة ذات قيمة جوهرية في الإنسان، وهي قد اضطرت إلى التحدث عن خلود كلي عام عند ما رأت أن نظرتها إلى الإنسان تؤدي به إلى الضياع والشقاء والتفلت من كل ما يمت بصلة إلى عالم الأخلاق، لقد وضعت هذا الأمل الخافت بالخلود المطلق لكل من يستطيع الانسلاخ من وجوده المادي لكي لا تكون مذهباً فوضوياً يؤدي إلى استباحة الفرد لكل ما يرغب فيه في الحياة، ولكي تعطى للحياة معنى ما... ؟

" لذا فالإنسان في نظر البوذية ليس مخلوقاً لغاية معينة بل هو وجد نتيجة لسوء تقدير، وعلى الإنسان أن يصحح هذا الوجود بإلغاء هذا الوجود نفسه، عن طريق إذلال النفس وكبت الخواطر والأفكار والتحكم في

---

(١) عبد الله نومسوك، مرجع سابق، ص - ١٢٩ - ١٣٠.

(٢) محمد كمال إبراهيم جعفر، في الدين المقارن، د.ن، القاهرة، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م، ص - ٢٥٤ - ٢٥٥، ص - ٢٧٤.

الأحاسيس وقهر البدن والتخلي عن كل شيء حتى الرغبة في الحياة فضلا عن امتلاك أي شيء على الإطلاق " [١].

إن دعوة البوذية إلى المحبة ومحبة الآخرين يوقعها في التناقض أيضا، فكيف يمكن يا ترى للإنسان أن يحب غير ه وهو لا يحب نفسه ويود التخلص من حياته ؟ وكيف تكون هذه المحبة ؟ وهل تكون بمحبة نفس الآخر فقط دون جسد وشهواته وهو ما تنكره البوذية ؟أما تكون بمحبة روحه وجسده معا وهذا ما يناقض الدعوة البوذية إلى التخلص من سلطان الجسد وريق المادة لبلوغ النرفانا والاتحاد بها حيث السعادة الأبدية ؟

النرفانا:

وهي تعني:

١) الخمود والبرودة.

٢) التجرد من أغلال الحياة وقيودها.

٣) التجرد من الطعنات، ومن فكرة الذات.

وتفيد مغزى واحدًا وهو التخلص أو التحرر من جميع الشهوات والآلام، و " نرفانا " على هذا المفهوم هي الحالة التي خمدت فيها جميع الشهوات والرغبات خموداً نهائياً " [٢].

أو " هي السعادة العليا التي تتاح للمخلوقات " [٣].

إن الإسلام دين الفطرة فهو لا يقر بعقيدة " النرفانا " أو الفناء التي تدعو إلى تجريد النفس عن الرغبات وكبت نوازعها حتى تتعطل إرادتها وتموت.

كما أن الإسلام وضع وسائل تزكية النفس وتهذيب الأخلاق، وتقوية الصلة بين الله والإنسان عن طريق العبادة والذكر، وطاعته فيما أمر،

(١) مهدي فضل الله، مرجع سابق، ص - ١٧٥ - ١٧٦.
(٢) الجامعة البوذية، مرجع سابق، ص - ٣٢٠.
(٣) عباس محمود العقاد، مرجع سابق، ص - ٤٧.

والانتهاء عما حرم الله، وليس بالرياضيات أو التأملات الشاقة سوى أوهام لا يقبلها العقل، ولا تستجيب لها الفطرة السليمة.

نظرة البوذية للمرأة: -

نظرت البوذية إلى المرأة نظرة عدائية واحتقار، واعتبرها المسؤولة الأولى عن أسباب الشقاء الإنساني؛ لأنها هي " العامل في استمرار الحياة التي تربط الفرد بالزواج والأطفال والأشياء المادية، وهكذا لم يكن للمرأة دور إيجابي أو خلاق في البوذية التي هي باختصار دعوة كاملة إلى الرهبنة في الحياة، ولم تكن هذه النظرة إلى المرأة في دين أو فلسفة قديمة أو حديثة " [(١)].

وهذا ما خالف الإسلام البوذية فقد كرمها، ونظر إلى دورها في عملية استمرار الحياة عن طريق الإنجاب نظرة تقديرية رفيعة.

الأخلاق عند البوذية: -

من القضايا الهامة التي اهتمت بها البوذية اهتماماً كبيراً قضية الأخلاق، ويمكن القول بأنه الجزء الخصب في هذه الفلسفة.

" وتنقسم الأخلاق عند بوذا إلى قسمين: ١) الأخلاق العامة.

٢) الأخلاق الخاصة.

قسم بوذا تعاليمه إلى ثلاث درجات وهي:

أ) الابتدائية. ب) المتوسطة. ج) العالية.

الأخلاق في الدرجة الابتدائية هي:

ذكر بوذا خمس رذائل أو ما يعرف عند البوذيين باسم (Sila) جاء النهي عنها على صورة وصايا، وهى لو أخذ الشخص نفسه بها، ورعاها حق رعايتها كان في الأخذ بها استيلاء تام على الإرادة.

وهي كما يلي: -

(١) مهدي فضل الله، مرجع سابق، ص - ١٧٧.

١) عدم قتل أحد ولا تقضي على حياة حيوان.

٢) لا تأخذ ما لا يعطى لك.

٣) لا تكذب ولا تقل قولا غير صحيح.

٤) لا تشرب خمرا ولا تتناول مسكرا.

٥) لا تباشر علاقة جنسية محرمة.

وهناك مقابل هذه فضائل هي التحلي بالرحمة والكسب الحلال والصدق والوعي الكامل والعفة " [1].

وهذه لعامة البوذيين المدنيين الذين يسكنون المنازل، أما الذين يتطلعون منهم إلى سلك الرهبنة فعليهم فوق ذلك اتباع الوصايا العشرة التي توصلهم إلى الرهبنة وهي من الأخلاق المتوسطة:

" ١) الامتناع عن الطعام في الليل، وعن تناوله أكثر من مرة في اليوم.

٢) الامتناع عن تزيين الجسم بالعطور والزهور أو الدهن.

٣) الامتناع عن الرقص والغناء وعن حضور حفلتهما وعن جميع الملاهي والألعاب.

٤) الكف عن اقتناء المقاعد والمساند الفخمة والفراش الوثير المحشي بالقطن.

٥) الامتناع عن إبادة النباتات وإماتتها.

٦) الكف عن الهراء وفظاظة الكلام والنميمة.

٧) الكف عن القمار والرشوة.

٨) الكف عن الوساطة بين الناس.

٩) الكف عن التزييف في الكلام للحصول على المطالب الدنيوية.

١٠) الكف عن قبول الهدايا النقدية وعن اقتناء الذهب والفضة.

وهذه الرذائل البوذية العشر وصفها بوذا لأتباعه من الرهبان دون غيرهم

(١) عبد الله نومسوك، مرجع سابق، ص - ١٣٥.

بالإضافة إلى النظم والآداب.

أما الدرجة العالية من الأخلاق فهي درجة القديسين (Arhat) الذين حطموا القيود العشرة السابقة تحطيماً كاملاً " [١].

تزكية النفس و الفلسفة البوذية: -

١) من تعاليم بوذا اللجوء إلى النفس دون الغير، وإذا كانت النفس في نظرته شيئاً وهمياً خالياً فكيف يمكن اللجوء إليها ؟ أليس اللجوء إليها هو اللجوء إلى الوهم والخيال ؟

٢) من تعاليم بوذا أن الذات ليس لها وجود أي وهمية فهل يعقل أن تكون للأخلاق مكانة في ذات وهمية، ولا يمكن أن تتمتع بأدنى ما يمكن من الثبات والاستمرارية.

٣) من تعاليم بوذا أن الذات " أنا " عالماً من الوهم والخيال والخرافة، فهي تتناقض مع عقيدتي " كارما " (قانون الجزاء) و " التناسخ " (تناسخ الأرواح ووجوه الوجود) إذ لا يعقل أن تتحمل الذات " أنا " مسؤولية أعمالها في حياتها السابقة وتولد في حياة بعد حياة.

٤) تحط الفلسفة من قيمة الإنسان الذي خلقه الله في الأرض، والحق أن وجود الإنسان وكل ظواهر الكون وجود حقيقي لا وجود وهمي.

قال الله تعالى:{إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾} [سورة الجاثية آية ٣-٥].

وقع بوذا وأتباعه في أوهام حقيقية وهي عدم الاعتراف بوجود قدرة عليا وأنه الخالق سبحانه وتعالى المدبر للكون والإنسان والحيوان كما وقعوا في الكفر بالله وعدم التدبر في خلق الله للوصول إلى وجوده والإيمان به.

قال الله تعالى:{وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ

(١) عبد الله نومسوك، مرجع سابق، ص - ١٣٧.

۝ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ۝} [سورة الذاريات آية٢٠-٢٢].

تزكية النفس تكون باتباع ما جاء به الله سبحانه وتعالى، المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ولم يأمر الله على لسان رسوله بشقاء الإنسان، وتحمل أعباء لا يطيقها الإنسان.

خلاصة:

تمت دراسة الفلسفة الواقعية والبرجماتية والفلسفة البوذية، والتي جاءت من عند البشر فظهر عدم وحدة الفكر، والتشتت في الفكر والاختلاف في الرأي فكل فيلسوف ظهر برأي من عنده، ولم يراع الإنسان وخصائصه، وحدد ما يراه مناسباً له، ولتحقيق المصلحة التي يحققها، فلم تتضح من هذه الفلسفات أي بادرة تقوم على تزكية النفس.

وفي الفصل القادم نتكلم بإذن الله تعالى عن كل ما يتعلق بالفلسفة المثالية، كيفية تحقيقها لتزكية النفس.

* * *

الفصل الرابع: تزكية النفس

الفصل الرابع:
تزكية النفس

تزكية النفس والفلسفة المثالية

* توطئة.
* الفلسفة المثالية.
* خلاصة.

توطئة:

تزكية النفس هي مراد كل من أراد الاتصاف بأنه مطيع لله سبحانه وتعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، ولكي يكون الإنسان مطيعًا لله سبحانه وتعالى لابد له بأن يلتزم أوامره ويتبعها وينتهي عن كل ما نهي عنه، فيلتزم بالإيمان به ويوحده، ويجعل عبادته له خالصة فتزكو نفسه، وترتقي في منازل العابدين.

كان الفصل السابق دراسة عن الفلسفات الواقعية والتي تعود إلى أيام أرسطو، وتنحدر عبر توما الأكويني، ثم استمرت عير الكنيسة الكاثوليكية الرومانية.

ولقد انقسمت الواقعية حسب تطورها إلى أقسام واتجاهات، قسم منها تؤمن أن المادة والعقل موجودان، وقسم يركز على الوجود المادي، وتنوعت أقسامها وانضوت تحتها فلسفات، ومدارس فكرية.

ومن خلال هذه الاتجاهات والأقسام التي وجدت لم تظهر تزكية للنفس من الناحية العقائدية و من الناحية العبادية، ومن الناحية العقلية، ومن الناحية الأخلاقية، ومن الناحية الاقتصادية، ومن الناحية الاجتماعية.

ومن خلال الفلسفة البرجماتية والتي جاء اعتماد مؤسسيها على كتابات داروين، وأما أفكارها فهي تظهر أهمية المنفعة، فأساسها الفكري المنفعة لكل عمل يقوم به الفرد.

وأما القيم فحسب تأثرها بالمنفعة التي تقدم، وهي بذلك لا تكون لها القيمة الأساسية، و أصبحت لا وجود لها ولا فائدة إلا إذا كان لها المنفعة، وأصبحت المادة هي المحرك الوحيد والمطورة في حياة الإنسان، وما سبب اختيارها لأنها أصبحت تتركز في عالم يؤمن بها إيماناً كاملاً.

وفي الشرق كانت هناك فلسفات وأديان، وتم اختيار البوذية لوجود أناس يؤمنون بها، ولها من الطرق التي تربي في الناس تربية خاصة، وتتبع أساليب وتتنوع في الناس.

فمن خلال طرقها وأساليبها وأفكارها لم تتزك الأنفس، بل مازالت لديها

من الأفكار والمبادئ التي لم تؤثر في أتباعها حتى يصلوا إلى مرحلة تزكية النفس.

تعتبر من أقدم الفلسفات التي وجدت، والتي لها معالم وأركان واضحة، كما أنها سبب اختيار الفلسفة المثالية، وعمل لها فصلاً مختصاً به لأنها يعتبرها أكثر المفكرين أقرب الفلسفات إلى الأديان، وإلى الجوانب الروحية بصفة عامة، وربما كان ذلك من أسباب شيوعها وانتشارها.

وقامت المناهج التربوية عندهم على تلقين الأفكار، وتدريب التفكير العقلي، وتنمية القيم الروحية.

الفلسفة المثالية:

تعد الفلسفة المثالية من أقدم الفلسفات الواضحة المعالم والأركان، واستمرت تجتذب قدراً كبيراً من الفلاسفة والمفكرين، ويهفوا إليها المربون والعلماء في العصر الحاضر مع وجود مدارس وتيارات تميزت داخل الفلسفة المثالية، ووصلت إلى حد التناقض، إلا أنها تندرج تحت الفلسفة المثالية في توجيهها الفكري العام " فهي تشترك في فكر واحد وهو أن العقل أو الروح هو جوهر هذا العالم، وأن الحقيقة الأزلية ذات صفة عقلية، فالشعور والفكر والمثل العليا، والقيم الذاتية، كل هذه ذات طبيعة عقلية، وهي أقرب إلى قلب الكون من الأشياء المادية أو مظاهر العالم الطبيعية الخارجية أو الكائنات الحيوانية.

إن المثالية ترفض في يقين أن يكون العقل هو المخ، وعمله فحسب أوان الشعور ليس إلا منتجاً ثانوياً " (١).

وتعرف المثالية بأنها " مذهب فلسفي يؤمن معتنقوه بوجود أفكار عامة ثابتة ونهائية هي جوهر الكون وحقيقته، وقد أوجد هذه الأفكار عقل عام أو روح عامة، وهو كل ما هو حقيقي، كما يؤمنون بأن عالم المادة وعالم الخبرات اليومية عالم غير حقيقي لأنه يتميز بالتغيير، عدم الاستقرار،

---

(1) Sale Laryl, Introduction of Middle School Teaching Columbus, Ohio Charles Emrill Publishing company, 1977, pig 29.

ولكن هذه المادة لا يدركها الإنسان بحواسه، وصيغت على مثال وجد في الفكر، والعقل وحده هو الذي يحكم على مدى مطابقة المادة لتلك المثل " (١).

كما أنها تعرف بالمعنى العام بأنها " الاتجاه الفلسفي الذي يرجع كل وجود إلى الفكر بالمعنى الأعم لهذه الكلمة، وبمعنى آخر الذي يقول: إن الأشياء الواقعية ليست شيئاً آخر غير أفكارنا نحن، وأنه ليس هناك حقيقة إلا ذواتنا المفكرة، أما وجود الأشياء فقائم في أن تكون مدركة عن طريق الذوات ولا حقيقة لها وراء ذلك " (٢).

ويصبح للمثالية وجهين هما كما يلي: -

أ) وجه عام اتجاه قوامه رد كل وجود إلى الفكر بأوسع معاني هذا اللفظ فوجود الأشياء مرهون بقوى الإدراك، وهي بذلك تقابل الفلسفة الواقعية.

ب) والوجه الثاني في الميتافيزيقيا، وهي كما يلي:

١) قديماً ذهب أفلاطون إلى أن المعاني والمثل مفارقة في عالم خاص بها عالم المعقولات، وهي نماذج وأصول العالم الحسي فالمثل وحدها الموجودات الحقيقة، وليست الأشياء إلا مجرد أشباح للمثل، وتلك هي المثالية الأنطولوجية أي المتعلقة بالوجود.

٢) حديثاً ذهب كانط إلى أن المثالية الترنسندنتالية هي التي تعد الظواهر مجرد تصورات لا أشياء في ذاتها وتلك هي المثالية الأبستمولوجية أي المتعلقة بالمعرفة.

٣) في الأخلاق تشير إلى وضع مثل أعلى أو مبدأ أسمى ينبغي أن يسير بمقتضاه السلوك الإنساني بما هو كذلك أو إقامة مبادئ عامة تستخدم أساساً للقواعد العملية التي يتطلبها سلوكنا الشخصي، وتقتضيها سيرتنا العملية.

---

(١) إبراهيم ناصر، مرجع سابق، ص - ٢٤٢.

(٢) أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١، ج - ٢، ص - ٥٨١.

والمثالية تعتبر الأخلاقية غاية في ذاتها غاية موضوعية يتوخاها الإنسان بما هو إنسان، وليست وسيلة إلى تحقيق لذة وسعادة أو كمال أو غيرها هذا مما يقوم خارج الأخلاقية.

٤) في علم الجمال تقوم المثالية على أن الفن ليس مجرد محاكاة الطبيعة إنما هو تعبير عن مثل أعلى " (١).

إن الفلسفة المثالية لها واقع لابد من دراسته؛ وضعها في الاعتبار وهي كما يلي:

" ١) هناك فوارق واختلافات واسعة بين الفلاسفة المثاليين، ولهم سمات مشتركة فيما بينهم بقدر الإمكان.

٢) الفلسفة المثالية هي أكثر الفلسفات شيوعاً في الماضي، وأعظمها أهمية، ولهذا ينظر إليها عادة على أنها عمود الفلسفة، وينظر إلى الفلسفات الأخرى من تجريبية وطبيعية ومادية أنها رد فعل لها.

٣) إن هذه الفلسفة هي أقرب الفلسفات إلى الأديان، وإلى الجوانب الروحية بصفة عامة، وربما كان ذلك من أسباب شيوعها وانتشارها.

٤) إنها تلقى استجابة قوية من العقل والقلب معاً.

٥) السمة العامة للفلسفة المثالية هي أن الحقيقة النهائية ذات طبيعة عقلية أو ذهنية أو فكرية أو روحية.

٦) أن العقل البشري جزء من العقل الكلي الشامل المتغلغل في الكون، ومن هنا كان هناك عقل واحد هو الذي يسري في الكون الكبير والصغير معاً، ولذا كان الكون معقولاً ومفهوماً " (٢).

وتضرب المثالية في أعماق التاريخ إلى أفلاطون الذي قدم صورة كاملة فرضت نفسها على جميع المفكرين أكثر من ألفي عام، وقد تأثرت بها المسيحية وتأثر بها وأثر فيها، كل من ديكارت وكانت وباركلي

---

(١) توفيق الطويل، المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، القاهرة، د. ت، ص - ١٦٩ - ١٧٠.
(٢) أحمد فاروق محفوظ، مرجع سابق، ص - ٢٤٢.

وهيجل وغيرهم وساعدوا على استمرارها، وقد تمثلت أخيراً في... الاشتراكية [١].

إذن فالفلسفة المثالية تعني بوجه عام الاتجاه الذي يرجع الوجود إلى الفكر أي أن الواقع الطبيعي الذي روحي، وبالتالي " فالمظهر الخارجي للإنسان ليس حقيقة، وإنما الروح هي حقيقته وجوهره " [٢].

أي أن الروح والعقل هو العالم الحقيقي أما الأشياء في العالم الطبيعي إذا كانت أشباح أو ظلال لعالم المثل فإن هذه الأشياء لا وجود لها إلا بمقدار إدراك العقل لها واقترابها من عالم المثل [٣].

ويمكن تفسير ذلك المعنى بالنظر إلى الجذور الأولى للمثالية التي وضعها أفلاطون من خلال نظرية المثل إلى عالمين عالم السماويات لا يحوي على الأشياء المادية، وإنما تحوي المثل فتتمثل للعقل لا للعين، وتعتبر المثل العليا من الخير والحق والجمال، ويوجد فيه العدل المطلق والحقيقة المطلقة، وهذا العالم أزلي غير قابل للتغيير، وسيظل هكذا على الدوام.

وعالم الماديات وهي التي تتمثل للعين لا للذهن أي ندركه بحواسنا، وهو عالم مضطرب متحول ونهايته الفناء [٤].

فالمثال حقيقة كلية مجردة له وجود مطلق، وهو عالم الفضائل الأشد صدقاً والأفضل قيمة، بينما العالم المادي الحسي، عالم متغير متقلب، وهو كذلك زائف ليس له وجود إلا بمقدار قربه من المثل فيرى " أن هناك علماً يقينياً فلابد من أن يكون لموضوع العلم اليقيني وجود غير هذا الوجود المادي وراء هذا المشاهد، والموجودات اليقينية هي جواهر

---

(١) علي خليل أبو العينين، مرجع سابق، ص - ٢٩٦.

(٢) أوزفلد كوليه، المدخل إلى الفلسفة، ترجمة أبو العلا عفيفي، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م، ص - ١٨٥.

(٣) أحمد على الحاج محمد، في فلسفة التربية، مرجع سابق، ص - ٧٠.

(٤) أفلاطون، جمهورية أفلاطون، ترجمة حنا خباز، دار القلم، بيروت، د. ت، ص - ١٩٧ - ١٩٩.

مجردة لا تدركها الحواس، ولا يطرأ عليها الفساد والفناء " [١]، بينما العقل أو الروح فهما الوسيلة الصحيحة للوصول إلى الحقائق والأفكار لأن العقل هو القادر على الاتصال بالأفكار الاتصال بالأفكار الثابتة الموجودة في عالم المثل، وهو يستمد ثباته، وخلوده منه، على أساس أن الروح قبل أن تهبط إلى المادي السفلي، وتحل في جسم مادي كانت الروح تعرف الحقائق والمثل العليا، ولكن عندما اتصلت بالجسد المادي، إنها تحاول أن تسترجع، وتتذكر ما كانت تعرفه من حقائق ومثل في العالم العلوي، وهي تستعين بالعقل لأنه الوسيلة السليمة للوصول إلى الحقائق والأفكار وبالعقل يكون الإنسان أقرب إلى الحق، والفضيلة، وبالجسم يكون الإنسان أقرب إلى الخطيئة، كون الجسم محكوم بالغرائز والشهوات، وإذا سيطر العقل على الجسم ابتعد عن الشر والرذيلة واقترب من الحق والفضيلة [٢].

وعندما يصل الفيلسوف إلى الحقيقة بحيث يصعد بفكره إلى عالم المثل الذي يشمل الأفكار العقلية الخالصة لجميع الموجودات الحسية والعقلية في آن معاً، وما يهمنا الآن هو أن نلاحظ أمورًا: -

" ١) التفرقة بين الظاهر والحقيقة أو بين الحس والعقل مازالت قائمة عند أفلاطون.

٢) الحواس تعطينا عالم الظاهر، والعقل يعطينا عالم الحقيقة.

٣) الحقيقة الكلية وهي المثال الذي هو الأساس، وما في العالم إلا محاكاة له.

٤) عالم المثل مجموعة من الحقائق والموضوعات المستقلة من الإنسان وهو لا يخضع لمكان أو زمان.

(١) محمد بيصار، الفلسفة اليونانية مقدمات ومذاهب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م، ص - ١٠٠.

(٢) أحمد عزيز نظامي، دراسات ومذاهب، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، ص - ٣١.

٥) واضح أن عالم الظاهر أو العالم الحسي يعتمد على المثل فالثاني هو حقيقته الأولى في حين أن عالم المثل لا يعتمد على خارجي أنه الحقيقة في ذاتها، ولذاتها.

٦) الأساس المطلق هو الفكر " [(١)].

وأما باركلي فقد بالغ في قيمة العقل، واعتبره مصدر وجود الأشياء المادية؛ لذا فقد أنكر وجود المادة متذرعاً باستحالة إدراكها، ومثاليته مثالية ذاتية ترى وجود الأشياء في إدراكه، وأن الأشياء ليس لها وجود مادي مستقل عن الذوات التي تدركه [(٢)].

وأما كانت فقدم محاولة منهجية لتعين الحدود الدقيقة التي يصلح في نطاقها استخدام العقل كأداة للمعرفة، والوصول إلى الحقيقة عن طريق التجربة الحسية التي تشكل معطيات ضرورية للمعرفة العقلية [(٣)].

ويضيف هيجل بعداً جديداً في تحليله للعقل المطلق باستخدامه المنهج الجدلي الذي يتألف من قضية، ونقيضها كسبيل للمعرفة، وما يصدر على عالم الأشياء يصدق على عالم الروح [(٤)].

وبذلك ظهرت للفلسفة المثالية عدة مذاهب وصور اختلفت فيها الآراء والأفكار كل على حسب الفكر الذي يراه، وندرس روادها الأساسيين.

رواد المثالية: -

١) أفلاطون: - [٤٢٧-٣٤٧ ق. م]

" هو ابن أرستون وبركيتوني ولد في أثينا وعاش فيها معظم سنين حياته التي بلغت الثمانين، ومع أنه اشتهر في البدء بالسياسة، بفضل أسرته واهتماماته معاً فقد كرس في الواقع معظم حياته للدرس والنظر

(١) إمام عبد الفتاح إمام، مدخل إلى الفلسفة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، د. ت، ص - ٢٩٣.
(٢) نعيم حبيب جغيني، مرجع سابق، ص - ١١٤.
(٣) أحمد على الحاج محمد، مرجع سابق، ص - ٧١.
(٤) إمام عبد الفتاح إمام، مدخل إلى الفلسفة، مرجع سابق، ص - ٢٩٤.

والتعليم " [١].

ولحياة أفلاطون مراحل ثلاث:

١- ما قبل موت سقراط.

٢- بعد سقراط حتى انتهاء الأكاديمية أو المرحلة المضطربة.

٣- مرحلة الاستقرار أو الأخيرة.

وهو فيلسوف يوناني كبير بين الأعاظم من فلاسفة العالم على مساحة كل التاريخ الفكري والإنساني " [٢].

مصدر المعرفة الفلسفية عند أفلاطون والتي استمدها من خلال التتلمذ على: -

أ) **فيثاغورس**: - استمد أفلاطون العناصر الأورفية من فلسفته سواء كان ذلك عن طريق سقراط أم لم يكن، وأعني بذلك الاتجاه الديني، والإيمان بالخلود، والقول بحياة الآخرة.

ب) **بارمنيدس**: - استمد أفلاطون الإيمان بأن العالم الواقع أبدي لا يقع في الزمن، فإن التغير لابد على أسس منطقية.

جـ) **هـرقليطس**: - استقى منه المذهب السلبي الذي يقرر أمن العالم المحسوس لا دوام فيه لشيء ما.

د) **سقراط**: - أخذه منه المسائل الخلقية وميله إلى البحث عن تعليلات العالم التي تكون أقرب إلى التعليلات الغائية منا إلى التعليلات الميكانيكية، فقد شغلت رأسه فكرة (الخبرة) أكثر مما شغلت رؤوس الفلاسفة السابقين لسقراط " [٣].

---

(١) فؤاد كامل، الموسوعة الفلسفية المختصرة، مرجع سابق،

(٢) حسين صالح حمادة، دراسات في الفلسفة اليونانية، دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ج - ١، ص - ٢٣٥.

(٣) برتراند رسل، تاريخ الفلسفة الغربية، ترجمة زكي نجيب محمود، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م، ص - ١٧٨.

ومن خلال ما سبق تتضح فلسفة أفلاطون وهي كما يلي: -

أولاً: ـ الوجود

اتجهت الفلسفة اليونانية إلى البحث في أصل الأشياء وجوهرها، ولكن على يد سقراط وأفلاطون اتجهت إلى الإنسان، البحث في الماهيات أولاً، حيث الوجود الحقيقي ليس هو الوجود المادي بل الوجود الروحي، وقد توصل أفلاطون في بحثه عن الحقيقة التي تفسر الكون، وتحكم ظواهره المادية والمعنوية إلى مبدأين جوهريين متكاملين: -

أ ـ أزلية الأفكار ودور العقل الإنساني: ـ

فالمبدأ الأول الأفكار أزلية وكونية، وأن العقل هو أداة الفهم لذلك، وإنه يمثل حقيقة كونية خلقها الخالق في الإنسان لذلك وجه أفلاطون عنايته بالفكر والمعرفة، فهو يرى أن الإنسان لا يستطيع أن يوجه أفعاله نحو (الخير) إلا إذا أدركه، فالمعرفة أساس الفضيلة، ووظيفة النفس أو العقل هو البحث عن الحقيقة الروحية المطلقة التي ينطوي عليها الكون.

ويوضح هذا المبدأ أن الأفكار مطلقة بمعنى أن فكرة أي شيء في هذا الكون هي فكرة سامية أصلها ثابت أزلي نهائي... وأن سعي الإنسان لمعرفة حقيقة الأشياء، والمثل العليا التي تقاس بها أي يكون طريق العقل وحده بوصفه الأداة القادرة على التحكم على مطابقتها لأصولها الأزلية الأولى (١).

وما يقال من أن عناصر الكون تتغير بتغير الظروف لا يؤثر في كون أصول هذه الأشياء، والعناصر هي أصول أزلية أبدية، والنمو يكون أساساً في وجود هذا العضو حي ينمو، " ويظهر ويأخذ شكلاً وظيفياً محسوساً لنا، كذلك فإن الفكرة أو المثل الأعلى الذي يصل إليه العقل في مرحلة ما، إنما كان موجوداً في العقل كجزء من تركيب إنساني سابق، ولكن مع نضج العقل وقد مكنه معرفة الفكرة أو المثل الأعلى بعد نضجه

(1) Rodlef Carmap, The Old new Logichn Printing, V SA. 1963, pig 29.

وصقله بالعلم والخبرة أن الأفكار والمثل العليا كانت بصورة مشوشة أولاً في العقل ثم بدأت تنضج شيئاً فشيئاً حتى قربت من حقيقتها الأصلية الثابتة الموضوعة " [١].

وتبعاً لذلك فإن الكون هو عقل كوني كبير ينظم كل ظواهر الكون، وإنه كائن حي كبير له جسم وروح، وإن الظواهر الطبيعية ليست إلا تعبيراً على عقل الكون (آيات الله نراها)، وإن الكون عملية تفكير كبرى [٢].

وترى المثالية أن هذا الكون ما هو إلا عمل فكري واحد متكامل ودليلها على ذلك " أن واقعنا الفكري إنما ينصب على التفكير المادي في هذا الكون، وأسباب وجوده، ولكم العالم عامة منسجم، ومقسم بالنظام الدقيق والحكمة البالغة، وحين يبدو لنا نوع من التضارب أو التعارض في عناصر هذا الكون، فإن ذلك يكمن في إدراكنا الجزئي لعلاقات الأشياء أو العناصر المتعارضة، ولكنها غير ذلك فهي في دورها ذلك الكل الكوني متجانسة لأنها تقوم على علاقات كلية كبيرة تعجز عن إدراكها إدراكاً كلياً، وهذا ما يحاوله العقل الإنساني غير القادر على وصفه جزء من العقل الكوني الإلهي " [٣].

ب: عالم الروح وعالم المادة:

بحسب ما يرى أفلاطون أن العالم المادي الذي نعيش فيه عالم الأشباح الفانية، وهو لا يستحق الاهتمام، والذي يستحق الاهتمام هو عالم القيم الروحية، والمثل العليا لأنها حقائق خالدة تتمثل في الخير والجمال مؤكد أن الخير هو الحق، وإنهما يتضمنان الدين والأخلاق، فالحقائق تتمثل في الخير والجمال والدين والأخلاق [٤].

فالفلسفة تنصب عند أفلاطون أصلاً في الوجود كله، فإن الغرض من

---

(١) عبد الكريم علي اليماني، مرجع سابق، ص - ٤٨.
(2) Rodlef Carmap, Ibid. Pig 29.
(٣) جيمس س. دوس، مرجع سابق، ص - ٤٨.
(٤) أفلاطون، جمهورية أفلاطون، مرجع سابق، ص - ٦٣.

وراء تأملاته الفلسفية كان يقوم في (الخير) الذي يدرك بوصفه أساس الوجود والمعرفة على السواء.

لذا فإنه يرى أن الإنسان صورة مصغرة للكون لا يسعه أن يصيب خيراً أو يكون له وجود إلا إذا كان مستمداً من خير العالم ووجوده، وذلك أن كل نشاط عقلي غاية يكون حظه من الاسم الذي يطلق عليه، فالحاكم هو بالضرورة الذي يحقق الخير والرفاهية لشعبه فإن أخطأ في التوفيق سلبنا عنه صفه الحاكم [(١)].

لقد جعل أفلاطون الطبيعة كاملة الأخلاق لأنه أثبت وجود الله، وصلته بالعلم وعنايته به، ولذا نراه " يلتزم احترام الدين في مدينته الفاضلة، ويرى أن الإلحاد نشأ من مصدرين هما مادية الطبيعيين وسببية السوفسطائيين، فالعالم برأيهم بجميع ما فيه حتى النفوس عبارة عن حركات غير عاقلة للعناصر المادية قد رد عليهم سقراط وأفلاطون بأن مرجع كل حركة إلى النفس التي تعمل التدبير، وتسعى إلى غاية، والعالم مليء بالأنفس، والنفس خيرة بالطبع، وتستمد النفوس ما فيها من خير النفس الكاملة الخيرة " [(٢)].

لذا يعرف أفلاطون الله بأنه روح عاقل محرك منظم جميل خير عادل " وهو بسيط لا تنوع فيه، وثابت لا يتغير، وصادق لا يكذب، ولا يتشكل أشكالاً مختلفة كما صورته هوميروس.

وأما الأدلة التي يثبت فيها وجود الله فإن أفلاطون يأتي بدليلين نظام الكون وحركته، أما نظام الكون فإن هذا العالم يمتاز بنظام دقيق في سيرة وهندسته ولابد من منظم عظيم ينظم هذا الكون العجيب، وليس هذا المنظم غير الله، أما الكون فله سبعة حركات، وهي حركات دائرية...،

---

(١) المرجع سابق، ص - ١٦٩.

(2) Ralph Harper, Significance Existence and Recognition for Education, Modern Philosophy and Education N. Y. The National Society for Study of Education, 1955 ‹pig 28.

وحركة العالم دائرية منظمة لا يستطيعها العالم بذاته فهي معلومة لعلة عاقلة، وهذه العلة هي الله " [١].

ثانياً المعرفة: -

قال أفلاطون بوجود نوعين " من المعرفة معرفة غير صحيحة وهي المعرفة المادية التي تأتي لنا عن طريق الحواس، وأخص خصائصها التغير، ومعرفة صحيحة وهي المعرفة التي تأتي لنا عن طريق النفس، وأخص خصائصها الثبات " [٢].

ومن خلال ما سبق تبين أن المعرفة صحيحة وغير صحيحة، فيظهر الثبات فيها وغير الثبات في المعرفة وتظهر من خلال العقل.

إذن " فالمعرفة الحقيقية هي نتاج العقل وحده، وذلك لأن العقل يتحول من فوضى المادة إلى تأمل الترتيب والوضوح الذي تتسم به النماذج الأصلية النقية؛إذن فالحقيقة تكمن في أفكار العقل، وليس في العالم الفيزيائي " [٣].

فالعقل وحده الذي يستطيع أن يمدنا بالمعرفة الحقيقية، وأن الإنسان قادر على المعرفة من خلال عملية التفكير التي هي وظيفة العقل، وبهذه العملية التي يستطيع أن يختبر صحة الأفكار، وتماسكها المنطقي كما أن أفلاطون يعتقد " أن المعرفة عملية استدعاء لها.

ذلك أنه لما كانت روح الإنسان خالدة، وأبدية فإن كل ما يعرفه الإنسان سبق أن احتوته هذه الروح " [٤].

وبذلك يعطي المثل مكانتها حيث إن الأفكار موجودة في هذا العالم المستقبل الذي نعيش فيه.

---

(1) Ibid, pig 34 - 35.

(٢) يحيى هويدي، مقدمة في الفلسفة العامة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، ص - ٢٢٧.

(٣) جورج ف. نيللر، مرجع سابق، ص - ٥٥.

(٤) محمد منير مرسي، مرجع سابق، ص - ١٧٨.

" فأفلاطون يعتقد أن الأفكار لها وجود مستقل في عالمها الذي تعيش فيه عالم المثل الذي تنتمي إليه الروح " [١].

وهذا ما يراه أفلاطون أن المعلومات أو الأفكار الكلية عمادها الأفكار لا الأشياء المحسوسة عمادها المدركات الكلية لا المدركات الحسية.

وأما مراتب المعارف والقوى " القسم الأول علماً، والثاني معرفة، والثالث اعتقاداً والرابع ظناً، وتسميه القسمين الأولين إدراكاً، والأخيرين تصوراً، وأن التصور يتناول الثاني، والإدراك يتناول الكائن الحقيقي، وإن نسبة الإدراك إلى التصور كنسبة العلم إلى الظن، والأفضل حذف المشابهة بين هذه الأفعال العقلية، وقسمي التصور والإدراك لئلا نثقل أنفسنا " [٢].

إن المعرفة فضيلة في نظر أفلاطون؛ لأن المعرفة ليست سوى إدراك مدى الانسجام الذي بين الصورة ومثالها أو هي تمييز الوظيفة الحقيقة لكل أنموذج حسي، والمعرفة وراء اقتراب هذه الظواهر مثلها في تحقيق الوظائف الحقيقية،؛ لذا فالمعرفة عند أفلاطون " هي إدراك الخير، فالغرض من التربية الوصول إلى هذه الفضيلة وهي المعرفة وتقدير الخير وتنمية المعرفة. كما أن الغرض من حياة الفرد هو الوصول إلى هذه الفضيلة وهي معرفة الخير " [٣].

كما يرى أفلاطون أن الفلسفة من أسمى العلوم، فالعلم مرحلة تسبق الفلسفة، فإذا تعلم العلم، أصبح فيلسوفاً؛ لذا عليه أن يلتزم بصفات، ومن هذه الصفات التي يجب توافرها في الفيلسوف " أنه يجب أن يحب الحق لأنه بذلك يتمكن من معرفة الطبقة الأزلية، وأن يستغرق في لذة النفس لا لذة الجسم فيعدل عن الطمع والشر، ويحيا حياة عقلية شاملة، فلا يخشى

(١) محمد منير مرسي، مرجع سابق، ص - ١٧٨.
(٢) أفلاطون، جمهورية أفلاطون، مرجع سابق، ص - ٢١٩.
(٣) محمود عبد الرزاق شفشق، مرجع سابق، ص - ٥٠.

الموت،، أن يكون حسن العشرة رقيقاً مهذباً " [١].

فالفلاسفة هم من محبي الحكمة، و هم أرباب البصيرة؛ لأنهم يتفوقون في أهم نقطة، وهي المعرفة الحقيقية، وهي أهم الأشياء.

أما " المنهج الذي استخدمه أفلاطون في دراسته فقد قسم العالم إلى قسمين: العالم المحسوس وموضوعاته المحسوسات وخلالها، والعالم المعقول وموضوعاته الرياضيات والمثل، والعالم المعقول يمتاز بنوعين من المعرفة هي الظن والعقل، والظن منه صادق ومنه غير صادق، والعقل منه الفكر أو العلم، ومنه العقل الصحيح " [٢].

ثالثاً: القيم

يذكر عن أفلاطون أن الحياة الخيرة أو الصالحة غير ممكنة إلا في مجتمع خير وهو يصف في " الجمهورية " مجتمعاً مثالياً تحكمه صفوة من الفلاسفة الملوك ذوي الفضيلة السامية.

لذا يذكر " على أن أجهر في ما سلف أنه لا دولة ولا نظام، ولا فرد يمكن أن يبلغ الكمال ما لم تلق مقاليد الأحكام فيها إلى أيدي الفلاسفة القلائل أو أن يحصل الهلاك والسلاطين الحاليين أو أولادهم بإرشاد إلهي على محبة حقيقة للفلسفة الصحيحة ".

لذا فالخير يعد أساس فلسفة أفلاطون، فإن فلسفته وإن كانت تنصب على " عالم الوجود كله فإن الغرض الأقصى لتأمله الفلسفي هو الخير الذي يدرك بوصفه أساس الوجود والمعرفة على السواء " [٣].

كما أن " صورة الخير هي موضوع العلم الأسمى، وأن امتزاج هذا الجوهر بالأشياء العادلة، وسائر الأجسام المخلوقة يجعلها ناقصة

---

(١) أحمد فؤاد الأهواني، أفلاطون، دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م، ص - ٧٧.

(٢) عبد الكريم على اليماني، مرجع سابق، ص - ٥٢.

(٣) هـ. سدجويك، المجمل في تاريخ الأخلاق، ترجمة توفيق الطويل، وعبد الحميد حمدي، دار الثقافة، الإسكندرية، ١٣٦٩هـ - ١٩٤٩م، ص - ١٢٣.

ومفيدة " [١].

والإنسان يطلب الخير ويستحيل أن يطلب الشر مع علمه أن هذا شر؛ لأن الذي يعرف الخير، ويعمل الشر فعله هذا ناقص " وهو خير غير تام وليس كينونة في حد ذاته وكما عبرت الروح المخبوءة عن نفسها باكتمال أكثر فأكثر فإن الكون يصبح أكثر نظاماً، وأقل نقصاً ويختفي الشر والقبح " [٢].

تعود الفلسفة المثالية في أصلها إلى أفلاطون وآرائه الفلسفية، وتقوم نظرتها إلى القيم على أساس وجود عالمين أحدهما مادي والآخر معنوي (سماوي) وخلاصة هذه النظرة:

" ١) إن القيم موضوعية أي قائمة بذاتها مستقلة بنفسها، بغض النظر عن تفضيلات البشر وآرائهم، وإن الإنسان الكامل يستمد قيمه من عالم السماء.

٢) إن الإنسان يدرك القيم من خلال تعامله مع الأشياء، والتي بعد مروره بخبرات انفعالية، وبهذا فإن الخبرة لا تصلح التميز بين القيم، والقيم السيئة، وعلى الإنسان تجاوز حدود حياته اليومية حتى يصل إلى حقيقة القيم الموروثة التي هي من طبعها صالحة لكل زمان ومكان، وليست قابلة للشك لأنها من مصدر الكمال.

٣) إن القيم مطلقة كاملة تتمثل في الحق والخير والجمال وهي لذلك أزلية غير قابلة للتغيير أو الزوال " [٣].

وهذه القيم ليست " من صنع الإنسان بل هما جزء من لحُمة تركيب الكون " [٤]. أي تكون معه ".

---

(١) أفلاطون، مرجع سابق، ص - ١٩٤.
(٢) جورج ف. نيللر، مرجع سابق، ص - ٥٧.
(٣) صالح ذياب هندي وآخرون، أسس التربية، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م، ص - ١٦١.
(٤) جورج ف. نيللر، مرجع سابق، ص - ٥٧.

٤) إذا حدث تنافر بين القيم المطلقة، وبين ما هو مطلوب لحياة الإنسان، فإن عليه تغيير طرق تفكيره وحياته، حتى تتوافق من هذه القيم الخالدة التي لا تتغير.

٥) للقيم سلم ثابت تحتل القيم الروحية فيه مكاناً أعلى من القيم المادية لأنها تساعد على تحقيق الهدف الأسمى للحياة، وهي تمثل النظام الروحي والاتحاد معه " [١].

فالإنسان عليه أن يعرف القيم الخالدة فيدرك الشر حتى لا يؤذي شخصه أو المجتمع فقط أو حتى أي فرد في العالم ككل.

لذا " تقدم بنظرية المثل الخالدة الثابتة أن الحق والفضيلة والعدل والشجاعة وغيرها من الصفات الفاضلة ذات طبيعة خالدة ثابتة " [٢].

بل يذكر أن أفلاطون " ذهب أبعد من ذلك فبحث عن طريقة واحدة يوجد بها المثل الخالدة في شكل واحد مثال الخير أو الحقيقة العليا التي اشتقت منها كل المثل الأخرى وهي الله، ولعلة وصل إلى هذه النتيجة كإلهما فجائي ووحي خاطف بعد معاناة الإشكال الصغرى للمثل معاناة طويلة، وصل أفلاطون إلى فكرة الله بالرغم من أنه لم يجر ذكر لفظ الجلالة في نظريته، فالله مصدر المثل العليا جميعاً، ومصدر القيم المجردة جميعاً " [٣].

لذا فإن ثقافة أفلاطون والتي تعرف بالثقافة الهيلينية هي ممزوجة بالتعاليم والفارسية واليهودية ففيثاغورث وأفلاطون قد تجولا في بلاد المشرق، وكان لهذا التجوال، ولهذه المدارس أثر كبير في تكوين ما يسمى بالثقافة الهيلينية.

كما أن " الفلسفة الأفلاطونية ممتزجة بعناصر أخرى متنوعة يرجع إليها

---

(١) صالح ذياب هندي وآخرون، مرجع سابق، ص - ١٦١ - ١٦٢.
(٢) جيمس س. دوس، مرجع سابق، ص - ٥٣و ص - ٥٦.
(٣) جيمس س. دوس، مرجع سابق، ص - ٥٣و ص - ٥٦.

كثير من فنون السحر والكهانة والتصوف " [١].

ومن خلال حياة أفلاطون في البيئة التي عاش فيها إذ كانت تغمرها الوثنية والسحر والكهانة؛ لذا " لو لم يكن وثني البيئة لكان أرفع الإلهيين تنـزيهاً للوحدانية، ولكن البيئة الوثنية غلبته على تفكيره بحكم العادة، وتواتر المحسوسات، فأدخل في عقيدته أرباباً وأنصاف أرباب لا محل لها في ديانات التوحيد، ولاسيما عند الفلاسفة الموحدين.

فالوجود في مذهب أفلاطون طبقتان متقابلتان: طبقة العقل المطلق وطبقة المادة الأولية أو الهيولي.

وبين ذلك كائنات على درجات تعلو بمقدار ما تأخذ من العقل، وتسفل بمقدار ما تأخذ من الهيولي.

وهذه الكائنات المتوسطة بعضها أرباب، وبعضها أنصاف أرباب، وبعضها نفوس بشرية " [٢].

أفلاطون وتزكية النفس:

إن أفلاطون أول الفلاسفة القائلين بوجود الله، وبأنه الخالق للعالم، والمدبر لأمره، ويقيم على ذلك براهين أهمها برهان النظام فيقول: إن العالم آية في الجمال والنظام، ولا يمكن أبداً هذا نتيجة علل اتفاقية بل هو صنع عاقل كامل، توخى الخير، ورتب كل شيء عن قصد وحكمة.

ولكن تعترض عقله العقدة التي تعترض عقول الذين لا يؤمنون بالله، فلا يستطيع أن يتصور الخلق من عدم، فيقول: إن الأشياء مؤلفة من مادة وصورة، وهذه الصورة هي التي تجعل المادة شيئاً معيناً، وهي من أثر المثل التي تعطي للشيء طابع شكلها، فالشيء قبل لأن يأخذ صورة مثاله كان مادة لا صفة لها، ولا شكل ثم أخذ ينطبع على مثاله، فاكتسب حقيقية الوجود بعد أن كان عدماً، وإن الذي يعطي المادة طابع مثالها، فيوجد بعد

---

(١) حسين صالح حمادة، مرجع سابق، ج - ١، ص - ٤٢٢.
(٢) عباس محمود العقاد، الله، مرجع سابق، ص - ١١٢.

أن كانت عدماً هو الله [١].

وتصبح العقدة التي تعترض عقول الذين لا يؤمنون هي الأهم الأكبر كيف تكون حيث لا يفهم كيف يكون الشيء مادة وعدماً في آن واحد.

لذا " فالعقل الجبار يساق، كغيره من العقول الجبارة إلى تقرير هذه المزاعم بسبب العجز، عن تصور الخلق من العدم المحض الذي يأتينا من (قياس التمثيل) الخادع على عقولنا ما تعودت تصور خلق شيء من العدم، إنهم يرون الأشياء، ويرون أنها متغيرة من صورة إلى صورة، فيحكمون أن هذه الصورة محدثة، ويجرهم الجدل العقلي إلى تصور مادة قديمة بلا صورة، ويحاورن في وصف هذه المادة التي لا صورة لها، فيقولون: إنها بلا صفة ولا شكل، ولا لون، ولا حجم، ولا طعم، ولا رائحة، لأن جميع هذه الأوصاف تأتي من الصورة فينتهي بهم الأمر إلى القول بأن المادة (عدم)، ثم تعجز عقولهم عن تصور خلق العالم من العدم، فيقولون: إن الله وجد المادة التي لا شكل لها، ولا صفة، ورأى المثل فشكل المادة على صورة المثل " [٢].

ومن خلال الدخول في سر الخلق وكيفية خلق الله العالم، وبذلك أدرك أفلاطون العثار، ولم تتزك نفسه، ولم تتزك النفس في من تابعه في أفكاره ومعتقداته.

وبما أن الوثنية والشرك وتعدد الآلهة في عقيدة أفلاطون واليونان أجمع واضحة فمن قول شيخ الإسلام ابن تيمية " أن ما عليه جميع الأمم من حكمة علمية وعملية؛ إذا لم يكونوا ممن يؤمن بالله واليوم الآخر، ويعمل صالحاً، فإن الله لا يمدحهم، ولا يثني عليهم، وهؤلاء الفلاسفة - أرسطو وقومه - كانوا مشركين يعبدون الأوثان ويبنون الهياكل للكواكب، فليست حكمتهم من الحكمة التي أثنى الله عليها وعلى أهلها " [٣].

---

(١) نديم الجسر، مرجع سابق، ص - ٤٠.
(٢) نديم الجسر، مرجع سابق، ص - ٣٩ - ٤٠.
(٣) أحمد عبد الحليم ابن تيمية، الرد على المنطقيين، مرجع سابق، ص - ٣٧٧.

ولن يتزكي الفكر في نفس بها من الآراء البشرية المختلفة، كما أن ليس في هذه الآراء شيء من الوحي الذي نزل من عند خالق الناس الذي خلقه فعرف ما بداخله.

ومع وجود الآلهة الكثيرة فكل شيء عنده كما يذكر إله أو إلهي: " المثل ومثال الخير ومثال الجمال والصانع، والنموذج الحي بالذات والنفس العالمية، والجزء الناطق من النفس الإنسانية، وآلهة الكواكب، وآلهة الأولمب والجن، (وهم وسط وواسطة بين الآلهة والبشر متصفون بالحكمة والخير) فأين الله بين هؤلاء ؟ وكيف وحدنا بين الصانع ومثال الخير، ومثال الجمال، ولم يقرب أفلاطون بينهم بل تركهم متفرقين ومفتاح الجواب ما أشرنا إليه من اشتراك الله والإلهي في لغته.

وهو يقصد مبدأ التدبير متمايزاً من المادة كل التمايز فحيثما وجد التدبير والنظام وجد العقل، ووجدت الألوهية أي الروحية، ولكن متفاوتة تفاوت الوجود " [١].

لذا " فقد ظل تأثير المذاهب الدينية والوثنية يعمل أثره في الثقافة اليونانية على زهاء أربعة قرون حصل أثنائها كثير من التلفيق " [٢].

إن من ينظر إلى هذا الفكر وهذه الآراء يجد نفسه حائراً وأي حيرة تنتج من فكر أثرت فيه الوثنية والفكر البشري الذي وجد من عقل قاصر له حدود لا يستطيع أن يتعداها مهما أوتي.

ولا تتزكي النفس بهذه الوثنية، وهذا الفكر الحائر الذي يقف فيه العقل حائر بين نقيضين الإيمان بهذا الفكر والكفر به، فإذا وجد الأمر الصحيح الذي خُلق عليه الإنسان بقي العقل مكانه الطبيعي.

الفلسفة المثالية الحديثة:

قامت الفلسفة المثالية الحديثة متأثرة بالديانة المسيحية، وكان هدف

(١) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، مرجع سابق، ص - ٨٧ - ٨٨.
(٢) محمد على أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ص - ٦١

التربية المسيحية هي التقويم الخلقي للفرد، ولذلك كان الهدف التربوي معالجة الجانب الخلقي في الطبيعة الإنسانية أي الجانب الوجداني.

لذا حاولت التربية المسيحية إصلاح المجتمع، وتجمع بين القدسية والمسيحية والكمال البشري، وكان هذا الكمال البشري محتلاً قلب طريقة الحياة المسيحية، وقد أثرت فكرة الكمال هذه على التربية المسيحية في عصورها الأولى، وكان لها شأن كبير في التربية الديرية فيما بعد، لهذا فإن القرون الأولى اتسمت بالاهتمام بالجانب الأخلاقي، فرجل الدين هو المعلم، وأما المحتوي فهو الكتاب المقدس بالجانب الخلقي مع تعاليم ومثاليات المسيحية (١).

والمثالية الحديثة تمثلت بالفلاسفة وهم " ديكارت و كانت و هيجل " وغيرهم من الفلاسفة.

أولا: ديكارت [١٥٩٦-١٦٥٠]

" ولد بمدينة لاهاي بإقليم التورين بفرنسا في ٣١ مارس ١٥٩٦م، وأبوه بواقيم ديكارت مستشاراً بمحكمة بريتاني ينتمي ديكارت إلى أسر فرنسا البرجوازية، وإلى أسر نبلاء الثوب " (٢).

" تلقى تعليمه في كلية (لافليش)، وقد ظل يحتفظ لأساتذته فيها بإعجاب شديد، لكنه لم يرض عما في الكلية من مقررات دراسية حينما تبين أنها في معظمها لا تخرج عن كونها تلقيناً لأراء القدماء التقليدية، وأن الرياضة هي العلم الذي يقدم لنا معرفة يقينية " (٣).

" وهو الأول من الفلاسفة الذين يجمعون بين الفلسفة وعلم النفس، و أهميته كعالم نفس هو منهجه العلمي في كتاب: (قواعد لهداية العقل)

---

(١) سعد مرسي أحمد، تطور الفكر التربوي، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ط٥، ص - ١٩٧.

(٢) نجيب بلدي، ديكارت، سلسلة نوابغ الفكر الغربي، دار المعارف، القاهرة، د. ت، ص - ٢١.

(٣) فؤاد كامل، الموسوعة الفلسفية المختصرة، مرجع سابق، ص - ١٨٤ - ١٨٥.

و(مقال في المنهج) وآراؤه في النفس طرحها في كتاب (بحث في الإنسان) و(انفعالات النفس) " [١].

" يعد أحد الفلاسفة المثاليين على الرغم من أن أجزاء من فلسفته تقع في نطاق الفلسفة الواقعية، وذلك يرجع لأن كتابيه " المقال في المنهج " و " التأملات " قد عبر عن مذهبه المثالي " [٢].

ومن خلال كتابه مبادئ الفلسفة قدم " معظم نظرياته العلمية، وهو يشمل على أربعة أجزاء: -

الجزء الأول: - في مبادئ المعرفة.

الجزء الثاني: - في مبادئ الأشياء.

الجزء الثالث: - في العالم المنظور.

الجزء الرابع: - في الأرض " [٣].

ومن خلال كتبه أراد أن يقيم فلسفة مسيحية على أساس من اليقين والاقتناع، لذا " قام بوضع منهجه العقلي بالاعتماد على استقلال العقل تماماً، و نادى بمساواة العقل، إذ يرى أن الناس جميعاً متساوون في العقل، وكل ما بيننا من اختلاف هو أن البعض منا يستعملونه أفضل من البعض الآخر " [٤].

ويعد ديكارت التفكير المنهجي ضرورة، والذي يعنيه ديكارت بالمنهج هو كما يذكر " جملة قواعد مؤكدة تعصم مراعاتها ذهن الباحث من الوقوع في الخطأ، وتمكنه من بلوغ اليقين في جميع ما يستطيع معرفته من دون أن يستنفذ قواه في جهود ضائعة.

لذا وضع الشروط الواجب توافرها في هذه المبادئ أي العلل الأولى التي

(١) فيصل عباس، موسوعة علماء النفس والتربية، مرجع سابق، ص - ٣٥.
(٢) أحمد فاروق محفوظ، مرجع سابق، ص - ١٧٧.
(٣) رينيه ديكارت، مبادئ الفلسفة، ترجمة عثمان أمين، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، د. ت، ص - ١١ - ١٢.
(٤) برتراندرسل، تاريخ الفلسفة الغربية، مرجع سابق، ص - ٦٩.

هي مطلب الفلاسفة فيرى أنها تتلخص في شرطين: -

الأول: - أن تكون هذه المبادئ واضحة بديهية بحيث لا يشك الذهن في حقيقتها متى أمعن النظر فيها.

الثاني: - أن تعتمد على معرفة الأشياء فلا تتم تلك المعرفة بدونها، ولكنها من ناحية أخرى يمكن أن تعرف بدون هذه الأشياء.

ومن ثم فالفلسفة ذات منهج استنباطي يقوم على ربط المعاني معيارها الوضوح والجلاء، وهي المعرفة الكاملة المستنبطة من العلل الأولى وهي أيضاً الحكمة أي معرفة الحقيقة بواسطة عللها الأولى " (١).

والإنسان يبلغ الحكمة وهي الغاية التي دل العقل عليها وبذلك " يكون البلوغ إلى الحكمة غاية متى ما دل العقل على الإرادة من أول الأمر إلى القرار الذي يتعين عليها أن تتخذه، ولكن ثمة ضرب من التنازع بين أرجاء الأخلاق، لأن العمل لا يحتمل إرجاء، ومقتضيات المنهج والترتيب الذي يفيدنا أن المعرفة الكاملة بسائر العلوم الأخرى سابقة وجوباً على المعرفة والأخلاق " (٢).

ولقد التزم ديكارت في منهجه خطوات وهي كما يلي: -

" ١) يرى أن الشعور بضرورة المنهج هو أول خطوة في طريق التفلسف الصحيح، وذلك حتى يتمكن المفكر من السير المنظم في بحثه عن الحقيقة فتنتفي معالم الفوضى الفكرية ويمتنع التخبط الذي يكون دائماً نتيجة متوقعة للسير على غير هذى أو بدون إتباع نظام معين " (٣).

" الخطوة الثانية في طريق التفلسف هي الكشف عن هذا المنهج، وتطبيقه في مجال النظر والعمل، وليس هذا المنهج في نظر ديكارت سوى قواعد

(١) رينيه ديكارت، مبادئ الفلسفة، مرجع سابق، ص - ٣٠.
(٢) روبرت شنيدر، تاريخ الفلسفة الأمريكية، ترجمة محمد فتحي الشنيطي، مكتبة دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، ص - ٨٥.
(٣) أحمد السيد رمضان، الفلسفة الحديثة، مكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م، ص - ١٢٧.

إذا اتبعها الإنسان أمن الوقوع في الخطأ، واستطاع أن يصل إلى اليقين " [١].

واتجه ديكارت إلى أن يقيم الفلسفة الحديثة على نمط العلم الرياضي الذي يستخدم المنهج الاستنباطي في إقامة براهينه، وفي استخلاص نظرياته حتى يتحقق للفلسفة ما تحقق للرياضة من دقة ويقين [٢].

لذا يقوم المنهج الرياضي الديكارتي على دعامتين أساسيتين هما الحدس Intuition والاستنباطDeduction.

الدعامة الأولى: – " الحدس هو الرؤيا العقلية المباشرة التي يدرك بها العقل بعض الحقائق التي لا سبيل إلى نكرانها، ويقول ديكارت: لا أقصد بالحدس شهادة الحواس المتقبلة و لا الحكم الطائش الذي يصدر عن الخيال المخطئ، بل المفهوم الذي يقدمه لنا عقل صافٍ ويقظ عن شيء، والذي بلغ من الوضوح والدقة بحيث لا نشك مطلقاً فيما أدركناه، بكلمة أخرى الحدس هو المفهوم اليقيني الذي يكونه عقل صافٍ ويقظ ويصدر عن نور العقل وحده " [٣].

وأما الدعامة الثانية: " الاستنباط هو عبارة عن سلسلة حدوس متعاقبة، أو هو فعل ذهني نستخلص بواسطته من شيء لنا به معرفة يقينية نتائج تلزم عنه. وبهذا يكون الاستنباط الديكارتي هو حركة ذهنية نستنتج بها شيء معلوم. أي أن عقلنا قادر - في نظر " ديكارت " - على أن يعرف مبادئ بسيطة وحقائق لا يرقى إليها الشك، وذلك بواسطة أنواره الطبيعية وحدها، أي بواسطة الحدس، وهو قادر بواسطة الاستنباط على أن يفهم حقيقة ما على أنها نتيجة حقيقة أخرى سابقة نحن منها على يقين، أي إنه قادر على تحديد كل ماهية الشيء المجهول بمقتضى الصلات التي تربطه

(١) محمد علي أبو ريان، الفلسفة الحديثة، دار الكتب الجامعية، الإسكندرية، د. ت، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م، ص - ٦٤.
(٢) ديكارت، مبادئ الفلسفة، مرجع سابق، ص - ٢٠.
(٣) كريم متى، مرجع سابق ص - ٥٥ - ٥٦.

بأشياء معروفة " [١].

لذا فالاستنباط هو العملية التي تستخلص من شيء نعرفه معرفة موثوقة مؤكدة نتائج تنجم عنه بالضرورة ثمة أشياء كثيرة ليس بديهية في حد ذاتها، ولكنها تحمل طابع اليقين، بشرط يستنتجها سير الفكر المستمر المتواصل من مبادئ صحيحة لا شك فيها، مع إدراك كل شيء إدراكاً حدسياً جلياً، لذلك يتميز الحدس عن الاستنباط ينطوي على سير أو تتابع بعكس الحدس.

ويرد " ذلك أنه يمكن القول أن القضايا الأولى الصادرة رأساً عن المبادئ قد تعرف إما عن طريق الحدس أو عن طريق الاستنباط، وذلك بحسب ما ينظر إليها.

أما المبادئ نفسها فلا تعرف إلا بالحدس، والنتائج البعيدة بالاستنباط " [٢].

المنهج: -

اتجه ديكارت إلى وضع قواعد المنهج معتمداً على الحدس والاستنباط، فكانت له أربع قواعد عملية:

١) القاعدة الأولى: - (قاعدة اليقين)

" أن لا أقبل شيئاً ما على أنه حق " ما لم أعرف يقيناً أنه كذلك بمعنى أن أتجنب بعناية التهور، والسبق إلى الحكم قبل النظر، وألا أدخل في أحكامي إلا ما يتمثل أمام عقلي في جلاء وتميز، بحيث لا يكون لدي أي مجال لوضعه موضع الشك " [٣].

(١) أندريه كريسون، تيارات الفكر الفلسفي من القرون الوسطى حتى العصر الحديث، ترجمة نهاد رياض، منشورات عويدات، بيروت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ص - ٤٥ - ٤٦.

(٢) أندريه كريسون، تيارات الفكر الفلسفي من القرون الوسطى حتى العصر الحديث، ترجمة نهاد رياض، منشورات عويدات، بيروت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ص - ٤٥ - ٤٦.

(٣) رينيه ديكارت، مقال في المنهج، ترجمة محمود محمد الخضري، دار الوفاء لدنيا

وهنا ديكارت يريد من الفرد ألا يسلم لشيء إلا بالعلم وهو بالحدس المباشر وغير المباشر أو الاستنباط.

إذن.. فللقاعدة معنى خبئ غير المعنى الظاهر الذي يتبادر للذهن لأول وهلة.

وهو بهذه القاعدة " يقضي بأن نقصي من دائرة العلم ليس فقط جميع الوقائع التاريخية بل أيضاً كل معنى يستلزمه تفسير الظواهر الطبيعية ولا نتمثله أو نتخيله... وقد تذرع الكثير بهذه القاعدة لنبذ الدين لما يعول عليه أحداث تاريخية تتعلق بنزول الوحي، وما يتضمن من عقائد تفوق إدراك العقل، وقالوا: إن هذه القاعدة عبارة عن إعلان حركة الفكر وإسقاط كل سلطة " (١).

ومن خلال هذه القاعدة التي يدعو إليها ديكارت فصل العلم عن الدين، وعدم تقبل النواحي التاريخية، ولا يسعه قبول الوحي لأنه يتعلق بالنواحي التاريخية، وما يستلخص من هذه القاعدة أن كل ما يحدث هو عدم وحدة في الفكر الذي يسبب الشك، وعدم تزكية العقل والفكر.

٢) القاعدة الثانية: (قاعدة التحليل)

" أن أقسم كل واحدة من المعضلات التي سأختبرها إلى أجزاء على قدر المستطاع، على قدر ما تدعوا الحاجة إلى حلها على خير الوجوه " (٢).

وبهذه القاعدة التي يجب إيضاح المعضلات وتجزئتها كلما تطلب الوضوح، فيجب علينا أن نذهب من المركب إلى أجزاء بسيطة، ومن الكل إلى أجزائه " وهذا هو التحليل والغرض منه الحدس الذي هو المعرفة الحقة " (٣).

٣) القاعدة الثالثة: (قاعدة التركيب)

الطباعة والنشر، الإسكندرية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، ص - ٧٦.
(١) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص - ٦٣ - ٦٤.
(٢) رينيه ديكارت، مقال في المنهج، مرجع سابق، ص - ٧٦.
(٣) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص٦٤.

" أن أسير أفكاري بنظام؛ بادئاً بأبسط الأمور، وأسهلها معرفة كي أتدرج قليلاً قليلاً حتى أصل إلى معرفة أكثرها تركيباً؛ بل أن أفرض ترتيباً بين الأمور التي يسبق بعضها الآخر بالطبع " [١].

وبذلك هو يفرض نوعاً من النظام حتى بين تلك الموضوعات التي لا يوجد بينها إلا تتالٍ طبيعي.

ومن خلال قاعدة التركيب والتي لها فرعان:

الأول: - التدرج من المبادئ إلى النتائج.

الثاني: - افتراض النظام حين لا يتبين نظام الحدود، ثم استخراج النتائج بالطريقة التركيبية.

فالمقصود بالنظام (نظام الأسباب) " [٢].

٤) القاعدة الرابعة: (قاعدة الاستقراء)

" أن أعمل في كل الأحوال من الإحصاءات الكاملة والمراجعات الشاملة ما يجعلني على ثقة من إنني لم أغفل شيئاً " [٣].

لذا فالفلسفة عند ديكارت تبدأ بالميتافيزيقا وهي معرفه العلل والمبادئ للأشياء، وليست الميتافيزيقا الديكارتية سوى هذه المبادئ والعلل نفسها، ومن هذه المبادئ نستطيع استنباط سائر الموجودات.

" فوجود هذا الفكر هو المبدأ، واستنبطت منه المبادئ التالية: أن هناك إلهاً هو خالق كل ما في العالم، ولما كان هو مصدر كل حقيقة فإنه لم يخلق أذهاننا بحيث تكون عرضة للخطأ فيما تقرر من أحكام على الأشياء التي نتصورها تصوراً واضحاً جداً ومتميزاً جداً، تلك هي المبادئ التي اصطنعتها في الأشياء اللامادية أو الميتافيزيقية أي أن هناك أجساماً ممتدة طولاً وعرضاً وارتفاعاً، وأن لها أشكالاً تتحرك على صور

(١) ديكارت، مقال في المنهج، مرجع سابق، ص - ٧٦.
(٢) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص٦٤.
(٣) رينيه ديكارت، مقال في المنهج، مرجع سابق، ص - ٧٦.

مختلفة " [١].

فخلاصة الميتافيزيقا الديكارتية التي تهتم بالذات العارفة أكثر من اهتمامها بالموضوع، وهي أكبر العلوم يقيناً، والحدس والاستنباط طريق الذهن في طلبها، والمنهج المطبق هو المنهج الرياضي بل إن قضاياها أكثر يقيناً من القضايا الرياضية لأنها تعتمد على النور الفطري للعقل السليم وهي أعدل الأشياء قسمة بين الناس، " وهذه البداهة العقلية هي معيار اليقين والعلامة المميزة للمعرفة الصحيحة الصادقة عند الفيلسوف " [٢].

ويستخدم ديكارت منهجه للكشف عن مبادئ الميتافيزيقا؛إذ يبدأ من إثبات وجود الذات المفكرة إلى الجوهر النفسي ثم ينتقل منها إلى إثبات وجود الجوهر الإلهي، وينتهي إلى إثبات وجود الجوهر المادي أي العالم الخارجي.

الشك المنهجي و الكوجيتو:

ولما كان الفيلسوف مطلوب بلوغ " اليقين " الذي يمكن أن يقيم عليه بناء العلم كله " فقد صمم على أن يشك في كل ما تعلمه من قبل، وأن يمضي في هذا الشك إلى أبعد حدوده بادئاً النظر كله من جديد، وكان عينيه تتفتحان لأول مرة على العالم من حوله " [٣].

فالشك المنهجي عند ديكارت لم يكن سوى خطوة أولية فحسب، ذلك لأنه كان يطمع أن يكشف عن طريقه الوصول إلى معرفة الموجودات معرفة يقينية.

إذ " أن الشك يهيئ لنا سبيلاً سهلاً للغاية لتعويد عقلنا على الافتراق عن الحواس، وهذا الافتراق هو شرط اليقين بالذات. إن الشك بصدد الماديات

(١) محمد على أبو ريان، الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص - ٧٣.
(٢) أحمد السيد على رمضان، مرجع سابق، ص - ١٣٥.
(٣) عثمان أمين، ديكارت، مرجع سابق، ص - ٢٢.

هو إذا شك منهجي " [(١)].

فالشك المنهجي " طريقاً للوصول إلى الحقيقة، والشك المنهجي يختلف عن الشك المذهبي أو الارتيابي في أن لا ينكر الحقيقة كما ينكرها الارتيابي؛ بل يبحث عن الحقيقة، ويحاول أن يجد لها أساساً راسخاً " [(٢)].

وهو بذلك يصرح أنه ليس هناك شيء إلا ويستطيع أن يشك فيه على نحو فإذا أحسن قبل هذا الشك الكلي معارض لطبيعة العقل استعان الإرادة.

وهو " يقول (أريد أن اعتبر كل ما في فكري وهماً وكذباً) وافترض الروح الخادع، وألح على فكره إلحاحاً عنيفاً لكي يحقق في نفسه حالة الشك الصحيح، فلو أنه قصر الشك على الأمور غير البينية المفتقرة إلى برهان، واستثنى المبادئ الأولية البينية بذاتها، لأمكنه الاستناد على هذه المبادئ للخروج إلى اليقين، ولكنه يشك في العقل ذاته " [(٣)].

لذا فإن بداية الطريق الفلسفي يأتي بالشك المنهجي أو " الفلسفي الذي يعد وسيلة للبحث عن الحقيقة معرفة أكثر وضوحاً " [(٤)].

وبهذا نجد أن البحث عن الحقيقة هي رغبة ديكارت في الوصول إلى المعرفة، وهذا لا يعني أن ديكارت ينكر كل العلوم والمعارف، ولكنه قد تهيئ له اكتشاف منهج جديد للمعرفة، وأراد أن يختبر صحة هذا المنهج، وأن يستغله في مجال المعرفة، وذلك بأن يبدأ منذ البداية أي أن يفترض أن ذهنه صفحة ناصعة لا أثر فيها لأي نوع من التحصيل المعرفي، وهي مرحلة تطهيرية يبدأ الذهن بعدها إقامة معرف على أساس من الحدس

---

(١) اميل برهييه، تاريخ الفلسفة، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ص - ٨٨ - ٨٩.
(٢) أحمد السيد رمضان، مرجع سابق، ص - ١٣٦.
(٣) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص - ٦٨.
(٤) محمود حمدي زقزوق، المنهج الفلسفي بين الغزالي و ديكارت، دار المعارف، القاهرة، ١٤٠٨هـ - ١٩٩٨م، ص - ٧٠.

والاستنباط.

وهو بذلك يطهر الذهن من الأوهام والأحكام السابقة، وتحرره من التقليد والتبعية، وهو الاستقلال الفعلي الذي يطلبه التفلسف، وذلك لأن طريق الفيلسوف ليس سهلاً هيناً؛بل هو طريق مملوء بالعقبات والصعاب.

ومن هنا حرص ديكارت على إزالة العقبات التي تحول بينه وبين الرؤية الفلسفية جازماً على نور العقل الفطري فيقول " فإنني تعلمت ألا أعتقد اعتقاداً جازماً في شيء ما بحكم التقليد أو العادة، وكذلك تخلصت شيئاً فشيئاً من كثير من الأوهام التي تستطيع أن تخمد فينا النور الفطري، وتنقص من قدرتنا العقلية " (١).

وعلى الباحث عن الحقيقة أو اليقين في رأي ديكارت رفض كل علم لا يكون واضحاً وضوحاً دقيقاً مطلقاً، وذلك لأن هذا قد يؤدي إلى الشك " فما دام العقل يقنعني من قبل بأنه لا ينبغي أن أكون أقل حرصاً على الامتناع عن تصديق الأشياء التي لم تبلغ مرتبة اليقين التام مني، وعلى الامتناع عن تصديق الأشياء التي تلوح لي بينة الفساد، فيكفيني لرفضها جميعاً أن يتيسر لي أن أجد في كل واحد منها سبباً للشك " (٢).

فقد قامت الفلسفة الأولى عند ديكارت على الشك المنهجي وهو شك إرادي، وقد انتهى منه إلى اليقين الأول وهو إدراك الذات إنها موجودة، وانتهى من ذلك باليقين الثاني، وهو أن الإنسان لما كان يشك فلابد أن يكون كائناً ناقصاً، وكان لابد أن يقابله الكائن الكامل، وهكذا اتخذ ديكارت من شكه بداية إيجابية لانهاية سلبية، ومن بين جميع آرائه المحققة فيها وجد حقيقة واحدة ثابتة، وهي أنه قادر على التفكير فالعالم المادي كله بما فيه جسد قد يكون خداعاً، أما فكره فهو حقيقة مؤكدة حيث يقول " فيما أردت الظن بكل شيء إنه باطل فلا مناص من التسليم بأنني أنا الذي أفكر لابد أن أكون موجوداً وقد وفقني ملاحظتي عن هذه الحقيقة

(١) رينيه ديكارت، مقال في المنهج، مرجع سابق، ص - ١١٩.
(٢) رينيه ديكارت، التأملات في الفلسفة الأولى، مرجع سابق، ص - ٤٨.

" أنا أفكر إذا أنا موجود " وهي الحقيقة الراسخة اليقينية التي لم تقل أكثر فروض الشاكين إسرافاً على إنكارها، أقول وفقني ملاحظتي إلى التسليم بها من غير شك، واتخاذه أساساً أقيم عليه الفلسفة التي كنت أنشدها " [١].

أما خطوات الشك المنهجي عند ديكارت وهي مراتب متعددة كما يلي: -

" ١) الشك في المعارف الحسية.

٢) الشك في المعارف العقلية الأولية.

٣) الشك في الواقع كله بصفة عامة، وما يتصل بذلك من حجة المنام، وتصور شيطان مخادع أو إله مضل، إنه الشك المطلق في كل شيء، وفي معرفة كل شيء، وفوق ذلك كله في وجود كل شيء إنه الشيء الذي لا يبقى في أثناء الشك إلا على الشاك نفسه فقط " [٢].

إثبات وجود الذات المفكرة [الكوجيتو] : -

اتخذ ديكارت من شكه بداية إيجابية لا نهاية سلبية، وذلك رفض أن يظل قانعاً راضياً بشكه فقد شعر وهو في حالة الشك المطلق، إن وجد شيئاً يقاوم الشك ذلك أدنى شك.

ورغم أن ديكارت قد سار في كل ضروب الشك إلى أن انتهى به إلى الشك المطلق فقد توصل في النهاية إلى معرفة يقينية راسخة لا يمكن الشك فيها بأي حال من الأحوال، ولا تتأثر بأي محاولة من محاولات التضليل، تمثل هذه المعرفة في اليقين التام بأنه موجود.

لذا قال " ولكن هنالك لا أدري أي مضل شديد البأس شديد المكر يبذل ما أوتي من مهارة لإضلالي على الدوام - لا يوجد شك إذن في أني موجود متى أضلني فيضلني ما شاء فما هو يستطيع أبداً أن يجعلني لا شيء، مادام في حسباني أي شيء فينبغي علي، وقد رويت الفكر ودققت النظر في جميع الأمور - أن انتهى إلى نتيجة أن أخلص إلى أن هذه القضية: "

(١) جورج ويليام هيجل، محاضرات في فلسفة التاريخ، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٤٠٧هـ - ١٩٩٧م، ص - ٢٠٧.
(٢) محمود حمدي زقزوق، المنهج الفلسفي، مرجع سابق، ص - ٧٣.

أنا كائن وأنا موجود " قضية صحيحة بالضرورة كلما نطقت بها، كلما تصورتها في ذهني " [١]. وهو يعني بذلك ثبوت الإنية أو الذات المفكرة لا وجود الشخص في الخارج.

ولقد استخلص ديكارت جميع الحقائق الأخرى وهي كما يلي: -

أولاً: التمييز الحاسم بين النفس والجسم، فإني أستطيع أن أتصور أني لست في مكان، وأن أعضاء جسمي غير موجودة، ولكني استطيع من أجل ذلك أن أتصور أني غير موجود: فما دمت أروي الفكر شاكاً فيلزم أن أكون موجوداً، وما إذا انقطعت من التفكير، وكان سائراً ما أتصور حقاً فلا أستطيع أم أكون موجوداً، واستخلص ديكارت أيضاً أن جوهر النفس هو الفكر، وأن جوهر الله هو الكمال، وأن جوهر الجسم هو الامتداد " [٢].

لذا " فإن وظيفة الكوجيتو لدى ديكارت مزدوجة: فهو يعطي مثالاً نموذجياً على قضية يقينية، ويمهد للتمييز الجذري بين النفس والجسم، فالكوجيتو يقيني لأنني أدرك بوضوح، وتمييز الربط بين فكري ووجودي " [٣].

أما " الوظيفة الثانية الكوجيتو في مذهب ديكارت فهي التهيئة للتمييز بين النفس بأسره، فأنا أعرف نفسي بصفتي موجوداً مفكراً، وبصفتي هذه فحسب: صحيح أن لا أستطيع بالكوجيتو وحده أن أعرف أيضاً ما إذا كنت مادة أو ناراً أو لطيفة أو أي شيء آخر، فأنا أعرف نفسي بصفتي موجوداً مفكراً، ولا أدري بعد إذا لم أكن سوى موجود ومفكر على أنه يبقى في مستطاعنا مع ذلك أن نتيقن من وجودنا بصفته وجوداً يفكر " [٤].

(١) رينيه ديكارت، التأملات في الفلسفة الأولى، مرجع سابق، ص - ٩٥.
(٢) عثمان أمين، رواد المثالية في الفلسفة الغربية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م، ص - ٢٣.
(٣) اميل برهييه، تاريخ الفلسفة، مرجع سابق، ص - ٩١ - ٩٢.
(٤) اميل برهييه، تاريخ الفلسفة، مرجع سابق، ص - ٩١ - ٩٢.

وبهذا انتهى ديكارت إلى إثبات وجود جوهر روحي أي النفس، ومن ثم وضع الأساس الضروري لبناء معرفة عن طريق الحدس وبهذا يصبح الشك على هذه شكاً منهجياً أي غير مطلق.

نقد الكوجيتو: ـ

الكوجيتو هو " أنا أفكر إذن أنا موجود " مسلمتان لقضيتين وهما أنا أفكر وأنا موجود.

وقد توصل إلى القضية الأولى أنا أفكر من خلال شكه في كل شيء في الحسيات، وفي العقليات، وفي الأحلام... وتنبه في النهاية إلى أنه يشك في كل شيء فهو كائن مفكر لأنه يشك ويقرر، ولهذا توصل إلى مقولته الأولى " أنا أفكر "، وعلى هذه القضية فهي كناية عن قضية تجريبية، وإذا كانت كذلك فإن تصور نقيضها أمر ممكن ومقبول المنطق، من لدن العقل بمعنى أنه يمكن أنا لا أفكر أو تصور الإنسان مثلاً بأنه مخلوق أو كائن غير مفكر " (١).

وعلى ذلك فالقضية الأولى " أنا لا أفكر " قول ينكر نفسه بنفسه، وإذا كانت القضية الأولى " أنا أفكر " قضية تجريبية، وتصور نقيضها أمر معقول، ومقبول سواء من ناحية العقل أو المنطق كحال كل القضايا التجريبية، " فتكون القضية " أنا أفكر إذن فأنا موجود " هي قضية تحليلية، " والقضية التحليلية هي القضية التي لا يضيف محمولها أي شيء جديد إلى موضوعها أو هي القضية التي يردد محمولها نفس موضوعها " (٢).

وهو " لا يسوق هذا العلم مساق القضية المنطقية التي لها مقدمة ونتيجة؛ بل يسوقه مساق المعرفة اللدنية التي يتلقاها مباشرة من الوجود الثابت، وإن كانت الكلمة التي قرر بها وجود النفس صالحة لأن تتخذ قضية ذات

(١) مهدي فضل الله، فلسفة ديكارت ومنهجه، دار الطليعة، بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٩٦م، ص - ٩٨ - ٩٩.
(٢) أحمد السيد علي رمضان، مرجع سابق، ص - ١٥٦.

دليل " [١].

" وبذلك يكون القول (أنا موجود) في القضية (أنا أفكر) إذن فأنا موجود لم يضف أي شيء جديد إلى القضية (أنا أفكر) وذلك نظراً لأنه لا يمكن تصور التفكير أصلاً دون وجود الكائن المفكر وعلى ذلك فالقضية (أنا موجود) متضمنة في القضية (أنا أفكر) إذن فالقضية (أنا أفكر) تلغي فعلياً القضية (أنا موجود) لأنني لا يمكن أفكر إلا إذا كنت موجوداً " [٢].

وإذا كان الكوجيتو " أنا أفكر إذن فأنا موجود " عبارة عن قضية تحليلية كالقضايا الرياضية وغيرها من القضايا أنها صدقة صدقاً مطلقاً، وهذا معناه أن " الكوجيتو " لم يأت بشيء جديد تجهله، ولم يضف إلى معارفنا ما لا نعرفه.

" ويرى الفلاسفة و المناطقة مثل جاسندي وأرنو أن الكوجيتو ما هو إلا كناية عن استدلال قياسي ينسج على منوال القياس الأرسطي الذي هاجمه " ديكارت " بشدة أضمرت مقدمته الكبرى وهي كل مفكر موجود، ويمكن صياغته على الصور الآتية: -

" كل مفكر موجود (مقدمة كبرى)

أنا " ديكارت " أفكر (مقدمة صغرى)

أنا " ديكارت: موجود (نتيجة) " [٣].

وإذا كان الكوجيتو عبارة عن قضية تحليلية، فذلك يقتضي التسليم بأنه قضية صورية بحته فارغة من أي مضمون تجريبي، كما هو الحال تماماً، بالنسبة إلى قضايا المنطق الصوري والرياضيات، وما هو صوري لا يمكن أن يصلح أساسًا لإثبات أي شيء خارجي أو حسي لإثبات أي شيء خارج عن نطاق العقل كإثبات وجود الله أو العالم

(١) عباس محمود العقاد، الله، مرجع سابق، ص - ١٥٧.
(٢) مهدي فضل الله، فلسفة ديكارت، مرجع سابق، ص - ٩٩.
(٣) أحمد السيد على رمضان، مرجع سابق، ص - ١٥٧.

الخارجي لأنه من خصائص القضية.

" وعلى ذلك فالقضية التحليلية لا تصلح أساساً لأية قضية إخبارية؛ لأن القضية التحليلية نطاقها العقل، والقضية الإخبارية نطاقها العالم الخارجي، وأساسها الحس والتجربة.

وعلى ذلك " فالكوجيتو " الذي هو عبارة عن قضية تحليلية، لا يمكن أن يصلح أساسًا لإثبات وجود الله إثباتًا فعليًا أو حسيًا، وكذلك للإثبات وجود العالم الخارجي " [١].

ومن خلال الكوجيتو لم يستطع ديكارت إثبات أي وجود " إلا عن طريق الذهن أولاً، ولا يمكن أن يدعي بأنه أثبت وجوداً فعليًا متحققًا في العالم الحسي تستطيع الحواس لمسه ومشاهدته " [٢].

إثبات وجود الله: ـ

إن الفلسفة الديكارتية قد سلكت مسلكاً في التاريخ الفلسفي سار الفيلسوف من النفس إلى الله مباشرة وبغير واسطة. لم يرد أن تكون معرفتنا لوجود الله عن طريق العالم ـ كما صنع غيره من الفلاسفة واللاهوتيين بل رأى على العكس من ذلك أن المعرفة لوجود العالم هي التي تفتقر وجود الله سنداً لها، وأثبت وجود الله عن طريق براهين ثلاثة: -

١] الدليل الإنساني [التجريبي] : ـ

هذا الدليل مبني على وجود فكرة الكائن الكامل اللامتناهي المتصف بجميع الصفات الكاملة فقوله " إني استطيع أن أدرك موجوداً له الكمال المطلق وهو جوهر لا متناهي أزل ثابت منفصل عني وكله معرفة وكله قدرة وهو الذي خلقني وخلق الموجودات الأخرى إذا كان ثمة موجودات أخرى، ولما كنت موجودًا متناهيًا وناقصاً لهذا فليس في قدرتي أن أتصور بنفسي فكرة موجود ولا متناهٍ ذي كمال مطلق، لأي إدراك في جلاء ووضوح إن أي معلول لابد له من عله كفء له تكفي لإحداثه،

(١) مهدي فضل الله، فلسفة ديكارت، مرجع سابق، ص ـ ١٠٠.
(٢) مهدي فضل الله، أراء نقدية، مرجع سابق، ص ـ ٢٢٢.

ومن حيث أني متناه الوجود فلن استطيع إذن أن أتخيل بنفسي وجود موجود لا متناه، لهذا فإن موجوداً هذا شأنه لابد من أن يكون موجوداً بالفعل وإلا لم أكن استطيع أن أكون فكرة عنه " (١).

وهذا يعني أن الإنسان يشعر بالنقص لأنه يشك " وهو لا يعرف أنه كائن ناقص متناه لو لم تكن لديه فكرة الكائن الكامل " اللامتناهي " وإذا فهو ليس مصدرها، ومن ثم فهذه الفكرة لم يستطع أن يضعها إلا موجود ولا متناه يحوي كل كما، ولما كان اسم الله يطلق على ذلك الكائن الكامل اللامتناهي فالله موجود " (٢).

٢) دليل الخلق: -

هذا الدليل يكمل ويؤيد الدليل السابق، ويقصد به خلق الذات لا العالم لأنه استمرار وجودي يحتاج إلى تعليل، إذ لا يكفي أن يخلقني الله أول مرة وكفى، بل إني بحاجة إلى وجوده ليخلقني في كل لحظة خلقًا جديدًا " فالزمان يتألف من جزيئات زمنية لانهائية متعاقبة، ولا تعتمد البرهنة الزمنية في وجودها على البرهنة التي سبقتها بأي حال من الأحوال " (٣).

" وعلى أي حال فكوني كنت موجودًا منذ لحظة لا يجوز أن يكون سببًا في وجودي الآن، وإذن فيستحيل أن يستمر وجودي إلا إذا كانت هنالك قوة تخلقني في كل لحظة خلقًا جديدًا ومعني ذلك أن مجرد وجودي دليل على وجود الله وأن استمرار وجودي دليل آخر على وجوده " (٤).

فإذا " انتقلت من النظر من مفهوم فكرة الله إلى الفحص عن علتها كان دليل ثاني على وجود الله، قد سبق القول أن لها من الحقيقة الموضوعية أو الكمال ما يقومني إلى غير حد، فلا يمكن إلا أن تكون صدرت إلى عن عله كفء لها أي عن موجود حاصل بالفعل على الكمال الممثل فيها "

(١) رينيه ديكارت، التأملات في الفلسفة الأولى، ص - ١٠١ - ١٠٢.
(٢) رينيه ديكارت، مقال عن المنهج، مرجع سابق، ص - ٣٤ - ٣٥، التأملات في الفلسفة الأولى، مرجع سابق، ص - ١١٨.
(٣) أحمد السيد رمضان، مرجع سابق، ص - ١٢٤.
(٤) رينيه ديكارت، التأملات في الفلسفة الأولى، مرجع سابق، ص - ٣٢.

(١).

" وأستطيع أن أستبعد للسبب عينه جميع العلل التي هي أقل كمالا من الله لأنها كان يجدر بها أن تمنح أنفسها جميع الكمالات التي تنقصها وأيضا أستبعد أن تكون عله وجودي والدي، وإنما هي عله بدني. فلم يبق إلا أن يكون خالقي هو الكائن الكامل ولابد أن يكون له على كل ما في أنا لأن كل الحقيقة التي في المعلوم يجب أن توجد في العلة " (٢).

" إذن فلا بد أن يكون له مثلي على الأقل فكرة الكمال، ولكنه فوق ذلك أكمل مني في حقيقة الأمر، لأنه لو أعذره الكمال لكانت له الإرادة والقدرة على يمنح ذاته إياه: إذن فالله موجود " (٣).

٣) الدليل الأنطولوجي: -

يعتقد " ديكارت " أنه وجد دليلاً يستطيع أن يقدمه لنا في جلاء البديهية، والذي يسمى في العادة بالدليل الأنطولوجي " فوجود الله مستخلص في هذا الدليل من فكرته بالذات، مثلما تُستخلص خاصية من خاصيات المثلث من تعريف الشكل الهندسي فما أن نفهم بالفعل أن الله هو الوجود الذي يحوز الكمالات كافة، وذلك ما دام الوجود كمال؛ إذ إن الوجود يستتبع بالفعل إيجابية تعود إما إلى الشيء الموجود بالذات، وإما إلى الشيء الذي وهبه هذا الوجود لكن الله تبدى لنا في فكرته، قوة لا متناهية فالقول بأنه غير موجود يعدل في هذه الحال القول بأن فيه قوة غير متحققة مما يعدل القول بالتالي بأنه ليس كاملاً كمالاً مطلقًا وفي هذا تناقض " (٤).

لذا يرى ديكارت أن الوجود متضمن في فكرتنا عن الله تمامًا كما " يضمن تعريفنا للمثلث أن مجموع زواياه تساوي قائمتين، فإننا كذلك نستطيع أن نستخرج من تعريف فكرة الله أنه موجود.

---

(١) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص - ٧٤.
(٢) رينيه ديكارت، التأملات في الفلسفة الأولى، ص - ٣٢ - ٣٣.
(٣) المصدر السابق.
(٤) إميل برهييه، مرجع سابق، ص - ١٠٢.

كما أن هذا الدليل يستند إلى أن فكرة الله من الأفكار الواضحة المتمايزة، وهي بداخلنا أي أنها نظرية بمعنى أنها واضحة للعقل قبليًا، أي قبل التجربة الحسية " [١].

فيقول " لقد عثرت في عقلي على فكرة الله أي على كينونة بالله الكمال، ليست أقل من فكرة أي شكل أو عدد " [٢].

إن " ديكارت " تناول الأدلة ويعتبرها محصلة جلية متميزة " الواقع أنها مكتسبة. فالأصل فيها ضرورة تفسير الموجود المتغير بإسناده إلى علة، وضرورة الوقف عنده عله أولى في سلسلة العلل والأبقى الموجود بدون تفسير، وضرورة إيجاب الوجود لهذه العلة الأولى وإلا لم تكن أولى. فديكارت يتناول هذه الفكرة كما كونها الفلاسفة واللاهوتيين المدرسين ويعتبرها أولية، فيبدأ من حيث انتهوا، ويعتبرها محصلة ولو كانت كذلك لا استوى فيها كل الناس ولأظهرتنا على ماهية الله كما هي " [٣].

ولقد كان ديكارت " يزعم أن الله قسم المادة إلى أجزاء منها الكبير، ومنها الصغير ثم بث فيها الحركة في اتجاهات مختلفة فجرت وتصادمت فمنها ما تمسك، وتجمع كتلاً كبيرة، ومنها ما تحول إلى ذرات وهباء، ومن الكتل الكبيرة كان التراب، ومن الذرات كان الهواء، ومن الهباء كان الأثير، ومن الأثير كانت النار والشمس والنجوم... ويزعم أن الحياة أصلها هو الدم... ويصف كيف يصل الدم إلى القلب، فيسخن بحرارته ويتبخر، ويرتفع إلى الرئتين فيبرد ويرجع إلى القلب... فما أحلاه من تعليلاً للدورة الدموية... وإن كان لا يرضى معاصرة (وليم هارفي)... ولعل ديكارت تشاءم مما حل (بميشال سرفة) فلم يشأ أن يقول الحق في هذه الدورة الدموية الدائمة، التي هي من عجائب صنع الله وأولى

---

(١) المصدر السابق.

(٢) فرانكلين ل. باومر، الفكر الأوربي الحديث، ترجمة أحمد حمدي محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ص - ٨٧.

(٣) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص - ٧٦.

الدلائل على وجوده وقدرته " [١].

وعن كيفية الاتصال بين العقل الروحاني والجسد المادي فإن ديكارت يجد لهذا الاتصال وسيطًا في " الغدة الصنوبرية هي الخلقة المتوسطة بين روح الإنسان وجسده وقد رأينا مما تقدم أن بعض العلماء المعاصرين يؤيدون هذا القول ويدعمونه بالمشاهدة والاستقراء، ولكن ديكارت لم يعن بإيجاد مثل هذه القنطرة بين الله والعالم لأن كما يفهم من مجمل آرائه يرى أن قدرة الله في غنى عن هذا الوسيط " [٢].

ولقد " انهارت هذه الأدلة بانهيارها ذلك بأن الوجود المتضمن في فكرة الله محمول من جنس الفكرة أي محمول متصور فحسب، وليس الفكرة صورة حقه لموضوعها، فقد زال عنها امتيازها وأضحت فإذا بينها وبينه مثل ما بين سائر الأفكار وبين موضوعاتها من مسافة " [٣].

وقد دعا ديكارت إلى تطبيق المنهج العقلي في الفكر والحياة، واستثنى من ذلك - لسبب ما - الدين والعقائد الكنسية والنصوص المقدسة، وكان يرى " أن ميدان العلم الطبيعة، وموضوعه استغلال القوى الطبيعية وأدواته الرياضة والتجربة، ويختص الدين بمصائر النفس في العالم الآخر، ويعتمد على الاعتقاد والتسليم فلا مضايقة بين العلم والدين، ولا سلطان لأحدهما على الآخر " [٤].

لذا نجد أن الواقع في مذهب ديكارت هو المذهب الازدواجي الذي هو " مرحلة طبيعية في سلم التدرج من الإيمان المطلق بالوحي إلى الإنكار المطلق له " [٥].

ثانياً: جورج باركلي[١٦٨٥-١٧٥٣م]

(١) نديم الجسر، مرجع سابق، ص - ١٢٩ - ١٣٠.
(٢) عباس محمود العقاد، مرجع سابق، ص - ١٥٨.
(٣) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص - ٧٦ - ٧٧.
(٤) اميل بوترو، العلم والدين في الفلسفة، مرجع سابق، ص - ١٩.
(٥) سفر عبد الرحمن الحوالي، العلمانية، مرجع سابق، ص - ١٥٣.

ولد في ايرلندا بمنطقة كليكني من أسرة إنجليزية الأصل بروتستانتية المذهب قضي سنيه المبكرة وسنيه المتأخرة بأكملها في أيرلندا وهو وإن كان قد قضى حياته تابعاً للمذهب الانجليكاني إلا أنه يبدو كما لو كان يعد نفسه إيرلندياً بصفة قاطعة. تلقى تعليماً ممتازاً بكلية كليكني أولاً ثم ابتداءً من عام ١٧٠٠م بكلية ترينتي بدبلن [١].

لقد " كان لمؤلفات ديكارت ولوك ونيوتن الحظ الأكبر في برنامج الدراسة، وبعد سبع سنين حصل على الأستاذية في الفنون، ونشر رسالتين صغيرتين، إحداهما في الحساب، والأخرى في بحوث رياضية متفرقة، وعين مدرساً بالجامعة لليونانية والعبرية ثم اللاهوت، وبعد سنتين صار قسيساً، ونشر (محاولة في نظرية جديدة) تعتبر تمهيداً لكتاب آخر أخرجه في السنة التالية عنوانه (مبادئ المعرفة الإنسانية حيث يفصح عن أهم أسباب الخطأ والصعوبة في العلوم، وأسس الشك والكفر والإلحاد) وهو الكتاب المشتمل على مذهبه اللامادي " [٢].

يعتبر من أصحاب النزعة المثالية الذاتية التي تفسر " العالم تفسيراً عقلياً، فإذا كان الفكر العادي أو المادي يرى أن العالم الخارجي موجود خارج العقل ومستقل في وجوده عن هذا العقل.

لكن باركلي رأى أن الوجود الخارجي كله يتمثل في إدراكه للوجود هو الإدراك " [٣].

وعبارته المشهورة " (أن يوجد هو أن يُدرِك أو أن يُدْرَك) " [٤].

ويسير استدلال بركلي في مثاليته الذاتية على النحو التالي " أن كل الأشياء التي نسميها مادة هي موضوعات لتجربتنا وهي بهذا الوصف لا توجد في نظرنا إلا بوصفها إدراكات، فعندما نقول مثلاً أن الشجرة

(١) فؤاد كامل، الموسوعة الفلسفية المختصرة، مرجع سابق، ص - ٩٣ - ٩٤.
(٢) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص - ١٦٤ - ١٦٥.
(٣) محمود حمدي زقزوق، تمهيد الفلسفة، دار المعارف، القاهرة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، ص - ١٤٢.
(٤) محمد باقر الصدر، فلسفتنا، ص - ١٠٥.

توجد، فنحن نقول: إن لدنيا إدراكًا حسيًا أو تجربة تطلق عليها اسم الشجرة، غير أن التجربة مهما تكن حيويتها لا تضفي - على أي وجه - وجودًا موضوعيًا مستقلاً على الشجرة التي تظل تجربة، وبالاختصار فالقول إن أي شيء يوجد مرادف للقول أنه يدرك... فليس ثمة وجود بمعزل عن الذهن الذي يدخل هذا الوجود في تجربته " [١].

ووصف بركلي نفسه بأن مذهبه لا مادي، وهذه اللامادية لا تنكر " وجود المحسوسات بدليل أننا ندركها، فهي لا تحول الأشياء إلى معاني بل إنها تحول المعاني إلى أشياء " [٢].

فمن خلال مفهومه عن المثالي عن العالم مؤكد أن ليس سوفسطائيًا ولا شاكاً في وجود العالم، وما فيه من حقائق وكائنات، " بل هو يعترف بوجود ذلك كله من ناحية فلسفيه ولا تختلف من هذه الناحية عن سائر الفلاسفة، وإنما يتفاوت عنهم في تحديد مفهوم الوجود، فالوجود ليس بمعناها عند الآخرين فما هو موجود في رأيهم يؤمن بوجوده، ولكن على طريقته الخاصة في تفسير الوجود التي تعني أن وجود الشيء عند وجوده في إدراكنا - أي إدراكنا له " [٣].

كما أن العالم الخارجي إذن ليس وهمًا، فإذا أغمضت عيني عن الأشياء التي أمامي، ولم أعد أراها أو أحس بوجودها فإن ذلك لا يعني إنها غير موجودة، وهكذا فإن العقل البشري لا يخترع المدركات الحسية التي يدركها بل هي مستقلة عنه، " ولكن هذا لم يؤد ببركلي إلى الرجوع عن نظريته، إنما دعاه إلى تفسير هذه المدركات الحسية بأنها موجودة في العقل الإلهي " [٤].

(١) هنتر ميد، الفلسفة أنواعها ومشكلاتها، ترجمة فؤاد زكريا، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص - ٧٠.
(٢) توفيق الطويل، أسس الفلسفة، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ص - ٣٣٣.
(٣) محمد باقر الصدر، مرجع سابق، ص - ١٠٦.
(٤) أوزفلد كوليه، المدخل إلى الفلسفة، مرجع سابق، ص - ٢٩٢.

" إن الأشياء... لا تتمتع بوجود حقيقي دائم إلا من حيث أنها قائمة في عقل الله أو في العقل اللامتناهي.

هذه هي فلسفة باركلي وحجر الزاوية، فإهمال باركلي لفاعلية الفكر في المعرفة، واقتصاره على الإدراك الحسي كان مقصودًا، لأنه يرجع إلى أن باركلي كان يخشى إن هو جعل للتفكير العقلي دورًا رئيسيًا في إدراك العالم أن يتوهم الإنسان أن يسيطر على الكون بعقله هو الفردي المتناهي " [١].

يقول باركلي " فأنا أعترف بأنه ليس لدي أي صورة لا عن الله فحسب؛ بل عن أي روح آخر، لأن الله والأرواح موجودات تتميز بفاعليتها المحضة، ولذلك فلا يمكن أن تدرك بالصور وهي أشياء لا فاعلية منها " [٢].

ويقول في موقع آخر " الشجرة لها وجود خارج العقل، ولكن من المؤكد أن الرجل المؤمن بديانته المسيحية لن يدهش إذا قلت له: إن الشجرة الحقيقية القائمة خارج عقله موجودة في عقل الله اللا متناهي الذي يعرفها ويدركها، وقد لا يفطن أول الأمر إلى البرهان المباشر على وجود الله الذي يحتويه هذا القول، كما لا يفطن أول الأمر إلى أن وجود الشجرة أو أي شيء محسوس آخر يحمل في طياته برهانًا على وجود عقل يدركه " [٣].

وأما جوابه عن الإحساسات التي " تنبثق في داخلنا كل لحظة، من دون أن تكون لإرادتنا الذاتية تأثير في انبثاقها وتتابعها حيث إن الله يبعث تلك الإحساسات فينا " [٤].

من خلال ما سبق ذكره فإن باركلي لا وجود في رأيه لغير العقل

(١) جورج باركلي، المحاورات الثلاث بين هيلاس وفيلونوس، ترجمة يحي هويدي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، د. ت. ص - ١١.
(٢) المرجع السابق، ص - ١٤٠و ص - ١٤٦.
(٣) المرجع السابق، ص - ١٤٠و ص - ١٤٦.
(٤) محمد باقر الصدر، فلسفتنا، مرجع سابق، ص - ١٠٦.

والـروح، ولا وجـود للمـادة فـي الخـارج إلا مـن عمـل العقـل البـاطن " لأن الصفات التي تنسب إلى الأشياء ليست في الأشياء بل في العقل الذي يدركها " (١).

فمن خلال مثالية باركلي وهي مثالية ذاتية ترى وجود الشيء في إدراكه، وأن الأشياء ليس لها وجود مادي مستقل عن الذوات التي تدركها.

باركلي وتزكية النفس:

من خلال ما نراه من حولنا من أشياء كثيرة فهل هذه مجرد خداع ؟ وهل نأكل ونلبس التصورات الخادعة ؟

وتبقى تساؤل وهو: لو صح أنه ليس هناك وجود للأشياء فأين تذهب الروح في النوم العميق ؟

" ولا ننكر بقول باركلي بوجود الأشياء خارج الذهن، ولكنه يقول بكثرة النفوس، فكيف علم أن هناك نفوسًا كثيرةً ؟ وما هي النفوس التي تدرك الشيء، وتحفظها وتصونها وتبقى موجودة ؟ " (٢).

فمن خلال فلسفة باركلي لن تتزكى النفس بمثل هذه الفلسفة التي تشكك في وجود الله والإيمان به، و بهذا الفكر البشري القاصر الذي لن يصل إلى الحقيقة لن يتزكى الفكر.

ثالثا: " عمانويل كانت " [١٧٢٤ـ١٨٠٤م]

ولد " كانت " بكونجسبرج من أبوين فقيرين على جانب عظيم من التقوى والفضيلة، ينتميان إلى شيعة بروتستانتية تدعى الشيعة التقوية (Pidetisme) تستمسك بالعقيدة اللوثرية الأساسية القائلة إن الإيمان يبرر المؤمن، وترى أن محل الدين الإرادة لا العقل، وتعلي من شأن القلب والحياة الباطنية، ومن ثمة تقول إن الإيمان الحق هو الذي تؤيده الأعمال،

(١) عباس محمود العقاد، مرجع سابق، ص - ١٥٨.
(٢) محمد تقي الأميني، عصر الإلحاد، دار الصحوة، القاهرة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ص - ٨٣.

وتعتبر المسيحية في جوهرها تقوى ومحبة الله، وتعتبر اللاهوت تفسيراً مصطنعاً أقحم عليها إقحاماً نشأ " كانت " على هذا المذهب، وتشبع في المنزل والمدرسة والجامعة، فكان لذلك أثر في توجيه فكره حتى كون فلسفة تميز تمييزاً باتاً بين صورة خالصة ومادة، وحتى قال في وصف هذه الفلسفة: ((أردت أن أهدم العلم (بما بعد الطبيعة) لأقيم الإيمان.)).

دخل في الثامنة إحدى المدارس التابعة للشيعة التقوية، وأتم برنامجها في السادسة عشر ة، وكان أظهر ما أفاده فيها شيئين: إعجاباً باللغة اللاتينية بما تنطوي عليه قواعدها وتراكيبها من روح الجد والنظام، حتى كان مطمحه حين ذاك أن يتوفر على فقه اللغة، وإعجاباً بالرواقية الرومانية وما تتحلى به من نبل وشجاعة، وسيبقى هذان الأثران في نفسه " [(١)].

لذا يعتبر كانت من الذين شطروا الفلسفة الحديثة شطرين فلقد أخذ الشيء الكثير عمن سبقوه من ديكارت إلى هيوم ورسو وجرى في تيارهم، ولكن تفكيره أدى به إلى وجهة جديدة سيطرت على القرن التاسع عشر [(٢)].

كما أنه يعتبر من مشاهير الفلسفة الحديثة ومؤسس الفلسفة النقدية وزعيم للمدرسة المثالية الألمانية وجوهرة فلسفته " الإيمان بوجود مفاهيم قبل التجربة أو خارجه عن نطاقها، وهذا ما يشبه عالم الأفكار عند أفلاطون فالعالم الخارجي يشكل مادة الإحساس فقط إلا أن العقل هو الذي ينظم هذه المادة في المكان والزمان، ويمد الإنسان بالتصورات التي عن طريقها تفهم التجربة فالحواس والعقل يلعبان دورًا كبيرًا في المعرفة " [(٣)].

" إذن فليس للمثالي وجود " انطولوجي " (معرفي) مستقل، ولا كيان فردي قائم بذاته بل هو مبدأ منظم، ضروري لاستعمال التجربة إذ يكملها

(١) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص - ٢٠٨ - ٢٠٩.
(٢) المرجع سابق، ص - ٢٠٨.
(٣) نعيم حبيب جغيني، مرجع سابق، ص - ١١٥.

ويضفي عليها وحدة نسقيه " [١].

وللمثالية الكانتية طابعان: -

" **الطـابع الأول** " **النقديـة** " أي اتخذت نقد العقل وسيلة لبلوغ النتائج الفلسفية المتباينـة، وميـزت تمييـزًا دقيقًـا بـين " الـذات العارفـة وبـين الموضوع " الذي يعرف كما أنكرت الأخلاق النفعية إنكارًا صريحًا لا هوادة فيه " [٢].

" وتبعاً لذلك حل مسألة إمكان - أو عدم إمكان قيام ميتافيزيقيا بوجه عام وتحديد مصدرها ومداها وحدودها وكل ذلك وفقا لمبادئ " [٣].

الطابع الثاني " **الترنسندنتالية** " عند كانت وأتباعه إنما هي وصف للصور والمعاني والمبادئ " الأولانية " إذا كانت متعلقة بالتجربة محددة لها لا متعالية عليها مفارقة لها " [٤].

كما أن " منهجه أيضًا ليس سيكولوجيًا فمطلب " كانت " ليس ملاحظة النفس الإنسانية، فهو يصف لنا كيف يصوغ الفكر الأفكار ويكونها " [٥].

" إن المنهج الكانتي منهج تحليل ميتافيزيقي، والتحليل الميتافيزيقي بفك المعطيات إلى عناصرها البسيطة وعندها يتوقف التحليل. ويبدأ " كانت " بتحليل المعطيات. ويتميز تحليله بين عنصرين: مادة وصورة حساسية وفهم.

ولكن التحليل وحده لا يكفي، بل يجب تفسير القيمة الموضوعية للمعاني المجردة قبليًا، وتحديدها قبليًا وهذه ضرورة لا مناص منها... قبل أن نقدم على خطوة واحدة في مجال العقل الخالص. وإلا مضينا كالعميان،

---

(١) عثمان أمين، مرجع سابق، ص - ٥٨.
(2) Philosophy, New yok, 1997, Pig150. Scraton Roger, Modern
(٣) عثمان أمين، مرجع سابق، ص - ٥٨.
(٤) المصدر السابق.
(٥) مراد وهبه، المذهب عند كانت، ترجمة نظمي لوقا، مكتبة الانجلو المصرية، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٢م، ص - ١٠ - ١١.

وبعد أن نتخبط هنا وهناك ننتهي حيث ابتدأنا والجهالة " [١].

وقد جاء " فكر " كانت " يمثل جهد الذهن البشري للتوفيق بين هذين التيارين العقلي والتجريبي في الفلسفة كما تعد هذه الفلسفة بصفة عامة نقطة انطلاق لكل الفلسفات النقدية " [٢].

ففلسفة " كانت " مؤسسة على المنطق المستقيم والتحليل العميق؛ لذا أرجع " كانت " كل شيء للإيمان وأن القدرة على المعرفة هي من عند الله، وآمن بخلود الروح وبالضمير الحي، واعتبرها مسلمات لفلسفته.

واعتبر النقاد والفلاسفة أن مثاليته نقدية، لها صفتان: -

" ١) إنها مثالية نقدية لأنها وجهت اهتمامها إلى وضع حدود العقل عليه ألاَّ يتعداها إلا في حدود التجربة الممكنة.

٢) إنها شارطة لأنها تضع الشروط الأولية التي تجعل التجربة ممكنة وهي شروط عقلية يضعها العقل دون الاعتماد على التجربة مثل مفهوم المكان والزمان والسببية، وهي أوامر عقلية تنظم المعرفة التي تأتي عن طريق حواس الإنسان " [٣].

المعرفة

أ) الميتافيزيقا: -

" اهتم " كانت " بالميتافيزيقا اهتمامًا كبيرًا لإقامتها على أساس منطقي علمي مقنع، بالرغم من إيمانه بأنه مجرد كونها " وراء الطبيعة يعني استحالة إخضاعها للمقاييس الطبيعية المألوفة في سائر العلوم(الفيزيائية والرياضية) وهذا بالذات ما دعا البعض إلى القول بأن فلسفته تقود إلى

---

(١) مراد وهبه، المذهب عند كانت، ترجمة نظمي لوقا، مكتبة الانجلو المصرية، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٢م، ص - ١٠ - ١١.

(٢) اميل وترد، فلسفة كانت، ترجمة عثمان أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م، ص - ١٧ - ١٩.

(٣) سعيد التل وآخرون، مرجع سابق، ص - ١٧٩.

ما رفض هو الاعتراف به مسبقاً " [١].

فالموضوع الرئيسي الذي يدور حوله النقد الكانتي إنما هو الفصل في مشكلة إمكان قيام الميتافيزيقا أو استحالة قيامها بصفة عامه، مع الاهتمام بتحديد " أصل هذا العلم، ومداه، وحدوده على أسس عقلانية واضحة، ولذلك اعتبر الحديث في الموضوعات الميتافيزيقية الثلاثة وهي الله والحرية والخلود أمرًا ممكناً لكن " إمكانه " لا يمكن إلا عن طريق الضرورة الخلقية لأن العقل النظري لا يمكنه مجاوزة حدوده بغير أن يطرح بنفسه في الظلام والمتناقضات " [٢].

" ويرى (كانت) استحالة التوصل فيها إلى معرفة عن طريق العقل النظري، وأن أي محاولة لإقامة معرفة ميتافيزيقية على أساس فلسفي هي محاولة فاشلة ليست لها قيمة، وذلك أنه لا يصح في القضايا الميتافيزيقية شيء من الأحكام التركيبية الأولية، والأحكام التركيبية الثانوية " [٣].

وبناء على ذلك فإن " الميتافيزيقا بوصفها علمًا لم توجد حتى يومنا هذا " [٤].

لكن الميتافيزيقا كاستعداد طبيعي للعقل أمر واقعي، ولا ينفر من العقل الإنساني أن يعدل تماما عن البحوث الميتافيزيقية، كما يقرر " كانت " (ذلك في مقدمته لكل ميتافيزيقا مقبله أن تصير علمًا) " وعنوان كتابه هذا يدل دلالة واضحة على أنه غير رافض للميتافيزيقا، وإنما يريد إقامتها على دعائم متينة بحيث تكون علمًا، وإذا كان العدول كليه عن الميتافيزيقا يعد أمرًا مستحيلا فمن الواجب إذن كما يقول كانت أن تحاول في النهاية نقد العقل المجرد نفسه أو إذا تصادف وجود أي نقد له فلنمتحنه ولنضعه تحت اختبار كلي لأننا لا نجد أمامنا وسيلة أخرى

---

(١) زكريا إبراهيم، كانت أو الفلسفة النقدية، مكتبة مصر القاهرة، د.ت.ص - ١٨.

(٢) عماد عبد السلام، كانت(ملامح عن حياته وأعماله الفكرية) دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ص - ١٨ - ١٩

(٣) محمد باقر الصدر، مرجع سابق، ص - ١٢٩ - ١٣١.

(٤) عثمان أمين، مرجع سابق، ص - ٩٧.

لإرضاء هذه الحاجة الملحة التي تفوق مجرد الرغبة في العلم " [١].

ب) " **الأحكام التحليلية والتركيبية:** -

١) **الحكم التحليلي:** هو الحكم الذي يستعمله العقل لأجل التوضيح فحسب كقولنا الجسم ممتد.

٢) **الحكم التركيبي:** وهو الذي يزيد محموله شيئًا جديدًا على الموضوع كما في قولنا الجسم ثقيل.

أ) **الأحكام التركيبية الأولية:** هي الأحكام الثابتة لدى العقل قبل التجربة كالأحكام الرياضية.

ب) **الأحكام التركيبية الثانوية:** هي الأحكام الثابتة في العقل بعد التجربة مثل الحكم بأن ضوء الشمس يسخن الحجر " [٢].

يقول كانت في كتابه (نقد العقل الخالص) " تبدأ كل معرفتنا بلا شك من الخبرة لأنه كيف تستيقظ ملكة معرفتنا وتؤدي عملها ما لم تؤثر الأشياء على حواسنا... ليس لدينا معرفة سابقة زمنيًا على الخبرة فلابد يلزم إنها مشتقه جميعا من الخبرة إذ تتألف معرفتنا -حتى التجريبية منه مما نستعمله من انطباعات ومم تضيفه عقولنا من ذاتها " [٣].

أنواع الميتافيزيقا: -

للميتافيزيقا عند كانت معنيان هما: -

١) **المعنى الأول:** هو الذي جعل فيه كانت الميتافيزيقا هي العلم الذي يبحث في معاني الله وخلود النفس وحرية الإرادة.

٢) **المعنى الثاني:** هو البحث في إمكانية المعرفة الأولية.

لقد ترك " كانت " المعنى الأول ولم يبحث إلا في المعنى الثاني، ولقد

---

(١) عمانويل كانت، مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة يمكن أن تصير علماً، ترجمة نازلي إسماعيل، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م، ص - ٢٠٩.
(٢) أحمد السيد رمضان، مرجع سابق، ص - ٣٢٠، وص - ٣٢٣.
(٣) المصدر السابق.

كان " كانت " في كتابه (نقد العقل النظري الخالص) يؤدي إلى نتيجة رئيسية أن أية ميتافيزيقا لا يمكن أن توضع في وضع علمي قط أي أن الميتافيزيقا لن تستطيع - أبدًا - أن تظهر قضاياها الجدلية كمبادئ مسلمة، ولا أن تبررها (كقاعدة تجريبية)، وأن الفلاسفة الذين يدعون بناء تعاليمهم الأخلاقية على الميتافيزيقا " إلهية كانت أم إلحادية – قد حكموا على أنفسهم بالفشل " [(١)].

ويستخدم العقل استخدامين مختلفين في مسارهما جدًا " الاستخدام الاستدلالي القائم على المعاني المجردة، مادمنا لا نستطيع شيئاً اللهم إلا رد الظواهر وإدخالها تحت معاني مجردة، والظواهر لا يمكن تحديدها إلا تجريبيًا أي بعديًا، والاستخدام الثاني للعقل استخدام حدسي يقوم على بناء معاني مجردة، ومادامت هذه المعاني المجردة مرتبطة بحدس قبلي فمن الممكن أن تكون معطاة حدس خالص مستقل عن كل معطي تجريبي " [(٢)].

فالميتافيزيقي متى جهل حدود هذين الاستخدامين انزلق من مجال الحساسية إلى أرض المعاني المجردة الخالصة بل المعاني المجردة الترنسندنتالية، إذن فالميتافيزيقا خاليه من أي حكم تركيبي بالمعاني المجردة.

٢: الأخلاق عند كانت: ـ

تقوم ميتافيزيقا الأخلاق عند " كانت " على العقل فلن " يستمد إذن قوانين الأخلاق من الطبيعة الإنسانية، ولا من عادات الناس، بل من العقل ذاته مباشرة ولهذا فإنها لن تستعين بعلم النفس، ولا بعلم الإنسان " [(٣)].

(١) لاندكريسون، المشكلة الأخلاقية والفلاسفة، ترجمة عبد الحكيم محمود، أبو بكر ذكري، دار الرشاد، القاهرة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، ص - ٢٨٦.

(٢) مراد وهبه، مرجع سابق، ص - ٦٤.

(٣) عبد الرحمن بدوي، الأخلاق عند كانت، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ص - ٣٣.

إذن " العقل هو الذي يمدنا بمعني الواجب الذي هو الركن الركين في الأخلاق " [(١)].

و يضع العقل القواعد الأخلاقية لا التجريبية، " وهذه القواعد تتصف تماماً كما هو الحال في الشروط الأولية التي يصفها العقل لمعرفة العالم الحسي بالعمومية والضرورية " [(٢)].

وقد دفع " كانت " إلى اتخاذ هذا الموقف أمران: الأول نظري وهو أن حقيقة الأخلاق شأنها شأن العلم لا يمكن أن تستخلص إلا من الشكل المحض للعقل لا من المضمون المادي التجريبي، والثاني عملي وهو إذا استندت الأخلاق إلى اعتبارات تجريبية، فإنها ستقدم إلى الإرادة بواعث حسية من شأنها أن تفسدها إما بصرفها عن الواجب أو بدعوتها إياها إلى البحث في الواجب عن شيء آخر غير الواجب نفسه، ولما كانت الأخلاق عنده تقوم على العقل " لذا أخذ ينادي بفصل الأخلاق عن الدين، فهي مستقلة لا تحتاج إلى دعامة خارجية تؤيدها، ويرى أن للحقائق الأخلاقية ميدانًا غير ميدان الحقائق العلمية، فلا تعارض بينهما إذن ولا اختلاف " [(٣)].

فهذه الأخلاق بما وراء الواقع لقوانين ثابتة وضرورية مثل قوانين الطبيعة، ونظراً لأن هذه الأخلاق معينة بما وراء الواقع.

" فإنها تقوم على أساس من حرية الإرادة، ولأن الواجب لا يؤدى أداءً حقاً إلا ممن توفرت فيهم إرادة قوية وحرية كاملة، وإذا كان يقدس أوامر العقل المطلقة، فلأنه يعتقد أو الواجب الصحيح ما أملاه العقل أو إذا كان يمجد الشخصية الإنسانية فذلك راجع إلى أنه يرى أن لغة الواجب هي لغة الإنسانية جمعاء، وأن أوامره تشريع عام يتساوى أمامه كل الأفراد،

---

(١) يوسف كرم، مرجع سابق، ص - ٢١٤.

(٢) يحيى هويدي، دراسات في الفلسفة الحديثة المعاصرة، مرجع سابق، ص - ٨٣.

(٣) إبراهيم مدكور، يوسف كرم، دروس في تاريخ الفلسفة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٣م، ص - ٢٥٦.

فهو إذن يجمع في فكر الواجب كل هذه النواحي، ويقول بنظرية هي في آن واحد أخلاق الواجب والحرية والعقل والإنسانية " [(١)].

واستبعد مذهب السعادة الشخصية لأنه يرد الخير إلى اللذة والمنفعة، ولا يضع تمييزًا بين بواعث الرذيلة، ولم يوافق أيضًا على مذهب العاطفة الأخلاقية مع اعترافه بالفضيلة أولاً بالذات، ولكن استبدل بالمنفعة الحسية الرضا النفسي، ولجأ أنصاره إلى العاطفة ليأسهم من العقل " ولم يقدروا أن العاطفة متغيرة نسبيه لا تصلح مقياسًا للخير والشر " [(٢)].

ولذلك أراد أن يحرر السلوك الأخلاقي من قيود الميول والأهواء " ولهذا استبعد اللذة والمنفعة والسعادة غاية قصوى لأفعال الإنسان الإرادية؛إذ جعل الباعث يقوم في الإرادة نفسها وبذلك ارتدت عنه الأخلاقية إلى مبدأ الواجب " [(٣)].

وأفعال الواجب هي " محافظة الإنسان على حياته واجب، والإحسان واجب، وتأمين الإنسان لسعادته واجب غير مباشر، ومحبة الجار ولو كان عدواً واجب " [(٤)].

وهكذا فإن الأفعال الإنسانية لا تكون خيراً إلا إذا صدرت عن واجب، لا عن ميل مباشر أو رغبة في تحقيق مصلحة شخصية فإذا قام الإنسان بواجب، فلكي يكون تصرفه أخلاقياً ينبغي أن يكون باعث الواجب من بين عدة بواعث هو الأمر الكافي للإقدام على الفعل، ومع إقرار العواطف النبيلة كعامل تساعد لإتيان الفعل الخير، ولذا فإن غرسها في النفس يعد واجباً " فإن العالم يفتقد من اتخاذ السعادة غاية مباشره لأفعالنا

(١) المرجع السابق، ص - ٢٢٥.

(٢) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص - ٢٤٧.

(٣) توفيق الطويل، فلسفة الأخلاق، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ط٤، ص - ٤٠٧.

(٤) عمانويل كانت، تأسس ميتافيزيقا الأخلاق، ترجمة عبد الغفار مكاوي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، مرجعة عبد الرحمن بدوي، د.ت، ص - ٦٤.

- إن علينا واجباً غير مباشر يقضي بالبحث عن سعادتنا " [١].

ومن خلال الواجب تتضح له السمات التي تتحدد وفقا للقواعد الثلاث الآتية: -

١) أنه " تشريع كلي، وقاعدة شاملة، وتكمن قيمة الواجب في صميم الواجب نفسه " [٢].

بصرف النظر عن أي منفعة أو فائدة أو كسب مادي، وعلى هذا فإن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يفعل مع معرفته بأن " قيمة الفضيلة إنما تزيد كلما كلفتنا الكثير دون أن تعود علينا بأي كسب " [٣].

٢) أن الواجب منزه عن كل غرض، فلا يطلب لتحقيق المنفعة أو بلوغ السعادة، وإنما ينبغي أن يطلب لذاته أي أن نؤدي واجبنا " فليست الأخلاق هي المذهب الذي يعلمنا كيف نكون سعداء؛ بل هي المذهب الذي يعلمنا كيف نكون جديرين بالسعادة " [٤].

٣) " الواجب أنه قاعدة غير مشروطة لفعل أي أنه قانون سابق أو حكم أولي سابق على التجربة " [٥].

لذا يشترط للواجب شرطين هما الحرية وازدواج الطبيعة البشرية.

" فالواجب والخير الأسمى والسعادة تقودنا حتمًا إلى التسليم بالحرية وخلود الروح، ووجود الله، وهذه هي دعائم الأخلاق عند (كانت) " [٦].

لذا فالعقل يجمع " مبادئ الحياة الحسية، ومبادئ الأخلاق هو تصور

(١) توفيق الطويل، فلسفة الأخلاق، ص - ٤٢١.

(٢) مصطفى حلمي، الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام، دار الكتاب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، ص - ٩٤.

(٣) زكريا إبراهيم، المشكلة الخلقية، مكتبة مصر، القاهرة، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م، ص - ١٩٣ - ١٩٤.

(٤) زكريا إبراهيم، المشكلة الخلقية، مكتبة مصر، القاهرة، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م، ص - ١٩٣ - ١٩٤.

(٥) مصطفى حلمي، الأخلاق، مرجع سابق، ص - ٩٤.

(٦) إبراهيم مدكور، يوسف كرم، دروس في تاريخ الفلسفة، مرجع سابق، ص - ٢٢٩.

الخير الأسمى، فاجتماع القداسة والسعادة هو قوام الخير الأسمى " [١].

لذا هو يعتمد تعريف الواجب بأنه " ضرورة أداء الفعل احتراماً للقانون " [٢].

٣: الدين: -

ينبغي لنا لا نفهم من نقد " كانت " الصارم لكل شيء أنه يهمل عنصر الإيمان في فلسفته، ولا يعير أي اهتمام للعامل الديني للناس لأن الرجل هو أبعد من أن يكون جاحدًا للدين، كافرًا بتعاليمه بل هو مؤمن إيمان الفلاسفة الربوبين الذين لا ينكرون المعتقدات الشعبية، ولكنهم ينظرون في الوقت نفسه لدين عقلاني يجاري تعاليمهم الأخلاقية، ويلبي حاجاتهم النظرية، وسوف نرى أن " كانت " فهم الدين على هذا النحو مع العلم بأن موقفه لا يخلو من شيء من الغموض والتذبذب.

" فالأخلاق عند " كانت " تؤدي إلى الدين، وهذه الأخلاق تقوم على العقل إذن، فهذا الدين أيضاً يقوم على العقل وهو دين عملي داخلي وأخلاقي خالص، وذلك لأنه يريد أن يؤسس الدين على الأخلاق، فجعل دوره عبارة عن أن يبرز فينا الأمل في أن نشارك بأفعالنا المنعزلة في ذاتها، في تحقيق نظام أخلاقي قوامه الانسجام بين العادلة والسعادة " [٣].

وتختلف نظرة " كانت " كل الاختلاف عن النظرة التقليدية إلى الدين أي نظرة اللاهوتيين، ورجال الكنيسة التي تعد الناس بالثواب وبالسعادة الأبدية، وتنذرهم بالعقاب الأليم، " إذ يعتقد " كانت " أن الدين الحق - الدين بمعناه الصحيح لابد أن ينبع من الأخلاق أي ينبع من العقل وهو الدعامة الوحيدة الممكنة لإقامة الإيمان السليم " [٤].

---

(١) اميل وترد، فلسفه كانت، مرجع سابق، ص - ٣٧٦.

(٢) عمانويل كانت، تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، ص - ١٠٠.

(٣) اميل بوترو، فلسفه كانت، مرجع سابق، ص - ٣٨٠.

(4) Allen W. Wood, Rational Theology Moral and Religion cssay on the Cambridge to companion Kant, Edited by Paul Gayer, Cambridge University Press, 1992, Pig. 350.

ولقد وضع " كانت " أساسًا في أمور الدين، " إن الإهانة الكبرى في حياة الإنسان حينما تقرر مجموعة من القساوسة مصير العقيدة وتفرضها على الناس كما لو أنها تعكس بالفعل رسالة المسيح.

أما في المجال النظري فقد حسم " كانت " الموقف معتبراً أي برهان عقلي عن وجود الله، وعن خلود النفس ونهائية العالم من الأمور المستحيلة نظريا. لكن " كانت " كان أكثر تشددًا وإدانة إزاء العبادات الخارجية: لقد أنكر مفعولها ونفى عنها أي صلاحية عقائدية بل رفع عنها الصفة التي يقتنع بها أصحابها أعني التقوى " [١].

وأكد " كانت " استحالة " البرهان الأنطولوجي (الميتافيزيقي المحض) على وجود الله معتبراً أن فكرة وجود الله كمال لا يمكن بلوغه، وإنها فكرة محضة لم تبرهن الواقعة الموضوعية. كما أنه رفض في الفصول التالية جميع البراهين التي كانت الفلاسفة قد توافقوا عليها كالبراهين التأملية والغائية والاستشرافية " [٢].

وحينما وجه له سؤال يتعلق بالإيمان والصلاة فكان جوابه على لافاتير بسؤاله " إلى رجل " كانت " لا يعرف وسيلة أخرى يمكن أن تحافظ على صلاحيتها التامة في اللحظة الأخيرة من الحياة سوى الإخلاص النقي بشأن المقاصد السرية للقلب إلى رجل مثل النبي أيوب يعتبر التملق إلى الله جريمة، والقيام بمراجعات للنفس ربما تكون مملاة من الخوف بحيث النفس لا تتوق للقيام بها بفعل إيماني حر " [٣].

فالدين الحق عند " كانت " هو إذا دين خالي من الصلاة وهناك تعارض مبدئي بين الدين كعقيدة داخلية والطقوس الظاهرة ومن ثم فإن الإنسان

---

(١) عمانويل كانت، الدين في حدود العقل أو التنوير الناقص، ترجمة محمد المزوغي، دار الساقي، بيروت، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، ص - ٦٩.
(٢) عمانويل كانت، نقد العقل المجرد، ترجمة أحمد الشيباني، دار اليقظة العربية، بيروت، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م، ص - ٦٤٤ - ٦٤٥.
(٣) عمانويل كانت، الدين في حدود العقل، مرجع سابق، ص - ٦٩.

المتدين بحق " يكف عن الصلاة لأنها ليست إلا نفاقًا " [١].

" ويبدو أن " كانت " لم يتردد على دور العبادة لأن الصلاة في نظره غير مجدية، وذلك لأنها تستهدف إيقاف العمل بالقوانين الطبيعية، ولم يهتم بممارسة أي فريضة دينية على الرغم أن الروح الدينية قد بقيت متغلغلة في قرار نفسه " [٢].

عمانويل وتزكية النفس:

كان " كانت " من المؤمنين بالله إلا أن يكل الإيمان إلى الضمير، ولا يعتمد فيه على البراهين العقلية التي تستمد من ظواهر الطبيعة فالعقل عند " كانت " لا يعرف إلا الظواهر الطبيعية، ولا ينفذ إلى حقائق الأشياء في ذواتها.

والإيمان " مسألة علاقة بين الله وضمير الإنسان، فمن ضمير الإنسان إذن نستمد الدليل على وجود الله، وفي ضمير الإنسان شعور أصيل بالواجب الأدبي، وقسطاس مستقيم يوصي إليه أن يعامل الناس كما يجب أن يعاملوه " [٣].

ولقد " أعد " كانت " السلاح الذي نحارب به الشك والإلحاد، وبالغ في صقله، حتى جعله مرهفاً ماضياً، عجز هو نفسه عن استعماله " [٤].

ومن خلال فلسفته يقول " كانت " : -

١) إن مصادر المعرفة هي الحس والعقل، فلسنا نكون معارفنا من الإحساس وحده ولا من العقل وحده.

٢) إن للعقل أفكارًا فطرية مركوزة فيه هي (قوانين العقل المنظمة) يستطيع بها العقل إدراك العلاقات القائمة بين الآثار الحسية التي ترد إليه،

(١) المصدر السابق.
(٢) زكريا إبراهيم، مرجع سابق، ص - ٢٢٠ - ٢٢١.
(٣) عباس محمود العقاد، مرجع سابق، ص - ١٦٣.
(٤) نديم الجسر، مرجع سابق، ص - ١٦١.

فيكون من الإحساسات (إدراكًا حسيًا) ثم يكون من المدركات الحسية (مدركات عقلية) ومن أهم هذه الأفكار والقوانين الفطرية (فكرة الزمان والمكان وقانون السببية).

٢) يكون العقل أحكامًا إنشائية من ذاته لا يعتمد فيها على الإحساس والتجربة أي أن الأحاسيس ترد إلى العقل من منافذ الحواس متعددة متزاحمة، فيجاور بين بعضها ويفرق، ويقدم بعضها ويؤخر بعضها و يهمل البعض الآخر، ومن ثم يكون منها إدراكاً حسيًا ثم يكون من هذه المدركات الحسية مدركات عقلية، وأحكاما إنشائية جديدة لا يعتمد فيها على الإحساس والتجربة فبأيه قوة يفعل العقل ذلك.

٣) قدرة العقل هذه هي محدودة، ومرتبطة بالظواهر المحسوسة، فإذا حاول الخروج عن ميدان الظواهر، والدخول في كنة الأشياء بذاتها وقع في الخطأ، وظيفة الميتافيزيقيا هي أن تبين موضوع هذا الخطأ في محاولة العقل الدخول فيما وراء عالم الحس لأنه عالم مجهول.

٤) " إن استدلال " كانت " بالدليل الأخلاقي، فإنه ليس بالاستدلال الأقوى كما زعم، فلولا ما جاء في الأديان عن البعث والجزاء لما توجب على القول أن تجزم بهذا اليوم الآخر جزمًا ضروريًا، لأن العقول يصعب عليها من نفسها أن تقول بالإعادة بعد الفناء والرجعة بعد الموت، إلا إذا كانت مؤمنة بوجود الله وقدرته وحكمته وعدله " (١).

فالإيمان بالحياة الأخرى إنما يكون بعد الإيمان بوجود الله سبحانه وتعالى لا قبله، وبهذه الفلسفة لن تتزكى النفس.

رابعاً: هيجل [١٧٧٠-١٨٣١]

" ولد جورج ويلهم فريدريك في مدينة شتوتجارت في أسرة موظف كبير بإحدى الدويلات الألمانية الصغيرة إمارة فيورتمبرغ، ومابين أعوام ١٧٨٨ـ ١٧٩٣م درس هيجل الفلسفة و اللاهوت في جامعة

(١) نديم الجسر، مرجع سابق، ص - ١٧١.

توبنجن، وبعد إنهاء الدراسة الجامعية عمل مدرساً منزلياً في بيرن وفرانكفورت على الماين، دافع عن أطروحة الدكتوراه، وأصبح أستاذاً بجامعة إبينا، يعتبر هيجل من أبرز ممثلي الفلسفة الكلاسيكية الألمانية، كان هيجل في تلك الفترة واقع تحت التأثر المباشر لـ " فلسفة الوحدة " عند شيلنغ الذي أصدر بالاشتراك معه، " المجلة الفلسفية النقدية "، وكان أول مؤلف هام مستقل تماماً لهيجل هو " فينومينولوجيا الروح أي علم ظاهريات الروح " (١٨٠٦م) الذي يشكل " المعين الحقيقي " للفلسفة الهيجلية "...

إن المكانة التاريخية لهيجل في تطور الفلسفة هي: ((لقد بلغت هذه الفلسفة الألمانية الجديدة ذروتها في مذهب هيجل، الذي تكمن مأثرته التاريخية العظيمة في كان أول من نظر إلى العالم الطبيعي والتاريخي والروحي، بوصفه عملية أي في حركة دائمة في تغير وتطور، وقام بمحاولة للكشف عن العلاقة الداخلية لهذه الحركة وهذا التطور...

إن القيمة العظيمة لفلسفة هيجل تكمن أنها صاغت، بشكل متسق النظرة الديالكتيكية إلى العالم، وما يوافق ذلك من منهج ديالكتيكي في البحث، لقد صاغ هيجل الديالكتيك باعتباره علماً فلسفياً " [(١)]

" يحتل العقل عند هيجل مكانة مركزية في فلسفته، كما أن هدفه الرئيسي تعقيل المجتمع، فكل ما ليس بعقلي يجب أن يصبح عقلياً، ويجب ألا يقبل هكذا لمجرد أنه قائم، إنه لا يصبح حقيقياً في نهاية الأمر إلا بقدر ما يصبح عقلياً " [(٢)].

وتتلخص فلسفة هيجل في إنها تحقيق مهمته الأصلية التي وضعها نصب عينيه وهي إظهار العقل الكامن فينا، وفي الأشياء من حولنا وهذا العقل هو المبدأ المحرك في الطبيعة وفي التاريخ وفقاً للتفسير المشهور " كل ما

---

(١) فيصل عباس، موسوعة الفلاسفة، مرجع سابق، ص - ١٥١ - ١٥٢.
(٢) جون لويس، مدخل إلى الفلسفة، ترجمة أنور عبد الملك، دار الحقيقة، بيروت، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، ط٣.

هو حقيقي عقلي وكل ما هو عقلي حقيقي " [(١)].

ولا تعني فلسفة هيجل سوى شيء واحد هو إنها تتمسك بمبدأ أعلى هو الفكرة المطلقة، ومن هنا فقد وصفت هذه الفلسفة بأنها مثالية وذلك لأنها محاولة للنظر إلى العالم بوصفه نسقاً مترابطًا.

فهي تقوم على فهم الصلات والروابط بين موضوعاتها المختلفة " وقد أخذ هيجل المثالية من " كانت " وذهب إلى أن الحقيقة الواقعة هي الروح الكلي، وهذه الروح الذي يشكل الحقيقة تتطور باستمرار في صور أكثر كمالا " [(٢)].

وعلى ذلك فـ " هيجل " مثالي بمعنى تعقيل الواقع أي جعل الوجود معقولاً، وأن كل ما هو واقعي معقول، وكل ما هو معقول واقعي، والفكر لا ثبات فيه ولا ركود أو سكون إنما هو جدلي في طبيعته، والفكر الجدلي هو انتقال العقل من موضوع إلى سلبه ثم إلى المركب بينهما، وأساس جدلية الفكر جدلية الوجود.

ومعنى هذا أن كل شيء في تغير متصل وعملية مستمرة تنتقل من وجود إلى صيرورة أبداً، وهذا التصور للوجود هو " المطلق ". " وبذلك يمكننا فهم قول هيجل المنطق والميتافيزيقا شيء واحد " [(٣)]

والتطور الذي يعنيه هو تطور يتم في قفزات أو طفرات تظهر فيها كيفيات جديدة (مثل الحياة والوعي).

وتنقسم فلسفة هيجل إلى ثلاثة أقسام رئيسية: -

١) المنطق أو علم الفكرة في ذاتها ولذاتها.

٢) فلسفة الطبيعة أو علم الفكرة الشاملة في الآخر.

---

(١) عبد الفتاح الديدي، فلسفة هيجل، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م، ص - ١١٩.

(٢) محمود حمدي زقزوق، مرجع سابق، ص - ٢٠٩.

(٣) محمود فهمي زيدان، نظرية المعرفة عند مفكري الإسلام وفلاسفة الغرب المعاصرين، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، ص - ٩٥..

٣) فلسفة الروح أو علم الفكرة الشاملة وقد عادت من الآخر إلى نفسها.

وهذه الأقسام الثلاثة لا تدرس إلا موضوعًا واحدًا هو الفكرة الشاملة " [(١)].

ويهدف علم المنطق أن يدرس الفكرة كما هي في ذاتها، وهذه هي القضية. أما الطبيعة فهي الفكرة في الآخر، وهي ضد الفكرة في ذاتها، وهذا هو النقيض، أما الروح فهي وحدة الفكر والطبيعة وهذا هو المركب " ويدرس أول قسم من أقسام المذهب (وهو المنطق) العقل الخالص أو نسق المقولات التي أطلقنا عليها اسم العلة الأولى، أما القسم الثاني والثالث (الطبيعة -والروح) فهما يدرسان العالم العقلي نفسه، فتشمل الطبيعة المكان والزمان والمادة اللاعضوية والنبات والحيوان وتعنى الروح روح الإنسان وهي أيضًا جزء من العالم الواقعي الموجود بالفعل " [(٢)].

والحديث عن أقسام فلسفة " هيجل " كما يلي: -

أولاً: المنطق: -

دراسة لطبيعة الفكر الخالص أو هو دراسة " للحياة الباطنية للعقل " فهو لا يعنى بالإشكال والصور وحدها إنما يدرس الإشكال مع مضمونها هو الفكر فهو دراسة للفكر من أجل الفكر وحدة " [(٣)].

العقل هو موضوع المنطق و " هو في هذه الحالة علم العقل الموضوعي وعلم العقل الذاتي معاً، فهو بوصفه علماً للعقل الموضوعي أو المطلق أو الواقع الأسمى انطولوجياً أو ميتافيزيقياً وهو بوصفه علماً للعقل الذاتي

(١) إمام عبد الفتاح إمام، المنهج الجدلي عند هيجل، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ج - ١، ص - ٢٩.

(٢) ولتر ترنس ستيس، فلسفة هيجل، ترجمة إمام عبد الفتاح، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ج - ٢، ص - ١٦٢ - ١٦٣.

(٣) أحمد السيد رمضان، الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص - ٣٩٦.

ابستومولوجياً أو نظرية المعرفة " [١].

و " هو علم الفكرة الخالصة بمعنى أنه علم الفكرة في وسطها الفكري الخالص " [٢].

فتصور هيجل للمنطق مختلفًا اختلافًا فهو لا يقتصر على قواعد الاستدلال الصوري إنما يجعله يتناول الواقع أو الوجود أيضًا، " وبذلك لا يقيم " هيجل " المنطق على أساس ميتافيزيقي، وإنما يذيب التميز الخالد بين المنطق والميتافيزيقا يجعلها علمًا واحدًا " [٣].

وبهذا " يتخذ المنطق مع الميتافيزيقا التي هي علم الأشياء مدركة بالفكر وعلى هيئة أفكار - أفكار قادرة على التعبير عن الحقيقة الجوهرية للأشياء " [٤].

وعلى هذا لم يعد المنطق عند هيجل علمًا يقتصر على البحث في أنواع الاستدلالات وقواعدها وقوانينها دون أدنى اهتمام بمضمون تلك الاستدلالات، وإنما يهتم المنطق أيضًا بمضمون هذه الاستدلالات في إطار نظره كونية معينة، فكل شيء في الكون في عملية تغيير دائبة تنتقل من وجود إلى لا وجود إلى وجود جديد، وهكذا لا شيء يبقى على حاله كما يمكن للشيء الواحد أن يتصف بموجبها وسلبها في نفس الوقت.

ينقسم المنطق إلى: [موضوعي وذاتي]

١) المنطق الموضوعي: -

" وهو يعني أن الشيء ليس ذاتياً ويرى " هيجل " أنه اعتبر المنطق الموضوعي الذي استبعدت منه الفكرة الذاتية بحكم عدم اكتمال توالد

---

(١) ولتر ترنس ستيس، فلسفة هيجل، مرجع سابق، ص - ١٧١.

(٢) جورج ويلهم هيجل، موسوعة العلوم الفلسفية، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ت.، ص - ٨٣.

(٣) محمود زيدان، نظرية المعرفة عند مفكري الإسلام وفلاسفة الغرب المعاصرين، مرجع سابق، ص - ٩٥.

(٤) حورج ويلهم هيجل، موسوعة العلوم الفلسفية، مرجع سابق، ص - ١٠٠، فقرة ٢٤.

وتحديد الأفكار المجردة بعد، وهي الأفكار التي تعد الذاتية نفسها وحدتها، ويطلق هيجل على المنطق بهذه الصورة اسم المنطق الموضوعي لسبب هو أن المقولات في هذا الجزء من المنطق تتوالد وتنمو وتعيننا في نفس الوقت على التفكير في الأشياء وفي المقولات تكون هي نفسها موضوعيه لكل معاني الكلمة أي أن المقولات الخاصة بهذا الجزء من المنطق والتي تتوالد وتنمو فيه في انفراد هي نفسها التي تيسر لنا التفكير في الأشياء أو في المقولات والتي تعد في حد ذاتها موضوعية كاملة " (١).

هذا المنطق الموضوعي عند هيجل ينقسم إلى قسمين الوجود والماهية.

أ) **الوجود: -**

" إن الوجود ليس شيئًا لأنه قابل لأن يكون كل شيء، وليس هذا الوجود في نفسه شيئًا لأنه في الموجودات المتباينة المتناثرة على السواء " (٢).

" إن فكرة الوجود وفكرة اللاوجود فكرتان متضادتان وهناك فكرة تحتوي في داخلها على كلا الفكرتين المتناقضتين... إنها فكرة الصيرورة: وهي تحتوي في الواقع على هذا الذي سيصير شيئا " (٣).

" وعلى هذا فالصيرورة هي الموجود الحقيقي المركب من النقيضين الوجود و اللاوجود، هذه الصيرورة هي صميم الوجود وهي سر التطور، إذ أن الوجود من حيث هو كذلك ثابت عقيم، و اللاوجود عقيم أيضًا، على حين أن الصيرورة وجود لا وجود (ما سيصار الله) فهي التي تحل هذا التناقض الأول وبذلك يضع هيجل التناقض مبدأ أول في العقل وفي الوجود ويزعم أنه بذلك يخرج من الشك ولا يعد قط فيه " (٤).

---

(١) عبد الفتاح الديدي، فلسفة هيجل، مرجع سابق، ص - ١٢٧.
(٢) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص - ٢٧٥.
(٣) محمود حمدي زقزوق، مرجع سابق، ص - ٢١٠.
(٤) يوسف كرم، مرجع سابق، ص - ٢٧٦.

" الصيرورة هي الوجوه العينية للوجود والعدم، وهي وحدة لأنها تتضمن هويتهما، فقد زال ما بينهما، من تمايز في هذه الهوية، وقد انصهروا في وحدة لكن هذه الوحدة عينية لأنها لا تزال تحتفظ في جوفها بالفارق بينهما، فهي ليس وحدة مجردة " كالتصور " المألوف الذي يشمل ما هو عام ومشترك بين موضوعات الفئة الواحدة ويستبعد ما بينها من اختلاف إن الصيرورة تشمل على الاختلافات كما تشمل على الهوية فالوجود والعدم متحدان " [١].

ومن خلال ما سبق نجد أن الجدل عند هيجل يتعلق بمفهوم الوجود وهذا الجدل ثلاثي: -

١) الدعوي: - فكرة الوجود.

٢) نقيض الدعوي: - فكرة العدم.

٣) الجامع للدعوي ونقيضها: - فكرة الصيرورة.

وهذا الجدل الثلاثي يطبقه هيجل على كل الحقيقة الواقعية.

" التقسيم الفرعي للوجود:

١) **الكيف**: هو الوجود الخالص يشكل في البداية من ناحية فكر خالص ومن ناحية أخرى مباشرة بالذات بسيطة وغير متعينة " [٢].

٢) **الكم**: هو الوجود الخالص حيث لم يعد ينظر إلى الخاصية أو الطابع على أنه يتحد مع الوجود ذاته في هوية واحدة بلى يوفر صراحة على أنه ملغي أو محايد " [٣].

٣) **القدر**: هو الكمية الكيفية عل نحو ما تكون مباشرة في البداية وهي كمية ينسب إليها وجود متعين أو كيف " [٤].

---

(١) ولتر ترنس ستيس، فلسفة هيجل، مرجع سابق، ص - ١٩١.

(٢) جورج ويلهم هيجل، موسوعة العلوم الفلسفية، مرجع سابق، ص - ٢٣٧.

(٣) المرجع السابق، ص - ٢٦٩.

(٤) المرجع السابق، ٢٨٥.

ب) الماهية: ـ

إن الأشياء جميعاً لها طبيعة دائمة كما أن لها وجودًا خارجيًا، ومعنى ذلك أن الوجود قد أصبح ينقسم إلى طبقتين مرتبطتين ارتباطًا وثيقًا وضروريًا بعد أن كان له طبقة واحدة فقط، ومن هنا كان الطابع العام للماهية هو أن كل شيء أصبح ينظر إليه من وجهة نظر مزدوجة، فنحن لم نعد نأخذ العالم بقيمته الظاهرة، وإنما نميز ما هو موجود وجوداً ما هوياً أعني ما هو ماهية، وبين ما يبدو، ونحن ننشد النفاذ إلى وجوده الجواني فنبحث عن الجوهر تحت الأعراض، ونحاول أن نجد لكل نتيجة سببًا.

وهكذا وجميع هذه الموجودات التي لها مثل الطبيعة الثنائية تتألف من وجود أساسي ووجود مدعوم الأساس، وتندرج تحت عنوان عام هو الماهية.

فالماهية " تشمل كل فكرة شيء تابع خلف الوجود المباشر الذي يظهر أمامنا، ولقد قيل أن لكل شيء ماهية، وهو قول يعني أن حقيقة الأشياء ليست هي ما يظهر لنا منها في مباشرتها، وأن هناك شيئًا آخر وراء هذه المباشرة " (١).

فالماهية تقع وراء أو بين الهواء السطح، والظاهر المباشر ولا يمكن الوصول إليها إلا بالنفاذ إلى ما وراء السطح، وهذا النفاذ الانعكاسي، والأشياء التي يتم النفاذ إليها أشياء تستنتج أو يدخل عليها التوسط أي توضح وليست معطاة، فالوجود المباشر للأشياء يبدوا كما لو كان ستارًا أو غلافًا تختبئ الماهية خلفه (٢).

وتنقسم الماهية إلى ثلاثة أقسام: –

١) الماهية باعتبارها أساسًا للوجود: – اعتبر الماهية أساسًا للوجود الفعلي، لأن الماهية تبدو أولاً في صورة الهوية ثم يتضح إن الهوية تتضمن

(١) إمام عبد الفتاح إمام، المنهج الجدلي عند هيجل، مرجع سابق، ج ـ ١، ص ـ ٢٢٩ ـ ٢٣٠.
(٢) هربرت ماركيرز، نظرية الوجود عند هيجل، ترجمة إبراهيم فتحي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م، ص ـ ١٣٦.

الاختلاف، وإنما معاً يؤلفان مقولة أساس الوجود الفعلي الذي يؤدي إلى ظهور مقولة الشيء.

٢) **الظاهر**: يتم الانتقال من الماهية باعتبارها أساسًا للوجود الفعلي إلى الظاهر عند هيجل على النحو التالي: -لقد انشطر الشيء إلى نصفين هما المادة والصورة، ولكن ظهر الآن أن كل نصف هو الكل لأنه يحتوي على النصف الآخر، فالصورة تشمل كل المادة، والمادة تشمل كل الصورة، لأن المادة هي الفراغ التي يتحد لامع نفسه في هوية واحدة، وإنها الانعكاس في الذات الخاص بالشيء، والصورة من ناحية أخرى هي الانعكاس في الآخر الخاص بالشيء، ولكن الانعكاس في الآخر يمكن أن يتغير بالتبادل مع الانعكاس في الذات: أعني هي المادة، والمادة باعتبارها انعكاسا في الذات هي في الوقت نفسه انعكاساً في الآخر أعني هذه الصورة، وعلى ذلك فالصورة هي الشيء كله لأنها تشمل المادة، والمادة هي الشيء لأنها تشمل الصورة.

فالماهية عند هيجل ليست شيئاً يقبع وراء الظاهر إنما هي التي تظهر وهي التي توجد فعليًا، وهذا الوجود الفعلي هو الظاهر " [١].

فالحقيقة الواقعة أو الوجود بالفعل: " عبارة عن الاتحاد هي الوجود الداخلي وبين الظاهر وهو الوجود الخارجي. هذه الحقيقة الواقعة تتضمن فكرة الضرورة، والضرورة تتضمن المعقولية، ذلك لأن الضرورة نفسها هي المعقولية، وإن كلا منهما يتحول إلى الآخر فهما يتحدان في هوية واحدة، وهذا الاتحاد يؤدي بنا إلى مقوله جديدة هي الحقيقة الواقعية وهي مركب الماهية والظاهر معاً فهما لم يعودان منفصلين، وإنما هما يتحدان في هوية واحدة " [٢].

٢- المنطق الذاتي: -

هو " منطق الفلسفة أو منطق التأمل الذي يبدأ عند الحد الذي ينتهي عنده

(١) إمام عبد الفتاح، المنهج الجدلي عند هيجل، مرجع سابق، ص - ٢١٠ - ٢٣٤.
(٢) جورج ويلهم هيجل، موسوعة العلوم الفلسفية، مرجع سابق، ص - ٣٤٩.

العلم المحدود، و هو لم يبدأ هنالك لكي ينفي هذه العلوم أو ينكرها أو يعارضها، وإنما لكي يستكملها ويواصل عملها، ويرتفع بنتائجها إلى درجة الحقائق التأملية، ويمكن تعريف وجهة نظر المنطق الذاتي هو نظرية التصور ومقولاته هي التي تفسر الطبيعة والروح تفسيراً نهائياً، وهذا المنطق الذاتي هو الفلسفة في لقائها الصوري، ويحتوي ضمناً على أجزاء النسق الأخرى " [١].

ج) الفكرة: ـ

تقوم الفكرة على الحقيقة في ذاتها ولذاتها و هي الاتحاد المطلق للفكر الذاتي والموضوعي " وليس ضمونها " المثالي " شيئاً سوى الفكرة الشاملة في حدودها المفصلة (أي تعييناتها) مضمونها الواقعي ليس سوى العرض الذي تعطيه الفكرة الشاملة لنفسها في صورة الوجود الخارجي، وإذا انغلقت هذه الصورة في مثالية الفكرة الشاملة، فإنها تظل محتفظة بقوتها، وبذلك تحتفظ بها في ذاتها. والفكرة هي الحقيقة، لأن الحقيقة هي تطابق الموضوعية مع الفكر لكن ذلك لا يعني بالطبع تطابق الأشياء الخارجية مع تصور أني ذلك، لأن هذه التصورات سوى تصورات صحيحة اعتنقها " أنا " هذا الشخص الفردي " [٢].

كما أن الفكرة عند هيجل عبارة عن " المطلق وهو الذات الكلية التي تشمل كل شيء، ولا يخضع كل ما فيه إلا للنمو الجدل، وهذه الذات الكلية، فيسميها بالفكر أو التصور، وبالتالي يصبح التصور شيئاً عينياً تماماً " [٣].

ولقد استخدمت كلمة الفكرة في الفلسفة، وفي الحياة العامة " بمعنى التصور، وبمعنى مجرد التمثيل... وهي تعني التمثلات الفلسفية الإدراكات الحسية على وجه التحديد " [٤].

---

(١) عبد الفتاح الديدي، فلسفة هيجل، مرجع سابق، ص ـ ١٣٦.
(٢) جورج ويلهم هيجل، موسوعة العلوم الفلسفية، مرجع سابق، ص ـ ٤٤٧.
(٣) عبد الفتاح الديدي، هيجل، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص ـ ٤٠ ـ ٤١.
(٤) إمام عبد الفتاح، المنهج الجدلي عند هيجل، مرجع سابق، ص ـ ٢٣٧.

ومن خلال ما وضح من خلال فلسفة هيجل اتضحت الفكرة أنها هي " الحياة... وهي الروح هي فكرة الصدق والخير في المعرفة والأفعال... هي المعرفة المطلقة التي تبلغها في فكر الفيلسوف في ذاتها بوصفها الحقيقة التي نفسها، ويظهر التصور كأنه لحظة من وجهة نظر الفكرة " (١).

" والفكرة هي التصور بقدر ما يحقق ذاته أو التصور الذي يخلق ملأه بنفسه ويملأ نفسه بنفسه، ولنأخذ لذلك مثلاً بالروح من حيث هي تصور، وتهب نفسها حقيقتها الخاصة بها في الجسد، فتصدر عنها الحياة، وإذا انفصل التصور هنا عن الحقيقة نتج عن ذلك الموت، وهذا يدل في الواقع على أن أهم شيء لدى هيجل هو الفكر الموضوعي، فالفكر يحتضن كل الأشياء، ويسيطر على كل الأشياء كما أنه أساس كل شيء " (٢).

ومن خلال فلسفة " هيجل " يظهر للتصور أوجه ثلاث: -

١) **التصور الذاتي**: - ويضم ثلاث لحظات: الكلي والجزئي والفردي. فالتصور هو الكلي مدركا لا بوصفه هوية مجردة أو صورة خالصة، وإنما بوصفه فكراً يصير عينياً من تلقاء ذاته، ويمنح ذاته مضموناً وهو بصدد تعيين ذاته واستحالته إلى جزئي.

٢) **التصور الموضوعي**: - وهو الذي يصير موضوعياً على أنحاء ثلاثة إما في صورة " آلية "، وهي التي تكون الأشياء فيها متجاورة وحسب أو في صورة " كيميائية " وهي التي تجري عند تجاذب، وتدخل الأشياء بالتبادل أو صورة " غائية "، وهي الغائية العضوية التي تسيطر عليها النهاية بحيث تدبر وتوج نشاط الأعضاء.

٣) **الفكرة**: - وهي ما يرجع فيه التصور إلى نفسه عن طريق اتحاد الذاتية.

---

(١) أحمد عبده رمضان، مرجع سابق، ص - ٤٠٤.
(٢) عبد الفتاح الديدي، هيجل، مرجع سابق، ص - ٤١ - ٤٢.

والفكرة على ثلاثة أنواع: -

أولاً: - فكرة الحياة وهي الفكرة في صورتها المباشرة التي تمثل الحياة عندما تحقق روح التصور في البنية العضوية.

ثانيا: - فكرة المعرفة والخير حيث نبحث عن التصور المكافئ لموضوعه في المعرفة " [١]. وهكذا فإن حقيقة الخير تتضح على أنها وحدة الفكر النظرية والفكر العلمية في نظرية فنقول: إن الخير قد تحقق فعلا وجذرياً وأن العلم الموضوعي في ذاته ولذاته هو الفكرة [٢].

ثالثا: - فكرة العلم والحقيقة ذاتها وفيها يكون التصور الأسمى هو الفكر المطلق ووحدة الحياة والمعرفة، ويتحقق فيها الكلي يفكر في ذاته، ويحقق ذاته بالفعل من خلال تفكره في ذاته " [٣].

" والفكرة المطلقة هي الحقيقة كلها هي الفكرة التي نفكر في ذاتها، وهي هنا على الأقل بوصفها تفكيراً أو فكرة منطقية.

الفكرة المطلقة هي في المقام الأول، وحدة الفكرة النظرية والفكرة العلمية وبالتالي هي وحدة فكر الحياة وفكرة المعرفة، ففي المعرفة كانت لدينا الفكرة في صورة متحيزة، وأحادية الجانب، وقد سارت المعرفة لتطرح هذا التحيز، ولتستعيد وحدتها التي هي بوصفها وحدة مباشرة - أول مثل فكرة الحياة، ويكمن نقص الحياة في أن وجودها ليس الفكرة ضمنياً أو بالقوة أو على نحو طبيعي في حين أن المعرفة بطريقة أحادية الجانب كذلك هي الفكرة الواعية فحسب أو الفكرة لذاتها، وحقيقة هذين المجالين (المعرفة والحياة) ووحدتهما هي الفكرة المطلقة التي تكون في ذاتها ولذاتها في آن واحد... والفكرة المطلقة هي لذاتها الصورة الخالصة لفكرة الشاملة " [٤].

---

(١) عبد الفتاح الديدي، فلسفة هيجل، مرجع سابق، ص - ١٤٣.
(٢) جورج ويلهم هيجل، موسوعة العلوم الفلسفية، مرجع سابق، ص - ٤٧٠.
(٣) عبد الفتاح الديدي، فلسفة هيجل، مرجع سابق، ص - ١٤٣.
(٤) جورج ويليام هيجل، موسوعة العلوم الفلسفية، مرجع سابق، ص - ٤٧٠ - ٤٧١.

والصورة المطلقة هي الكل من حيث هوية... " أي هوية تعلو على تناقض انقسامها على نفسها ومنطق التأمل هو المنطق الذي يظهر فيه الجدل بوصفه جدل الوجود نفسه " [١].

فالفكرة الشاملة هي " حقيقة كل من الوجود والماهية أي هي مركب من مرحلة الوجود والماهية السابقتين وبالتالي فهو يعبر عن حقيقتهما معا " [٢].

ثانيا: ـ الطبيعة:

يبدو أن " هيجل " يستنبط الطبيعة من الفكرة " فإن ما يستنبطه بالفعل هو الطبيعة ذاتها بالمعنى الذي افترضه المفترضون، وإنما هو فكرة الطبيعة. وإذا كان يبدو أنه في داخل الطبيعة يستنبط الحيوان من النبات، فإن ما يقوم به فعلاً هو استنباط " فكرة الحيوان " من " فكرة النبات "" [٣].

ومن هنا يمثل الانتقال من المنطق إلى الطبيعة نقطة حرجة في المذهب إنها نقطة التي ينتقل عندها المذهب من الأفكار إلى الأشياء لكن هذا الانتقال من الأفكار إلى الأشياء ليس انتقالا من فكرة إلى فكرة أخرى فنحن في فلسفة الطبيعة لا نزال ندرس الأفكار لا الأشياء الجزئية الجامدة إنها عملية استنباط فكرة من فكرة أخرى [٤].

فالطبيعة عند هيجل هي " مجرد مظهر الروح، وهي استمرار ومواصلة للمنطق يقوم العقل نفسه بإظهار ضرورتها وإضفاء اللزوم والحتمية عليها. ووجود الطبيعة في حد ذاته يجعلها تحتوي على تعين الوجود، وكل ما تنطوي عليه ضمنا من العينات بعد ذلك وبالتالي فهي تخضع

(١) عبد الفتاح الديدي، هيجل، مرجع سابق، ص - ٥٠

(٢) جورج ويلهم هيجل، موسوعة العلوم الفلسفية، مرجع سابق، ص - ٢٢٨.

(٣) ولتر ستيس، فلسفة هيجل، مرجع سابق، ص - ٤٠٨.

(4) Hegel, Philosophy of Nature, Translated and Edited by M.J.Petry.London Allen and Unwind, New York, Press.1970, pig 160.

لكل مقولات المنطق " [١].

" وينحصر الاختلاف بين المنطق والطبيعة في أن المنطق يتناول المقولات بينما تعنى فلسفة الطبيعة بالكليات، ومقولات المنطق ضرب المعين من الكليات الغريبة التي تنطبق على أي شيء، لأنها كلية من حيث المنظور، أما كليات الطبيعة فمن نوع آخر لأنها كليات وليس مقولات فلا تنطبق إلا على بعض الأشياء فقط دون غيرها " [٢].

ويمكن التعبير عن التميز بين مقولات المنطق وكليات الطبيعة على أساس أن " المقولات غير حسية بالمرة في حين أن كليات الطبيعة حسية، ويسبغ عامل الحسية التخصيص والجزئية إلى جانب الكلية. فقد تكون هنا " هذا " في مقابل " ذاك " والكلية الحسية تطبق على ما هو " هذا " على ما هو بعض الأشياء وليس كلها " [٣].

" ومن هنا فإننا نستطيع أن نصف الانتقال من المنطق إلى الطبيعة على النحو التالي يقدم لنا المنطق العلة الأولى للعالم مؤلفه من كليات خاصة، ونحن الآن نصل إلى المرحلة التي تكتمل فيها فكرتنا عن العلة الأولى للعالم مؤلفة من كليات خالصة، ونحن نسير إلى نتيجتها المنطقية إلى العالم نفسه، فالانتقال الذي تم بالفعل إنما هو انتقال من الدائرة العامة للكليات الخاصة إلى الدائرة العامة للكليات الحسية " [٤].

فالنظرة إلى الطبيعة على أنها المقابل العكس للفكرة، فإذا كانت عقلاً فالطبيعة لا معقولة أي أنها خالية من العقل والمعقولية، ولما كانت المعقولية تعني الضرورة فلابد أن تخضع الطبيعة للاحتمالات العارضة وحدها " [٥].

إذن " الطبيعة هي النقيض في المثلث الذي يتألف من الفكرة المنطقية

---

(١) أحمد السيد رمضان، مرجع سابق، ص - ٤٠٥.
(٢) عبد الفتاح الديدي، فلسفة هيجل، مرجع سابق، ص - ١٤٥.
(٣) أحمد السيد رمضان، مرجع سابق، ص - ٤٠٦.
(٤) ولتر ترنس ستيس، فلسفة هيجل، مرجع سابق، ص - ٤١٢.
(٥) عبد الفتاح الديدي، فلسفة هيجل، مرجع سابق، ص - ١٤٦.

والطبيعية والروح، ومن ثم فالطبيعة هي ضد الفكرة، " إنها الفكرة وقد خرجت من ذاتها إلى الآخر أو حين تكون غربة ذاتية ولما كانت تعارض الفكرة على هذا النحو، ولما كانت الفكرة هي العقل، فإن الطبيعة هي إذن اللاعقل أو اللامعقول والطبيعة هي أيضاً لحظة الجزئية التي سمحت لها الفكرة أن تخرج من ذاتها. وفقا للمبادئ العامة " الجدل فإن الفكرة هي الكلي لأن المنطق يدرس فقط الأفكار الكلية المجردة الخالصة (والطبيعة هي الجزئي والروح هي الشخصي أو الفردية العينية) " [١].

فالفلسفة الطبيعية " نظرية التطور أو السير التدريجي من الصور الدنيا إلى الصورة العليا، ولكن ينبغي علينا أن نلاحظ جيداً أنه لا يوجد أي عنصر زمني في هذا التطور " [٢].

والطبيعة تقدم لنا مثلثاً لثلاث مراحل تدرس على النحو التالي: -

١) **الآليات أو الميكانيكا**: - فهو عالم المادة الجامدة والحركة وفيه العناصر وهي خارجة بعضها عن بعض " [٣].

وهذه هي " المرحلة الأولى للطبيعة، ولقد انتقلت الجوانية إلى ضدها أعني إلى الخارج المطلق الذي يمثله المكان والزمان والمادة، ويبدو ذلك لأول وهلة على أنه خروج ذاتي مطلق أو حياة كامل بين الأجزاء أو كثرة عمياء لانهاية لها تفتقر إلى مبدأ الوحدة، فالطبيعة هنا تحكمها الآلية المطلقة التي تعنى كما سبق أن رأينا انعدام الوحدة والذاتية والافتقار إلى العقل والفكرة الشاملة، ومع ذلك فهي ليست على النحو كلية، لأن الكفاح من أجل الوحدة، وهو مبدأ العقل والذاتية يظهر في صورة الجاذبية " [٤].

" فيتجلى الحرص والصراع من أجل الوحدة مبدأ العقل والذاتية في

(١) ولتر ترنس ستيس، فلسفة هيجل، مرجع سابق، ص - ٤٢٢ - ٤٢٣.
(٢) المرجع السابق، ص - ٤٢٤.
(٣) أمل مبروك، الفلسفة الحديثة، الدار السعودية المصرية، القاهرة، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ص - ٢٥٥.
(٤) ولتر ترنس ستيس، فلسفة هيجل، مرجع سابق، ص - ٤٢٨.

صورة الجاذبية " [١].

وبذلك يتم سيطرة الفكر أو مبدأ الجوانية.

١) **الطبيعيات أو الفيزيائية**: - فتم هنا دراسة معينة على الأجسام وهي العلاقات " لا ندرس الأرض والشمس والقمر لأنها أجسام فيزيائية يمكن أن يكون بديلاً لها، فنحن ندرس فحسب العلاقات الميكانيكية والهندسية المجردة بين الأجسام، وترتفع فلسفة الطبيعة في مرحلة الفيزيائية من هذه النظرة إلى الأشياء المادية على أنها كائنات فردية ذات خصائص معينة وطابع محدد، ويؤدي إلى ظهور دراسة الصور، والأنواع الطبيعية غير العضوية " [٢].

١) **العالم العضوي**: - يتم دراسة الطبيعة العضوية إذ " تنتقل من هذه المرحلة من الطبيعة غير العضوية إلى الطبيعة العضوية، ويتم هذا الانتقال عن طريق العمليات الكيمائية " [٣].

" وتمر المادة العضوية بثلاث مراحل.

١) **الكائن الحي الجيولوجي**: - وهو الكائن الذي تشمل عليه مملكة المعادن وينبغي أن ننظر إلى الأرض الجيولوجية لا على أنها وجود حي، وإنما على إنها نوع من الجثة الهائلة.

٢) **الكائن الحي النباتي**: -

النبات كائن حي يمثل الاختزال الجزئي لكثرة الطبيعة في وحدة نسقيه على الرغم أن الأجزاء ليست متماسكة في هذه الوحدة بصلابة فهي محايد بعضها بالنسبة لبعض على نحو واسع، ويمكن لإحدى أجزاء النبات أن تقوم بوظيفة الجزء الآخر لكنا لا نجد فيها هذا التمايز النسقي

(١) أحمد عبده رمضان، مرجع سابق، ص - ٤٠٧.
(٢) ولتر ترنس ستيس، فلسفة هيجل، مرجع سابق، ص - ٤٢٨.
(3) Robert B. Pippin, Hegel's Idealism, The satisfactions of self conscious senses, Cambridge University Press, Now York, 1989, Pig 163.

والتكامل المنظم الذي يوجد على أقل تقدير إلا في " (الكائن الحيواني).

٣) الكائن الحي الحيواني: -

في الحيوان تصبح العودة إلى الذاتية واضحة في صورة الوعي أو الشعور وتصبح هذه الذاتية عند الإنسان أنا حراً، ومن هنا كان الكائن الحي الحيواني هو الصورة النهائية للطبيعة ويشكل مرحلة الانتقال إلى عالم الروح " [(١)].

" وهكذا نجد الطبيعة عند هيجل تبسيط صور العالم الطبيعي الخارجي الذي نجسد فيه العقل لكي يصير حقيقة محسة " [(٢)].

لذا يتضح لنا أن هيجل يقوم بتجسيد كل شيء عن طريق العقل مما يؤدي إلى تحقيق العقل عن كل شيء ومن خلال فلسفته تتضح آثار الفلسفة المثالية اليونانية وفلسفة كانت النقدية.

ثالثا الروح: -

" هي المركب من الموضوع ونقيضه هي الوحدة بين الفكرة والطبيعة. وهي ما يوجد مركزه في ذاته مركزه، فليست لها وحدة خارجها بل إنها بالفعل وحدتها، وهي توجد في ذاتها ومع ذاتها، فالروح وجود مع ذاتها، وهذه الحرية بعينها إذ أنني عندما أكون غير مستقل يكون وجود مرتبطاً بشيء آخر مختلف عني، ولا أستطيع أن أوجد مستقلاً عن شيء خارجي، وعلى العكس من ذلك، فإنني أكون حراً عندما يتوقف وجودي على ذاتي، وما وجود الروح المنطوي على ذاته هذا سوى الشعور بالذات أي شعور المرء بوجوده " [(٣)].

لذا إن الفكرة المطلقة هي مقولة الروح، ولكنها يمكن أن نسميها كذلك

(١) ولتر ترنس ستيس، فلسفة هيجل، مرجع سابق، ص - ٤٢٩.

(٢) أحمد أمين وزكي نجيب محمود، قصة الفلسفة الحديثة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ص - ٢٤٤.

(٣) هنري د. أيكن، عمر الأيدلوجية، ترجمة فؤاد زكريا، راجعه عبد الرحمن بدوي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م، ص - ١١٠ - ١١١.

مقولة العقل أو الفكرة " فالمنطق وصفاً للعقل المطلق، أو العقل الأول الذي يوجد قبل العالم أو هو وصف الله كما هو في ذاته قبل أن يتجلى، ولكن هذا العقل الذي يصفه المنطق هو عقل مجرد تماماً، ومن ثم فهو لا يوجد وجوداً فعلياً، لأنه لم يتجل بعد، ويبدأ العقل المجرد في التحول إلى ضده في الطبيعة أعني التحول إلى لاعقل ولامعقول، وهذا اللامعقول هو التخارج الجامد في الطبيعة، ونحن الآن في فلسفة الروح نرى عودته إلى ذاته، فما ندرسه الآن ليس لاعقل، وإنما عقل تماماً أو روح على وجه التحديد لكنه لم يعد مجرداً فهذه الروح العيني الحي في الإنسان، إنه العقل أو الروح، وقد تجلت التي تبدأ الآن في الوجود الفعلي في العالم " [١].

ولكن هنا مراتب في مملكة الروح كما كانت هناك مراتب في مملكة الطبيعة، فإذا كان المطلق يتجلى في الإنسان، فإن ذلك لا يتم إلا بواسطة تطور جدلي طويل وشاق، فالروح لا تضع نفسها في الحال على أنها روح مطلق، ولكنه يبدأ من مرحلة دنيا من مراحل نموه، ولا يبلغ تحققه الذاتي الكامل إلا تدريجياً، ومهمة فلسفة الروح هي أن تتعقب هذا التطور التدريجي خطوة بخطوة.

" ولذا تعد فلسفة الروح بمثابة التتويج للنسق الفلسفي الهيجلي، لأن الفكرة تصير في أعلى درجاتها كروح، وهذه المرتبة في الواقع تعادل أسمى درجة من درجات التعيين، لأن الفكرة تحقق فيها عينتها العليا، وتلغي حقيقتها الفعلية على أنسب وضع، وتصبح الروح الدلالة الصادقة إزاء الطبيعة، والمنطق بوصفها شرطي تحققها " [٢].

والروح باعتبارها المركب في المثلث هي وحدة الفكر والطبيعة، فالإنسان من ناحية جزء متكامل من الطبيعة فهو حيوان، وهو وجود مادي خارجي يخضع لسيطرة القوانين الطبيعية، وهي من ناحية أخرى

---

(١) ولتر ترنس ستيس، فلسفة هيجل، مرجع سابق، ص - ٤٢٩.
(٢) عبد الفتاح الديدي، فلسفة هيجل، مرجع سابق، ص - ١٥٠.

وجود روحي أو كائن حي عاقل ذو فكر خالد.

" وإذا كانت الفكرة هي الجنس الخالد فإن الطبيعة هي الفصل، في حين أن العقل الذي تعين بالفصل أصبح الآن نوعاً أو هو روح الإنسان قد تحولت الفكرة الخالصة في الطبيعة إلى ضدها، وأصبحت غريبة عن نفسها، وأصبحت لا عمل ولا فكر، ولكنها فلسفة الروح تعود إلى نفسها غنية من ضدها، وأصبحت غريبة عن نفسها، وأصبحت لا عقل، ولا فكر، ولكنها فلسفة الروح تعود إلى نفسها غنية من ضدها، لقد كانت حبيسة في الطبيعة في اللاعقل، ولكنها في الروح تحرر نفسها من تلك العبودية، وتصبح موجودة بوصفها روحاً حراً، وتعرض علينا فلسفة الطبيعة الخطوات التدريجية للعملية التطورية التي خلصت الفكرة نفسها عن طريقها من وهذه التطور من المادة اللاعضوية إلى الكائن الحي هو العودة التدريجي للروح من ضدها المطلق، وهو المادة الصلبة إلى نفسها أعني المعقولية، واكتمال هذا المسار هو الروح " [(١)].

وتقع فلسفة الروح في ثلاث دوائر: -

الدائرة الأولى: -

وهي التي تمثل التطور الذاتي، وتسمى بالروح الذاتية (الإنسان) ومضمونها هو " العقل البشري منظوراً إليه نظرة ذاتية على أنه عقل الذات الفردية، ومن ثم فتقسيماته تمثل مراحل متعاقبة من الوعي مثل " الإدراك:

و" الفهم " و " الخيال "...، وإذا ما نظرنا إلى الروح على هذا النحو لوجدنا أنها الروح في ذاتها أو الذات المضمرة، وهي دائرة الروح الذاتي التي ينظر إليها العالم الحديث على أنها تدرس بصفة عامة موضوعات علم النفس؛ إذ يشمل كل مراتب ووظائف عقل الإنسان الفرد وملكاته من صورها الدنيا (التي تتمثل في الغريزة والوجدان و والإحساس) إلى صورها كما تبدو في العقل والفهم والنشاط العملي ومن

(١) ولتر ترنس ستيس، مرجع سابق، ص - ٤٣٣ - ٤٣٤.

هنا كان الموضوع هو كل نطاق العقل أو الروح منظوراً إليه من الداخل أعني أنه لم يظهر نفسه بعد في صوره خارجية على هيئة مؤسسات ومنظمات تشمل القانون والعرف والأخلاق " [1].

الدائرة الثانية: -

تبدأ الروح في الخروج من ذاتها إلى الآخر، وذلك هو الروح الموضوعية (المجتمع) وتعني ذلك أن " الروح الذاتية كانت منظوراً إليه من الداخل أما الروح الموضوعية فهي الروح وقد خرجت من جوانبها وذاتيتها، وأوجدت نفسها في العالم الخارجي، وهذا العالم الخارجي ليس هو بالطبع عالم الطبيعة، إذ أن الروح هذا العالم الأخير موجوداً بالفعل، لكن العالم الموضوعي هو العالم الذي تخلقه الروح لذاتها لكي تصبح موضوعية أعني لكي توجد وتؤثر في العالم الفعلي وهو بصفة عالم المنظمات والمؤسسات، ولا يعني ذلك المنظمات الوضعية كالقانون والمجتمع والدولة وحدها وإنما يشمل العرف والعادات والحقوق والواجبات عند الفرد، وكذلك الأخلاق، وتقوم الروح الموضوعية على نشاط الإرادة، فالمنظمات والمؤسسات هي عمل من أعمال الإرادة حين تتجلى في العالم فتتشكل مادة الخام، وتحوله إلى عالم جديد العقل " [2].

والذكاء والغاية وعلى هذا ينشأ من الروح الموضوعية فلسفة هيجل الأخلاقية والسياسية.

الدائرة الثالثة: -

تسمى الروح المطلقة (الحياة الروحية للوجود) وهي تمثل الروح البشري على نحو ما يتجلى في الفن والدين والفلسفة.

---

(1) James Collins, A history Modern European Philosophy, Lanham, New York, London, 1986, pig 640.

(2) Mark, B. Okrent ‹Consciousness and Objective Spirit in Hegel's Phenomenology, Journal of the History of Philosophy, 1980, XVIII, Pig 139.

" والروح المطلق هي اتحاد الروح الذاتي والروح الموضوعي فها هنا فقد تصبح الـروح أخيراً حـرة حرية مطلقة لا متناهية وعينياً تماماً، والروح تدرك أن الفلسفة هي آخر مراحلها أي الحقيقة الواقعية كلها ذلك أن الـروح الفلسفي يرى العالم على أنه تجـل للفكر فحسب وموضوعه متحد مع ذاته في هوية واحدة، ومن ثم الفلسفة هي الوحدة النهائية للذاتية والموضوعية، ولهذا السبب فإن الروح المطلق هو مركب الروح الذاتي والروح الموضوعي، وفي الفلسفة تكتمل عوده الفكرة إلى نفسها، لأن الإنسان صاحب الفلسفة هو أقصى وأعلى تجل العقل أو الفكرة في العالم، وينبغي أن تؤجل المعنى الدقيق لهذه العبادات إلى أن تصل إلى دراسة الروح المطلق في شيء من التفصيل " (١).

ومن خلال ما سبق يتضح أن الفلسفة هي الوحدة النهائية للذاتية والموضوعية، لكي يصبح الارتفاع من الروح الموضوعي إلى الروح المطلق.

لذا فالارتفاع من الروح الموضوعي إلى الروح المطلق يمكن أن يعبر عنه بلغة الحرية فالمضمون الأساسي للروح الإنساني هو " الحرية " وتتحقق هذه الحرية إلى حد ما في الدولة.

" لأن الإنسان حين تحكمه الدولة، فإنه يحكم نفسه لكن الدولة مع ذلك لما كانت مؤسسة موضوعية خالصة هي شيء غريب عن ذاته أو شيء آخر غير نفسه، والروح الحرة على نحو مطلق لا يمكن أن تكون إلا تلك الروح التي تلغى إلى الأبد إلى كل ألوان الأخرية، ومادامت " الحرية " و " التحديد الذاتي " و " اللامتناهي " ليست إلا ثلاثة ألفاظ تعبر عن كرة واحدة فإن الروح بوصفها روحاً مطلق تصبح لا متناهية من كل وجه.

وبما أن مضمون الروح المطلق هي إدراك المطلق، وما دام المطلق والله لفظين مترادفين فإن هذه الدائرة هي بصفة عامة دائرة الدين فهي ليست

---

(١) ولتر ترنس ستيس، مرجع سابق، ص - ٤٣٥.

شيئاً آخر سوى معرفة الله أو إدراك الإلهي والخالد " [١].

تبلغ الروح المطلق حقيقتها في كل الأحوال التي تكون فيها المخلوقات البشرية واعية للمطلق ويدرك المطلق من ثلاثة طرق هي: الفن والدين (اللفظ يستخدم هنا بمعنى ضيق جداً) وفي الفلسفة.

الفــن: -

" هو الذي يدرك به الروح المطلق المثل الأعلى للجمال كما يتمثل صورة المحسة الملموسة وسواء كانت تلك الصورة صخرة أو لوناً أو صوتاً " [٢].

فعن طريق العقل أحرز الإنسان أول انتصار على المادة قبل أن ينتصر عليها انتصاراً كلياً بالعلم، فإن الفن أنزل فكرة في مادة وتشكيلها في مثالها [٣].

ففي الفن تنصر الفكرة على المادة لأنها تستخدمها لأداء أغرضها، ولكن المادة المستخدمة ليست قابلة للتشكيل قابلية تامة، وهي تختلف من حيث مقاومة التشكل عسراً ويسراً أي أن مطاوعة المادة متفاوتة وقد أدى هذا التفاوت بينها - في مقدار عدم القابلية - إلى اختلاف الفنون وتعددها ولكن مهما اختلفت ألوان الفنون فهنالك عاملان متصلان هما اللذان يعملان على تكوين الجميل المادة، والصورة أي الفكرة [٤].

مادامت الفكرة ليست خالصة أعني ليست الفكرة في ذاتها، وإنما هي الفكرة مطمورة في وسط خارجي حسي فإن الطبيعة بالتالي جميلة، لذا " فالمادة وسيلة للتعبير عن الفكرة، وبالفكرة وحدها تكتسب المادة معنى

(1) Alan White, Absolute, Knowledge, Hegel and Problem Of metaphysic, series in Continental Thought, vol.4, Ohio University Press 1983, PPxii.

(٢) زكي نجيب محمود، احمد أمين، مرجع سابق، ص - ٢٥٠.

(٣) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص - ٢٨٣.

(٤) أحمد السيد رمضان، مرجع سابق، ص - ٤١٧.

وإشراقاً " [١].

ولقد تنوعت الفنون بحسب تعاقبها وتدرجها الطبيعي:

١) الفن الموضوعي: – ويشمل فن العمارة والنحت والتصوير فالفكرة من خلال هذه الأنواع تتمثل على نحو قريب في المثل الأعلى.

٢) الفن الذاتي: – ويشمل الموسيقى والشعر.

أ) الموسيقى ترجمة عن انفعالات النفس وألوانها المختلفة إلى غير نهاية، تستخدم الصوت، وهو شيء لطيف، ولكن الصوت فيها رمز كالبناء في العمارة وهنا ينطلق الفن من حدود المكان، ويجتاز قيود المادة حيث لا يوجد إلا على صورة مثالية في الزمان " [٢].

ب) الشعر وهو أعلى صور الفن جميعاً، ولأنه يمزج بين التصوير والموسيقى فهو يضيف إلى ألحان الموسيقى المهمة تعبيراً ومعنى واضحاً محدداً، ولقد مر الفن عموماً عبر عصور التاريخ بأنواع عدة [٣].

الدين: -

" هو تجل للمنطق في إطار الفكر أو هو الحضور الحي اللامتناهي في المتناهي " [٤].

لذا فلكل من الثقافة العلمية والدين له علاقة بالفلسفة، فالمجال الأول أي (الثقافة العلمية) كان يرتبط في الفلسفة بفضل ماله من تفكير مستقل أي أنه يرتبط بها عن طريق الشكل أما المجال الثاني وهو " الدين يرتبط بالفلسفة بفضل ماله من مضمون وعلى هذا النحو يكون الدين هو الضد الدقيق للثقافة العلمية بما هي كذلك، فليس له مشكل الفكر، وليس له مضمون مشترك مع تلك الثقافة، فمضمون الدين ليس هو الدنيوي بل إن

---

(١) زكي نجيب محمود، احمد أمين، مرجع سابق، ص - ٢٥١.
(٢) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص - ٢٨٣،
(٣) أحمد السيد رمضان، مرجع سابق، ص - ٤١٩.
(٤) روجيه غارودي، فكرة هيجل، ترجمة إلياس مرقص، دار الحقيقة، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ط٢، ص - ٢٣٤.

الدين يواجه اللامتناهي " [(١)]. المدرك في الباطن.

" ومهمة الدين هي بلوغ المطلق هو الله والشعور بأنه ذلك الذي تحللت فيه جميع المتناقضات في وحدة ذلك المقدار الكبير للكون الذي اتحدت فيه المادة والعقل، والفاعل والمفعول، والخير والشر واحد أن الله هو نظام الصلات الذي تتحرك به جميع الأشياء، وتعيش وتوجد وتجد أهميتها أن المطلق يمضي في الإنسان إلى وعي ذاتي " [(٢)].

" وتتخذ معرفة المطلق ثلاث طرق تعطينا ثلاث مراحل هي الفن والدين والفلسفة ومضمون هذه المراحل هي شيء واحد هو الخلد الأزلي اللامتناهي الإلهي أي هو إدراك الحقيقة المطلقة، فالفن بوصفه المرحلة الأولى هو أولى الصور التي يدرك فيها الخلد الأزلي، وفيها اكتمالا أما الصورة التي يشكل فيها الدين فهي تأتي في مرحلة تالية، لكن الفلسفة هي وحدة الصورة التامة المكتملة لإدراك المطلق " [(٣)].

ومن الروح المطلق هو بصفة عامه، وهو إدراك المطلق بواسطة العقل البشري، يظهر المطلق في أول صورة وهي الفن في موضوعات الحس " لكن الفن كشف عن شعوره بالعجز عن تصوير المثل الأعلى في المادة، وهذا الشعور بالعجز هو أصل الدين، لأنه كنه وجوهره تمجيد الروح المطلق تمجيداً باطنياً " [(٤)].

ولما كان الفن على هذا النحو غير كافي ومتناقضاً مع نفسه كان من الضروري أن توجد صورة جديدة لإدراك المطلق، لكن يجب ألا تكون هذه الصورة الجديدة موضوعاً حسياً، وإنما لابد من أن تكون روحاً، وماهية الروح ليس الشعور أو الوجدان ولا الانفعال أو الوعي الحسي،

---

(١) جورج ويلهم هيجل، تاريخ الفلسفة، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولي القاهرة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ص - ٢٩٣.

(٢) ول ديورانت، قصة الفلسفة، فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ص - ٣٧٩.

(٣) أمل مبروك، مرجع سابق، ص - ٢٦٠.

(٤) أحمد السيد رمضان، مرجع سابق، ص - ٤٢٠.

ولا حتى الفهم بل العقل، وبعبارة أخرى الفكرة الشاملة، وماهية الروح هي الفكر بما هو فكر أو كلى، وبالتالي فإن أي إدراك حقيقي للمطلق لابد أن يتعرف عليه بما هو فكر أو الكلي الحسي، وإنما على أنه فكر خالص أو عقل أو كلي " ومثل هذه المعرفة للمطلق لا توجد إلا في الفلسفة، ولكن العقل لا يرتفع دفعة واحدة من إدراك المطلق على أنه موضوع من موضوعات الحس (كما هي الحال في الفن) إلى إدراكه على أنه فكر خالص (كما هي الحال في الفلسفة)، وإنما هناك مرحلة وسطى لا يدرك فيها المطلق بطريقة حسية خالصة، ولا بطريقة عقلية خالصة، وهذه المرحلة الوسطى هي الدين " (١).

ولقد وضعت الشعوب في ديانتها أفكارها حول وجود العالم والمطلق، وعما يوجد في ذاته ولذاته، وما كانوا يتصورونه عن العلة والجوهر والوجود، وجوهر الطبيعة والروح، وأخيراً رأيهم الخاص في الكيفية التي تربط الروح البشرية أو الطبيعة البشرية بتلك الأمور بالله والحقيقة.

ونحن في الحال نلاحظ في الدين سمتين أساسيتين: -

١) **السمة الأولى:** الطريقة التي يعي بها الإنسان الله، وهذا وعي تخيلي صورة موضوعية طابع الفكر الذي به يضع الإنسان الله في معارضة نفسه. فالله يحضر أمام الإنسان كآخر غير ذاته، غريب وفي الماوراء.

٢) **السمة الثانية:** الخشوع والعبادة يعيشان تغيير شكل التعارض فيما يرفع الإنسان نفسه إلى الله، وإلى مرتبة الوعي باتحاده مع الوجود الإلهي " (٢).

لذا " فإن الدين يتضمن الحقيقة الأساسية التي تتضمنها الفلسفة لكنه يعبر عنها على نحو أدنى من تعبير الفلسفة " (٣).

" فالدين مرحلة ضرورية في التطور الجدلي للروح ووجوده ليس

(١) ولتر ترنس ستيس، مرجع سابق، ص - ٦٥٣.
(٢) جورج ويلهم هيجل، تاريخ الفلسفة، مرجع سابق، ص - ٢٩٣ - ٢٩٤.
(٣) أمل مبروك، مرجع سابق، ص - ٢٦١.

محض صدفة وليس وسيلة بشرية خالصة، وإنما هو عمل ضروري من أعمال العقل وهو تجل ضروري (حقيقي وصحيح) للمطلق " [١]. " والدين يتضمن بالضرورة ثلاث لحظات تقابل على التوالي لحظات الفكر الثلاث وهي:

١) **لحظة الكلية**: - وهي اللحظة هي الله أو العقل الكلي.

٢) **لحظة الجزئية**: - وهي لحظة انفصال العقل الكلي عن العقل الجزئي فالعقل الإنساني يدرك الله بوصفه موضوعاً خاصاً به، كما يدرك كذلك انفصاله واغترابه عن الله، وهذا الاغتراب والابتعاد عن الله يظهر على أنه خطيئة وبؤس.

٣) **لحظة الفردية**: - وتعبر هذه اللحظة عن عودة الجزئي إلى الكلي وهي تعني أن العقل الإنساني يسعى إلى إلغاء بعده، وانفصاله عن الله، ويكافح لكي يربط نفسه بالله أو لكي يتحد معه أو يتصالح معه، ويتمثل هذا في العبادة التي تعد العامل الأساسي في أي دين " [٢].

ومن هنا الفكرة الهامة التي يعبر عنها الدين هي وحدة الله والإنسان أي تلك التي تعني عودة العقل المتناهي المنعزل إلى الاتحاد مع الله هوية واحدة وهذا المضمون الديني هو مضمون الروح المطلق.

وأما المراحل الكبرى للدين فهي ثلاث مراحل: -

١) **الديانة الطبيعية**: يدل على جميع الديانات التي لم تعترف بالروح على أنه الكائن الأسمى أو المطلق، وتميل إلى تأليه الموضوعات الطبيعية، وتتم بصفه عامة بالطابع الرمزي " [٣].

وأول ما يوجد الدين الطبيعي على صور كما يلي: -

أ) الديانة المباشرة أو السحر.

---

(١) ولتر ترنس ستيس، مرجع سابق، ص - ٦٥٨.

(2) Smith John, Philosophy of Religion, The Macmillan Company, New York London 1965, Pig103.

(٣) نازلي إسماعيل حسين، الشعب والتاريخ (هيجل)، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص- ١٤٧.

ب) انقسام الوعي داخل ذاته ديانة الجوهرية: وهي على ثلاث مراحل وفي هذا الانقسام تنبع الديانات من تحديد الله بأنه جوهر، والمراتب المتميزة لديانة الجوهر كما يلي:

١) الديانة الصينية: والله هنا أساساً الكلي غير المتميز تماما، أو هو الوجود الفارغ الذي لا مضمون له.

٢) الهندوسية: تتطور فكرة الجوهر بوضوح أكثر في الديانة الهندوسية فما دام الجوهر مجردا تماما فانه لهذا السبب غير محدد أو معين.

٣) البوذية: هي آخر مرحلة ديانة للجوهر، ولكن هذا الجوهر يعترف به الآن على نحو ما هو عليه أعني بأنه خواء.

ويتجسد الجوهر الجزئي هو بوذا أو الدالاي لاما الذي يعبده الهندوس على أنه القوة المطلقة.

أما الديانات في المرحلة الانتقالية من ديانة الجوهر إلى ديانة الروح:

١) الزرادشتية: لم يعد الله هنا غير محدد تماماً بل أصبح له تحديد فالله هو الخير، لقد كان " براهما " بوصفه فراغاً كاملاً. ولا تعين تام لا هو بالخير ولا بالشر.

٢) الديانة السورية: تعتمد هذه الديانة على إصلاح العيب في الديانة الزرادشتية حيث تقوم على أن الله آخر داخل نفسه، وإنه ينقسم داخل ذاته وبالتالي فالصراع داخلي.

٣) الديانة المصرية: طورت هذه الديانة (الديانة السورية) ومهمة الفلسفة هي أن تصفي زكام الأساطير المضطربة.

جـ) الديانات الشخصية الروحية: -

ففكرة الله في هذه الديانات لم يعد جوهر بل ذاتاً أو روحاً، فسوف نصل إلى الإله هو الإله الشخصي. وتعتبر هذه الديانات " بصفة عامة ديانات الحرية على الرغم من أن الديانة اليهودية تحتوي على عنصر من عناصر العبودية.

فطالما أدركنا الله على أنه جوهر فلن يكون الروح البشري سوى عرضة من أعراضه ليس له الحق في وجود مستقل يواجه الجوهر.

أما الآن فالله روح، والروح هي على وجه الدقة ذلك الكلي الذي يسمح للجزئي بأن يخرج منه، ويتخذ لنفسه وجوداً حراً مستقلاً " [١].

١) الديانة اليهودية أو دين الجلال: -

" هي ديانة التوحيد التي تمثل الإثبات هي دين الجلال هذه الديانة أدركت استحالة التعبير عن اللامتناهي، فحضرت تصويره بأي شكل كان، ونبذت الأوثان، ولكنها لم تحظر تصوره فتصوره موجوداً شخصياً مفارقاً للعالم كلي القدرة. ففيها وسائر الديانات الشرقية اللانهائية هي الغالبة إله الشرق شبيه بملوك الشرق: هو المتصرف الأوحد، يحي ويميت، يرفع ويوضع، يريد ويفعل وما على الإنسان إلا التسليم " [٢].

٢) الديانة اليونانية أو ديانة الجمال: -

" لقد كان العالم المتناهي هو آخر الله، ولقد نفى الله هذا الآخر وسلبه، وما أن نتبين أن الله هو نفسه الذي يستخرج الآخر من داخل ذاته حتى يتجلى أمامنا إن هذا الآخر جزء من الله وأنه مقدس وإلهي " [٣].

فالديانة اليونانية هي القدر والضرورة وتعدد الآلهة، والتي تمثل النفس وهي دين الجمال، أما هذه الديانة تصور الله على مثال الإنسان، وأتباعها في الواقع عبدوا الإنسان بعقله وجماله وقوته، ولكنهم لم يتحرروا من العقلية القديمة تمام التحرر، فقد نصبوا القدر فوق البشر، وفوق الآلهة أنفسهم وهذا القدر هو اللامتناهي، يتهدد البشر في كل أن ينغص حياتهم ويشعرهم بأنهم عدم [٤].

٣) الديانة الرومانية أو ديانة المنفعة: -

(١) ولتر ترنس ستيس، فلسفة هيجل، مرجع سابق، ص - ٦٦١ - ٦٧٥.
(٢) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص - ٢٨٥.
(٣) ولتر ترنس ستيس، مرجع سابق، ص - ٦٧٩.
(٤) أحمد السيد رمضان، الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص - ٤٢١.

هي ديانة العقل العملي والقوة والسياسة والتي تمثل المركب من النفي والإثبات وهي دين النفعية والفرص، أما أهل هذه الديانة فكانوا " أهل جد وصرامة فوضعوا الأخلاق الصارمة قانوناً للحياة

وعادوا إلى روحانية الألوهية معتبرين الآلهة معينين على تحقيق أوامر الضمير الإنساني " (١).

ولقد ظهرت الديانة الرومانية نتيجة للجمع بين حقائق الديانتين اليهودية واليونانية (٢).

٤) الديانة المسيحية: -

" هي الديانة المطلقة لأن مضمونها الحق المطلق، والمذهب الهيجلي هو الديانة المسيحية القاصرة على فئة قليلة، ورغم أن المضمون واحد فإن الصورة مختلفة، فالفلسفة تعرض المضمون المطلق في صورة مطلقة وهي صورة الفكر الخالص، أما المسيحية فهي تعرض المضمون نفسه في صورة حسية أو في فكر حسي أعني على هيئة تمثل، والقول بأن المسيحية تتضمن الحقيقة المطلقة يعني كذلك بالضرورة، أنها دين الوحي أو الكشف فهو الدين الذي يكشف فيه الإله عن نفسه تماماً " (٣).

ففي المسيحية تتحدان، اللاشخصية والشخصية الروحية " اتحاد الواحد الكثير هي تناسق الجلال والجمال والقوة هي التوفيق بين الضرورة والحرية إنها تتصور الله قد خرج من نفسه ثم تجسد في الإنسان، ثم عادة إلى نفسه مرة أخرى، ففي المسيحية ذلك السر العجيب يلاءم بين النهائي واللانهائي، بين الإنسان وحالته ولقد تم ذلك التوفيق بين الضدين في شخص المسيح لأنه إنساني إلهي " (٤).

" فالمسيح إله وإنسان معاً، فتصور اللامتناهي ينزل من عرشه ويدخل

(١) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق ص - ٢٨٥.
(٢) ولتر ترنس ستيس، فلسفة هيجل، مرجع سابق، ص - ٦٧٩.
(٣) المرجع السابق، ص - ٦٨١.
(٤) زكي نجيب محمود، أحمد أمين، مرجع سابق، ص - ٢٥٤.

في منطقة المتناهي فيحيا حياتنا ويتألم ويموت ثم يبعث فيعود إلى مجده، ففيها إثبات ونفي وتركيب وهي تختصر الأديان وتصفيها وتكملها كما يختصر الشعر والفنون الجميلة فهي الدين المطلق " [١].

الفلسفة:

فالدين والفن " يؤديان إلى الفلسفة التي هي شكل ما الدين بالذات، والذي يتلخص من الرموز التي كان الفن، وكانت الأديان قد غفلته " [٢].

لذا هناك من يعتبر فلسفة هيجل من الدين، ويقول " وما الفلسفة إلا دين واعٍ " [٣].

ولما كانت الحقيقة لا تتضح إلا إذا فرضت من دائرة المشاهد إلى ضوء الفكر الساطع كانت الفلسفة أعلى مرتبة من الدين، لذا إن الدين يشعر الله به ويدركه، وأما الفلسفة فتشرحه وتوضحه [٤].

لذا فالفلسفة هي انتصار العقل الخالص يفهم بها الوجود، ويتحرر منه ففيها يتحقق الروح المطلق أو الله تمام التحقق، لأن فيها تصل الثقافة الإنسانية إلى أقصاها.

الأخلاق:

تقوم الأخلاق عند هيجل على أساس فلسفة الجدلية في سياق مسار زمني صارم فيبتدئ لما في " القانون "، و " الأخلاق الذاتية " و " الأخلاق الموضوعية ".

١) الأخلاق الذاتية: -

" هي التي تتمثل في وعي الإنسان الفرد، وتجرده عن كل العلاقات حتى يواجه نفسه، ويثب إلى أو وعيه الأصيل المنبثق عن تلك الجوانب الباطنة المشرفة الكامنة في " الذات العميقة " بمعنى أن الأخلاق الذاتية

(١) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديث، مرجع سابق، ص - ٢٨٥.
(٢) اميل بوترو، مرجع سابق، ص - ٢٥.
(٣) هنري د.يكن، مرجع سابق، ص - ١١٠.
(٤) زكي نجيب محمود، أحمد أمين، مرجع سابق، ص - ٢٥٥.

إنما تصدر عن وعي الإنسان أو " ذاته " فيواجه " الذات " مبعث كل قيمة أخلاقية " [١].

فالأخلاق الذاتية عبره عن الوعي الفردي الداخلي، ولذا فهي تهتم بداخل الإنسان، ومجالاته الباطنية.

ووجهة نظر الأخلاق الذاتية " هي وجهة نظر الإرادة التي لامتناهية ليس فقط في ذاتها، بل أيضا من أجل ذاتها في مقابل الوجود الضمني للإرادة ومباشرتها، والخصائص المتعينة المتطور داخلها في هذا المستوى وهذا الانعكاس للإرادة على نفسها ووعيها الصريح بهويتها ينقلنا من الشخص إلى الذات " [٢].

فالإرادة تحرص على أن تكون كما يجب أن تكون، وحين تصل الإرادة إلى مثل هذه الحال، فهي إرادة متوافقة أو متطابقة مع ما يجب، ومن ثم فهي إرادة أخلاقية، وبالإضافة إلى ذلك تتميز الإرادة الأخلاقية بالحرية حين تتوافق مع ذاتها من جهة، وحين يحكمها قانون الأخلاق الذاتية من جهة أخرى [٣].

ولقد استبعدت الأخلاق الذاتية كل الواجبات والمعايير التي فرضتها الأخلاق الموضوعية نحو الأسرة والمجتمع والدولة " فهناك مصادر للإلزام الموضوعي تصدر من خارج الذات، وهذا الإلزام الخارجي مبعث الأخلاق الموضوعية. وتهدف الأخلاق الذاتية نحو الخير " وهو الفكرة بوصفها وحدة لتصور الإرادة مع الإرادة الجزئية.

فالخير - والخير وحده - هو ماله قيمة بالنسبة للإرادة الذاتية، وهذه الإرادة الذاتية لا قيمة لها ولا كرامة إلا منا حيث اتفاقها مع الخير في

(١) قباري محمد إسماعيل، قضايا على الاجتماع، دراسة نقدية من زاوية علم الاجتماع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٣٩٨هـ - ١٩٨٧م، ط٢، ص - ٢٤٥.
(٢) جورج ويلهم هيجل، أصول فلسفة الحق، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولي القاهرة، ١٤٠٦هـ - ١٩٩٦م، ص - ٢٦٢.
(٣) قباري محمد إسماعيل، مرجع سابق، ص - ٢٤٩.

النية والتقدير " [١].

٢) الأخلاق الموضوعية: -

" هي أخلاق الإنسان المنتمي إلى مجتمعه أو المنخرط في جماعة حين يواجه نفسه بوصفه جوهراً اجتماعياً " [٢].

وعلى هذا " فالأخلاق تنبثق من روح الجماعة وتنبع من ذلك الروح الموضوعي الذي يتحقق في القانون ورسائل الضبط الاجتماعي " فالأخلاق الموضوعية تقسم إلى ما يلي: الأسرة والمجتمع والدولة " [٣].

فالأخلاق الموضوعية هي أقسام متكاملة تربط بين الفكرة والنقيض والمركب بينهما، ولذا فهي أخلاقيات للأسرة وللمجتمع وللدولة.

هيجل وتزكية النفس

" هيجل يؤمن بالله ولكن على نحو يشبه الإيمان بوحدة الوجود فليس في الكون غير الواحد. والعقل هو الكون، والله - وهو العقل المطلق - فيتجلى في الموجودات على سنه مطردة، وهي السنة الثنائية وخلاصة هذه السنة أن كل موجود في الكون ينشئ نقيضه، ثم يجتمعان في موجود أكمل من الموجود الأول. ويعود هذا الموجود الأكمل فينشئ نقيضه... ويكون هذا التطور سبيلاً إلى استيفاء الحقيقة من وجوه عدة بدلاً من حصرها في وجه واحد " [٤].

فهناك التقرير ثم النقيض ثم التركيب وهو يجمع التقرير والتركيب.

فهل من خلال هذه الفلسفة تتزكى النفس ؟ وتصبح نفساً زكية. وهل تتزكى النفس من خلال دين يؤمن بالثالوث الأب والابن وروح القدس ؟.

كما اتخاذ هيجل المقياس العقلي، هذا المقياس ضعيف ومتناقض جداً، والشيء الذي يوافق هذا المقياس لا يكون حقيقة قوية ثابتة.

(١) جورج ويلهم هيجل، أصول فلسفة الحق، مرجع سابق، ص - ٢٨٧- ٢٨٨.
(٢) قباري محمد إسماعيل، مرجع سابق، ص - ٢٤٩.
(٣) أحمد السيد رمضان، مرجع سابق، ص - ٤١٣.
(٤) عباس محمود العقاد، مرجع سابق، ص - ١٦٤.

ومن هنا لا يصلح المقياس العقلي لاختبار الدين الثابت، ولن تثبت للدين حقيقة إذا نحن اعتمدنا المقياس العقلي المحدود.

فمن خلال العقل وحده، لأنه قاصر وليس فيه تأهيل لقيادة الحياة، لأن العقل إذا طغت عليه موجات الشهوات والعواطف انجرف إليها، ولم تتزك النفس.

خلاصة الفصل:

من خلال ما تم بحثه في هذا الفصل ودراسة للفلسفة المثالية فظهرت عدم اعتنائها بتزكية النفس، ولم تظهر أي دعوة لتزكية النفس، بل ظهرت دعوات تحير العقل، وتدعو إلى الانحلال العقدي، وسيتم دراسة دور المؤسسات التربوية في تزكية النفس في الفصل التالي.

* * *

الفصل الخامس: تزكية النفس في المؤسسات التربوية

الفصل الخامس:
تزكية النفس في المؤسسات التربوية

* توطئة
* الأسرة
* المدرسة
* المجتمع
* خلاصة

توطئة:

تلعب المؤسسات التربوية أهمية عظمى في بناء الفرد ثقافيًّا واجتماعيًّا وأخلاقيًّا، ومن خلال هذه المؤسسات يظهر كيفية غرس هذه المؤسسات الوعي للأفراد عن تزكية النفس، وتوظيف أساليب تزكية النفس فيها، وتطبيق هذه الأساليب.

والباحث اختار المؤسسات التربوية التي لها أثر كبير في إبراز مفهوم تزكية النفس، وتطبيقها في حياة الفرد فالمؤسسات هي التي تقوم بغرس تزكية النفس عن طريق ما تقدمة، وبقدر عطاء هذه المؤسسات التربوية يكون لها الأثر الكبير في تزكية النفس، فهناك مؤسسات أساسية كالأسرة والمسجد والمدرسة.

فالمؤسسات التربوية في جملتها تتسم بحسب الاتساق فيما بينها " ذلك أنها تشكل كلاً منسجماً داخل الإطار الثقافي للمجتمع ويأتي ذلك الإنسان من تكامل أدائها الوظيفي وصولا به إلى التكيف المنشود للإفراد " [(١)].

وإذا كانت المؤسسات التربوية تقوم على أسس واضحة المعالم حيث تتخذ الإسلام هو الأساس الأول لتحقيق تزكية النفس، فهو النظام القائم على تنظيم الحياة الدنيا، فهذا من خلال تزكية الروح عن طريق العبادة والبناء الروحي لأفراد المجتمع والناحية الاجتماعية والسياسية، ففي كل من هذه المجالات تزكية للنفس من خلال الإسلام تتضح الأسس التي يقوم عليها هذه المؤسسات التربوية.

أولاً: الأسرة: ـ

تعتبر الأسرة أقدم المؤسسات الاجتماعية للتربية التي عرفها الإنسان فهي المحضن الأول للفرد المسلم وتتكون الأسرة الصغيرة من الزوج والزوجة والأولاد.

ومن الأمور المعينة على تزكية النفس لأفراد الأسرة شروط لابد أن

(١) منير المرسي سرحان، في اجتماعيات التربية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٨١هـ - ١٩٨١م، ص - ١٧٦.

تتوافر في كل من أفرادها.

١) الزوج (الأب) : -

في حالة اختيار الزوج لابد من أن يتصف بصفات هامة، وهي أن يكون ذا خلق ودين، وأمانة حتى يربي أولاده على الدين والخلق الحسن، وهذا ما أمر به الدين الحنيف كما جاء في الحديث، فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :**{إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض، وفساد عريض}** (١).

فوصفَهُ بالدين أن يكون ملتزماً بآداب الدين الإسلامي في أقواله، وأفعاله، ومظهره، وخبره، وانتمائه، واعتزازه بدينه، وولائه لله وللرسول وللمؤمنين.

ووصفِهِ بالخلق الحسن وهو أن يتحلى بالفضائل التي يدعو إليها الإسلام، وأن يتخلى عن الرذائل التي نهى عنها الإسلام، وأجمع ما تكون عليه الأخلاق الفاضلة في أحد، إذا كان صاحبها متمثلاً بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم ، إذ كان خلقه القرآن.

عن سعد بن هشام بن عامر قال: أتيت عائشة رضى الله عنها، فقلت " يا أم المؤمنين أخبريني بخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت كان خلقه القرآن أما تقرأ القرآن قول الله عز وجل:{وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ} قلت: أريد أن أتبتل. قالت: لا تفعل أما تقرأ:{لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا} [سورة الأحزاب آية ٢١] فقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ولد له " (٢).

ومن خلال اختيار الزوج صاحب الدين تتحقق الحياة التي تكون بيئة

(١) محمد بن عيسى الترمذي، مرجع سابق، كتاب النكاح، باب إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه، ج - ٣، ص - ٣٩٤.
(٢) أحمد بن حنبل الشيباني، مرجع سابق، جـ ٦، ص - ٩١.

صالحة لتربية الأولاد، إذ هو القدوة الذي إذا التزم بتعاليم الإسلام تبعته الرعية

٢] الزوجة: [الأم]

هي الطرف الثاني في تكوين الأسرة، لذلك كان للإسلام شرط في اختيار الزوجة، ووضع المعيار أمام الرجل لاختيار زوجته.

قال الله تعالى:{وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ} [سورة البقرة آية ٢٢١].

فالاختيار للزوجة أن تكون ذات دين، إذ هي خير وسيلة لتزكية النفس فالأولاد، وهي معينة على طاعة الله.

فعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:{**تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك**} [١].

لذا ينبغي على العاقل أن يختار زوجته، ولا ينبهر بجمالها، ومالها إذا لم يكن مع ذلك دين يزين الجمال والمال، ويوجهها نحو الأحسن، وإلى رضا الله سبحانه وتعالى، فإن الجمال بدون دين يكون فتنة وبلاء، والمال بغير دين فتنة وهلاك؛ لذا فالعاقل عليه أن يختار عند المقارنة بين ذات الدين بغير جمال أو جمال بغير دين، فإنه يختار الدين على الجمال، وكذلك على المال.

فعلى الراغبين في الزواج أن يتأكدوا من هذه الحقائق، لأن العبرة في الحياة الزوجية، وما تتطلبه من أمانة، وحسن عشرة، وحسن رعاية للزوج، و البيت، والولد والمال، فالحياة الزوجية تحتاج إلى الزوجة ذات

---

(١) سليمان الأشعث السجستاني أبي داود، مرجع سابق، باب ما يؤمر به من تزويج ذات الدين، حـ ٢، ص - ١٧٩.

الدين أولاً قبل كل شيء، ويكون الجمال والمال مرتبة تالية، فإن كان مع الدين جمال أو مال أو كلاهما فهو فضل من الله، ونعمة يؤتيها من يشاء.

لذا " فحديث الرسول صلى الله عليه وسلم يشير إلى ذات الدين، واعتبر العثور عليها ظفراً لما سيجنيه الظافر بها من سعادة النفس، واستقرار في العيش، وتنشئة طيبة للذرية " (١).

والتي هو مسؤول عنها، لذا فاللائق " بذي الدين والمروءة أن يكون الدين مطمح نظره في كل شيء، ولاسيما فيمن تطول صحبته، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يختار صاحبة الدين الذي هو غاية البغية " (٢).

فالزوجة الصالحة هي روح البيت إليه تسكن النفس، و بها تنتظم الحياة، فهي التي تربي الأولاد، وتنشئهم على الفضيلة، والحق، والخير؛ لذا ففي أمانتها استقرار الحياة، وفي عفتها طمأنينة الزوج، وفي فضيلتها نجاة الأولاد وصلاحهم، وهي معينة بعد الله على تزكية النفس لأولادها.

الأسرة وتزكية النفس:

من خلال السنوات الأولى تزود الأسرة الأولاد بأساسيات التعامل، ومما ينبغي ألا يغفل أن يعلم الولد كيف يتعامل مع نفسه حتى يزكيها ليكون شخصيته بناءة، والولد يمكث تحت رعاية والديه فترة من الزمن أكثر من ربع عمر الإنسان، فإن توجيهها أمر لابد منه، والأسرة لابد من تأسيسها على الارتباط بتوحيد الله والإيمان والاعتصام بالكتاب والسنة النبوية المطهرة، وتطهير المعتقدات الفاسدة كالشرك والكفر وأن يلتزم بأوامر الله ونواهيه التي جاءت في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، مع مراعاة الجانب الأخلاقي والآداب الإسلامية وتاريخ الأمة وهمومها وأهدافها وتحدياتها، وأن يسودها الاعتزاز بالإسلام، والشعور بالمسؤولية عن إقامته والدعوة إليه، والدفاع عنه والحماس لقضاياه.

---

(١) محمد يوسف عبد، قضايا المرأة في سورة النساء، دار الدعوة، الكويت، رسالة ماجستير منشورة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ص - ١٩.

(٢) أحمد على العسقلاني، مرجع سابق، ج - ٩، ص - ٣٨.

وتزكية الأسرة من الثغرات التي تتسلل منها أفكار الجاهلية وخصائصها مهم ضروري، ومن أهم هذه الثغرات أجهزة الإعلام المسموعة والمقروءة والكتب ما كان فيها ينشر الفكر والأدب الجاهلي [١].

كما أن الأسرة أول واجب عليها " تعلم علوم الدين حيث يبدأ بتلاوة القرآن الكريم ثم التفسير ثم التوحيد والفقه والحديث والشريعة والأحكام، وما يتبع ذلك من علوم " [٢].

ويصبح المنهج الإسلامي هو الأساس في حياتهم الأسرية حتى تتزكى أنفسهم، وعلى الأسرة تطبيق هذه الآية من خلال أنفسهم.

قال الله تعالى:{لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾} [سورة آل عمران آية ١٦٤].

واعلم أن كمال الإنسان في أمرين: -

١) في أن يعرف الحق في ذاته.

٢) وان يعرف الخير لأجل العمل به.

وبعبارة أخرى: للنفس البشرية قوتان: نظرية وعملية، والله تعالى أنزل الكتاب على محمد عليه الصلاة والسلام ليكون سبباً لتكميل الخلق في هاتين القوتين فقوله:{يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ} إشارة إلى كونه مبلغاً لذلك الوحي من عند الله إلى الخلق، وقوله تعالى:{وَيُزَكِّيهِمْ} إشارة إلى تكميل القوة النظرية بحصول المعارف الإلهية.. وقوله:{وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ} إشارة إلى ظواهر الشريعة:{وَٱلْحِكْمَةَ} إشارة إلى محاسن الشريعة وأسرارها وعللها ومنافعها " [٣].

والإنسان إذا أخل بأحد الأمرين معرفة الحق والخير لم يكن طاهراً عن

(١) عبد الله عبد الرحمن الجربوع، مرجع سابق، ص - ٥٠٠.
(٢) إصلاح إسماعيل أمين، منهج الحياة في القرآن والسنة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ص - ٦٥.
(٣) محمد الرازي فخر الدين ضياء، مرجع سابق، ج - ٥، ص - ٨٣.

الرذائل والنقائص، ولم يكن زكياً عنها.

فلما ذكر صفات الفضل والكمال أردفها بذكر التزكية عن الرذائل والتناقص.

لذا على الوالدين أن يكونا على أساس تقوية دوافعهم إلى الإيمان، والعمل الصالح في نفسهما ليكونا قدوة، ولا تقف آمال الوالدين عند حدود التمني... بل إنهما ليعملا ويشيدا البناء ثم يتجها برجائهما من مكان عملهما.

ومن خلال قيامهما بأداء العبادات وتحريم الحرام وتحليل الحلال الذي أحله الله سبحانه وتعالى، والتخلق بالأخلاق الإسلامية التي تظهر من خلال تعاملاتهما، فالأساس الذي يتصف بسلامة الأخلاق من كل عيب، بأن لا يتصفا بأخلاق متكلفة لأن الأخلاق المتكلفة لا يدوم أمرها طويلاً، بل ترجع إلى الطبع، والأسرة المسلمة هي موطن الأسوة والقدوة لمن أراد أن ينجح في التربية.

وعلى الوالدين أن يحاسبا نفسيهما وأن يكونا رقيبين عليها: -

١) أن يعرفا الصواب، ويتعينا منه، وأن يجعلاه هدفاً يسعيا إلى تحقيقه.

٢) أن يُعرفا الخطأ أولادهم، ويعملا بكل جهد على تصحيحه.

٣) أن يتجردا عند تقيمهما لعمليهما من هوى النفس ليكون حكمهما عادلاً بينهما وبين نفسيهما، ويقيسا علمهما الصائب بمدى تقبل الله سبحانه وتعالى لهما، ولا يحولا أن يجدا مبرراً لعدم تجنب سوء فعل أو خطأ.

٤) إذا أحسا بأنهما خطآ فليسرعا بالتوبة وعمل الحسنات لتمحي السيئات، وبالنسبة لمعرفة الصواب والخطأ أن يكون من خلال القرآن والسنة النبوية المطهرة.

والوالدان اللذان يقيما منهج الله الذي يتضمن التوحيد في العقائد والعدل في المعاملات، والرحمة في الأخلاق، والمنصفة من النفس من كل الأحوال، وإثبات الحق ونشره بين أنفسهما، وإذا أحسا بأنهما أخطأ فلا

ييأسا من رحمة الله فالأعمال الصالحة والعبادات تكفر صغائر الذنوب، وأن يتوبا من الكبائر وقد فرت بالندم والعزم على ألا يعود إليها قال تعالى:{فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ} [سورة القصص آية ٦٧].

ومحاسبة الوالدين أنفسهما مما يخافا ويحذرا، فعليهما التوبة، وأن يجعلا بينهما وبين ما يخيفهما ويحذرا فيصبحا وقاية تقيهما منه أصبحا من المتقين، والمتقي أشد محاسبة لنفسه، وعلى الزوج " أن ينفق على زوجته وأسرته دون منٍ أو تعالٍ أو تكبرٍ بالقدر الذي يسمح به دخله فلا يستحوذ على نصيب أكبر مثلاً للإنفاق على نفسه ويحرم الأسرة، ولا ينسى حقه من الإنفاق طبقا لنظام عادل يضعه رب الأسرة يفي بكل متطلباتها الحاضرة والمستقبلية " [(١)]. بدون سرف ولا تبذير ولا تقتير.

ويقوم الزوج بإحاطة أسرته بالحنان والعطف لكي يطيعوه حباً له لا اتقاء لشره، وقد بين الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم كيف تكون العلاقة بين الزوجين في قوله تعالى:{وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ } [سورة الروم آية ٢٠-٢١].

والعلاقة بين الزوجين جعلت لإقامة حدود الله فيما بينهما وهذه العلاقة هي هدف ديني في التربية الإسلامية وهو " تحقيق شرع الله ومرضاته في كل شؤونهما الزوجية، وهذا معناه إقامة البيت المسلم الذي يبني حياته على تحقيق عبادة الله " [(٢)]. وعلى تقوى من الله سبحانه وتعالى سيراعي كلا منهما الآخر.

الأثر التربوي لإقامة حدود الله: -

هو أن ينشأ الطفل ويترعرع في بيت أقيم على تقوى الله رغبة في إقامة

(١) إصلاح إسماعيل أمين، مرجع سابق، ص - ٧٨.
(٢) عبد الرحمن النحلاوي، مرجع سابق، ص - ١٣٥.

حدود الله وتحكيم الشريعة فيتعلم، بل يقتدي بذلك من غير كبير جهد أو عناء... فيقنع بعقيدتهما الإسلامية حين يصبح واعيا.

والزوجان يجعلان وقتا لأولادهما فهما القدوة لهم في جميع أعمالهما، واتباع منهج التربية الإسلامية في إعطاء كل ذي حق حقه، فلو وعي كل منهما هذا المنهج، وعمل به لما اختلطت الأمور وتداخلت الواجبات وتعارضت الحقوق، ولسلمت الأسر من كثير من المشاكل التي نتجت عن الجهل بمنهج رب العالمين، وأما إذا ما طبق كل ما ورد بالمنهج الإسلامي فيما يخص الأسرة وعن حدود العلاقات بين أفرادها لأدى ذلك إلى انهيار الأسر ثم المجتمع، لذا على الأسر تطبيق نظام الإصلاح حتى تنعم وتتزكى أنفسهم وكل هذا رضاء لله سبحانه وتعالى.

تعليم الأسرة العلم النافع: -

الواجبات التي على الأسرة تعليم أولادها العلم الذي يكونوا به وسطاً قادرين على التمييز بين الحق والباطل، وأن يكونوا مؤمنين بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وأن يكونوا هم وأولادهم قادرين على الدعوة عابدين لله بإخلاص لا يبغون سوى رضاه، عاملين في دنياهم ما يوصلهم إلى نعيم الآخرة، وعلى الأسرة اتخاذ كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم المنهج، ومن المنهج تتخذ السلوك التي تسلكه بين الناس وكذلك التمسك بالقرآن عقيدة، وإيمان، وعلم ويقين، وأن يسيروا على بصيرة من دينهم. قال الله تعالى:{وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴿١٧﴾} [سورة محمد آية ١٧].

والأسرة المسلمة التي اتخذت من منهج التربية الإسلامية أساساً لها تقوم تعليمه الأمور العقدية وتنميتها وتكوين الحصانة لحمايتهم من الانحراف حسب مدارك أولادها، وعلى حسب السن وقدرتهم على الفهم والاستيعاب فلكل مرحلة من مراحل النمو مطالبها وتوجيهاتها [(١)]. لأن ذلك من

(١) عائشة عبد الرحمن الجلال، المؤثرات السلبية في تربية الطفل المسلم وطرق علاجها، رسالة ماجستير منشورة، جامعة أم القرى، كلية التربية، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ص - ٢٠٨-

وسائل تنمية الإيمان؛ إذ العلم هو مفتاح الوصول إلى الله تعالى.

ويوجه أنظار الآباء والأمهات إلى أهمية العلوم الأخرى في تنمية العقيدة حتى لا يقتصروا على العلوم الدينية وحدها، فهذه العلوم تسهم في تنمية العقيدة إذا صاحبها دراسة خلق الله وآثار قدرته وربطت بالتوجيهات الإسلامية التربوية " [١].

وإيضاح كيفية تزكية عن طريق العلم لأن المعرفة إذا كملت أثمرت الخوف ففاض أثره في القلب ثم ظهر على الجوارح والصفات والعلم جاء بجواز التزكية في أربع مواضع؛ لذا كانت تزكية النفس بالعلم النافع والعمل الصالح وهو المفلح قال الله تعالى.:{قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا} [سورة الشمس آية ٩].

وبتعليم القرآن والعلم تظهر آثار تزكية النفس كما جاء في القران الكريم قال الله تعالى:{وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ } [سورة عبس آية ٣].

لأن في تعليمه العلم من قرآن وسنة ودين يزداد الإنسان طهارة في دينه وزوال لظلمة الجهل عنه.

فالعلم النافع يسهم في الإيمان بالله أي " إن التقدم الذي أحرزته العلوم... يجعلنا نؤكد بصورة لم يسبق لها مثيل... أننا إذا فكرنا تفكيراً عميقاً فإن العلوم سوف تضطرنا إلى الإيمان بالله " [٢].

وكما أن العلم له في تزكية النفس الأثر البالغ فإن للعبادات أثرًا فالصلاة أحد المظاهر التي يتم بها تزكية النفس و بها تلين القلوب لذكر الله، والالتزام الكامل بفرائض الله تعالى من صلاة وصوم وحج وزكاة مع استمرارية هذه العبادات، وعدم الانقطاع عنها واستشعار رقابة الله في

٢١١.

(١) عبد الرحمن الخالق حجر الغامدي، دور الأسرة في تربية أولادها في مرحلة البلوغ، دار الخريجي - الرياض، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ص - ١٥٩ - ١٦٠.

(٢) مجموعة من علماء الغرب، الله يتجلى في عصر العلم، ترجمة الدمرداش عبد المجيد سرحان، دار القلم، بيروت، د.ت، ص - ٣١.

جميع الأحوال في نفس الأولاد رعاية حرماته باتباع أوامره واجتناب نواهيه، وعدم تخطي حدوده، والتوجه الخالص إليه بكل الأعمال والأقوال لهو من أفضل سبيل لتزكية نفس الأولاد وتنميتها، فالالتزام بأداء هذه الفرائض يغذي الإيمان ويقويه بصورة مستمرة ويشيع الإحساس في المسلم برقابة الله تعالى والصلة الدائمة به فيتحقق لديه معنى العبودية الكاملة لله وحده دون سواه ويكون سلوكه وخلقه ترجماناً حياً لإيمانه وطاعته وعبادته " [(١)].

وبهذا يتضح دور الأسرة في تزكية أولادها، ولكي يتم تزكية نفوس الأولاد على الأسرة استخدام أسلوب اللين واللطف حتى يتم بناء ذلك في نفوس الأولاد، وبذلك يتم تطبيق أسلوباً عمل به الرسل و الأنبياء عليهم السلام في دعوتهم، وعدم استخدام أسلوب الشدة وهي من الأساليب المنفرة في الدعوة إلى الله وفي التعليم.

كما أن الأسرة تقوم بتربية أولادها على حب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والدين عن طريق: -

١) حاجة الأولاد إلى الله تعالى، وأنه هو الغني وهم فقراء إليه.

قال الله تعالى:{۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾ } [سورة فاطر آية ١٥].

٢) أن المال الذي بين أيدهم هو مال الله، وهم مستخلفون فيه فلابد أن يتصرفوا فيه تصرف العاقل الأمين الحافظ للمال بدون سرف ولا تبذير، وإحلال الحلال، وتحريم الحرام.

٣) تنمية حب الرسول صلى الله عليه وسلم في نفوس الأولاد، وذلك بتعريفهم أقواله وأفعاله، وصفاته الخُلُقية والخَلقِية، والترغيب فيه، والعمل بموجبها والصلاة والسلام عليه.

٤) تنمية حب الإسلام والدفاع والذود عنه، والتعرف على مزاياه، وما فيه

(١) عبد الحميد الصيد الزنتاني، مرجع سابق، ص - ٣٨١.

من محاسن يؤدي بهم إلى حبه، والتمسك به.

٥) تنمية محبة المسلمين، وأن المسلمين جميعاً إخوة في نظر الإسلام، فالمحبة في الله والبغض فيه.

قال الله تعالى:{وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ } [سورة الحشر آية ٩].

كما ينبغي توجيه عاطفة الخوف إلى مسارها الصحيح في دعم الإيمان في نفوس الأولاد، وهو الخوف من الذي بيده القوة لتلك الأمور كلها فالخوف عبودية القلب، وعبودية القلب لا يصح صرفها إلا لله تعالى.

وأما الخشية والمخافة فلا تصح إلا من الله وحده. قال الله تعالى:{إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ } [سورة المائدة آية ٤٤] وقال تعالى:{ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾} [سورة آل عمران آية ١٧٥].

وقال تعالى:{إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ } [سورة التوبة آية ١٨].

" فالخوف عبودية القلب فلا تصلح إلا لله كالذل والمحبة والإنابة والتوكل

والرضا وغيرها من عبودية القلب " [١].

وتنمية الخوف عند الأولاد من ارتكاب معصية أو انتهاك حرمة من حرمات الله في نفوسهم، وهذا ما يمليه الإسلام كما في قوله تعالى:{قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾} [سورة الأنعام آية ١٥].

وكذلك تنمية الخوف من يوم الحساب والجزاء ويوم الوعيد قال الله تعالى:{رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾} [سورة النور آية ٣٧].

وتنمية الخوف في نفوس الأولاد بأسلوب من أساليب التربية الإسلامية هو الترغيب والترهيب كالترغيب في الجنة والترهيب من النار.

قال الله تعالى:{خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ } [سورة الحاقة آية ٣٠-٣٢].

وقوله تعالى:{وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ } [سورة طه آية ١٢٤].

والأسرة لها دور تربوي من أصعبها حماية العقيدة من الأفكار الضالة والانحراف، وتكوين الحصانة العقدية والفكرية والعلمية عندهم، وذلك ببعدهم عن كل ما يروجه أعداء الإسلام، ووضع أيديهم على الأهداف التي ينشدونها، ومن وراء تلك الأفكار، فهناك المخططات اليهودية والماسونية والاستعمارية، وتكوين قدرة عند الأولاد للدفاع عن العقيدة الإسلامية بمجالسة العلماء، وإثارة كل شبهة ضد الإسلام وتعاليمه.

كما أن التربية الإسلامية تقوم بحث الأسرة على تربية الأولاد والوالدين على أن الذكر في مقدمة الأعمال الصالحة التي إذا قام بها الإنسان المسلم لربه لأنه مقصد الطاعات والأعمال، والذكر من الأسباب المؤدية للفلاح والنجاح.

قال الله تعالى:{إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ

(١) محمد بن أبي بكر ابن القيم، دار الهجرتين وباب السعادتين، مرجع سابق، ص - ٣٦٥.

وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ } [سورة الأحزاب آية ٣٥].

وإذا قام الوالدان بالذكر كانا لأولادهم قدوة حسنة، وهو بذلك تدريب للأولاد على أساليب الذكر، فقد طبق رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير من أعماله وأقواله وأفعاله في إقامته وسفره، وقبل نومه وفي يقظته، والشواهد على ذلك كثيرة.

عن شداد بن أوس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم :{**سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء لك بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. قال: ومن قالها من النهار موقنا بها، فمات من يومه قبل أن يمسي، فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها، فمات قبل أن يصبح، فهو من أهل الجنة**} [(١)].

ففي الحديث تربية وتعليم للأسرة على الذكر ومنه الاستغفار وأفضل الاستغفار.

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم :{**إذا أتيت مضجعك، فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، وقل: اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رهبة ورغبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، فإن مت، مت على الفطرة فاجعلهن آخر ما تقول**}. فقلت أستذكرهن:{**وبرسولك الذي أرسلت**}. قال:{**لا، وبنبيك الذي أرسلت**} [(٢)].

---

(١) محمد إسماعيل البخاري، مرجع سابق، كتاب الدعوات، باب أفضل الاستغفار، ج - ٨، ص - ٨٣.
(٢) المرجع السابق، كتاب الدعوات، باب إذا بات طاهرا، ج - ٨، ص - ٨٤.

وتعليم للأسرة عن كيفية الذكر في المنام، وفيه تعليم على تصحيح الخطأ حالة وقوعه.

والأسرة تحافظ على الأولاد من الخلطة السيئة إذ لها أثر سيء على حياتهم " وهي من أكبر العوامل الرئيسة في انحلال الأولاد، وفسادهم، وخاصة في وقتنا الحاضر، وعلى الأسرة أن تعلم علم اليقين أن ما تبنيه من تربية روحية في نفوس أولادها عدة سنوات، تهدمه الرفقة السيئة في أيام قلائل " [١].

ومثال ذلك ما وصفه سيد الخلق عليه أفضل الصلاة والسلام في الحديث عن أبي بردة بن أبي موسى، عن أبيه رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :**{مثل الجليس الصالح والجليس السوء، كمثل صاحب المسك وكير الحداد، لا يعدمك من صاحب المسك: إما تشتريه أو تجد ريحه، وكير الحداد: يحرق بدنك أو ثوبك، أو تجد منه ريحاً خبيثة}** [٢].

فالحديث فيه دلالة على اختيار الصحبة الصالحة التي تعين على الحق، وبهذا تدفع الأسرة أولادها إلى اختيار الرفقة الصالحة التي تعين على الخير، وقيام العبادات على أكمل وجه، وتعلم العلم، وتقديم النصيحة، وغير ذلك من الأعمال الخيرة حتى تتزكى أنفسهم، ويكونوا من المعنيين على فعل الخير.

والأسرة المسلمة من تزكيتها لأولادها تقوم بإبعادهم عن الحرام، وعن كل ما فيه مفسدة وشر لهم، ولكي تقي أولادها شرور شهواتهم عليها أن تشبع تلك الشهوات بالطريق المشروع، وفي الوقت نفسه تحفظهم عن كافة الطرق غير المشروعة وعدم إعطائهم كل ما تشتهيه أنفسهم ومنعهم من التوسع في الأشياء المباحة، والمقصود من ذلك أن تدرب الأسرة أولادها على جهاد النفس ومحاسبتها، وهو مقاومة الأهواء والشهوات

---

(١) عبد الرحمن عبد الخالق الغامدي، مرجع سابق، ص - ٢٣٤.
(٢) محمد إسماعيل البخاري، مرجع سابق، كتاب البيوع، باب في العطار وبيع المسك، ج - ٣، ص - ٨٦.

التي يتعرضون لها. قال الله تعالى:{وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ} [سورة النازعات آية ٤٠].

وقال تعالى :{وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ } [سورة العنكبوت آية ٦٩].

والأسرة تقوم بغرس في نفوس أفرادها الزهد، وتخبرهم بخسة الدنيا وقلتها، وسرعة منتاها، والترغيب في الآخرة قال الله تعالى:{ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ} [سورة الحديد آية ٢٠].

وتقوم الأسرة بتعويد أولادها على حياة الجد والرجولة وعلى حياة التقشف، وعدم الإغراق في التنعم، وأن تدرب أولادها على الجهاد.

والأسرة المسلمة التي تريد تزكية نفوس أولادها عليها استغلال الوقت، وخاصة وقت الفراغ لأنه من أكبر عوامل الهدم، والتحلل في حياتهم، فالفراغ في أي شكل من أشكاله إذا لم يواجه نحو عمل نافع على الفرد نفسه والمجتمع يكون مدعاة للفساد. عن عبد الله بن سعيد بن هند، عن أبيه؛ قال: سمعت ابن عباس يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :{**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ**} (١).

والأسرة تقوم بتنمية العقل عند أولادها حتى تتزكى أنفسهم من خلال النظر في المخلوقات قال الله تعالى:{أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ} [سورة فاطر آية ٢٧-٢٨].

---

(١) محمد إسماعيل البخاري، مرجع سابق، كتاب الرقائق، باب ما جاء في الصحة والفراغ، وأن لا عيش إلا عيش الآخرة.، ج - ٨، ص - ١٠٩.

والأسرة تلفت النظر لأولادها في سنن الكون ونواميسه وقوانينه التي يسير عليها قال الله تعالى:{وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾} [سورة يس آية ٣٧-٤٠].

والنظر إلى الإنسان وأطواره ونموه المختلفة قال تعالى:{وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾} [سورة الذاريات آية ٢١].

" والنظر إلى العبادات والتأمل في كل عبادة يقوم بها الإنسان قال الله تعالى:{أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} [سورة البقرة آية ١٨٤].

وإلا أصبح الدين تقليداً أعمى وميراثاً محمولاً دون فهم وهذا أمر نهى عنه الإسلام وحرمه " [(١)].

قال تعالى:{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾} [سورة المائدة آية ١٠٤].

والإنسان الذي يؤمن بعقيدة يكون له حق ممارسة النقد على المعارف والنتائج التي يتوصل إليها الإنسان، وللعقل حرية السؤال وفق ضوابط الإسلام، فالأسرة تقوم بتحرير عقول أولادها من قيود السلطة المنحرفة، وتحرير العقل من الفكر المنحرف، وعدم التقليد للآباء الذي يحجر على العقول ويعطل مفعول تفكيره حتى يتزكى تفكيرهم، لذا فالإسلام يتوعد أصحاب العقول المعطلة إلى التهلكة وإلى عذاب جهنم. قال تعالى: {وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ

(١) عبد الرحمن عبد الخالق الغامدي، مرجع سابق، ص - ٢٦٠.

فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾} [سورة الملك آية ١٠-١١].

والإسلام حتى يزكي نفوس الأولاد حرم كل ما يذهب العقل ويشل طاقته، لذا حرم المسكر؛ لأنه فيه اعتداء على نعمة العقل.

قال الله تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾} [سورة المائدة آية ٩٠].

كما حرم الهوى الذي يقيد العقل، ويعيق انطلاقه، وتحرره ويصبح أسير ذلك الهوى. قال تعالى:{وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ} [سورة المؤمنون آية ٧١].

والأسرة تدرب أولادها على مراعاة تنمية قدرة التفكير وحل مشكلاتهم الحيوية، وتعلم تلك المهارة - مهارة حل المشكلات - ولا يتم هذا بشكل عارض إلا بإجابة الأسئلة التي تطرح عليهم، ولا تكتسب بالملاحظة أو تقديم الحلول المناسبة من الأسرة آو الآخرين، وإنما تكتسب بالممارسة إذ " المرء لا يستطيع أن يتعلم السباحة إلا بممارستها، كذلك فإنه لا يستطيع أن يتعلم التفكير وحل المشكلات إلا بممارستها وقتا طويلا " (١).

وحل المشكلات تكون باستخدام الطريقة العلمية " ويكون الحكم والحلول إسلامية منطقية من الأحكام، والقيم الأخلاقية الإسلامية " (٢).

والأسرة بتربية أولادها على الأخلاق فهي تحقق السعادة لهم في الدارين، فالأخلاق لا تقتصر غايتها تحقيق سعادة الدار الآخرة والفوز بالنعيم الأخروي الذي وعد الله به عباده المتقين قال تعالى:{إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٤﴾} [سورة الانفطار آية ١٣-١٤].

(١) جورج شهلا وآخرون، الوعي التربوي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ص - ٥٩.
(٢) عبد الرحمن عبد الخالق الغامدي، مرجع سابق، ص - ٢٥٨.

بل تشمل السعادة الدنيوية المباحة، وان الخلق الحسن هو طريق السعادة والخلق السيئ هو طريق الشقاء.

والأسرة تغرس في أولادها أن الأخلاق الإسلامية تعتبر الواجب الخلقي غاية، فهناك مصالح رفعها الله إلى مرتبة الواجبات كالصلاة والزكاة والصوم وغيرها من العبادات المفروضة " فالذي يؤدي الزكاة إنما يؤديها لأنها واجب ديني، وهو في الوقت نفسه واجب خلقي وبذلك تتوحد الواجبات الدينية والخلقية " (١).

وبتعليم الأسرة أولادها أن الواجبات ليست غايات في أنفسها تطلب لذاتها، ولكن من ورائها الجنة تنتظر من أحسن أدائها، والأسرة إذا طبقت الأخلاق العلمية في القرآن التي تعد عماداً للأخلاق الحسنة أو الفضيلة، والأخلاق في خلاصتها مجموعة من الفضائل والقيم ترقى إلى الخير، فالفضيلة هي الكمال والرذيلة هي النقص. كما أن الفضيلة هي تحليه للإنسان والبعد عن الرذيلة تخلية له.

وعندما " يطلب العلم بالفضائل أولاً أو المعرفة بها على أن يكون العلم مستمداً من القرآن والسنة بطبيعة الحال والقرآن عني بالفضائل وقيمتها، زاخراً بالتوجيهات الخلقية، والدوافع إلى الخير " (٢).

فعلى الوالدين أن يحددوا زمناً يسيراً لتدريس كتاب الله وسنة رسوله، وعند تدارس ذلك معهم، فعند ورود آية مثل:{إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾} [سورة النحل آية ٩٠].

فإنه بمقدور معظم الآباء والأمهات توضيح معاني الفضائل والرذائل التي تشير إليها الآية الكريمة وتوضح " معنى العدل بأنه القسط وترك الظلم والإنصاف من نفسك وكل أفراد المجتمع، والإحسان هو الندب إلى الفضائل، وأن تكون سريرة الإنسان أحسن من علانيته.

(١) أحمد فؤاد الأهواني، التربية في الإسلام، دار المعارف، القاهرة، د. ت. ص - ١٢٦.
(٢) المرجع السابق، ص - ١٣٠.

والإحسان يشمل عدة فضائل عديدة فقد يعني الإتقان والجودة والإخلاص والصدق، ويعنى الرحمة والشفقة " [١]. إذ هي من الأمور التي تعين على تزكية النفس.

فالأسرة تزود أولادها بالمعارف الكافية عن الفضيلة، وعن كل رذيلة حتى لا يقع فيها، ويتم ذلك بتزويدهم بالتعليل والتفسير وتحليل الخلق أو توضيح دقائقه والعلة في حكمه، وبذلك تكون عندئذ قد علمت أولادها التمييز بين الخير والشر، ويكون بذلك على الاقتناع بأن الخير في الفضيلة وبه تتزكى النفس، وأن الشر في الرذيلة و به لا تتزكي النفس.

والأسرة توجه الأنظار إلى أن هناك رابطًا أساسيًّا لتزكية النفس في الإسلام، وهو رابط الدين وهو من أهم الروابط التي تؤدي إلى تزكية النفس، كما تؤدي هذه الرابطة إلى الأخوة، وهي من أهداف تزكية النفس، وهذه الرابطة تعمد إلى توحيد العبادة والأحكام والشرائع والمعاملات.

لذا فالإسلام " هو النظام الإلهي الذي ختم الله به الشرائع، وجعله الله نظاماً كاملاً شاملاً لجميع نواحي الحياة، وارتضاه لتنظيم علاقة البشر بخالقهم، وبالكون والخلائق، وبالدنيا والآخرة، وبالمجتمع والزوجة والولد والحاكم والمحكوم، ولتنظيم كل الارتباطات التي يحتاج إليها الناس تنظيماً مبنياً على الخضوع لله وحده، وإخلاص العبودية له، وعلى الأخذ بكل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم " [٢].

وبهذا الرابط تنشأ الأسرة وأفرادها على تزكية النفس والبعد عن كل ما هو رذيلة التي تؤدي إلى عدم تزكية النفس، وكذلك كل حرام كأكل أموال الناس بالباطل والربا والقمار والرشوة والغش والتدليس وكافة صور الظلم والطغيان.

(١) إسماعيل عمر بن كثير، مرجع سابق، ج - ٢، ص - ٥٨٢.
(٢) عبد الرحمن النحلاوي، مر جع سابق، ص - ١٧.

ثانياً: المدرسة: ـ

المدرسة لها دور في التربية والتعليم، ولذا فهما حق لكل مسلم، كما أن لها دور في تزكية النفس، وذلك من خلال الدور التربوي الذي تقوم به، حتى تكون المدرسة وسطاً تربوياً صالحاً لتزكية النفس فالمجتمع أوجد هذه المؤسسة التربوية للقيام بدور معاضد ومكمل لوظيفة المنزل الذي يسعى بالأولاد إلى كماله البشرى، والمدرسة تقوم برعاية الأولاد لإعدادهم للحياة في المجتمع بالإضافة إلى أنها " مؤسسة تربوية تنقل تراث الأمة للأجيال الناشئة وتكون عوناً قوياً على نهضة المجتمع وتقدمه، وهي أداة لإصلاح المجتمع وتطوره ورسالتها امتداد لرسالة المسجد، والمجتمع الذي لا يدرك هذا المعنى يفصل بين عقيدته وحياته، ولا يؤسس علمه على الإيمان بالله سبحانه وتعالى " (١).

والإنسان المسلم الذي لا يشعر بأهمية المدرسة في تزكية النفس لن يكون همه إلا تحصيل الشهادة بأي وسيلة كانت، وإن كانت غير شرعية، فالنشاط الصفي واللا صفي له قيمة تربوية في بناء شخصية هؤلاء الأولاد، وصقل مواهبهم وقدراتهم، وتعمل على حلول كل مشكلة من خلال ما تقدمه للأولاد، وإعمال فكرهم لإيجاد الحلول لكل مشكلة، وإثارة الحماس لحلها والوصول إلى أحسن النتائج، كلما عملت المدرسة على خروج الطلاب من الفصل إلى الهواء الطلق للتجول والزيارة والمشاهدة وجمع المعلومات والاتصال الشخصي، والالتحام مع عناصر البيئة البشرية والجغرافية، وجمع المعلومات والعينات، وتسجيل الحقائق كلما ضمنت الفاعلية والنشاط، والإقبال على دروسهم، والبحث عن المعرفة (٢). التي تصل بهم إلى تزكية النفس، وتقوم المدرسة بغرس الإيمان في الأولاد، حتى يبني أهدافها على قواعد وأسس.

---

(١) بشير التوم، التربية والمجتمع، جامعة أم القرى، المركز العالمي للتعليم والإسلامي - مكة المكرمة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ص - ٢٢.

(٢) محمد زكي عوض، أطفالنا والتربية، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م، ص - ٦٤.

وللمدرسة وظائف يمكن إيضاحها فيما يلي: -

١) وظيفة معرفية:

تعني قيام المدرسة بتعريف الدارس وتعليمه المقررات العلمية تعليماً يكسبه فهماً، وإتقان لمحتواها.

٢) وظيفة عملية:

كما أن الجانب المعرفي ليس مقصورا لذاته، وإنما وسيلة للتطبيق الصحيح فإن العلم بدون ممارسته عمليا لا قيمه ولا ثمرة له...

وهذه الوظيفة العملية تشمل أمرين: -

أ) التخلية: - وهي تخلية الدارس من الجهل والانحراف في جانبه العقدي والتعبدي والأخلاقي والفكري والمهني

ب) التحلية: - وهي تربيته على جوانب الخير في عقيدته، وعبادته، وأخلاقه، ومهنته تطبيقاً عملياً لا نظرياً " [1].

" فواجب المدرسة أن تحافظ على الفطرة الإنسانية السليمة، وأن تعمل على تنميتها وتزكيتها باستمرار، فالتعليم بدون تربية وتزكية تعليم ناقص " [2].

ومن خلال قيام المدرسة بوظائفها ومنها العلمية تقوم بتزكية العلوم الكونية والتاريخية وغيرها من الخلقية والعقائدية الإلحادية التي صيغت فالمدرسة تقوم بتزكية النفس وذلك بتطهير العقائد من الانحراف، وتصفية الحقائق العلمية، وتنقيتها من الشوائب، والأخطاء، والمبالغات، والأكاذيب لتبقى عقيدة الأولاد سليمة، وعقولهم قويمة ومعارفهم صحيحة.

لذا " فإن العلوم - سواء منها الدينية أو الكونية - تمر على أجيال متتابعة ومجتمعات مختلفة في النوازع والعقائد فلا تبقى على حالها بل تتحمل

(١) خالد حامد الحازمي، أصول التربية الإسلامية، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ص - ٣٤٣.

(٢) زغلول راغب النجار، أزمة التعليم المعاصر وحلولها الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ص - ١٣٨.

كثيراً من الشوائب والمبالغات الكاذبة والاعتبارات الصادرة عن بعض المجتمعات في ظروف غير طبيعية، قد يكون الناس فيها أميل إلى الارتماء في أحضان التعليلات غير العلمية، فتتغير حقائق هذه العلوم، فإذا أعطيت للناشئين من غير تصفية أو تطهير فقد ينحرفون عن العقيدة الصحيحة والفطرة السليمة ولذلك تعمد المدرسة إلى تصفية الحقائق العلمية، وتنقيتها من الشوائب " (١).

فالمدرسة تقوم بتنمية الجانب الروحي، والعقدي، والعقلي والفكري، وتأخذ في الاعتبار ميولهم واهتماماتهم في الجوانب المتنوعة، وإذا كانت المدرسة وجوها يسمح بحرية التفكير، وحرية إبداء الرأي وحرية النقد، مع المعاملة بالأخلاق الإسلامية السمحة كانت تزكية النفس من خلال هذه المعاملة الحسنة " (٢).

وتستطيع المدرسة القيام بوظيفتها على النحو المطلوب من خلال ما يلي:

أ/ المعلم:

يتولى المعلم توجيه المتعلم، وتزكيته وتطهيره والسمو به، ودعم ما هو مرغوب فيه في النفس والمعتقد والسلوك، وانتزاع ما هو غير مرغوب فيه وإحداث التغير اللازم على ضوء ذلك " (٣).

قال الله تعالى:{وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝} [سورة الشمس آية ٧-١٠].

وقال تعالى:{رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ} [سورة البقرة آية ١٢٩].

(١) عبد الرحمن النحلاوي، التربية الاجتماعية في الإسلام، دار الفكر، دمشق، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ص - ١٢٧.
(٢) علي راشد، مفاهيم ومبادئ تربوية، دار الفكر، القاهرة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ص - ٣٥.
(٣) نبيل السمالوطي، التنظيم المدرسي والتحديث التربوي، دار الشروق، جدة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ص - ١٨٨.

فالمعلم يقوم بتعليم الإنسان كمال أمره بتعريفه الحق ومعرف الخير لأجل العمل به، واعلم أن كمال الإنسان في أمرين أحدهما أن يعرف الحق لذاته والثاني أن يعرف الخير لآجل العمل به فإن أخل بشيء من الأمرين لم يكن طاهراً من الرذائل ولم يكن زكياً عنها " (١).

" ولما كان دور المعلم تنويرياً وإرشادياً، ويفتق المواهب والطاقات الكامنة ويهدي إلى الحق والخير والصواب " (٢).

فعليه تبصير الأولاد بالحقائق قال الله تعالى:{قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ} [سورة يوسف آية ١٠٨].

وأهم وظائف المعلم: -

١) " التزكية والتطهير والسمو بالنفس إلى بارئها، وأبعدها عن الشر، والمحافظة على فطرتها.

٢) التعليم أي نقل المعلومات والعقائد إلى عقول المؤمنين وقلوبهم ليطبقوها في سلوكهم وحياتهم " (٣).

فالمعلم له تأثيره على المتعلمين؛ إذ يلتفون حوله للاستفادة من علمه، فهو القدوة، والناصح والمربي والموجه والمؤدب، وتعتبر مكانة المعلم عظيمة، وكريمة ومسؤولية ذات أهمية كبيرة؛ لذا عليه أن يتصف بصفات ضرورية لكل مسلم وهي أشد ضرورة بالنسبة للمعلم المسلم الذي يتوقع منه المجتمع أن يساعد على غرس الإيمان في قلوب الطلاب، وعلى إرساء قواعد الإيمان الصحيح بين كافة أفراد المجتمع (٤) بالإيمان بالله، وعبوديته له، والتمسك بتعاليم الدين، وامتثال أوامره بأداء واجباته

(١) محمد الرازي فخر الدين، مرجع سابق ج - ٢، ص - ٧٥.
(٢) محمد إسماعيل عمار، العلاقة بين الطالب والمعلم، رؤية إسلامية، دار المسلم، الرياض، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، ص - ٤٢.
(٣) عبد الرحمن النحلاوي، مرجع سابق، ص - ١٧١.
(٤) عمر التومي الشيباني، من أسس التربية الإسلامية، المنشأة العامة للنشر ة التوزيع، طرابلس، ليبيا، ١٤٠١هـ - ١٩٨٢م، ص - ١١٢.

ومستحباته، واجتناب نواهيه. قال الله تعالى:{وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [سورة الذاريات آية ٥٦].

وأن يتحلى بالأخلاق الفاضلة فأولى الصفات تقوى الله، وما يرتبط بها من طهارة القلب، وصفاء الضمير، وإخلاص الطاعة، وصفاء العبادة.

وتتمثل صفات المعلم الذي زكى نفسه، وأصبح قدوة لطلابه:

أولاً: الإيمان بما أوجب الله.

ثانياً: مطابقة القول العمل.

ثالثاً: الإخلاص [(١)].

رابعاً: التحلي بالأخلاق الفاضلة كالعدل والأمانة و الرحمة.

خامساً: العمل على تنمية التفكير للأولاد، وتنقيته من الانحرافات العقدية والفكرية.

سادساً: العمل على تزكية نفسه وجسمه أولاً، ثم الأولاد بما فيه خيرهم وصلاحهم بحيث يصبح قدوة لهم، فيقتدوا به كمعلم للأولاد الخير.

سابعاً: أن يعمل المعلم على إيضاح مفهوم تزكية النفس لدى الأولاد من طلاب العلم، وكيفية الوصول إليها، والطريقة التي تصبح بها النفس زكية كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم مع صحابته رضوان الله عليهم.

لذا " فإن المعلم لا عناصر المناهج الأخرى، هو الموجه الفعال في المدرسة فعلى التزامه بعقيدته الإسلامية، وإدراكه للفكر التربوي المنبثق عنها، وقوة شخصيته، وسعة اطلاعه، وحسن فهمه، وقدرته على التفكير والتمحيص، وقدرته على تفهم تلاميذه ومجتمعه، يتوقف نمو شخصيه تلاميذه نحو الأفضل والأكمل، كما أن هذه الصفات تجعل للمعلم المسلم هيبته في نفسه، وتعلى مكانته في المجتمع، وتكسبه حب تلاميذه وتقديره وتوقيرهم، مما يجعل لأقواله وأفعاله تأثيراً واضحاً في سلوكهم " [(٢)].

(١) المرجع السابق، ص - ١١٦.
(٢) بشير حاج التوم، السبيل إلى بناء فكر تربوي إسلامي لدى المعلم، مركز البحوث

والخطر في عدم وجود القدوة لذا " فليس أخطر من معلم لا يصلح أن يكون قدوة حسنة لطلابه " (١).

فالمربي الذي لا يكون قدوة لطلابه في عقيدته وسلوكه لا يمكن أن ينجح في تربية شخصياتهم المتكاملة... إن المربي الذي لا يؤمن بعقيدة الأمة الإسلامية؛ بل يؤمن بنقيضها، وينشر فكراً غير فكر هذه الأمة ديناً وتاريخاً وحضارة غير مؤتمن على تربية أجيال هذه الأمة التربية السليمة (٢).

إذن فالمعلم الذي تكون هذه شخصيته ليس له عقيدة يعتز بها هو وأمته لا يستطيع أن يحقق تزكية النفس للأولاد في المدارس، ولا يستطيع أن يعطي الفكر الصحيح، ولا يستطيع أن ينقي فكرهم من الشوائب والانحراف الفكري، ويصبح وبالاً على أمته وعالمه.

لذا على المعلم أن يكون قدوة في جوانب يجب التأكيد عليها: -

١) **المعاني والقيم التي يدرسها المعلم**: وهي متعددة، وأهمية هذا الجانب أن الأولاد بمجرد سماعهم لكلام المعلم حول هذه القيمة المطروحة، يبدأ يفتش في واقعه فإن وجد تحقيقاً لها كان ذلك مدعاة لتمثلها، وإن وجد العكس رد القيمة بازدراء عارضها وملقنها...

٢) **الألفاظ والعبارات**: وهذا الجانب مما ابتلى به كثير من المعلمين السيئين الذين لا يتورعون عن التلفظ بشتى أنواع الألفاظ خاصة ساعة الغضب...

٣) **الصلاة**: وأهميه الصلاة من كونها أهم القيم التي نسعى لغرسها في نفوس الأولاد كوننا أمة مسلمة، والصلاة من أعظم شعار فيها...

٤) **الوفاء بالوعد**: وهو من المعاني التي ينظر إليها الطالب نظرة حاسمة،

التربوية والنفسية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ص - ١٣.

(١) زغلول راغب النجار، أزمة التعليم المعاصر، مرجع سابق، ص - ٦٩.

(٢) إسحاق أحمد فرحان، أزمة التربية في الوطن العربي من منظور إسلامي، دار الفرقان للنشر، عمان، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ص - ١٧.

بل يعتبرها من المعايير التي يتم من خلالها تقييم مصداقية المعلم " [١].

والأصل أن يُرى المعلم يسابق إلى الصلاة مع الجماعة في المدرسة، وإلى كل خير، ويبتعد عن كل شر حتى يؤدي ذلك إلى تزكية النفس له وللطالب.

والمعلم المسلم لن يستوعب الاستيعاب الشامل للمعارف مادام ليس ملتزماً بقضية، إذ " ليس للمسلم من قضية يلتزم بها سوى الإسلام... إنهم عادة يقنعون باستنساخ ما حصلوه من معارف جزئية أو بترجمتها، وهذا يؤدي بهم وبطلابهم إلى ضعف مستوى الأداء على أحسن الاحتمالات " [٢].

لذا يحتاج المدير أو المعلم أموراً حتى يحقق تزكية النفس للطلاب: -

١) إيمانه بأن التعليم رسالة يؤديها في الحياة لا مجرد وظيفة يكسب منها لقمة عيشه، وفي سبيل أداء الرسالة يكون له صفات يلتزم بها الإيمان بالله والتقوى والإخلاص في كل ما يقوم به، ويلتزم ما أمره يبتعد عما نهى وأن يكون التحلي بالأخلاق الحسنة أساس له.

٢) الزهد عما في أيدي الطلاب، وعمل واجباته كاملة، بإخلاص في عمله، والصدق في إيصال المعلومات الصحيحة، وبذل الجهد بوجود الرقيب وعدم الرقيب.

٣) تنمية المهارات العقلية لدى الطالب كمهارة التحصيل، ومهارة التفكير، ومهارة اكتشاف العلاقات " التي تعتمد على تفكير المتعلم، في تحديد خصائص مشتركة بين أشياء، حيث يتمكن المتعلم من خلال العلاقات من الوصول إلى الكثير من النتائج التي يجهلها " [٣].

---

(١) عبد الله يحي الكمالي، الطريق إلى التمييز التربوي، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، ص - ٧٤ - ٨٠.

(٢) إسماعيل الفاروقي، أسلمة المعرفة، دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع، الكويت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ص - ٣٤.

(٣) عبد الرحمن عبد الله المالكي، مهارات التربية الإسلامية، كتاب الأمة، وزارة الأوقاف

٤) توجيه المتعلم وإرشاده إلى ما يوافق استعداداته وقدراته، بحيث لا يكلف ما لا يمكن أن يصل إليه فهمه، فيتم إفهامه المعنى المقصود من تزكية النفس حسب طاقته وقدراته.

٥) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر داخل الفصل وخارجه، وضمن إطار المنهج، أو من خلال النشاط.

٦) الاهتمام بالوقائع التي تحصل داخل المجتمع بإيضاح أخطارها، ومحاولة حث المتعلم تجنبها كلما أمكن ذلك.

٧) " ربط كافة المواد الدراسية في شتى الفنون بالعلوم الشرعية، وعدم مخالفة محتوى أي من المواد لعلوم الشريعة الإسلامية " [1].

٨) الدعوة إلى الله وهي " حث الناس على الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل " [2]. لأن المتعلم لا يستطيع أن يميز بين الخير والشر، والمعروف و المنكر، فقد يبدو الشر في لباس الخير فيقع فيه أو يبدو الخير في لباس الشر فيعرض عنه.

لذا كانت الحاجة ماسة في المدرسة إلى المعلم المصلح الناصح الذي يطهر النفوس من أدران النقائص، ويحرر العقل من رق الأهواء والشهوات، ويعرفون كيف يتقون الفتنة.

٩) اختيار الأساليب والطرق التي توصله إلى هدف تزكية النفس، بالنظر فيما أوصى سيد الخلق أجمعين محمد بن عبدالله صلوات ربي عليه وسلامه من الرحمة والشفقة والحنو على المتعلم.

فإذا كان المدير والمعلم بهذه الصفات التي يغلب عليها التمسك بالإسلام، والمحبة في الله، ومحبة المرء لأخيه ما يحبه لنفسه، كانت التزكية لأنفسهم.

و الشؤون الإسلامية، قطر، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص - ١١٩.

(١) عبدالله عبد الحميد محمود، إعداد المعلم من منظور التربية الإسلامية، مكتبة الغرباء، المدينة المنورة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، ص - ٥٥.

(٢) على محفوظ، هداية المرشدين، دار الاعتصام، القاهرة، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ص - ١٧.

ب) المناهج: -

يقصد بالمناهج المواد الدراسية المقررة على الطلاب والطالبات داخل المدرسة، ومن خلال محتوى المناهج الدراسية العلمية تعبر عن الأهداف التربوية والعلمية، والأنماط السلوكية المرغوب غرسها فيهم كالتقوى والخشية من الله والإيمان باليوم الآخر وحب الفضيلة " [١].

فالمناهج أحد الوسائل الأساسية لإعداد الفرد وإكسابه المهارات اللازمة لتهيئته للحياة الدنيا والآخرة، لذلك يجب اختيار المنهج الذي يحتوي على المحتوي العلمي ويسد حاجاته، وينمي الوازع الديني الذي تتزكى به نفسه في الجانب العقدي والتعبدي وينمي الجانب الأخلاقي والاقتصادي والعلمي الذي يسد حاجة الأمة من التخصصات الذي يرفع الأمة إلى التقدم العلمي. ولابد أن يشرف على المناهج ووصفها متخصص في العلوم الشرعية حتى يتم استبعاد كل ما يؤدي إلى الانحراف العقدي، والذي يؤدي إلى ضياع الأمة.

والمناهج تعني " أن كل ما يعطي لجيلنا المؤمن لابد أن يكون في إطار إيماني قرآني يكون الإسلام محوره أو لا يتنافى مع الإسلام بحال من الأحوال " [٢]، ولكي تؤدي المناهج الدراسية دورها في تزكية النفس ولتحقق " الهدف منها لابد من إكساب المتعلم هذين الأسلوبين:

١) أسلوب التربية الذاتية أو التعليم الذاتي.

٢) أسلوب التربية المستمرة أو التعليم المستمر " [٣].

أولاً: التربية الذاتية أو التعليم الذاتي: -

هو أحد الأساليب التربوية التي أظهرت البحوث المختلفة أهميتها

(١) أبو الحسن على الندوي، نحو التربية الإسلامية الحرة، دار المختار، القاهرة، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦، ص - ٢٠.

(٢) يوسف العظم، نحو منهاج إسلامي أمثل، دار الفرقان، عمان، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ص - ١٨.

(٣) إبراهيم محمد عطا، المناهج بين الأصالة والمعاصرة، دار النهضة المصرية، القاهرة، ١٤٠٢هـ - ١٩٩٢م، ص - ٢٨٤، وص - ٢٨٥.

وقيمتها، ودعت المناهج الدراسية إلى تأصيلها لدى النشء بمجرد دخوله المدرسة.

فالتربية الذاتية أو التعليم الذاتي هو " الذي يحصل نتيجة تعلم الفرد نفسه بنفسه أو هو عبارة عن مجموعة من العمليات التي تساعد على تحسين التعليم عن طريق تأكيد ذاتيات الأفراد المتعلمين، ومن خلال برامج تعليمية معينة تعمل على خلق اتجاهات ومهارات ضرورية لدى المعلمين والطلاب " (١).

ثانيا: التربية المستمرة أو التعليم المستمر: -

أصبحت التربية المستمرة أو التعليم المستمر مطلباً ملحاً تفرضه طبيعة العصر، وضرورة لا غنى عنها لمن يريد أن يسهم في الحياة بفاعلية واقتدار، " وهي ممارسة الفرد للتربية والتعليم في شكل رسمي ممثلاً في المدرسة والجامعة أو في شكل غير رسمي في كل مرحلة من مراحل عمر الفرد دون انقطاع " (٢).

إذن فالتربية المستمرة أو التعليم المستمر " مدى الحياة لم يعد قاصراً على المدارس أو على فترة زمنية محدودة، فهو يربط كل الأنشطة التعليمية في المجتمع ومصادره، ويهدف من ذلك إلى التنمية الكاملة للأفراد والإسهام في تنمية المجتمع ككل وترابطه وإحداث التغيير فيه، فإن التعليم مدى الحياة شيء تكاملي وشامل يربط عناصر متباينة في النظم التعليمية، ويضع الخطوط العريضة للبناء، وإعادة صياغة مركبات النظام التعليمي التربوي " (٣).

ولقد أوضح آخر معنىً للتربية المستمرة " إعادة تأهيل وتطوير الكفاءات والقدرات الخاصة في مراحل حياتهم المختلفة بما يرتفع بهم مستوى

---

(١) إبراهيم محمد عطا، المناهج بين الأصالة والمعاصرة، دار النهضة المصرية، القاهرة، ١٤٠٢هـ - ١٩٩٢م، ص - ٢٨٤، وص - ٢٨٥.

(٢) المرجع السابق، ص - ٢٨٩.

(٣) د. أيرلند تيموثي، رؤية جيلي للتربية المستمرة، مانشستر، جامعة مانشستر، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، ص - ٢١.

مناسب من الجودة والاتقان والتفوق في عملهم " [١].

فالتربية مدى الحياة تتضمن عنصرين أساسيين:

١) **العنصر الأول:** هو استمرار العملية التربوية بلا معوقات من أجل تحقيق ما يطمع إليه كل فرد من الأفراد في مجتمع من المجتمعات وتنمية ما لديه من إمكانيات واستعدادات.

٢) **العنصر الثاني:** هو الإعداد لمواجهة المتطلبات الملحة للعالم في الوقت الحاضر.

٣) **العنصر الثالث:** مشاركة المجتمع في عملية التعليم عن طريق مساواة الفرص التعليمية للجميع.

فالتربية الذاتية والمستمرة أو التعليم الذاتي والمستمر ضرورة لتزكية النفس ما دام الإنسان يعيش، فهو يحتاج إلى أن يتزود بالمعارف والمعلومات التي تجعله يخلص في العمل، ويزيد من حاجاته المعرفية من خلال ما يراه من تقدم علمي.

والتربية الذاتية والمستمرة يحتاج إليها الإنسان المسلم في التربية الإسلامية، فكلما كان لديه الاستعداد ليزيد في الأعمال الصالحة الدنيوية والأخروية.

لذا فالمنهج الإسلامي لابد له من صفات خاصة به: -

١) أن يكون موافقا للفطرة الإنسانية، ويعمل على تزكيتها، وحفظها من الانحراف.

٢) أن يكون محققًا لهدف التربية الإسلامية الأساسي (إخلاص الطاعة والعبادة لله) ولجميع أهدفها الفرعية التي ترمى إلى تقدم الحياة وتوجيهها لتحقيق هذا الهدف في جميع جوانب الثقافة والتربية، التي وضع المنهج لتعهدها والنهوض بها كالجانب العقلي والوجداني والجسمي

(١) محمود قمبر، تعليم الكبار، مفاهيم، صيغ، تجارب عربية، الدوحة، دار الثقافة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ص - ٢٧.

والاجتماعي.

٣) أن يراعي المنهج في تطبيقاته ونشاطاته وأمثلته ونصوصه حاجات المجتمع الواقعية، ومنطلقاته الإسلامية كالاعتزاز بالأمة الإسلامية والولاء لها، وذلك بتحقيق الولاء لله والطاعة لرسوله صلى الله عليه وسلم وحاجة الأمة " [١].

فالمناهج أهم وسيلة تربوية هي " رفيق الطالب في المنزل والمدرسة فلابد من شيوع الروح الإسلامية في كل الكتب المقررة في شتى أنواع المعارف والعلوم، وأن برامجنا وكتبنا وكل وسائل المعرفة الأخرى ينبغي أن تدور حول " الله، الإنسان، الكون " على نحو يقر في الأنفس والأذهان، وأن العلاقة بين الله والإنسان علاقة عابد ومعبود، ومنعم ومنعم عليه، وأن العلاقة بين الإنسان والكون... علاقة مستعين ومستعان، وأن الكون مسخر من الله للإنسان ليعينه على القيام بأعباء عبوديته لله " [٢].

وكل هذا حتى يتزكى الإنسان الذي تربى تربية إسلامية.

والمناهج الدراسية لابد أن تكون لها رؤية تربوية تنطلق منها، فتقوم على مجموعة من الأسس المستمدة من أصول الإسلام وأركانه، وأركان الإيمان، وشريعة الإسلام العملية المطبقة في الحياة، " لذا فإن الرؤية الإسلامية تقوم على الإسلام الشامل الذي يشمل كل حركة في الحياة من قول وعمل، ومن قمة لا إله إلا الله إلى إماطة الأذى عن الطريق، فكل عمل من هذه الأعمال الصالحة تصلح به حركة الحياة، يكون في إطار مفهوم الإسلام " [٣].

(١) عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص - ١٩٧.
(٢) أحمد محمد البيلي، التصور الإسلامي لمناهج التربية والتعليم، سلسلة بحوث المؤتمر العالمي الأول للتعليم الإسلامي، جامعة أم القرى، المركز العالمي لتعليم الإسلامي، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ص - ٤٠ - ٤١.
(٣) حامد سالم الحربي، الأسس الفكرية للمناهج الدراسية، مركز البحوث التربوية والنفسية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ص - ٢٢.

فالمنهج الدراسي لابد أن ينطلق من رؤية تربوية إسلامية في إطار تربية إيمانية إلهية تتصف بالسمو والكمال والاستمرار والدوام، وهي تربية واقعية تهدف إلى تحقيق تزكية النفس لأفراد المجتمع حتى يحققوا سعادة الدنيا والآخرة.

قال تعالى:{وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ } [سورة الأعراف آية ١٥٦-١٥٨].

لذا لابد من بيان تزكية النفس من خلال المنهج الذي يبنى على أسس هامة وهي كما يلي: -

١) الأساس العقدي: -

إن تكوين المنهج الدراسي على هذا الأساس المستمد من العقيدة الصحيحة، والتي هي أصل دين الإسلام، وأساس الملة والشريعة، " ومعلوم بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة أن الأعمال والأقوال تصح وتقبل إذا ما صدرت عن عقيدة صحيحة، فإن كانت العقيدة غير صحيحة بطل ما يتفرع عنها من أعمال وأقوال " (١).

قال تعالى:{وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ

(١) عبد العزيز عبدالله بن باز، العقيدة الصحيحة وما يضادها و نواقض الإسلام، دار القاسم للنشر، الرياض، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ص - ٣.

ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾ } [سورة المائدة آية ٥].

كما أن الإيمان بالله أساس لجميع الأقوال والأعمال، ولا ينتفع الناس بأعمالهم وأقوالهم إلا إذا كانوا مؤمنين حقاً بالله تعالى. قال تعالى:{مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾} [سورة النحل: آية ٩٧].

فالمناهج الدراسية الصحيحة يجب أن تبنى على أساس " العقيدة و الإيمان الصادق لأن ذلك يجعلها تتصف بالعدل والرحمة والإحسان، حيث هذه الصفات تطبقها عقيدة الإسلام، وهذا يدفع واضعي المناهج أن يلتزموا بالإسلام عقيدة وشريعة ونظام حياة، ليرتقوا بمن يتعلمون هذه المناهج، ويمارسونها على طريق أهل الهدى والكرامة والعزة والإيمان ناجين من أهل الضلال والخسران " (١). وبذلك تتزكى أنفس الذين يتعلمون بإذن الله تعالى.

لذا فإن المناهج الدراسية لا تكون ذات قيمة مفيدة في الحياة الدنيوية والآخرة إلا إذا بنيت على هذا الأساس العقدي، إذ هو من أهم الأسس العامة للمنهج، حيث لا يصلح غيره بدونه ومن خلال الأساس العقدي يجعل الإنسان " مهمته العليا عبادة الله وتزكية النفس بذلك، والبعد بها عن الانهيار والانحراف والانحطاط والزلل والانغماس في الشهوات " (٢).

٢: الأساس التشريعي:

يرتبط الأساس التشريعي للمنهج الدراسي بالأساس الاعتقادي، حيث لا يتم الإيمان الصادق بالأساس الاعتقادي إلا بإتباع الأساس التشريعي والرضا بذلك.

قال الله تعالى:{وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن

(١) حامد سالم الحربي، مرجع سابق، ص - ٢٥.
(٢) عبد الرحمن النحلاوي، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، الكتب الإسلامي، دمشق، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ط٢، ص - ٤١.

يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا}
[سورة الأحزاب آية ٣٦].

والأساس التشريعي يمثل " النظم التي شرعها الله تعالى أو شرع أصولها ليأخذ الإنسان بها نفسه في علاقته بربه، وفي علاقته بأخيه المسلم، وعلاقته بأخيه الإنسان، وعلاقته بالكون وعلاقته بالحياة " (١).

فالأساس التشريعي يعتبر من الأهمية بمكان في الأسس الفكرية التي تستند إليها الأحكام المنظمة التي شرعها الإسلام لانتظام أمور الناس، وضبط تصرفاتهم في القول والعمل، ولكي يسير الناس على هداها فعلاً وتركاً أي فعل المأمورات و ترك المنهيات، والتي تؤدي إلى تزكية النفس.

ومن خلال الرؤية التربوية الإسلامية التي تنفرد عن غيرها من الرؤى بأن الأساس التشريعي للمنهج يرتكز على أن المشرع هو الله سبحانه وتعالى.

فيراعى عند بناء المنهج أحكام الشريعة الإسلامية، وذلك " بالتمسك بالكتاب العزيز والسنة النبوية المطهرة، لأن حاجة المناهج للعمل بالشريعة عند المسلمين واجبة، ومراعاة المناهج لما شرعه الله تعالى في الدين الإسلامي يمثل الأصالة والمعاصرة والتجديد والتطور إلى الأفضل " (٢).

فالتمسك بالشريعة الإسلامية يمثل الأساس التشريعي في المناهج الدراسية، وهو الأساس الفكري العام المشترك للمناهج حيث يمكن أن تتوحد، وتجتمع عليه الأمة الإسلامية في مناهجها الدراسية.

وعلى أي حال فإن الأساس التشريعي يملأ فراغاً كبيراً في حياة الأمم من حيث فهمه ودراسته وتطبيقه، وما يترتب عليه.

---

(١) محمود شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة، دار الشروق، القاهرة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ط١٥، ص - ١٠.

(٢) حامد سالم الحربي، مرجع سابق، ص - ٢٧.

لذا فالنظام الاجتماعي كله قائم على احترام الأساس التشريعي، ولأن استتاب الراحة والأمن لجميع المواطنين، لا يتحقق إلا باحترام التشريع، ولأن العلاقات الاجتماعية لا تستقيم، ولا تأخذ مجراها الطبيعي إلا باحترام التشريع [(١)]، وتطبيقه في السلوك.

لذا يعد الأساس التشريعي من الأهمية بمكان في الأسس العامة للمنهج من خلال الرؤية التربوية الإسلامية، وله ثمرة واضحة في مجال التطبيق، ولأن معرفة هذا الأساس يفيد الإنسان في الدنيا والآخرة، و به تتزكى النفس بإذنه تعالى.

٣) الأساس التعبدي: -

هو من الأسس التي تقوم عليها المناهج، ومن هنا يمكن القول: إن الأساس العقدي، والأساس التشريعي يحتاجان إلى العمل بمقتضاها، وهذا العمل يمثل الأساس الممارس في واقع الحياة، والمشاهد من الإنسان في فعله للمأمورات، وتركه المنهيات، والأساس التعبدي يتمثل في معنى العبودية لله تعالى بمعناها الشامل.

فالعبودية " اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، فالصلاة والزكاة، وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين، وصلة الأرحام والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والذكر والقراءة وحب الله تعالى، وحب رسوله صلى الله عليه وسلم ، وخشية الله تعالى في السر والعلن، والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه والشكر لنعمه،... هي من العبودية لله تعالى، فالعبودية هي الغاية المحبوبة، لله تعالى والمرضية له، والتي خلق الخلق لهما، و بها أرسل جميع الرسل عليهم أفضل الصلاة والسلام " [(٢)].

قال الله تعالى:{وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾} [سورة الذاريات آية

(١) عبد الرحمن النحلاوي، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، مرجع سابق، ص - ٤٧.

(٢) أحمد عبد الحليم بن تيمية، العبودية، مرجع سابق، ص - ٢٠.

٥٩].

فالعبودية " اسم جامع لكل ما يحبه ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة و الباطنة فهي القيام بعقائد الإيمان، وأخلاقه وأعماله محبة لله وخضوعاً له " (١).

ولذلك عندما نبني المناهج الدراسية على هذه الأسس العامة، ومن خلال الرؤية التربوية الإسلامية تتزكى النفس بإذن الله تعالى.

٤ـ الأساس الخلقي: ـ

الإنسان خلقه الله على فطرة سليمة، و بهذه الفطرة السليمة جعل فيه الخير، ودفعه إليه دفعاً من خلال تمسكه بالعقيدة الصحيحة، واتباع شرع الله القويم في شؤون حياته، لذا نجد من الأهمية بمكان عندما نبني المناهج الدراسية الاعتماد كل الاعتماد على الأساس العقدي والأسس التشريعية، والأسس التعبدية، ولابد من الأساس الأخلاقي الذي به تستقيم الحياة الدنيا والآخرة.

فالأساس الخلقي يعد من الأسس المهمة في بناء المناهج، وتطويرها إلى الأحسن، " لأنه يؤدي إلى توجيه المناهج توجيهاً مثمراً لصالح الفرد والجماعة حيث إن فساد الأخلاق يؤدي إلى هلاك الأمم " (٢).

قال الله تعالى:{وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴿١٦﴾} [سورة الإسراء آية ١٦].

فمن خلال هذه الأسس التي يبنى عليها المنهج تتزكى نفس المتعلمين بإذن الله تعالى وحوله وقوته.

جـ ـ النشاط

النشاط الذي تقوم به المدرسة لابد أن يكون هادفًا، وله أهمية في حياة

(١) عبد الرحمن ناصر السعدي، فوائد قرآنية، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، د. ت، ص ـ ١٤.
(٢) حامد سالم الحربي، مرجع سابق، ص ـ ٣٣. ٤

الطلاب، ويكون بناؤه على سياسة تعليمية إسلامية، هدفه بناء الإنسان المسلم في عقيدته وعبادته. وتفكيره وخلقه، وسلوكه الاجتماعي.

لذا نجد أ ن هناك نوعين من النشاط: -

" ١) نشاط ترويحي مسموح به شرعاً، يزيل الملل والكآبة، ويرح النفس ويجدد العزم.

٢) نشاط تربوي الهدف منه، بالإضافة إلى الترويح، تربية الجسم والعقل والروح " [(١)].

فالنشاط الرياضي هو وسيلة لتربية الجسم كما يتخذ النشاط العقلي وسيلة للتربية العقلية، والنشاط الروحي وسيلة لتربية الروح وكل هذه النشاطات إذا أخلص فيها الإنسان المسلم لله ومرضاة له أصبحت عبادة، فهي إذن نشاطات لا ينبغي أن تكون مصطنعة يقصد بها إرضاء الآخرين، ولا ينبغي أن يكون الدافع إليها حب الظهور أمام الناس.

إن ممارسة هذا النشاط خارج أوقات الدراسة لا يعني أنها ليست من المناهج، إنها جزء هام منه حيث القيام بهذه النشاطات تؤدي لتكوين فكر تربوي واضح، وأصيل يؤثر في الطلاب، فتتزكى النفس بهذه النشاطات.

والنشاط الثقافي له دور واضح في التنمية العقلية لدى الطلاب، في تكوين فكر واضح، ويكون عن طريق جمعيات ثقافية وعلمية يكونها الطلاب في المؤسسات التربوية، ويديرونها فتقام محاضرات وندوات ومؤتمرات علمية تزيد من ثقافة الطلاب، وتعمق تصورهم الإسلامي للعملية التربوية، بل إن من يمارس النشاط الثقافي بعزم وصدق، فإنه يجني ثماره الطيبة في مجال دراسته للمواد المقررة.

إن هذا النشاط يحفز الطلاب إلى الاطلاع فتتسع أفقهم، ويحسن فهمهم للمواد الدراسية التي يتلقوها، ويعينهم على مناقشة القضايا بوعي فكري

---

(١) بشير حاج التوم، السبيل إلى بناء فكرة تربوي إسلامي لدى المعلم، مرجع سابق، ص - ١٦.

واضح.

والنشاط التربوي يكون على شكلين أساسيين من خلال ما يلي: -

١) نشاط ترويحي: يجدد العزيمة ويزيل الكآبة، وكان هذا النشاط يتجلى في حياتهم عفوياً كلما دعت إليه الحاجة، وكان بريئاً من كل فحش أو محرم،... فالمرح، ل الله صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول إلا حقاً وكان يرتجز معهم البيت والبيتين عندما يكونون في عمل جماعي...، وكان يسمح في الأعياد بهذا المرح، وكذلك في الأعراس ويشارك في الولائم لإظهار البهجة والسرور.

٢) نشاط تعليمي أو تعبدي: غايته التعليم والتهذيب والتربية العسكرية من خلال الحياة والممارسة...، كما رأينا تعليمه صلى الله عليه وسلم التيمم ومناسك الحج، وكذلك تعليمه أركان الصلاة للمسيء، وتعليمه الفروسية، وأمره بتعليم للرمي وإقامته مباريات في ذلك " [(١)].

ثالثاً المجتمع: -

" هو المنظومة المكونة من الناس والأفكار الإسلامية، والمشاعر الإسلامية، والقوانين الإسلامية، والتي تتفاعل فيما بينها، وتوجهها القيادة المجتمعية بدلالة العقيدة الإسلامية نحو غاية كلية نهائية هي مرضاة الله " [(٢)].

ومن خلال هذا المجتمع بما فيه من مؤسسات تقوم على تزكية النفس؛ إذ إن المجتمع الإسلامي يمتاز عن غيره في عقيدته التي ينشأ منها سلوكه، وهي المصدر الذي يتلقى منه سلوكه والأخلاق التي يتميز بها عن غيره، والطرق التي يسلكها في حياته وفي تحقيق أهدافه، والعبادة التي يمارسها والمؤسسات التي ينشأ فيها، والقيم التي يوزن بها البشر، فالمجتمع المسلم يقوم على الحرية المبنية على العبودية الكاملة لله سبحانه

(١) عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص - ١٨٩.
(٢) عبد القادر هاشم رمزي، النظرية الإسلامية في الدراسات الاجتماعية التربوية، الدوحة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤، ص - ٢٢٦.

وتعالى، والتي تحقق له المحافظة على نفسه وعقله و ماله وعرضه ونسله، ويطلب منه الالتزام بالحق والعدل، كما أن مجتمع الأخوة، والمساواة، والكفاية والعدل بين أفراد المجتمع، والذين يتساوون في الواجبات والحقوق.

فالمجتمع عامل تربوي فعال يحتاج تضافر المؤسسات في تحقيقه لمسؤولياته التربوية، وحتى ينتشر في المجتمع الفضيلة والخير ويحارب الشر والرذيلة، فإذا وجهت المؤسسات المجتمعية الوجهة الصحيحة كانت وسائل خير ورحمة وتعليم وتثقيف، وتزكية للنفوس، وأما إذا تركت هذه الوسائل لتنشر السموم كانت وسائل هدم ودمار؛ لذا على المجتمع أن يتصف بصفات يقوم عليه، ويطالب أفراده بذلك، ومنها التقوى والتي حض عليها القرآن باعتبارها مصدراً للسلوك السليم فرداً وجماعة، والمجتمع هو الذي تتعمق فيه بالممارسة معاني الود والرحمة والإيثار، والتضحية، وهي من الأخلاق الإسلامية التي يجب أن يتحلى بها.

والمجتمع المسلم لا يعج بمظاهر الفساد، والتحلل، والعري، وبنفس الوقت يطلب من المسلم أن يكون عفيفاً طاهراً، والمجتمع المسلم متحرر من الانقياد لغير الله.

إذن الأصل في المجتمع الإسلامي أن يكون مجتمع ذا عقيدة رائده، شاملة ومتكاملة، بنيت علاقاته على أسس قوية متينة من الوحدة والتفاهم والتآزر والتعاون، والتلاحم، والمودة والإخاء، والتكافل والتضامن، فأثمرت مجتمعاً فريداً في قوته وعزته ومنعته، تسوده روح العدالة والحرية والمساواة والحق والخير والنهوض بالمسؤولية، فأنجز نهضة حضارية تعتبر عصارة القيم والمثل والفضائل والرقي الإنساني [(١)].

ولن يكون المجتمع زكياً إلا عن طريق الدعوة إلى تزكية النفس من خلال هذه المؤسسات: -

(١) أحمد رجب الأسمر، مرجع سابق، ص - ٥١٢ - ٥١٣.

أ) **المسجد: -**

رسالة المسجد هي رسالة الإسلام الخالدة، وللمسجد أثار قامت في ضوئها دولة الإسلام الكبرى التي أخرجت الناس من الظلمات إلى النور.

فالتعليم والتعلم من أبرز وظائف المسجد، وأهمها لتخرج الأكفاء من العلماء، والمسجد مصدر رئيس من مصادر التوجيه والتربية والتعليم والتزكية، فالمسجد في الإسلام مقر لإعلان العبودية الخالصة لله عز وجل وحده قال الله تعالى:{وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾} [سورة الجن آية ١٨].

فالمسجد دوره الأساسي والأول أن نحقق فيه العبادة، وهي من أفضل ما يجب أن تؤدى فيه أو أن تكون منطلقة منه، ومن خلال العبادة تتم تزكية النفس.

والمسجد يقوم بدور تحصيل العلم، ونشره لكل عابد لله عز وجل على وجه صحيح مؤمن برسالة الإسلام.

" فالمسجد مقر لأداء الشعائر التعبدية وهو دار للتربية والتعليم من أول يوم وضع حجر أساسه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبناه على التقوى كما أنه شمل بأعمالـه رسالته كثيراً من ميادين الحياة العملية " [(١)].

فقيام الناس بالصلاة في المسجد والتي تقوم بتزكية النفوس عن طريق الانتهاء عن الفحشاء والمنكر.

كما أن حلقات العلم في المسجد من أبرز وسائله التعليمية، إذ أنه يوجد من الوسائل التعليمية في المسجد غير حلقة تحفيظ القرآن، وذلك مثل الخطبة والموعظة والتعلم الفردي، والفتوى، والمذاكرة العلمية، والندوات والمحاضرات التي تقوم في المسجد، والتي تؤدي إلى تزكية النفس من

(١) عبد الله قاسم الوشيلي، المسجد ودوره التعليمي عبر العصور من خلال الحلق العلمية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ص - ١١.

خلال ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

والمسجد يؤدى فيه الأعمال الصالحة من صلاة فريضة ونافلة وقراءة القرآن وحفظ له واستماع له، وذكر لله سبحانه كالذكر أدبار الصلوات من تسبيح وتحميد وتكبير وتهليل.

وفي المسجد يقوم الناس بالاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان، والصلاة على الجنائز.

فالمسجد " منبرٌ للدعوة إلى الإيمان والعمل الصالح، كما كان تطبيقاً عملياً لتلك الدعوة السامية من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أن تقوم الساعة، وإن مرت فترات ضعف فيها عمل الخير العام في المسجد لبعد الناس عن تطبيق هدي المصطفى صلى الله عليه وسلم " (١).

إن الوظيفة الحقيقية للمسجد في الإسلام صنع المسلم المتكامل البناء في خلقه وسلوكه وعمله وعبادته، في علاقته بربه، وبنفسه وبأخيه المسلم، وبالناس جميعاً، ولكل جانب من هذه الجوانب من شخصية المسلم اهتمام خاص يجب أن يقوم به المسجد دون إخلال ببقية الجوانب، إن وظيفة المسجد في صورتها الاجتماعية المبسطة هي أن يكون مركز إشعاع، وتوجيه وتربية لمجموعة المسلمين.

" ولن يستطيع المسجد أن يؤدي هذه الوظيفة إلا إذا جعل الناس يحتاجون إليه في كل أمورهم ويحسون به في كل ما يشغلهم عندئذ يصبح المسجد ضرورة حياة يوميه " (٢).

فالمسجد لكي يقوم بتزكية النفس للمسلم لابد أن يرجع كما كان، فروح المسجد هي روح الإسلام كله، هي تلك المعاني السامية التي يدعو إليها الإسلام، وهي كل الأعمال النبيلة التي يحبب الإسلام فيها الناس ويرى

---

(١) عبد الله أحمد الأهدل، دور المسجد في التربية، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جده، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ص - ٧٢.

(٢) علي عبد الحليم محمود، المسجد وأثره في المجتمع الاسلامي، دار المنار الحديثة القاهرة، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، ص - ١٩٠.

في استجابتهم لها صلاح دينهم ودنياهم وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

إن روح المسجد هي الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم في كل أمر من الأمور صغيرها وكبيرها هي الالتزام بكل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم والانتهاء عن كل ما نهى عنه.

ومن خلال المسجد " يستطيع القائمون عليه إصلاح الكثير من أخطاء المسلمين عن طريق التذكير والتناصح بالحكمة والموعظة الحسنة " [(١)].

ومن خلال المسجد تكون الدعوة إلى الجهاد بنوعيه جهاد النفس وجهاد المشركين والكفار.

إن المسجد يمكن أن يؤدي دوره الأول في حياة المسلم في النواحي الروحية والأخلاقية والاجتماعية إذ يتعلم فيه ويستمع فيه إلى الموعظة النافعة، ومن المسجد يخطط للشباب ورعايتهم وممارسة نشاطاتهم ومن المسجد يتم التخطيط للأمة لمناقشة الأمور التي تهم المسلمين.

ويتعلم أفراد المجتمع في المسجد الحلال والحرام، وأمور الدين والدنيا، وأحوال المسلمين وتاريخهم وهمومهم ومشاكلهم.

فالمسجد هو المكان الوحيد الذي يصهر النفوس، ويحولها تحولاً كبيراً؛ إذ يجردها من علائق الدنيا، وفوارق الرتب والمناصب، وحواجز الأنانيات، وسكرة الشهوات والأهواء، لتلتقي في ساحة العبودية الصادقة لله عز وجل بصدق وإخلاص.

لذا فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد شمل أصحابه وهو يعلمهم في المسجد بكل ما من شأنه أن يجعل شخصية الإنسان المسلم شخصية متكاملة، لذا " فالإسلام منهج حياة يختلف عن الأديان الأخرى كلية أو جزئية، ويختلف عن الفلسفات الاجتماعية الأخرى من حيث نظرته إلى الطبيعة الإنسانية، وما ينبغي أن تكون عليه حياة الإنسان وفقاً للفطرة

(١) خالد حامد الحازمي، مرجع سابق، ص - ٣٠٤.

الني خلق عليها، وفقاً للغاية التي خلق من أجلها، ووفقاً للحياة الآخرة التي سينتقل إليها بعد هذه الحياة الدنيا " (١).

أثر المسجد التربوي: -

١) ينمي لدى الأفراد الانتماء إلى المجتمع المسلم والاعتزاز بالجماعة المسلمة، وعندما يستمعون إلى الخطب والدروس ينمو لديهم الوعي العقدي ومعرفة الهدف الذي خلقهم الله من أجله " (٢).

٢) فالمسجد يقوم " بتثبيت معنى أخوة الإسلام ووحدة أمته الكبرى، ومحاربة النزعات والعصبيات العنصرية والمذهبية، وغيرها من الأمور التي تفرق وحدة الأمة، والتركيز على ما يربط المسلم فكرياً وشعورياً بإخوانه المسلمين " (٣).

٣) كما أن " الأثر التربوي للمسجد يتجلى في الجانب الروحي، والجانب الخلقي، والجانب العقلي والجانب العلمي بالإضافة إلى توثيق الصلة الاجتماعية بين أفراد المجتمع المسلم " (٤).

٤) المسجد عنوان المجتمع المسلم " وهو الرمز الحي الذي تتركز فيه كل أوجه النشاط التي يقوم عليها صلاح الدين والدنيا معاً " (٥).

فالمسجد يحقق الآمال المرجوة التي ستعود على أفراد المجتمع والسعادة في الدنيا والفوز بالجنة إذا عمل الفرد ما يرضى الله سبحانه وتعالى.

٥) المسجد إذا قامت به عملية تربوية تعنى بتعليم الكبار لمحو أميتهم وتعليم ما ينفعهم في دنياهم وآخرتهم.

---

(١) مقداد يالجن، جوانب التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص - ١٣.

(٢) محمد أحمد عبد الهادي، المربي والتربية الإسلامية، دار البيان العربي، جدة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ص - ٤٦.

(٣) صالح غانم السدلان، المسجد، دار بلنسية، الرياض، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، ص - ٣٦.

(٤) آمال حمزة المرزوقي، النظرية التربوية الإسلامية ومفهوم الفكر التربوي الغربي، رسائل جامعية رقم (٧)، تهامة، جدة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ص - ١٢٦.

(٥) إبراهيم عبد العزيز الدعليج، البث المباشر، دار القبلة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ص - ٦٧.

٦) إذا قامت بالمسجد مكتبة عامة ووضعت بها كتب تنفع المجتمع وأفرادها ليتفقهوا في الدين، وما يستجد عليهم والاستفادة من هذه الكتب بما ينفعهم وأمتهم.

٧) فالمسجد يقوم بإكمال " مدارسنا ومعاهدنا التي تقدم التربية الدينية بصورة هامشية أو يغلب عليها الطابع التلقيني، ويمكن للمسجد أن يسد هذه الثغرات " [(١)].

وأن يقوم بدور رائد في بناء الإنسان العالم الصالح المصلح بأمور دينه، ودنياه لكي تتزكى نفسه.

٨) المسجد له أهمية عظيمة في صد الإرهاب، وما يحدث عنه كتوجيه أفراد المجتمع أن يكونوا بعيدين عن التعصب والغلو، وبذلك " يكون المسجد خير وسيلة للوقاية من العنف والإرهاب والتطرف عن الخطب والوعظ والدروس الدينية " [(٢)].

ب) الإعلام: -

إن وسائل الإعلام في عصرنا من أهم الوسائل التربوية حيث تقدم مواد علمية وثقافية من خلال وسائله المسموعة والمرئية والمقروءة، وهي من الوسائط الشيقة التي تجذب الناس من مختلف الأعمار ومن الجنسيين، والإعلام بوسائله أداة هامه من أدوات التربية، ومن الأدوات المساعدة للنهوض بالمجتمعات ثقافياً، والإعلام له استجابة لنشر ما يستجد في مجال العلم، والمعرفة والتطبيق فتزداد الحيوية الثقافية من خلال متابعة التطورات الثقافية العالمية، ولا يصبح المجتمع في عزلة عما يدور من حوله.

---

(١) سعيد إسماعيل علي وآخرون، التربية الإسلامية المفهومات والتطبيقات، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ص - ١٥٢.

(٢) محمد فتحي عيد، دور المؤسسات الاجتماعية والأمنية في مكافحة الإرهاب (أعمال ندوتي مكافحة الإرهاب) أكاديمية نايف، مرجع سابق، الرياض، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، ص - ١٥٢.

ويستفاد من الإعلام في الإفادة من الدعوة الإسلامية التي تحدث منها أثراً تربوياً في نفوس المتلقين.

والإعلام يساعد على التمسك بمزيد من القيم واستعادة تراث، وثقافة الأمة الإسلامية، ويساعد على التقريب بين الأمة الإسلامية، والتعرف على أحوالها.

والإعلام إذا نشر ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وما فيه خير الأمة وصالحها و نشر الفضيلة وتطهيرها من الرذائل كان ممن يساعد على التزكية، لذا " ومن أخطر الأمور على الرسالة عدم استصحاب الحقائق والعمل بها، لأن ذلك يؤدي إلى عدم تفكير إعلامي غير سليم، وكذلك من الأمور المؤدية إلى النسيان " (١).

قال الله تعالى:{وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا} [سورة طه آية ١١٥] ومن هنا نفهم ضرر النسيان وضرر استصحاب الحقائق في كل وقت لأن ذلك يجعل من الإنسان حي القلب واعي الضمير مرهف الإحساس يتأثر بكل ما يمر به أو يصل إليه من أحداث، فإذا به يتذكر ماله وعليه، فيصده ذلك عن الخطأ ويصونه عن الانحراف، ويثبته عن الطريق المستقيم.

والمقصود بالتذكير هو: " العمل بشتى الأساليب الإعلامية من استحضار الحقائق في النفوس، والحض على العمل بها في الوقت المناسب لأن الحقائق لا ترتبط بالموسم أو زمن معين، بل إن حياتهم ترتبط باستدامة التذكير بها " (٢).

قال الله تعالى:{وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾} [سورة الذاريات آية ٥٥].

(١) محمد محمود الطلابي، الأسلوب الإعلامي في القرآن الكريم، مطبعة البلاغة، جدة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ص - ١٧٣.
(٢) محمد محمود الطلابي، الأسلوب الإعلامي في القرآن الكريم، مطبعة البلاغة، جدة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ص - ١٧٣.

لذا جعل الإسلام التذكير، وما يدل عليه إنما حتى يعقل الإنسان ويؤمن به ويعمل به كل حين فيربط

الحاضر بالماضي والحاضر بالمستقبل لأن في ذلك فلاحهم في الدنيا والآخرة. قال الله تعالى:{وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾} [سورة الإسراء آية ٤١].

وقال تعالى:{وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾} [سورة الحاقة آية ٤٨].

وإذا جاءت وسائل الإعلام بكل ما فيه تذكير بالله واليوم الآخر، واتباع أوامر الله وطاعته والنهي عن نواهيه لأن المتفضل عليهم بتلك النعم التي ذكروا بها، كما أن تذكيرهم تحذيراً لهم من فقدهم لتلك النعم إذا امتنعوا عن الاستجابة، وكفروا بالله ومع زوال النعم نزول العذاب.

إن الحاجة إلى التذكر والتذكير فيه تزكية للنفس، إذ إن الحقائق التي جاء بها القرآن الكريم وعمل الصدر الأول من هذه الأمة بها، فوصلت إلى ما وصلت إليه من تقدم ازدهار في جميع ميادين الحياة.

ومن الحقائق التي ذكرت في الماضي ثم نسيت في الحاضر من قبل المسلمين أن الله سبحانه وتعالى أمرهم بالتمسك بكتابه الذي أوصله إليهم وجعله سبباً بينهم.

والإعلام له أثر في العقيدة حيث إذا قام بالتذكير بعقيدة التوحيد أصبح الإنسان يعرف مركزه في الحياة، وبالتذكير لعقيدة التوحيد يرجع إلى ربه، أما إذا أصبح الإنسان تابعاً لهواه وغرائزه وميله انزلق وانحرف عن الطريق المستقيم.

والإعلام له أساليب لتزكية النفس وهي كما يلي:

١) فأسلوب الإعلام لتحريك العقول البصيرة والرؤوس الرشيدة لتنظر في الآفاق وفي أنفسها لترى آياته الكبرى ما يدلها على هذه الحقيقة.

قال الله تعالى:{ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ

ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾} [سورة الرعد آية ٢].

٢) الترغيب في الإيمان بالله وتوحيده في العبادة والتنفير من الكفر والابتعاد عن الشرك، مع ذكر بعض الأمور المحسوسة التي لا يشك عاقل في عدم تساويها ليصل بأصحاب العقول المستنيرة عن طريق ذلك بأن المتضادات المعنوية لا تتساوى فلا يتساوى المؤمن والكافر ولا المهتدي والضال ولا أصحاب الجنة وأصحاب النار ولا أحياء القلوب وأمواتها.

٣) الترغيب في العبادة بشتى أنواعها حتى تتزكى النفس، وأثار كل عبادة في تزكية النفس.

٤) الدعوة إلى التمسك بالأخلاق الإسلامية، وأن ما جاء في الكتاب والسنة من أخلاق يوافق الفطرة السليمة.

قال الله تعالى:{۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾} [سورة النحل آية ٩٠].

٥) الدعوة إلى التفكير في مخلوقات الله والعمل على تقوية الإيمان وإيضاح أنواع التفكير، وكيفية حل المشكلات التي تقع فيها الأمة، وتقوية العلاقات الاجتماعية والدعوة إلى الإعفاف والبعد عن الرذائل.

٦) الحث على العمل والدعوة إلى تنمية الأموال والسعي للحصول على الرزق وتنمية الأموال على وجه لا يمس بحقوق غيره من الناس، لأن ذلك من شأنه الأضرار بمصالح غيره، وإضعاف روابط المودة والمحبة والأخوة، وتثير الأحقاد في الأمة الواحدة.

٧) البعد عن كل ما فيه ضرر للمجتمع وأفراده من ظلم وأكل مال الناس بالباطل وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وتخويف الآمنين.

فالمقياس الحقيقي للحكم على أي إعلام بالقوة أو الضعف يكون بأساليبه القولية والعملية لا بما يمتلكه من أجهزة متقدمة كالصحافة والإذاعة والتليفزيون، فإذا صلحت الأساليب وقويت صلح الأعلام وقوى تأثيره،

وإذا فسدت وضعفت فسد الإعلام وتأثيره.

ولذا فقد حذر الله تعالى من إتباع خطوات الشيطان لأنه لا يأمر إلا بالفحشاء والمنكر.

قال الله تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢١} [سورة النور آية ٢١].

ومن خلال وسائل الإعلام يمكن أن تتم تزكية النفس وهي كما يلي: -

١) الصحافة:

" يصفها بعض المربين بأنها مدرسة بالمعنى المتسع. نظراً لكونها نافذة للقراءة ولتعلم المعارف والفنون

والانفتاح على الماضي، وقراءة الحاضر وتلمس اتجاهات المستقبل " (١).

فالصحافة لها دور في تزكية النفس إذا قامت بالدعوة إلى الله والتمسك بالكتاب والسنة، والتذكير بما على الإنسان أن يعمله حتى تتزكى نفسه، والصحافة لها دور كبير في التعليم للكبار " ومحو الأمية وتعويض جوانب النقص والقصور في التعليم المدرسي فهي بمثابة " تعليم مواز " يمكن الاعتماد عليها في تحقيق العديد من الأهداف التربوية " (٢).

والصحافة لم تعد تقتصر على تقديم الأخبار والتوعية والترفيه بل تقوم بدور التوجيه والإرشاد والتثقيف نحو صنوف العلم والمعرفة، فالصحافة تقدم العلم النافع الذي يحتاج إليه المجتمع من قرآن وسنة وعلوم هامة، وتقوم بإيضاح الحلال والحرام وكل ما يجب على الإنسان الابتعاد عنه،

---

(١) مصطفى عبد القادر زيادة وآخرون، فصول في اجتماعيات التربية، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ص - ١٤٥.

(٢) مصطفى عبد القادر زيادة وآخرون، فصول في اجتماعيات التربية، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ص - ١٤٥.

كما تقوم الصحافة بإيضاح الدور التربوي الذي يختص به كل من الأسرة والمدرسة والمجتمع.

فالصحافة لها الدور التربوي إذ عملت وأوضحت كيفية تزكية النفس من خلال ما تقدمه، وبيان دور الإيمان بالله، والصلاة، والزكاة، والحج، والتمسك بالأخلاق الإسلامية الفاضلة، وحسن الخلق، ومحاسبة النفس.

كما أن الصحافة تهتم بالحوادث والنكبات، فإذا خلت من الصدق والأمانة كانت هذه الصحافة وبالاً.

لذا فالصحافة يجب أن تكون أداة إصلاح وإرشاد وتوجيه فتخاطب الفرد المسلم في موقع عمله، فتتحسس مشاكله وتتعرف عليها ثم تقترح أفضل الحلول المقترحة من الفهم الشامل لمنهج الإسلام في تزكية النفس.

لذا فالصحافة وسيلة تربوية مؤثرة على الأفراد والجماعات على السواء فالذين " يطالعون الصحف والجرائد تكون لهم بمثابة معلم أو ناجح يقلدونه ويرددون كلماتها وهتافاتها ويستفيدون من الأساليب والأفكار والاتجاهات " (١).

لذا على الصحافة " أن تتحرى الحقيقة والصدق في كل ما تنشره، وعدم الدعوة إلى منكر أو محرم

أو الإيحاء بالرضا أو القبول لشيء من ذلك والاهتمام بكل ما فيه تكوين رأي عام إسلامي... والإلحاح على التمسك بالمبادئ والقيم الإسلامية " (٢).

وقد تسهم الصحافة بفائدة لمختلف الفئات في المجتمع " وإن كان لا يستفيد منها قطاع الأميين في المجتمع بطريقة مباشرة ومع ذلك فقد تصبهم بعض الفائدة بطريق غير مباشر، عندما يجدون من يقرأ لهم

---

(١) محمد الرابع الحسن الندوي، التربية والمجتمع، دار القلم، دمشق، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، ص - ١٠١.

(٢) حسن ملا عثمان، تربية الإنسان المسلم، دار الصحوة، القاهرة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م، ص - ١٦١ - ١٦٢.

المادة الصحفية " [(١)].

والصحافة لها دور كبير في حفظ النفس وتزكيتها من خلال إيضاح مقصد الشريعة في حفظ النفس وعدم قتل النفس المسلمة بدون إثم كما يفعل أهل الإفساد في الأرض.

٢) الإذاعة: -

تعتبر الإذاعة من أهم الوسائل الصوتية، وأشملها وأبعدها تأثيراً ونفوذاً، وهي أشد تأثيراً على النفوس، وقد سهلت نقل الأصوات إلى جميع المجتمعات، فالإذاعة مربية وموجة للناس من النواحي الفكرية، والثقافية والروحية والعلمية.

وتتيح الإذاعة لأفراد المجتمع خبرات غنية حية ما لا تستطيع المدرسة ملاحقتها حيث تقف على جميع المؤتمرات، وجميع الاكتشافات العلمية، والفتاوى الفقهية، وهي تعطي السامع صورة أكثر واقعية.

فالأعمال التي تقدمها الإذاعة حيث تعطي أفقًا واسعًا في التفكير في مخلوقات الله، فيزيد الإيمان بالله وقدرته، وتعطي الأفراد الوسائل التي تزكي النفس من خلال ما يسمعه الإنسان من نواحي عقائدية و عبادية وأخلاقية وأنواع المعاملات التي توضح ما أحل الله له، وما حرم عليه، مع إيضاح الأمور التي يجب عليهم الابتعاد عنها حتى تتزكى نفسه.

كما أن الإذاعة تقدم فضل التمسك بكتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم في حياة الإنسان والمجتمع، وهي تنمي الأخلاق الإسلامية في نفس الأفراد، ومصداقيتها في تحقيق تزكية النفس إذا التزم بها الإنسان.

كما أن الإذاعة تقوم بتعليم العلم النافع الذي يزكي النفس، فهي وسيلة تثقيفية رخيصة التكاليف؛ إذ تقوم ببث البرامج الدعوية والفقهية، وقراءة القرآن الكريم، فالأمي يتعلم منها ما ينقصه من علوم تنفعه في الدنيا

(١) محمد شحاتة الخطيب وآخرون، أصول التربية الإسلامية، دار الخريجي للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ص - ٢٥٧.

والآخرة، وهي وسيلة لمحو الأمية، وهي صالحة لأداء المهمة بنجاح لاستطاعة كل فرد من أفراد المجتمع من طلاب ومعلمين، فيزداد فقههم ويستكملوا العلم النافع لتتزكى أنفسهم.

كما أن الأسرة تستطيع أن تستفيد في حل مشكلاتها من خلال ما تقدمه الإذاعة من برامج دينية تسعدها في دنياها وآخرتها، وتتزكى بها نفوس كل فرد من أفراد الأسرة.

والإذاعة تقوم بتوضيح حفظ النفس عن طريق منع الظلم، وتحريم قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأنه قتل النفس من كبائر الذنوب. لذا على وسائل الإعلام التعريف الفعلي بالإسلام، وكيفية التزكية للمسلم، وتعريف الأمم أن أهل هذا الدين الملتزمين به يرعون الحقوق، ولا يعتدون ولا يظلمون [١].

٣) التلفاز: -

يعتبر التلفاز وسيلة مهمة يبث فيه ما ينشر به، وله فكر إن كان شراً فيؤدي إلى الشر، وإن كان خيرًا فيؤدي الخير، لذا يجب أن يكون وسيلة للتذكر إلى الله والإيمان به وعبادته والتفكير السليم الذي ينفع الأمة بأسرها حتى تتزكى أنفسهم.

" إلا أن له دورًا مؤثرًا في عملية " التثقيف الاجتماعي " وذلك بالسعي نحو استدخال قيم المجتمع وقضاياه في وعي الأفراد واهتماماتهم، وهذا يؤكد أن التلفزيون لم يعد وسيلة للتسلية فحسب وإنما هو كذلك أداة فعالة في " التنشئة الاجتماعية " " والتطبع الثقافي " وذلك بنشره مصادر متجددة للعلم والمعرفة والفنون والأدب... كما أسهم التلفاز بدور مهم جداً في حياة الأطفال وهو يعنى بتنمية الرصيد اللغوي لدى الأطفال عن طريق ما يقدمه من برامج تحتوي على كلمات وتراكيب لغوية جديدة "

---

(١) محمد أحمد العميري، موقف الإسلام من الإرهاب، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، مركز الدراسات الأمنية، الرياض - ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ص - ٣٨٤.

.[١]

ويقوم التلفاز بتنمية القيم المحببة في الإسلام؛ لذا ينهض التلفاز برسالة عظيمة في غرس هذه القيم كقيم السلام والشورى، والحرص على حقوق الإنسان والتعاون والإخاء وحب العمل، وتقدير العلم والعلماء، وكل قيمة تؤثر في تنمية شخصيات الأفراد.

ويقوم التلفاز ببث روح الجهاد في أفراد المجتمع لمحاربة أعداء الدين الذين يحاربون الإسلام وأهله كما أن التلفاز يقوم بتزكية الخلفية العقائدية الإلحادية التي صيغت من خلال أعداء الدين، وكذلك الأفكار المنحرفة عن الدين وأهله.

والتلفاز مكمل لمهمة البيت والمدرسة والمسجد؛إذا قدم فيه ما يفيد أفراد الأمة الإسلامية من برامج تتجاوب وميول المجتمع في اكتساب المعرفة وإشباع حب الاستطلاع وإدخال السرور على النفس كلذلك ضمن إطار التربية الإسلامية.

فالحرص كل الحرص على تحقيق الهدف مما يذاع على أن يتعلق بأمور هي:

١- الإسهام في تربية الفرد المسلم وبناء شخصيته حتى يزكي نفسه.

٢- بث البرامج التربوية الهادفة المثيرة و الجذابة التي تعبر عن هويتنا كمسلمين.

٢- توفير التسلية البريئة والراحة النفسية له، من خلال ما يعرض من برامج وأحاديث.

ومن خلال ما ننشده من التلفاز: -

١- التعبير عن الهوية الإسلامية ببث برامج رسائل تلفازيه يحركها فكر واعٍ تربوي مستنير، يحمل خصائص الإسلام، ويعبر عن قيمه وشريعته.

---

(١) مصطفى عبد القادر زيادة وآخرون، مرحع سابق، ص - ١٤٧.

٢- تصوير المجتمع المدرسي بما قد يشوبه من تناقضات، وتباين في توجهات أعضائه، مع إبراز المثل العليا، وتمثل انتصار القيم الفاضلة، وقدرة الأسوياء على المواجهة، ونجاحهم فيها، وبراعتهم في تحويل المدرسة إلى مجتمع تربوي فاضل.

٣- ضرب أمثلة لعظماء المسلمين الذين نبغوا في العلوم، وتفوقوا علمياً، وكذلك طلاب العلم الذين أفادوا من معايشة مربين فضلاء، سمحت لهم إمكاناتهم بالأخذ عنهم، واستجابوا لعطائهم فكانوا لنماذج نحتذي بهم، وصوراً مشرقة تعبر عن عظمة التربية الإسلامية وسموها.

٤- " بيان أهمية الخلق، وضرورته في التربية، وأصالته في بناء الإسلام وأهله، وأهميته في إنجاح الأعمال والارتقاء بالمجتمعات، والمساهمة في صنع حضارة تمثل نهضة الأمة، وتؤكد عظمة أبنائها " (١).

٥- إيقاف السيل الجارف من الأعمال المناهضة للتربية الساخرة من الاستقامة الناقمة على الالتزام الخلقي الساخرة من المدرسة والمربين، وتنشئة الأجيال على توقير المعلم، والولاء للمدرسة والإخلاص للعلم مع التزام القيم التربوية الأصيلة.

وإذا كان العالم قد سبق إلى اتخاذ التلفاز كوسيلة تعليمية تخدم المعرفة، وتسهم في إثراء التخصصات الدقيقة، وتعمل في إنماء العملية التعليمية حيث " يوجد في أمريكا قنوات تلفزيونية خاصة بالعلوم، يقوم من يهتم بها بالاشتراك فيها كل حسب ما يريد، ويوجد في الولايات المتحدة حوالي ستين محطة تلفزيون تعاليمي تديرها مؤسسات ومدارس وجامعات تبثُّ برامج متنوعة، وفي بريطانيا تبث برامج تعليمية خمسة أيام في الأسبوع خلال السنة " (٢).

الخلاصة: ـ

---

(١) محمد عبد الله الأنصاري، الأسس التربوية في ضوء القرآن الكريم، رسالة دكتوراه منشورة، جامعة أم درمان الإسلامية، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ص - ٥٦٧ - ٥٦٨.
(٢) المرجع السابق - ٥٦٨.

ولكي تقوم المؤسسات بواجبها يجب عليها القيام بهذه المسؤوليات: -

" ١) الاهتمام بالتربية والتعليم في جميع مراحله، وإقامة أنظمتها واستمداد مناهجها وسياستها من الكتاب والسنة النبوية المطهرة، والعناية بالمعلمين المتحمسين للإسلام، والهادفين لإخراج جيل يحمل رسالة الإسلام " (١). والذين يساعدون الطلاب على تزكية أنفسهم.

٢) الاهتمام بأفراد الأسرة تعليماً، وتعريفاً بالحقوق والواجبات التي عليهم للإسلام الذي به عزة النفس لكل فرد من أفراد الأمة الإسلامية، ويصبح همه الإسلام.

٣) تسخير وسائل الإعلام للدعوة والتربية والتعليم، والتوجيه السليم المنبثق عن تعاليم الإسلام، وضبط قضية الترفيه بالضوابط الشرعية كي لا تتحول إلى إشغال وصد عن سبيل الله، وحتى يعرف الإنسان كيفية تزكية نفسه، فتصبح هذه الوسائل مصدر تذكير وتوعية.

٤) العناية بالمسجد والعمل على أن يؤدي دوره التعليمي والتربوي والتوعوي من خلال أفراده، وذلك باختيار الخطباء، وإعداد الدروس المهمة التي تعمل على تزكية النفس، وتحقيق ذلك لهم، وعمل حلقات القرآن لجميع أفراد المجتمع صغاراً وكباراً.

فهذه الوسائل تقوم على تحقيق التطهير، وتزكية النفس إذا تم توحيد ما يبث فيها، وحتى تساهم في تحقيق الوحدة الفكرية المنشودة، فالرسالة الأساسية لهذه الوسائل هي التوجيه، والتعليم، والتربية والتثقيف، والترويح للمجتمع المسلم من منطلق تعاليم الإسلام.

ولإقامة مجتمع زكي النفس لابد أن يقوم أفراد المجتمع على الإيمان بالله كما قرره الكتاب والسنة، والسلف الصالح، فهو الرابط بين أفراد المجتمع، وهو المحافظ على تلك الرابطة، وعلى تلاحم الأفراد واتفاقهم وعدم اختلافهم.

---

(١) عبد الله عبد الرحمن الجربوع، مرجع سابق، ص - ٥٠٢.

وإن كنا نسعى إلى تكوين جيل قوي مؤمن بالله تعالى، وبكل معتقداته، وبكل ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وبعلمه أن نهتم بكل المؤسسات التربوية للتعامل مع هذه المعتقدات والقيم تعاملاً إيجابياً.

الفصل السادس: خاتمة الدراسة

الفصل السادس:
خاتمة الدراسة

* النتائج.
* التوصيات.
* المقترحات.
* المصادر والمراجع

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، حمداً كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام الأتمان على النبي المجتبى، والحبيب المصطفى محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان ليوم الدين.

لقد حاولت جهدي في إيضاح تزكية النفس في الإسلام وفي الفلسفات الأخرى عن طريق المنهج الوصفي، وذلك بدارسة تزكية النفس في الإسلام ومن ثم دراسة تزكية النفس في بعض الفلسفات الأخرى كالمثالية والواقعية والبرجماتية والبوذية.

لقد تناولت تزكية النفس في الإسلام من جوانب متعددة وهي تزكية النفس والعقيدة، وتزكية النفس والعبادة، وتزكية النفس، والناحية الاقتصادية، وتزكية النفس والناحية الاجتماعية، وتزكية النفس والناحية السياسية، وتزكية النفس والعقل، ومن فضل الله علينا أن أكرمنا بالإسلام الذي راعى في الفرد جميع جوانبه.

وتناولت في الفلسفات كالمثالية والواقعية والبرجماتية والبوذية - النواحي التي تكلمت عنها من نواحي معرفية، ونواحي أخلاقية، ونواحي دينية على حسب كل الفلسفة ومن ثم تناولت رواد هذه الفلسفات، ومدى قيام هؤلاء الرواد بتزكية النفس لأفراد هذا المجتمع الذي يقيمون فيه.

وما هذا العمل الذي أقدمه إلا لمعرفة الإسلام، وأنه الدين الحق الذي يجب علينا اتباعه حتى ننال رضا رب العالمين.

وما قامت عليه بعض الفلسفات إلا كان جهداً بشرياً قاصراً يتخلله الخلل والضعف، وسوء التدبير، وقيام بعض هذه الفلسفات على تضليل الأمة والبحث عن المنفعة الدنيوية.

ومن خلال ما قدمت فإن أصبت المراد فذلك من فضل الله علي ومنته فله الحمد في الأولى والآخرة، وإن أخطأت أو وهمت أو قصرت أو ظلمت فذلك مني ومن الشيطان.

ويبقى ديننا الحنيف بما جاء من كتاب وسنة نبوية مطهرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام بريئان من كل خطإٍ أو تقصير.

والله أسأل أن يتجاوز عن الخطأ والتقصير. وأن يكتب الأجر والثواب والمغفرة لكل فرد من أفراد أمة الإسلام، وقد تمخضت الدراسة من النتائج والتوصيات والمقترحات، وهي كما يلي: -

النتائج: -

١) أكد الإسلام على تزكية النفس، وبيان الفلاح بهذه التزكية وهي ضرورية لتزكية النفس لأفراد المجتمع إذ بها تصلح الحياة، ويعيش الأفراد في المجتمع متاعًا حسنًا في الدنيا و سعادة في الآخرة.

٢) ورد مصطلح التزكية في القرآن والسنة النبوية وهي جزء من رسالة المصطفى صلى الله عليه وسلم حث عليها الإسلام بغية ارتقاء الإنسان إلى أهل الله وطاعته.

٣) تزكية النفس مصطلح يشمل التربية الذاتية والتربية المستمرة ليحقق ما يرجوه الإنسان من متاع حسن في الحياة الدنيا، وسعادة الآخرة.

٤) تعد جميع المؤسسات التربوية من الأهمية بمكان لتزكية النفس، والمداومة عليها والإسهام في إيضاح كل فضيلة للتمسك، والعمل بها وبيان كل رذيلة لتركها والبعد عنها.

٥) تزكية النفس هي مما جاءت به الشريعة الإسلامية ودعت إليه، ذلك أن التربية هي حمل الناس على ما في شريعة الله الخالدة من عقيدة وعبادات وأخلاق وسلوك ومعاملات، أي أن التربية هي تفعيل لما جاءت به الشريعة الإسلامية.

٦) لم تقم الفلسفة المثالية و الفلسفة الواقعية و الفلسفة البرجماتية بتزكية النفس للخلل في مصادرها وغاياتها ومجالاتها حيث تشوبها كثير من السلبيات في تحديد تزكية النفس، وإن وجد شيء يميل إليه الإنسان في تلك الفلسفات فإنما هو ظاهر من الحياة الدنيا.

٧) ضلال الفلسفات لأنها جاءت من بشر عقله قاصر، ولا يعرف ما مدى حاجة الإنسان، ومتطلباته، ولعدم اعترافها بالدين أو وعدم الأخذ بالتعاليم من رب العالمين.

التوصيات: ـ

١) أن تكون تزكية النفس أحد أهم الأهداف التربوية والتعليمية، وغايتها العليا التي يتوخى تحقيقها في العملية التربوية من خلال عناصرها التي جاءت في القرآن الكريم.

٢) توجيه الأئمة والدعاة وأهل العلم إلى الاهتمام بتزكية النفس بهدف تحذير الأمة من كل ما يخالف الله ورسوله من عقائد، وعبادات، وأخلاق، ومعاملات، والالتزام والتمسك بالعقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات التي جاءت في القرآن والسنة النبوية.

٣) توجيه وسائل الإعلام مقروءة ومسموعة إلى إيضاح تزكية النفس ووسائلها مع صياغة السياسة الإعلامية لغرس كل ما يحب الله والبعد عن ما يغضبه

٤) تقديم بعض الدروس لتزكية النفس في المواد الدراسية، وخاصة في مادة التربية الوطنية.

المقترحات: ـ

١- دراسة تقوم بتزكية النفس من خلال المفكرين المسلمين.

٢- دراسة تقوم بتزكية النفس من خلال المناهج الدراسية.

٣- دراسة تقوم بتزكية النفس من وجهة نظر المعلمين في المدرسة " دراسة ميدانية ".

* * *

المصادر والمراجع

المصادر: -

أولاً: القرآن الكريم

١- إسماعيل عمر بن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٢- الحسين محمد الراغب الأصفهاني، **معجم مفردات ألفاظ القرآن**، دار الكتاب العلمية، بيروت، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٣- سعيد حوى، **الأساس في التفسير**، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٤- سيد قطب، **في ظلال القرآن**، دار الشروق، القاهرة، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، ط٩.

٥- شهاب الدين السيد الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٦- عبد الحق غالب بن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٧- عبدالله بن عمر البيضاوي، **تفسير البيضاوي**، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٨- محمد أحمد القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٩- محمد بن جرير الطبري، **جامع البيان عن تأويل القرآن**، دار الفكر، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

١٠- محمد الرازي فخر الدين، **تفسير الفخر الرازي**، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١١- محمد علي الصابوني، **صفوة التفاسير**، دار القرآن الكريم، بيروت ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م.

١٢- محمد محمد العمادي، **تفسير أبي السعود**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.

ثانياً: السنة النبوية وعلومها.

١٣- أحمد بن حنبل الشيباني، **المسند**، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.

١٤- أحمد الحسين البيهقي، **شعب الإيمان**، تحقيق محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

١٥- أحمد علي العسقلاني، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، المكتبة السلفية القاهرة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م، ط٣.

١٦- جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، **جمع الجوامع الجامع الكبير في الحديث والجامع الصغير وزوائده**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

١٧- سليمان الأشعث السجستاني أبو داود، **سنن أبي داود**، تحقيق صدقي جميل، دار الفكر، بيروت ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

١٨- عبد الرحمن أحمد بن رجب، **جامع العلوم والحكم**، تحقيق شعيب الأرناؤوط، طبعة دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م.

١٩- عبد الله محمد القزويني بن ماجه، **سنن ابن ماجة**، دار الكتب العلمية، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، د. ت.

٢٠- محمد إسماعيل البخاري، **صحيح البخاري**، مكتبة دار التراث العربي، د. ت.

٢١- محمد عبد الرحمن الدارمي، **سنن الدارمي**، دار الكتب العلمية، د. ت.

٢٢- محمد عبد الرحمن المباركفوري، **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، كتاب البر والصلة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٢٣- محمد بن عبد الله الحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق عبد القادر عطا، دار الكتاب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

٢٤- محمد عيسى الترمذي، **سنن الترمذي**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

٢٥- محمد ناصر الدين الألباني، **صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)**، المكتب الإسلامي، دمشق، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٢٦- محمد ناصر الدين الألباني، **ضعيف صحيح الجامع الصغير وزيادته**،

المكتب الإسلامي، دمشق، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٢٧- محمد ناصر الدين الألباني، **صحيح سنن الترمذي**، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٢٨- محي الدين يحي النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، تحقيق الشيخ مأمون شيا.
٢٩- مسلم بن حجاج بن مسلم، **صحيح مسلم**، دار المعرفة، بيروت، د. ت.
٣٠- نور الدين أبوعلي الهيثمي، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت.
٣١- نور الدين أبوعلي الهيثمي، **بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث**، للحارث محمد التميمي، تحقيق حسين أحمد الباكري، مركز خدمة السنة النبوية، المدينة المنورة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

ثالثاً: المعاجم

٣٢- إبراهيم مصطفى وآخرون، **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٣٣- محمد مكرم بن منظور، **لسان العرب**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.

رابعاً: المصادر العامة

٣٤- إبراهيم موسى الشاطبي، **الموافقات**، دار الفكر، بيروت، د. ت
٣٥- أحمد بن حنبل الشيباني، الزهد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٣٦- أحمد بن محمد السكندري، **الحكم العطائية**، شرح محمد سعيد البوطي، دار الفكر، دمشق، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٣٧- أحمد بن محمد السكندري، **تاج العروس الحاوي لتهذيب النفس**، شرح محمد نجدات المحمد، دار المكتبي، سوريا، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
٣٨- أحمد عبد الحليم ابن تيمية، **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، تحقيق صالح المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.
٣٩- أحمد عبد الحليم بن تيمية، **الإيمان**، دار الكتب العلمية، بيروت،

١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
٤٠- أحمد عبد الحليم ابن تيمية، **العبودية**، مكتبة المعارف، الرياض ١٤٠٢، هـ - ١٩٨٢م.
٤١- أحمد عبد الحليم ابن تيمية، **مجموع فتاوى شيخ الإسلام**، دار النهضة الحديثة، مكة المكرمة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م.
٤٢- أحمد عبد الرحمن بن قدامة، **مختصر القاصدين**، مكتبة المؤيد، الطائف، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٤٣- إسماعيل عمر ابن كثير، **البداية والنهاية**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٢م.
٤٤- أحمد على البغدادي، **اقتضاء العلم العمل**، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠١هـ - ١٩٨٤.
٤٥- علي علاء الحنفي ابن أبي العز، **شرح العقيدة الطحاوية**، دار الفكر العربي، بيروت، د. ت.
٤٦- الحسن بن يسار البصري، **الزهد**، تحقيق محمد عبد الرحيم محمد، دار الحديث، القاهرة، د. ت.
٤٧- الراغب أبو القاسم الحسين الأصفهاني، **تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين**، دار مكتبة الحياة بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٤٨- الحارث بن أسد المحاسبي، **رسالة المسترشدين**، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.
٤٩- علي أحمد بن حزم، **الأخلاق والسير**، تحقيق إيفار رياض، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
٥٠- عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**، دار الشعب، القاهرة، د. ت.
٥١- عبدالله بن محمد القرشي المعروف بابن أبي الدنيا، **العقل وفضله**، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٥٢- محمد بن أبي بكر بن القيم، **زاد المعاد في خير هدى العباد**، مؤسسة تحقيق شعيب الارنؤوط، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
٥٣- محمد بن أبي بكر ابن القيم، **الروح**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٥٤- محمد بن أبي بكر بن القيم، **الفروسية**، دار التراث، المدينة المنورة، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٥٥- محمد بن أبي بكر ابن القيم، **طريق الهجرتين وباب السعادتين**، دار ابن كثير، دمشق، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٥٦- محمد بن أبي بكر ابن القيم، **الفوائد**، دار بن خزيمة، الرياض، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، تحقيق عامر ياسين.

٥٧- محمد بن أبي بكر ابن القيم، **شفاء العليل**، دار التراث، القاهرة، د. ت.

٥٨- محمد أحمد الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ط٥.

٥٩- محمد أحمد الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، دار الفكر، بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ط٨.

٦٠- محمد محمد الغزالي، **إحياء علوم الدين**، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني، القاهرة، د. ت.

خامساً: المراجع: -

٦١- إبراهيم عبد العزيز الدعليج، **البث المباشر**، دار القبلة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٦٢- إبراهيم محمد عطا، **المناهج بين الأصالة والمعاصرة**، دار النهضة المصرية، القاهرة، ١٤٠٢هـ - ١٩٩٢م.

٦٣- إبراهيم مدكور، يوسف كرم، **دروس في تاريخ الفلسفة**، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٣م.

٦٤- إسحاق أحمد فرحان، **أزمة التربية في الوطن العربي من منظور إسلامي**، دار الفرقان للنشر، عمان، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٦٥- إسماعيل الفاروقي، **أسلمة المعرفة**، دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع، الكويت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ص - ٣٤

٦٦- إسماعيل الشرفا، **الموسوعة الفلسفية**، دار أسامة، عمان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٦٧- إصلاح إسماعيل أمين، **منهج الحياة في القرآن والسنة**، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٦٨- إمام عبد الفتاح إمام، مدخل إلى الفلسفة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، د. ت.

٦٩- إمام عبد الفتاح إمام، المنهج الجدلي عند هيجل، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٧٠- إميل برهية، تاريخ الفلسفة، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة، بيروت، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٧١- إميل بوترو، العلم والدين في الفلسفة، دار المعارف، القاهرة، ترجمة أحمد فؤاد الأهواني، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

٧٢- إميل وترد، فلسفة كانت، ترجمة عثمان أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

٧٣- أبو الحسن على الندوي، نحو التربية الإسلامية الحرة، دار المختار، القاهرة، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.

٧٤- أحمد السيد رمضان، الفلسفة الحديثة، مكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.

٧٥- أحمد أمين وزكي نجيب محمود، قصة الفلسفة الحديثة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٧٦- أحمد خليل جمعه، هيثم هلال حمزة، التقوى، سلسلة مفاهيم إسلامية، دار اليمامة دمشق، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٧٧- أحمد رجب الأسمر ، فلسفة التربية في الإسلام انتماء وارتقاء، دار الفرقان، عمان، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٧٨- أحمد رجب الأسمر، النبي المربي، دار الفرقان، عمان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٧٩- أحمد شلبي، أديان الهند الكبرى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

٨٠- أحمد عزيز نظامي، دراسات ومذاهب، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

٨١- أحمد علي الحاج محمد ، في فلسفة التربية، دار المناهج، عمان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٨٢- أحمد علي الفنيش، **أصول التربية**، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
٨٣- أحمد فاروق محفوظ وشبل بدران، **أسس التربية**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٤م.
٨٤- أحمد فريد، **تزكية النفوس**، دار الإيمان، الإسكندرية، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٨٥- أحمد فريد، **تزكية النفوس وترتيبها كما يقرره علماء السلف**، تحقيق ماجد بن أبي الليل، مكتبة التوعية الإسلامية، القاهرة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٨٦- أحمد فؤاد الأهواني، **التربية في الإسلام**، دار المعارف، القاهرة، د. ت.
٨٧- أحمد فؤاد الأهواني، **القيم الروحية في الإسلام**، من سلسلة دراسات في الإسلام، المجلس الأعلى
للشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف، القاهرة، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م.
٨٨- أحمد فؤاد الأهواني، **أفلاطون**، دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.
٨٩- أحمد فؤاد الأهواني، **جون ديوي**، دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
٩٠- أحمد ماهر البقري، **القيم الخلقية في الإسلام**، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
٩١- أحمد محمد البيلي، **التصور الإسلامي لمناهج التربية والتعليم**، سلسلة بحوث المؤتمر العالمي الأول للتعليم الإسلامي، جامعة أم القرى، المركز العالمي لتعليم الإسلامي، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٩٢- أحمد محمد المقري، **تربية النفس الإنسانية في ظل القرآن**، دار حافظ للنشر والتوزيع، جدة، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م.
٩٣- أفلاطون، **جمهورية أفلاطون**، ترجمة حنا خباز، دار القلم، بيروت، د. ت.
٩٤- أندريه كريسون، **تيارات الفكر الفلسفي من القرون الوسطى حتى العصر الحديث**، ترجمة نهاد رياض، منشورات عويدات، بيروت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٩٥- أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١.
٩٦- أنس احمد كرزون، منهج الإسلام في تزكية النفس، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٩٧- أنور الجندي، التربية وبناء الأجيال في ضوء الإسلام، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٥م.
٩٨- أنور الجندي، معلمة الإسلام، المكتب الإسلامي، بدمشق، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
٩٩- أنور الجندي، الإسلام والفلسفات القديمة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
١٠٠- أنور الجندي، أخطاء المنهج الغربي الوافد، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
١٠١- آمال حمزة المرزوقي، النظرية التربوية الإسلامية ومفهوم الفكر التربوي الغربي، رسائل جامعية رقم (٧)، تهامة، جدة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
١٠٢- أمل مبروك، الفلسفة الحديثة، الدار السعودية المصرية، القاهرة، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
١٠٣- أمينة أحمد حسن، نظرية التربية في القرآن وتطبيقاتها في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، دار المعارف، القاهرة، ١٤٠٠هـ ١٩٨٥م.
١٠٤- أوزفلد كوليه، المدخل إلى الفلسفة، ترجمة أبو العلا عفيفي، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.
١٠٥- برتراند راسل، تاريخ الفلسفة الغربية، ترجمة زكي نجيب محمود، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م.
١٠٦- برتراند راسل، حكمة الغرب، ترجمة فؤاد زكريا، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م.
١٠٧- بشير حاج التوم، التربية والمجتمع، جامعة أم القرى، المركز العالمي للتعليم والإسلامي - مكة المكرمة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
١٠٨- بشير حاج التوم، السبيل إلى بناء فكر تربوي إسلامي لدى المعلم، مركز البحوث التربوية والنفسية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة،

١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
١٠٩- بول منرو، **المرجع في تاريخ التربية**، ترجمة صالح عبد العزيز، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د. ت.
١١٠- توفيق الطويل، **قصة النزاع بين الدين ولفلسفة**، مكتبة مصر، القاهرة، د. ت.
١١١- توفيق الطويل، **المعجم الفلسفي**، مجمع اللغة العربية، القاهرة، د. ت.
١١٢- توفيق الطويل، **أسس الفلسفة**، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
١١٣- توفيق الطويل، **فلسفة الأخلاق**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ط٤.
١١٤- الجامعة البوذية (مها مونج كوت راجا فيد بالي)، **تري بابيتاس (الكتاب المقدس في البوذية)**، سانان شايا نوكول، ترجمة عبدالله نومسوك، (مهانات) بانكوك، ٢٥٢٦ب، ١٤٠٠هـ ١٩٨٣م.
١١٥- جابر عبد الحميد جابر، **مناهج البحث في التربية وعلم النفس**، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٤٠٠هـ - ١٩٩٠ م.
١١٦- جابر عبد الحميد جابر، **مهارات البحث التربوي**، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
١١٧- جمس س. دوس، **الأسس العامة لنظريات التربية**، ترجمة صالح عبد العزيز وآخرون، مكتبة النهضة المصرية، د. ت.
١١٨- جود، **فصول في الفلسفة ومذاهبها**، ترجمة عطية محمود هنا و ماهر كامل، دار النهضة المصرية، القاهرة، د. ن.
١١٩- جورج باركلي، **المحاورات الثلاث بين هيلاس وفيلونوس**، ترجمة يحي هويدي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، د. ت.
١٢٠- جورج ف. نيللر، **في فلسفة التربية**، ترجمة محمد منير مرسي، عالم الكتب، القاهرة، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
١٢١- جورج شهلا وآخرون، **الوعي التربوي**، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
١٢٢- جورج ويلهم هيجل، **محاضرات في فلسفة التاريخ**، ترجمة إمام عبد

الفتاح إمام، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٤٠٧هـ - ١٩٩٧م.
١٢٣- جورج ويلهم هيجل، **أصول فلسفة الحق**، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولي القاهرة، ١٤٠٦هـ - ١٩٩٦م.
١٢٤- جورج ويلهم هيجل، **موسوعة العلوم الفلسفية**، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولي، القاهرة، د. ت.
١٢٥- جورج ويلهم هيجل، **تاريخ الفلسفة**، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولي القاهرة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
١٢٦- جون ديوي، **نمو البرجماتية الأمريكية في فلسفة القرن العشرين**، نشرها داجوبرت د. رونز، ترجمة عثمان نويه، القاهرة، مؤسسة سجل العرب، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.
١٢٧- جون لويس، **مدخل إلى الفلسفة**، ترجمة أنور عبد الملك، دار الحقيقة، بيروت، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
١٢٨- جون كولر ، **الفكر الشرقي القديم** ، ترجمة كامل يوسف، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
١٢٩- حامد سالم الحربي، **الأسس الفكرية للمناهج الدراسية**، مركز البحوث التربوية والنفسية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
١٣٠- حبيب الشاروني، **فلسفة فرنسيس بيكون**، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.
١٣١- حسان محمد حسان وآخرون، **مقدمة في فلسفة التربية**، دار عالم الكتب، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
١٣٢- حسن سعيد الكرماني، **الهادي إلى لغة العرب**، دار لبنان لطباعة والنشر، بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
١٣٣- حسن ملا عثمان، **تربية الإنسان المسلم**، دار الصحوة، القاهرة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.
١٣٤- حسين سليمان قورة، **الأصول التربوية في بناء المنهج**، مكتبة دار المعارف، القاهرة، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
١٣٥- حسين صالح حمادة، **دراسات في الفلسفة اليونانية**، دار الهادي للطباعة

والنشر، بيروت، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

١٣٦- خالد سعود الرشود، **عبق الجنة في صفات النفس المطمئنة**، دار القاسم، الرياض، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٠م.

١٣٧- خالد أحمد الحازمي، **أصول التربية الإسلامية**، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

١٣٨- خالد فهد العودة، **الترويح التربوي**، دار مسلم للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

١٣٩- د. أيرلند تيموثي، **رؤية جيلي للتربية المستمرة**، مانشستر، جامعة مانشستر، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

١٤٠- ذوقان عبيدات وآخرون، **البحث العلمي**، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

١٤١- رءوف شلبي، **الدعوة الإسلامية في العهد المدني**، دار القلم الكويت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٤٢- رينيه ديكارت، **مبادئ الفلسفة**، ترجمة عثمان أمين، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، د. ت.

١٤٣- رينيه ديكارت، **التأملات في الفلسفة الأولى**، ترجمة عثمان أمين، مكتبة الأنجلو المصرية، د. ت.

١٤٤- رينيه ديكارت، **مقال في المنهج**، ترجمة محمود محمد الخضري، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤م.

١٤٥- روبرت شنيدر، **تاريخ الفلسفة الأمريكية**، ترجمة محمد فتحي الشنيطي، مكتبة دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

١٤٦- روجيه غارودي، **فكرة هيجل**، ترجمة إلياس مرقص، دار الحقيقة، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ط٢.

١٤٧- زغلول راغب النجار، **أزمة التعليم المعاصر وحلولها الإسلامية**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

١٤٨- زكريا إبراهيم، **دراسات في الفلسفة المعاصرة**، مكتبة مصر، القاهرة، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

١٤٩- زكريا إبراهيم، **كانت أو الفلسفة النقدية**، مكتبة مصر القاهرة، د. ت.

١٥٠- زكريا إبراهيم، **المشكلة الخلقية**، مكتبة مصر، القاهرة، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

١٥١- سالم حسن هيكل، **تربية وتنشئة الفرد في إطار متوازن بين ثقافة مجتمعه والاحتكاك بالمثقفات المجتمعية الأخرى**، ندوة مدرسة المستقبل، كلية التربية - جامعة الملك سعود، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١٥٢- سانج جانترا راغام، **أصول البوذية**، مكتبة باناخار، بانكوك، ٢٥٥١ب، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

١٥٣- سعد محمد الطخيمس، **تزكية النفس**، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

١٥٤- سعد مرسي أحمد، **تطور الفكر التربوي**، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ط٥.

١٥٥- سعيد إسماعيل علي، **فقه التربية مدخل إلى العلوم التربوية**، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

١٥٦- سعيد إسماعيل علي وآخرون، **التربية الإسلامية المفهومات والتطبيقات**، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م.

١٥٧- سعيد التل وآخرون، **المرجع في مبادئ التربية**، دار الشروق، عمان، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣ م.

١٥٨- سعيد حوى، **تربيتنا الروحية**، دار الكتب العربية بيروت، ١٣٩٩- ١٩٧٩ م.

١٥٩- سعيد حوى، **جند الله ثقافته وأخلاقاً**، مكتبة وهبه، القاهرة، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠، ط ٣.

١٦٠- سعيد حوى، **المستخلص في تزكية الأنفس**، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

١٦١- سعيد عبد العظيم، **الديمقراطية في الميزان**، مكتبة الفرقان، الإسكندرية، د. ت.

١٦٢- سفر عبد الرحمن الحوالي، **العلمانية**، دار مكة للطباعة والنشر، مكة المكرمة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، مطبوعات مركز البحث العلمي وإحياء التراث العلمي، جامعة أم القرى.

١٦٣- سلمان فهد العودة، ولكن كنوا ربانيين، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

١٦٤- سليم عيد الهلالي، **منهج الأنبياء في تزكية النفوس**، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

١٦٥- سليمان عبدالله محمد، **تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد**، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

١٦٧- سليمان نصيف الدحدوح، **من هم المتقون**، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

١٦٨- سماح رافع محمد، **المذاهب الفلسفية المعاصرة**، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م.

١٦٩- سمر محمد العريفي، **صلاحية مصطلح التزكية الإنسانية**، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣ م.

١٧٠- سيد قطب، **مقومات التصور الإسلامي**، دار الشروق، القاهرة،١٤٠٧هـ - ١٩٨٧.

١٧١- صالح ذياب هندي وآخرون، أسس التربية، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

١٧٢- صالح غانم السدلان، **المسجد**، دار بلنسية، الرياض، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

١٧٣- طه جابر العلواني، **المسلمون والبديل الحضاري**، دار الوقوف الإسلامي، أمريكا، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

١٧٤- عابد محمد السفياني، **الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية**، مكتبة المنارة، مكة المكرمة، ١٤٠٨هـ - ١٩٩٨م.

١٧٥- عادل عبد الشكور الزرقي، **ذوق الصلاة عند الإمام ابن القيم**، دار طويق للنشر والتوزيع، الرياض ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

١٧٦- عباس محمود العقاد، **التفكير فريضة إسلامية**، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

١٧٧- عباس محمود العقاد، **الإنسان في القرآن**، المجلد الخامس من الأعمال الكاملة، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.

١٧٨- عباس محمود العقاد، موسوعة عباس محمود العقاد، الله جل جلاله، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
١٧٩- عبد البديع عبد العزيز الخولي، في التربية الإسلامية، جامعة الأزهر، كلية التربية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
١٨٠- عبد الحميد احمد أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا، ١٤١٢هـ - ١٩٩١.
١٨١- عبد الحميد الصيد الزنتاني، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
١٨٢- عبد الجواد سيد بكر، فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، دار الفكر، القاهرة، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣.
١٨٣- عبد الرحمن أحمد الكواكبي، طبائع الاستبداد، دار موفم للنشر الجزائر، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
١٨٤- عبد الرحمن الدوسري، صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم، دار الأرقم، الكويت، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
١٨٥- عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، دار الفكر، دمشق، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
١٨٦- عبد الرحمن النحلاوي، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، الكتب الإسلامي، دمشق، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ط٢.
١٨٧- عبد الرحمن النحلاوي، التربية الاجتماعية في الإسلام، دار الفكر، دمشق، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
١٨٨- عبد الرحمن بدوي، الأخلاق عند كانت، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
١٨٩- عبد الرحمن حبنكة الميداني، الأخلاق الإسلامية، دار القلم، دمشق، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
١٩٠- عبد الرحمن حبنكة الميداني، كواشف زيوف، دار القلم، دمشق، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
١٩١- عبد الرحمن عبد الله صالح وآخرون، المرشد في كتابة الأبحاث، مكتبة المنار، مكة المكرمة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

١٩٢- عبد الرحمن عبد الله المالكي، **مهارات التربية الإسلامية**، كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
١٩٣- عبد الرحمن ناصر السعدي، **فوائد قرآنية**، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، د. ت.
١٩٤- عبد الرحمن ناصر السعدي، **التوضيح والثبات لشجرة الإيمان**، أضواء السلف ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
١٩٥- عبدالرحمن ناصر السعدي، **تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
١٩٦- عبد السميع المصري، **عدالة توزيع الثروة في الإسلام**، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
١٩٧- عبد العزيز عبدالله بن باز، **العقيدة الصحيحة وما يضادها و نواقض الإسلام**، دار القاسم للنشر، الرياض، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
١٩٨- عبد العزيز ناصر الجليل، **وقفات تربوية**، دار طيبة، الرياض، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
١٩٩- عبد العزيز ناصر الجليل، **أفلا تتفكرون**، دار طيبة، الرياض ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٢٠٠- عبد الغفور عطار، **الديانات والعقائد في مختلف العصور**، مكة المكرمة، د. ت، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
٢٠١- عبد الفتاح جلال، **من الأصول التربوية في الإسلام**، المركز الدولي للتعليم الوظيفي للكبار، سرس اللياس، ١٣٩٧هـ - ١٩٩٧م.
٢٠٢- عبد الفتاح الديدي، **فلسفة هيجل**، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.
٢٠٣- عبد القادر هاشم رمزي، **النظرية الإسلامية في الدراسات الاجتماعية التربوية**، الدوحة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤.
٢٠٤- عبد الله احمد الأهدل، **دور المسجد في التربية**، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جده، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
٢٠٥- عبد الله زاهي الرشدان، **المدخل إلى التربية**، دار الفرقان، عمان، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م. ٢٠٦- عبدالله عبد الحميد محمود، **إعداد المعلم من**

منظــور التربيــة الإســلامية، مكتبــة الغربــاء، المدينــة المنــورة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
٢٠٧- عبد الله قاسم الوشيلي، **المسجد ودوره التعليمي عـبر العصـور مـن خـلال الحلق العلمية**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٢٠٨- عبد الله يحـي الكمـالي، **الطريــق إلى التمييــز التربــوي**، دار ابـن حـزم، بيروت، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
٢٠٩- عبد الكريم محمد بكار، **فصول في التفكير الموضوعي**، دار القلم، دمشق، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٢١٠- عبد الكريم الخطيب، **الإنســان في القـرآن الكـريم**، دار الفكر العربـي، القاهرة، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٢١١- عبد المجيد النجـار، **الإيمان بالله وأثاره في الحيـاة**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٩م.
٢١٢- عبد المجيد عمر النجـار، **مقاصــد الشر ـيعة**، دار الغرب الإسـلامي، بيروت، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
٢١٣- عبد المـنعم حسـنين، **والإنســان والمـال في الإســلام**، دار الوفـاء للطباعـة والنشر، القاهرة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.
٢١٤عبد المنعم خلاف، **المادية الإسـلامية و أبعادهـا**، دار المعـارف، القـاهرة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٢١٥- عدنان الشريف، **من عـلم النفس القـرآني**، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٢١٦- عثمان أمين، **رواد المثالية في الفلسفة الغربية**،دار الثقافة للنشر والتوزيـع، القاهرة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م.
٢١٨- عزمي إسلام، **جون لوك**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، د. ت.
٢١٩- عطية الويشي، **الصراع في الفكر الغربي**، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
٢٢٠- علاء حمروش، **تاريخ الفلسفة الشرقية**، د. ن، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
٢٢١- علـي أحمد الحنبلـي، **حكمــة التشر ـيع وفلســفته**، دار الكتـب العلميـة، بيروت، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٢٢٢- علـى أحمد مدكور، **منهج التربية في التصور الإسلامي**، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

٢٢٣- علي أحمد مدكور، **نظريات المناهج العامة**، دار الفرقان، الأردن، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٢٢٤- علي بخيت الزهراني، **الانحرافات العقدية والعلمية**، دار طيبة، مكة المكرمة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٢٢٥- علي جريشة، **نحو نظرية التربية الإسلامية ليس بالتكفير والتجهيل تربى الأجيال**، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٢٢٦- علي راشد، **مفاهيم ومبادئ تربوية**، دار الفكر، القاهرة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٢٢٧- علي عبد الحليم محمود، **المسجد وأثره في المجتمع الاسلامي**، دار المنار الحديثة القاهرة، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٢٢٨- علي لبن، **الغزو الفكري في المناهج الدراسية**، دار الوفاء، للطباعة والنشر، المنصورة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٢٢٩- على محفوظ، **هداية المرشدين**، دار الاعتصام، القاهرة، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢٣٠- عمر أحمد همشري، **مدخل إلى التربية**، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٢٣١- غالب علي العواجي، **المذاهب الفكرية المعاصرة**، المكتبة العصرية الذهبية، جدة، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٢٣٢- عماد عبد السلام، **كانت (ملامح عن حياته وأعماله الفكرية)**، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٢٣٣- عمانويل كانت، **مقدمة لكل الميتافيزيقا مقبلة يمكن أن تصير علماً**، ترجمة نازلي إسماعيل، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

٢٣٤- عمانويل كانت، **تأسس ميتافيزيقا الأخلاق**، ترجمة عبد الغفار مكاوي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، مراجعة عبد الرحمن بدوي، د. ت.

٢٣٥- عمانويل كانت، **الدين في حدود العقل أو التنوير الناقص**، ترجمة محمد المزوغي، دار الساقي، بيروت، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٢٣٦- عمانويل كانت، **نقد العقل المجرد**، ترجمة احمد الشيباني، دار اليقظة العربية، بيروت، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.

٢٣٧- عمر التومي الشيباني، **من أسس التربية الإسلامية**، المنشأة العامة للنشر ة التوزيع، طرابلس، ليبيا، ١٤٠١هـ - ١٩٨٢م.

٢٣٨- فايزه أنور شكري، **القيم الأخلاقية بين الفلسفة والعلم**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.

٢٣٩- فؤاد زكريا، **في آفاق الفلسفة**، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٢٤٠- فؤاد كامل وآخرون، **الموسوعة الفلسفية المختصرة**، دار القلم، بيروت، د. ت.

٢٤١- فؤاد كامل، **أعلام الفكر الفلسفي المعاصر**، دار الجيل، بيروت، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٢٤٢- فتح الله خليف، **ابن سينا ومذهبه في النفس**، جامعة بيروت العربية، بيروت، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م. ق.

٢٤٣- فرانكلين ل. باومر، **الفكر الأوربي الحديث**، ترجمة أحمد حمدي محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٢٤٤- فيصل عباس، **موسوعة الفلاسفة**، دار الفكر العربي، بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٢٤٥- فيصل عباس، **موسوعة علماء النفس والتربية**، دار الفكر العربي، بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٢٤٦- قباري محمد إسماعيل، **قضايا على الاجتماع دراسة نقدية من زاوية علم الاجتماع**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٣٩٨هـ - ١٩٨٧م، ط٢.

٢٤٧- كارل ياسيرز، **فلاسفة إنسانيون**، ترجمة عادل العوا، بيروت، منشورات عويدات، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٢٤٨- كريم متى، **الفلسفة الحديثة**، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٢٤٩- ليزا هـ. نيوتن، **نحو شراكة خضراء**، ترجمة إيهاب عبد الرحيم محمد،

منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، سلسلة عالم المعرفة، (٣٢٩).

٢٥٠- ماجد عرسان الكيلاني، **أهداف التربية الإسلامية**، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٢٥١- ماجد عرسان الكيلاني، **مناهج التربية الإسلامية**، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، ط٢.

٢٥٢- مالك بدري، **التفكر من المشاهدة إلى الشهود**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٢٥٣- مجموعة من الأساتذة، **موسوعة الأديان في العالم**، دار كريبس انترناشيونال، بيروت، (الديانات القديمة)، د. ت.

٢٥٤- مجموعة من الأساتذة، **سلسلة تراث الإنسانية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د. ت.

٢٥٥- مجموعة من الأساتذة، **المعجم الفلسفي المختصر**، ترجمة توفيق سلوم، دار التقدم موسكو، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٢٥٦- مجموعة من علماء الغرب، **الله يتجلى في عصر العلم**، ترجمة الدمرداش عبد المجيد سرحان، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د. ت.

٢٥٧- محروس سيد مرسي، **التربية والطبيعة الإنسانية**، دار المعارف، القاهرة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٢٥٨- محمد إبراهيم الحمد، **الدعاء**، دار ابن خزيم، الرياض، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٢٥٩- محمد إسماعيل عمار، **العلاقة بين الطالب والمعلم**، رؤية إسلامية، دار المسلم، الرياض، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٢٦٠- محمد أحمد العميري، **موقف الإسلام من الإرهاب**، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، مركز الدراسات الأمنية، الرياض - ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٢٦١- محمد أحمد عبد الهادي، **المربي والتربية الإسلامية**، دار البيان العربي، جدة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٢٦٢- محمد أحمد شريف وآخرون، **إستراتيجية تطوير التربية العربية**، مؤسسة

الريحاني للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٢٦٣- محمد البهي، **الإسلام في حياة المسلم**، مكتبه وهبة، القاهرة، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
٢٦٤- محمد البهي، **الفكر الإسلامي والمجتمع المتكامل**، دار الفكر العربي، القاهرة، د. ت.
٢٦٥- محمد الغزالي، **نظرية التربية الإسلامية للفرد والمجتمع**، خبراء أسس التربية الإسلامية، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٤٠٠ هـ - ١٩٩٠، ط٢.
٢٦٦- محمد الفاضل عاشور، **روح الحضارة الإسلامية**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
٢٦٧- محمد بيصار، **الفلسفة اليونانية مقدمات ومذاهب**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
٢٦٨- محمد تقي الأميني، **عصر الإلحاد**، دار الصحوة، القاهرة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
٢٦٩- محمد جميل علي خياط، **المبادئ والقيم في التربية الإسلامية**، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
٢٧٠- محمد حسن العمايرة، **أصول التربية**، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
٢٧١- محمد حسين يعقوب، **أصول الوصول إلى الله تعالى**، دار التقوى، القاهرة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.
٢٧٢- محمد ربيع جوهري، **أخلاقنا**، مكتبة دار الفكر الإسلامي، المدينة المنورة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
٢٧٣- محمد الرابع الحسن الندوي، **التربية والمجتمع**، دار القلم، دمشق، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
٢٧٤- محمد زكي عوض، **أطفالنا والتربية**، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م.
٢٧٥- محمد سعيد البوطي، **فقه السيرة**، دار الفكر، دمشق، ١٤١٩- ١٩٩٩م.
٢٧٦- محمد سعيد القحطاني، **الولاء والبراء في الإسلام**، دار طيبة، مكة

المكرمة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٢٧٨- محمد سيف الدين فهمي، **النظرية التربوية**، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
٢٧٩- محمد شديد، **منهج القرآن في التربية**، دار النشر والتوزيع، القاهرة، د. ت.
٢٨٠- محمد شحاتة الخطيب وآخرون، **أصول التربية الإسلامية**، دار الخريجي للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٢٨١- محمد ضياء الرحمن الأعظمي، **دراسات في اليهودية والمسحية وأديان الهند**، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
٢٨٢- محمد طاهر بن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، دار التونسية للنشر والتوزيع، بتونس، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
٢٨٣- محمد عبد المنعم عفر، **الاقتصاد الإسلامي**، دار البيان العربي، جدة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٢٨٤- محمد عثمان نجاتي، **القرآن وعلم النفس**، دار الشروق، القاهرة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
٢٨٥- محمد عقله، **نظام الأسرة في الإسلام**، مكتبة الرسالة، عمان، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٢٨٦- محمد علي أبو ريان، **الفلسفة الحديثة**، دار الكتب الجامعية، الإسكندرية، د. ت، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.
٢٨٧- محمد على أبو ريان، **تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٢٨٩- محمد فتحي عيد، **دور المؤسسات الاجتماعية والأمنية في مكافحة الإرهاب (أعمال ندوتي مكافحة الإرهاب)** أكاديمية نايف، الرياض، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
٢٩٠- محمد قطب، **النظرية التربوية الإسلامية**، ندوة خبراء أسس التربية الإسلامية، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٤٠٠ هـ - ١٩٩٠، ط٢.
٢٩١- محمد قطب، **منهج التربية الإسلامية**، دار الشروق، القاهرة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٢٩٢- محمد قطب، دراسات في النفس الإنسانية، دار الشروق، القاهرة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٢٩٣- محمد قطب، مذاهب فكرية معاصرة، دار الشروق، القاهرة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٢٩٤- محمد لقمان الأعظمي الندوي، مجتمع المدينة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، دار المعالم الثقافية، الإحساء، د. ت.

٢٩٥- محمد متولي الشعراوي، منهاج الصالحين، دار العصرية، بيروت، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

٢٩٦- محمد محروس الشناوي، بحوث في التوجيه الإسلامي للإرشاد والعلاج النفسي، دار غريب، القاهرة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٢٩٧- محمد محمد أمزيان، منهج البحث الاجتماعي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٢٩٨- محمد محمود الطلابي، الأسلوب الإعلامي في القرآن الكريم، مطبعة البلاغة، جدة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٢٩٩- محمد محمود عمير، العبادات وأثرها في التربية والتهذيب، مكتبة التراث الإسلامي القاهرة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

٣٠٠- محمد محمود محمد، علم النفس المعاصر في ضوء الإسلام، دار الشروق، جدة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٣٠١- محمد كمال جعفر، في الدين المقارن، د. ن، القاهرة، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

٣٠٢- محمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، دار الفكر، بيروت، د. ت.

٣٠٣- محمد نعيم ياسين، الإيمان، مكتبة العلم، القاهرة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٢٩٠- محمود السيد سلطان، مسيرة الفكر التربوي عبر التاريخ، دار المعارف، القاهرة، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٣٠٤- محمود حمدي زقزوق، المنهج الفلسفي بين الغزالي و ديكارت، دار المعارف، القاهرة، ١٤٠٨هـ - ١٩٩٨م.

٣٠٥- محمود حمدي زقزوق، تمهيد الفلسفة، دار المعارف، القاهرة،

١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٣٠٦- محمود شلتوت، **الإسلام عقيدة وشريعة**، دار الشروق، القاهرة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ط١٥.

٣٠٧- محمود عبد الرزاق شفشق، **الأصول الفلسفية للتربية**، دار البحوث العلمية، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٣٠٨- محمود عبد الرزاق شفشق ومنير عطا الله سليمان، **تاريخ التربية**، دار القلم، الكويت ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

٣٠٩- محمود فهمي زيدان، **نظرية المعرفة عند مفكري الإسلام وفلاسفة الغرب المعاصرين**، مكتبة النهضة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٣١٠- محمود فهمي زيدان، **وليم جيمس**، سلسلة نوابغ الفكر الغربي (١٠)، دار المعارف، القاهرة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٣١١- محمود قمبر، تعليم الكبار، مفاهيم، صيغ، تجارب عربية، الدوحة، دار الثقافة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٣١٢- مصطفى السباعي، **أخلاقنا الاجتماعية**، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٣١٣- مصطفى حلمي، **الإسلام والمذاهب الفلسفية**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٣١٤- مصطفى حلمي، **الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام**، دار الكتاب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

٣١٥ – مصطفى حلمي، **مناهج البحث في العلوم الإنسانية**، دار الدعوة، الإسكندرية، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٣١٦- مصطفى عبد القادر زيادة وآخرون، **فصول في اجتماعيات التربية**، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٣١٧- مصطفى غالب، **في سبيل موسوعة فلسفية**، برتراند راسل، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٣١٨- مصطفى فهمي، **في علم النفس**، دار الثقافة، القاهرة، د. ت.

٣١٩- مراد وهبه، **المذهب عند كانت**، ترجمة نظمي لوقا، مكتبة الانجلو

المصرية، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٢م.

٣٢٠- مـراد وهبـة، **قصـة الفلسـفة**، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٣٢١- مقداد يالجن، **جوانب التربية الإسلامية**، دار الريحاني للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٣٢٢- مقداد يالجن، **أهداف التربية الإسلامية**، دار الهدى للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٣٢٣- منير المرسي سرحان، **اجتماعيات التربية**، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣ م.

٣٢٣- مهدي فضل الله، **آراء نقدية في مشكلات الدين والفلسفة والمنطق**، دار الأندلس، بيروت، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٣٢٤- مهدي فضل الله، **فلسفة ديكارت ومنهجه**، دار الطليعة بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٩٦م.

٣٢٥- نازلي إسماعيل حسين، **الشعب والتاريخ (هيجل)**، دار المعارف، القاهرة، د. ت.

٣٢٦- نازلي صالح أحمد، **مقدمة في العلوم التربوية**، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٣٢٧- ناصر عبدالله القفاري، ناصر عبد الكريم العقل، **الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة**، دار الصميعي للنشر و التوزيع، الرياض، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٣٢٨- نبيل السمالوطي، **التنظيم المدرسي والتحديث التربوي**، دار الشرو، جدة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٣٢٩- نبيل المعاز، **التزكية**، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٣٣٠- نجيب بلدي، **ديكارت**، سلسلة نوابغ الفكر الغربي، دار المعارف، القاهرة، د. ت.

٣٣١- نخبة من الأساتذة النصارى، **قاموس الكتاب المقدس**، دار الثقافة المسيحية، د. ب، ط الثانية.

٣٣٢- نديم الجسر، **قصة الإيمان**، د. ن، لبنان، د. ت.

٣٣٣- نشأت جعفر، الحرية في الإسلام، د. ن، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٣٣٤- نعيم حبيب جغيني، الفلسفة وتطبيقاتها التربوية، دار وائل، الأردن، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
٣٣٥- هـ. سدجويك، المجمل في تاريخ الأخلاق، ترجمة توفيق الطويل، وعبد الحميد حمدي، دار الثقافة، الإسكندرية، ١٣٦٩هـ - ١٩٤٩م.
٣٣٦- هادي مشعان ربيع، مدخل إلى التربية، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، عمان، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٦م.
٣٣٧- هربرت ماركيرز، نظرية الوجود عند هيجل، ترجمة إبراهيم فتحي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
٣٣٨- هاشم علي الأهدل، التربية الذاتية، دار المعالي، عمان، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
٣٣٩- هنتر ميد، الفلسفة أنواعها ومشكلاتها، ترجمة فؤاد زكريا، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٣٤٠- هنري توماس ودانالي توماس، المفكرون من سقراط إلى سارتر، ترجمة عثمان نوبة، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.
٣٤١- هنري د. أيكن، عصر الأيدلوجية، ترجمة فؤاد زكريا، راجعه عبد الرحمن بدوي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.
٣٤٢- وحيد الدين خان، الدين في مواجهة العلم، ترجمة ظفر الإسلام، دار النفائس، بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٣٤٣- ول ديورانت، قصة الفلسفة، فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م.
٣٤٤- ولتر ترنس ستيس، فلسفة هيجل، ترجمة إمام عبد الفتاح، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
٣٤٥- وهبة الزحيلي، ذكر الله تعالى، دار المكتبي، دمشق، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٣٤٦- يحي هويدي، دراسات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
٣٤٧- يحي هويدي، مقدمة في الفلسفة العامة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٣٤٨- يعقوب فام، **البرجماتية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٣٤٩- يوسف العظم، **نحو منهاج إسلامي أمثل**، دار الفرقان، عمان، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٣٥٠- يوسف القرضاوي، **الخصائص العامة للإسلام**، مؤسسة الرسالة، بيروت. ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ط٣.

٣٥١- يوسف القرضاوي، **الرسول والعلم**، دار الصحوة، القاهرة، ١٤١٤هـ - ١٩٨٤م.

٣٥٢- يوسف القرضاوي، **ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده**، مكتبة وهبه، القاهرة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٣٥٣- يوسف المرعشلي، **تزكية النفس**، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

المجلات والدوريات:

٣٥٤- عبد الحليم محمود، **أقوى الأدلة على وجود الله**، مجلة الجديد، القاهرة، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

الرسائل العلمية: -

٣٥٥- خليل عبد الله الحدري، **منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم**، رسالة دكتوراه منشورة، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٣٥٦- عائشة عبد الرحمن الجلال، **المؤثرات السلبية في تربية الطفل المسلم وطرق علاجها**، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية التربية، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٣٥٧- عبد الرحمن الخالق حجر الغامدي، **دور الأسرة في تربية أولادها في مرحلة البلوغ**، رسالة دكتوراه منشورة، دار الخريجي - الرياض، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٣٥٨- محمد عبد الله الأنصاري، **الأسس التربوية في ضوء القرآن الكريم**، رسالة دكتوراه منشورة، جامعة أم درمان الإسلامية، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٣٥٩- محمد يوسف عبد، **قضايا المرأة في سورة النساء**، دار الدعوة، الكويت، رسالة ماجستير منشورة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

* * *

المراجع الأجنبية:

360 - Alan White , Absolute Knowledge Hegel and Problem Of metaphysic, series in Continental Thought ,vol.4 ,Ohio University Press 1983.

361 - Allen W. Wood , Rational Theology Moral and Religion cssay on the Cambridge to companion Kant ,Edited by Paul Gayer, Cambridge University Press, 1992.

362 - Bertrand Russell, The Scientific Outlook Routledge New York, NY, U.S.A. Routledge, 2001.

363 - Brubacher J.S., Modern Philosophies of Education, 5rd. Edn. McGraw - Hill Book Company ,Inc., New York, 1992.

364 - Chatterjee and Dhirendramuhan ,Introduction to Indian Philosophy , Muhachula Satischandra Buddhist University ,Bangkok, 2519Be,1976A.

365 - Curtis. S.J. and Boult wood M.F.A. , A short History of Education Ideas, London, University Tutorial Press, Uthed.

366 - Hegel, Philosophy of Nature, Translated and Edited by M.J .Petry .London Allen and Unwind ,New York ,Press.1970.

367 - James Collins , A history Modern European Philosophy , Lanham , New York ,London , 1986.

368 - John Childs , American Pragmatism and Education , New York. Application - century - crofrs Inc.1950.

369 - John Locke , Essay concerning Human Understanding ,ed. S.P. Lamprecht, Scribner's, New York,2004. Pig 96.

370 - Jown Dewey , Experience and Nature , New York ,Norton,1925.

371 - Jown Dewey , Philosopher of Science and Freedom, edited by Sidney Nook ,1950.

372 - Jown Dewey, A common Faith,Yale University Press, Newhaven,1999.

373 - Joseph Blau , L: Men and Movements in America Philosophy. Printice Hall, Inc. Englewood Cliffs ,N. J.

374 - Mark, B. Okrent,Consciousness and Objective Spirit in Hegel's Phenomenology, Journal of the History of Philosophy , 1980.

375 - Ralph Harper , Significance Existence and Recognition for Education ,Modern Philosophy and Education N.Y. The National Society for Study of Education.

376 - Robert B. Pippin, Hegel's Idealism , The satisfactions of self conscious senses, Cambridge University Press ,Now York ,1989.

377 - Rodlef Carmap ,The Old new Logichn Printing ,V SA .1963.

378 - Sale Laryl , Introduction of Middle School Teaching Columbus, Ohio Charles Emrill Publishing company ,1977.

379 - Smith John , Philosophy of Religion , The Macmillan Company, New York London 1965 Philosophy, New yok,1997. Scraton.

380 - Roger , Modern William James, Meaning of Truth, Longman Green, N.Y.,1914.

* * *

الفهــرس

* * *